كتاب
الأغاني

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني

المجلد الثالث - الجزء الاول

القسم ٩

الناشر

دار الثقافة

بيروت

١٩٥٥

كتاب الأغاني

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني

المجلد الثالث

الناشر

دار الثقافة

بيروت

١٩٥٥

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلد الثالث

من كتاب الاغاني

ذكر قيس بن الخطيم وأخباره ونسبه

هو قَيس بن الَخطيم[1] بن عديّ بن عمرو بن سُود بن ظَفَر، ويُكنى قيس أبا يَزيد.

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا محمد بن موسى بن حَماد قال حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال:

أنشد ابن أبي عتيق قول قيس بن الخطيم:

بـين شُكولِ[2] النساء خِلقتُها حَذْواً[3] فلا جَبْلَةٌ[4] ولا قَضَفُ[5]

---

(١) سمي أبوه الخطيم لضربة كانت خطمت أنفه كما في ديوانه طبع ليبزج سنة ١٩١٤ ص ١.

(٢) الشكول: الضروب.

(٣) الحذو: التقدير، ومنه حذو النعل بالنعل أي تقديرها على مثالها، يريد أنها بين ضروب النساء وسط لا هي بالسمينة ولا هي بالمهزولة.

(٤) الجبلة: الغليظة. وتروى «جثلة» والجثلة: الضخمة.

(٥) القضف: دقة اللحم، وهو وصف بالمصدر.

فقال : لولا أن أبا يزيد قال : حذواً ما درى الناس كيف يحشون هذا الموضع .

اخذه بثار ذويه :

وكان أبوه الخطيم قُتل وهو صغير، قتله رجلٌ من بني حارثة بن الحارث بن الخزرج، فلما بلغ قتل قاتل أبيه، ونشبت لذلك حروبٌ بين قومه وبين الخزرج وكان سببها .

فأخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال أخبرني احمد بن يحيى ثعلب عن ابن الأعرابيّ عن المفضّل قال :

كان سبب قتل الخطيم أنّ رجلًا من بني حارثة بن الحارث بن الخزرج يقال له مالك اغتاله فقتله، وقيسٌ يومئذٍ صغير، وكان عديّ أبو الخطيم أيضاً قُتل قبله، قتله رجل من عبد القيس، فلما بلغ قيس بن الخطيم وعرَف أخبار قومه وموضعَ ثأره لم يزل يلتمس غِرّةً من قاتل أبيه وجدّه في المواسم حتى ظفر بقاتل أبيه بيثرب فقتله، وظفر بقاتل جدّه بذي المجاز، فلما أصابه وجده في ركبٍ عظيم من قومه، ولم يكن معه إلا رهطٌ من الأوس، فخرج حتى أتى حذيفة بن بدر الفزاريّ، فاستنجده فلم يُنجِدْه، فأتى خِداش بن زُهير فنهض معه ببني عامر حتى أتوا قاتل عديّ، فاذا هو واقفٌ على راحلته في السوق، فطعنه قيس بحربة فقتله، ثم استمرّ . فأراده رهطُ الرجل، فحالت بنو عامر دونه ؛ فقال في ذلك قيس بن الخطيم :

ثأرتُ عديًا والخطيمَ فلم أُضِعْ ولايةَ أشياخٍ جُعلتُ[٢] إزاءها

(١) ذو المجاز : موضع بعرفة ، وكانت تقام فيه في الجاهلية سوق من أسواق العرب .

(٢) جعلت إزاءها : جعلت القيم عليها ، يقال : هو إزاء مال أي يقوم عليه ويتعهده .

ضربتُ بذي الزُّجين[1] رِبقةَ[2] مالكٍ … فأبتُ بنفسٍ قد أصبتُ شفاءها
وسامحني[3] فيها ابنُ عمرو بن عامرٍ … خِداشٌ فأدّى نعمةً وأفاءها
طعنتُ ابنَ عبد القيس طعنةَ ثائرٍ … لها نَفَذٌ لولا الشُّعاعُ[4] أضاءها
ملكتُ[5] بها كفّي فأنهرتُ[6] فَتقها … يَرى قائمٌ من دونها ما وراءها

هذه رواية ابن الأعرابي عن المفضَّل. وأما ابن الكلبيّ فانه ذكر أن رجلاً من قُريش أخبره عن أبي عبيدة أن محمد بن عَمّار بن ياسر، وكان عالماً بحديث الأنصار قال:

كان من حديث قيس بن الخطيم أنّ جَدّه عديّ بن عمرو قتله رجل من بني عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعة يقال له مالك، وقتل أباه الخطيمَ ابن عديّ رجل من عبد القيس ممن يسكن هَجرَ؛ وكان قيس يوم قُتل أبوه صبيًّا صغيراً، وقُتل الخطيم قبل أن يَثأر بأبيه عديّ؛ فخشيتْ أمّ قيس على ابنها أن يخرج فيطلب بثأر أبيه وجدّه فيَهلِك، فعمدتْ الى كومة من تراب عند باب دارهم، فوضعتْ عليها أحجاراً وجعلتْ تقول لقيس: هذا قبر أبيك وجدّك، فكان قيس لا يشكّ أن ذلك على ذلك. ونشأ أيداً شديدَ الساعدين، فنازع يوماً فتى من فتيان بني ظفر، فقال له ذلك الفتى: والله لو جعلتَ شدّةَ ساعديك على قاتل أبيك وجدّك لكان خيراً لك من أن تُخرجها عليّ؛ فقال: ومن قاتل أبي وجدّي؟ قال: سَلْ أمّك تخبرْك؛ فأخذ السيف ووضع قائمه على الأرض وذُبابَه[7] بين

---

(١) الزجّ: الحديدة في أسفل الرمح.
(٢) الربقة: العروة، يريد موضعها.
(٣) سامحني: تابعني ووافقني.
(٤) النفذ: الثقب. والشعاع: حمرة الدم. ويروى: «الشعاع» بفتح الشين وهو انتشار الدم. يريد: لولا الدم لأضاءها النفذ حتى تستبين.
(٥) ملكت: شددت وضبطت.
(٦) أنهرت: أوسعت.
(٧) ذباب السيف: طرفه الذي يضرب به.

ثدييه وقال لأمه : أخبريني من قتل أبي وَجدّي ؟ قالت : ماتا كما يموت الناس وهذان قبراهما بالفناء ؛ فقال : والله لتُخبرينَني[1] من قتلهما أو لأتحاملَنّ على هذا السيف حتى يخرجَ من ظهري ؛ فقالت : أمّا جدّك فقتله رجل من بني عمرو بن عامر بن ربيعة يقال له مالك ، وأما أبوك فقتله رجل من عبد القَيس ممن يسكن هَجرَ ؛ فقال : والله لا أنتهي حتى أقتلَ قاتلَ أبي وجدّي ؛ فقالت : يا بُنيّ إن مالكاً قاتلَ جدّك من قوم خِداش بن زُهير ، ولأبيك عند خداش نعمة هو لها شاكر ، فأْتِه فاستشرْه في أمرك واستعِنْه يُعِنْك ؛ فخرج قيسٌ من ساعته حتى أتى ناضِحه[2] وهو يسقي نخلَه ، فضرب الجرير[3] بالسيف فقطعه ، فسقطت الدلو في البئر ، وأخذ برأس الجمل فحمل عليه غِرارتين من تمر ، وقال : مَنْ يكفيني أمر هذه العجوز ؟ (يعني أمّه) فإن مِتُّ أنفق عليها من هذا الحائط[4] حتى تموت ثم هو له ، وإن عِشتُ فما لي عائد إليّ وله منه ما شاء أن يأكل من تمره ؛ فقال رجل من قومه : أنا له ، فأعطاه الحائط ثم خرج يسأل عن خداش بن زهير حتى دُلّ عليه بَمرّ الظَّهران[5] ، فصار الى خبائه فلم يجده ، فنزل تحت شجرة يكون تحتها أضيافُه ، ثم نادى امرأةَ خداش : هل من طعام ؟ فأطلعتْ اليه فأعجبها جماله ، وكان من أحسن الناس وجهاً ؛ فقالت : والله ما عندنا من نُزُلٍ[6] نرضاه لك إلّا تمراً ؛ فقال لا أبالي ، فأخرجي ما كان عندكِ ؛ فأرسلت اليه بقُباع[7] فيه تمر ، فأخذ منه تمرة فأكل شِقَّها وردّ شِقها الباقيَ في القُباع ثم أمر بالقباع فأُدخل على امرأة

---

(١) كذا في الاصل : من غير توكيد وهذا الوجه يجيزه الكوفيون ، والبصريون يوجبون توكيد الفعل في مثل هذا الموضع بالنون .

(٢) الناضح : البعير يستقى عليه الماء .

(٣) الجرير : الحبل .

(٤) الحائط : البستان .

(٥) الظهران : واد قرب مكة عنده قرية يقال لها «مر» تضاف اليه فيقال مر الظهران .

(٦) النزل : ما يهيأ للضيف من قرى .

(٧) القباع : المكيال الضخم .

خداش بن زهير، ثم ذهب لبعض حاجاته. ورجع خداش فأخبرته امرأته خبر قيس، فقال: هذا رجل متحرِّم[1]. وأقبل قيس راجعاً وهو مع امرأته يأكل رُطَباً؛ فلما رأى خداش رِجْله وهو على بعيره قال لامرأته: هذا ضيفكِ؟ قالتْ: نعم؛ قال: كأن قدمَه قدم الخطيم صديقي اليثربي؛ فلما دنا منه قرع طُنُبَ البيت بسنان رمحه واستأذن، فأذِن له خداش فدخل اليه، فنسَبه[2] فانتسب وأخبره بالذي جاء له، وسأله أن يُعينه وأن يشير عليه في أمره؛ فرحَّب به خداش وذكر نعمة أبيه عنده، وقال: إن هذا الأمر ما زلتُ أتوقّعه منك منذ حين. فأمّا قاتل جدّك فهو ابن عم لي وأنا أُعينك عليه، فاذا اجتمعنا في نادينا جلستُ الى جنبه وتحدّثتُ معه، فاذا ضربتُ فخذَه فثِبْ اليه فاقتله. فقال قيس: فأقبلت معه نحوه حتى قمت على رأسه لمّا جالسه خداشُ، فحين ضرب فخذه ضربت رأسه بسيف يقال له: ذو الخُرْصين، فثار اليّ القوم ليقتلوني، فحال خداش بينهم وبيني وقال: دَعُوه فإنه ما قتلَ إلا قاتلَ جدّه. ثم دعا خداشُ بجمل من إبله فركبه، وانطلق مع قيس الى العَبْديّ الذي قتل اباه، حتى اذا كان قريباً من هَجَر أشار عليه خداش أن ينطلق حتى يسأل عن قاتل أبيه، فإذا دُلّ عليه قال له: إن لصّاً من لصوص قومك عارضني فأخذ متاعاً لي، فسألتُ مَنْ سيدُ قومه فدُللتُ عليك، فانطلقْ معي حتى تأخذ متاعي منه؛ فإن اتّبعك وحده فستنال ما تريد منه، وإن أخرج معه غيره فاضحك، فإن سألك ممّ تضحك فقل: إن الشريف عندنا لا يصنع كما صنعتَ اذا دُعي الى اللص من قومه، إنما يخرج وحده بسوطه دون سيفه، فإذا رآه اللص أعطى كل شيء أخذ هيبةً له، فإن أمر أصحابه بالرجوع فسبيل ذلك، وإن أبى إلّا أن يمضوا معه فأتني به، فإني أرجو أن تقتله وتقتل أصحابه. ونزل خداش تحت ظل شجرة، وخرج قيس حتى أتى العبديّ فقال له ما أمره خداش فأحفَظَه، فأمر أصحابه فرجعوا ومضى مع قيس؛ فلما طلع على خداش، قال له:

---

(١) متحرِّم: له عندنا حرمة وذمة.

(٢) نسبه: طلب اليه أن ينتسب.

أختر يا قيس إما أن أعينك وإما أن أكفيك ؛ قال : لا أريد واحدة منهما، ولكن إن قتلني فلا يُفلتنّك ؛ ثم ثار اليه فطعنه قيس بالحربة في خاصرته فأنفذها من الجانب الآخر فمات مكانه، فلما فرغ منه قال له خداش : إنا إن فررنا الآن طلبنا قومه، ولكن أدخل بنا مكاناً قريباً من مقتله، فإن قومه لا يظنون أنك قتلته وأقمت قريباً منه، ولكنهم اذا افتقدوه اقتفوا أثره، فإذا وجدوه قتيلاً خرجوا في طلبنا في كل وجه، فاذا يئسوا رجعوا . قال : فدخلا في داراتٍ من رمال هناك، وفقد العبديّ قومهُ فاقتفوا أثره فوجدوه قتيلاً، فخرجوا يطلبونهما في كل وجه ثم رجعوا، فكان من أمرهم ما قال خداش . وأقاما مكانهما أياماً ثم خرجا، فلم يتكلما حتى أتيا منزل خداش، ففارقه عنده قيس بن الخطيم ورجع الى أهله . ففي ذلك يقول قيس :

تذكّر ليلى حسنَها وصفاءها وبانتْ فما إن يستطيعُ لقاءها
ومثلِكِ قد أصبيتُ ليست بكَنَّةٍ[1] ولا جارةٍ أفضتْ اليَّ خِباءها
اذا ما اصطبحتُ أربعاً خطّ مئزري[2] وأتبعتُ دلوي في السَّماح رِشاءها[3]
ثأرتُ عدياً والخطيمَ فلم أضعْ وصيَّةَ أشياخٍ جُعلتُ إزاءها

وهي قصيدة طويلة .

اعجاب بشعره :

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثني يعقوب بن إسرائيل قال حدّثنا زكريا بن يحيى المِنقريّ قال حدّثنا زياد بن بيان العُقَيليّ قال حدّثنا أبو خولة الأنصاريّ عن أنس بن مالك قال :

(١) الكنة : امرأة الابن أو الأخ .
(٢) يريد أنه اذا شرب أربعاً اختال حتى جرّ ثوبه من الخيلاء .
(٣) يريد انه بلغ في السماح منتهاه . يقال : أتبع الدلو رشاءها وأتبع الفرس لجامها اذا بذل آخر مجهوده .

جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس ليس فيه إلّا خَزْرَجيّ ثم استنشدهم قصيدة قيس بن الخطيم، يعني قوله:

أتعرفُ رسماً كاَطرادِ[1] المذاهبِ   لعَمْرةَ وَحْشاً غيرِ موقفِ راكبِ

فأنشده بعضهم إياها، فلما بلغ الى قوله:

أجالِدُهم يوم الحديقـةِ[2] حاسراً   كأن يدي بالسيف مِخْراقُ[3] لاعبِ

فالتفت اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «هل كان كما ذكر»؛ فشهد له ثابت بن قيس بن شَمّاس وقال له: والذي بعثك بالحق يا رسول الله، لقد خرج الينا يوم سابع عُرْسه عليه غِلالة ومِلْحفة مورّسة[4] فجالدنا كما ذكر. هكذا في هذه الرواية.

وقد أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثني عمّي مصعَب قال:

لم تكن بينهم في هذه الأيام حروب إلا في يوم بُعاث[5] فإنه كان عظيماً، وإنما كانوا يخرجون فيترامَوْن بالحجارة ويتضاربون بالخشب.

قال الزُّبير وأنشدتُ محمد بن فَضالة قول قيس بن الخطيم:

---

(١) الاطراد: التتابع. والمذاهب: واحدها مُذهب وهو جلد تجعل فيه خطوط مذهبة بعضها في أثر بعض.

(٢) الحديقة: قرية في أعراض المدينة في طريق مكة، كانت بها وقعة بين الأوس والخزرج قبل الاسلام (كذا في ياقوت).

(٣) المخراق: خرقة مفتولة يلعب بها الصبيان، وتسمى في مصر «بالطرة».

(٤) مورّسة: مصبوغة بالورس وهو نبات أصفر تصبغ به الثياب ويتخذ منه طلاء للوجه.

(٥) بعاث: موضع في نواحي المدينة، كانت به وقائع بين الأوس والخزرج في الجاهلية.

أجالدهم يوم الحديقـة حاسراً كأن يدي بالسيف مخراقُ لاعبِ

فضحك وقال : ما اقتتلوا يومئذٍ إلا بالرطائب والسَّعَف .

قال أبو الفرج : وهذه القصيدة التي استنشدهم إياها رسول الله صلى الله عليه وسلم من جيّد شعر قيس بن الخطيم ، ومما أنشده نابغة بني ذُبيان فاستحسنه وفضّله وقدّمه من أجله .

مع النابغة :

أخبرنا الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال قال أبو غُزيّة قال حسّان بن ثابت :

قدِم النابغةُ المدينةَ فدخل السُّوق فنزل عن راحلته ، ثم جثا على ركبتيه ، ثم اعتمد على عصاه ، ثم أنشأ يقول :

عرفتُ منازلاً بعُرَيْتِنات(١) فأعلى الجِزْعِ للحيّ المُبِنِّ(٢)

فقلت : هلك الشيخ ورأيتُه قد تبع قافيةً مُنكرة . قال ويقال : إنه قالها في موضعه ، فما زال يُنشد حتى أتى على آخرها ، ثم قال : ألا رجلٌ يُنشد ؟ فتقدّم قيس بن الخطيم فجلس بين يديه وأنشده :

أتعرف رسماً كاطّراد المذاهبِ

حتى فرغ منها ؛ فقال : أنت أشعر الناس يابن أخي . قال حسان : فدخلني منه ، وإني في ذلك لأجد القوة في نفسي عليهما ، ثم تقدّمتُ فجلست بين يديه ؛ فقال : أنشِدْ فوالله إنك لشاعر قبل أن تتكلم ، قال : وكان يعرفني قبل ذلك ، فأنشدتُه ؛

---

(١) عريتنات : وادٍ ذكره ياقوت في معجمه ، واستشهد بأبيات لداود بن شكم أولها :

معرّسنا ببطن عريتنات ليجمعنا وفاطمة المسير

(٢) المبن : المقيم .

فقال أنت أشعر الناس . قال الحسن بن موسى : وقالت الأوس : لم يَزِدْ قيسُ بن الخطيم النابغة على :

أتعرف رسماً كاطراد المذاهبِ

— نصف البيت — حتى قال أنت أشعر الناس .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زُهير قال حدّثنا الزُّبير قال قال سُليمان بن داود المُجَمِّعيّ :

كان قيس بن الخطيم مقرونَ الحاجبين أَدْعج[١] العينين أحمر الشفتين بَرّاق الثنايا كأن بينها بَرْقاً ، ما رأته حليلة رجل قطّ إلا ذهب عقلُها .

مع حسان :

أخبرني الحسن قال حدّثنا محمد قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني حسن بن موسى عن سليمان بن داود المُجَمِّعيّ قال :

قال حَسّان بن ثابت للخَنساء : أَهجي قيسَ بن الخطيم ؛ فقالت : لا أهجو أحداً ابداً حتى اراه . قال : فجاءته يوماً فوجدته في مَشْرَقةٍ[٢] ملتفاً في كساء له ، فنخَسَتْه برجلها وقالت : قم ، فقام ؛ فقالت : أدبِرْ ، فأدبر ؛ ثم قالت : أقبِل ، فأقبل . قال : والله لكأنها تعترض عبداً تشتريه ، ثم عاد الى حاله نائماً ؛ فقالت : والله لا أهجو هذا أبداً .

قال الزُّبير وحدّثني عمي مصعَب قال :

كانت عند قيس بن الخطيم حَوّاء بنت يَزيد بن سِنان بن كُرَيز بن زُعوراء

---

(١) الدعج في العين : شدّة سوادها مع سعتها .

(٢) المشرقة مثلثة الراء : موضع القعود في الشمس في الشتاء . وفي بعض النسخ : «مشربة» وهي (بفتح الراء وضمها) : الغرفة التي يشرب فيها ، وقيل : هي كالصفّة بين يدي الغرفة .

فأسلمتْ، وكانت تكتم قيس بن الخطيم إسلامها ، فلما قدِم قيس مكة عرَض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام، فاستنظره قيس حتى يَقْدَم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ؛ فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجتنب زوجته حواء بنت يزيد، وأوصاه بها خيراً، وقال له : إنها قد أسلمت ؛ ففعل قيس وحفظ وصيَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فبلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فقال : « وَفَى الأُدَيْعِجُ » .

قال أبو الفرج وأحسَب هذا غلطاً من مصعب، وأن صاحب هذه القصة قيس ابن شَمَّاس، وأما قيس بن الخطيم فقُتل قبل الهجرة .

مصرعه :

أخبرني علي بن سليمان الأخفش النحويّ عن أبي سَعيد السكّريّ عن محمد بن حَبيب عن ابن الاعرابيّ عن المفضَّل :

أن حرب الأوْس والخزْرج لمـَّا هدأت، تذكرت الخزرج قيس بن الخطيم ونكايته فيهم، فتوامروا[1] وتواعدوا قتله ؛ فخرج عشيَّةً من منزله في مُلاءتين يريد مالًا له بالشَّوْط[2] حتى مرّ بأُطم[3] بني حارثة، فرُمي من الأُطم بثلاثة اسهم، فوقع احدها في صدره، فصاح صَيْحةً سمعها رَهْطه، فجاءوا فحملوه الى منزله، فلم يَرَوْا له كُفئاً إلا أبا صَعْصَعة يَزيد بن عوف بن مُدرك النجّاريّ، فاندسّ اليه رجل حتى اغتاله في منزله، فضرب عُنقه واشتمل على رأسه، فأتى به قيساً وهو بآخر رمق، فألقاه بين يديه وقال : يا قيس قد أدركتُ بثأرك ؛ فقال : عضضتَ

(١) توامروا : لغة غير فصيحة في تآمروا بمعنى تشاوروا . وبعض المحققين يصححه « فتذامروا » بالذال المعجمة ومعناه تحاضوا على القتال.

(٢) الشوط : بستان بالمدينة ، كذا ذكره ياقوت في معجمه واستشهد بأبيات لقيس بن الخطيم منها :

وبالشوط من يثرب أعبد ستهلك في الخمر أثمانها

(٣) الأطم : الحصن .

بأير أبيك إن كان غير أبي صعصعة! فقال: هو أبو صعصعة، وأراه الرأسَ! فلم يلبث قيس بعد ذلك أن مات.

مهاجاته حسان ابن ثابت:

أجدّ بعَمْرة غُنْيانُها

فيا قيل يقوله قيس في عَمرة بنت رَواحة، وقيل: بل قاله في عَمرة: امرأةٍ كانت لحسّان بن ثابت، وهي عَمرة بنت صامت بن خالد. وكان حسّان ذكر ليلى بنت الخطيم في شعره، فكافأه قيس في ذلك، وكان هذا في حربهم التي يقال لها يوم الرَّبيع[1].

فأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زُهير قال أخبرنا الزُّبير قال حدّثني مصعَب قال:

مرّ حسّان بن ثابت بليلى بنت الخطيم – وقيس بن الخطيم أخوها بمكة حين خرجوا يطلبون الحِلف في قريش – فقال لها حسّان: اظعَني فالْحقي بالحيّ فقد ظعَنوا، وليت شعري ما خلّفكِ وما شأنكِ: أقلّ ناصرُك أم راث رافدُك؟ فلم تكلّمه وشتَمه نساؤها؛ فذكرها في شعره في يوم الربيع الذي يقول فيه:

لقد هاج نفسَك أشجانُها وعاودها اليومَ أديانُها[2]
تذكّرتَ ليلى وأنّى بها اذا قُطِعتْ منكَ أقرانُها[3]
وحَجّلَ[4] في الدار غِربانُها وخفّ من الدار سُكّانُها

---

(١) يوم الربيع: يوم من أيام الأوس والخزرج. والربيع موضع من نواحي المدينة.

(٢) الاديان: جمع دين وهو الداء، يريد داء حبه القديم.

(٣) الأقران: جمع قرن وهو الحبل.

(٤) حجل بالتشديد كحجل بالتخفيف. والحجل: أن يرفع رجلاً ويقفز على الأخرى، ويكون بالرجلين جميعاً، إلا إنه قفز وليس بمشي.

وغيّرها مُعْصِراتُ الرّياح وَسحُّ الجنوب وتَهتانُها
مَهاةٌ من العِينِ تَمشي بها وتتبعُها ثَمّ غِزْلانُها
وقفتُ عليها فساءلتُها وقد ظَعَنَ الحيُّ: ما شانُها
فعيَّتْ وجاوبني دونَها بما راع قلبيَ أعوانُها

وهي طويلة . فأجابه قيس بن الخطيم بهذه القصيدة التي أوّلها :

أَجِدَّ بعَمْرة غُنيانُها

وفخَر فيها بيوم الربيع وكان لهم فقال :

ونحن الفوارسُ يوم الرَّبيـــع قد علِموا كيف فُرْسانُها
حِسانُ الوجوه حِدادُ السيو ف يَبْتدِرُ المجـدَ شُبَّانُها

وهي أيضاً طويلة .

الغناء بشعره :

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال أخبرنا الأصمعيّ قال حدّثني شيخ قدِم من المدينة ، وأخبرني إسماعيل بن يونُس قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا أبو غَسّان عن أبي السائب المخزوميّ ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه قال ذُكر لي عن جعفر بن مُحرز السَّدُوسيّ ، قالوا :

دخل النُّعمان بن بشير الأنصاريّ المدينةَ أيام يَزيد بنِ معاوية وابن الزُّبير ، فقال : والله لقد أَخْفَقتْ[١] أُذُناي من الغناء فأسمِعوني ؛ فقيل له : لو وجَّهتَ الى عَزّة فإنها من قد عرفتَ ! قال : إي وربِّ البيت ، إنها لَمِنْ يزيد النفسَ طِيباً والعقل شَحْذاً ، إبعثوا اليها عن رسالتي ، فإن أبتْ صِرنا اليها ؛ فقال له بعض القوم :

(١) يريد أوحشت أذناي من الغناء لطول عهدها به .

إن الثُّقْلة تشتدُّ عليها لِثقَل بدنها وما بالمدينة دابـة تحملها؛ فقال النعمان: وأين النجائب عليها الهوادج! فوجّه اليها بنجيب فذكرتْ علّةً، فلما عاد الرسول الى النعمان قال لجليسه أنتَ كنت أخبرَ بها، قوموا بنا؛ فقام هو مع خواصّ اصحابه حتى طرقوها، فأذِنتْ وأكرمتْ وآعتذرتْ، فقبل النعمان عُذرها وقال: غنّيني، فغنّته:

أَجِـدَّ بِعَمْرة غُنيانُها فتهجُرَ أم شأنُنا شأنُها

فأشيرَ اليها أنّها أمّه فسكتتْ؛ فقـال: غنّيني فوالله ما ذكرتِ إلا كرماً وطِيباً! لا تغنّيني سائرَ اليوم غيره؛ فلم تزل تغنّيه هذا اللحن فقطْ حتى انصرف.

وتذاكروا هذا الحديثَ عند الهيثم بن عديّ، فقال: ألا أزيدكم فيه طريفةً! قلنا بَلى يا أبا عبد الرحمن؛ قال قال لَقيط: كنت عند سعيد الزُّبيريّ قال سمعتُ عامرا الشعبيّ يقول: إشتاق النعمان بن بشير الى الغناء فصار الى منزل عَزّة، فلما انصرف اذا آمرأةٌ بالباب منتظرة له، فلما خرج شكتْ اليه كثرةَ غِشيان زوجها إياها؛ فقال لها النعمان بن بشير: لأقضِيَنَّ بينكما بقضية لا تُرَدّ عليّ، قد أحلّ الله له من النساء مَثْنَى وثُلاث ورُباع، فله آمرأتان بالنهار وآمرأتان بالليل. فهذا يدلّ على أنّ المغنيَّةَ بهذا الشعر عمرة بنت رواحة.

وأما ما ذكر أنه عنى عَمْرة آمرأةَ حسان بن ثابت، فأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار عن عمه:

أن قيس بن الخطيم لما ذكر حسّان أختَه ليلى في شعره ذكر آمرأته عمرةَ، وهي التي يقول فيها حسّان:

أزمعتْ عَمْرَة صرْماً فابتَـكِرْ

أخبرني الحسن قال حدّثنا أحمد قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عمّي مصعب قال:

تزوّج حسّان بن ثابت عمرةَ بنت الصامت بن خالد بن عطية الأوْسية ثم إحدى بني عمرو بن عوف ، فكان كل واحد منهما معجَباً بصاحبه ، وإن الأوْس أجاروا مخلَّد بن الصامت الساعديّ فقال في ذلك أبو قيس بن الأسْلت :

أجرتُ مخلَّداً ودفعتُ عنه وعند الله صالح ما أتيتُ

فتكلم حسان في أمره بكلام أغضب عمرةَ ، فعيَّرته بأخواله وفخرَتْ عليه بالأوْس؛ فغضب لهم فطلقها ، فأصابها من ذلك ندم وشدّة ، وندِم هو بعدُ فقال :

صوت

أزمعتْ عمرةُ صرماً فابْتكِرْ إنما يُدْهَن[1] للقلب الحصِرْ[2]
لا يكن حبُّكِ حبّاً ظاهراً ليسَ هذا منكِ يا عَمْرُ بِسِرّ
سألتْ حسّانَ مَن أخوالهُ إنمــا يسألُ بالشيء الغُمُرْ[3]
قلتُ أخوالي بنو كعبٍ اذا أسلمَ الأبطالُ عوراتِ الدُّبُرْ

يريد يُدْهَن القلبُ ، فأدخل اللامَ زائــدَةً للضرورة . عمر : ترخيم عمرة . والسر : الخالص الحسن . غنَّت في هذه الأبيات عَزّة المَيْلاء ثاني ثقيل بالبِنْصر من رواية حَبَش .

وتمام القصيدة :

رُبَّ خالٍ ليَ لو أبصرتَــه سَبِطِ المِشْية في اليوم الخَصِرْ[4]

---

(١) يدهن : ينافق ويصانع .
(٢) الحصر : الضيق .
(٣) الغمر مثلثة : من لم يجرب الامور والجاهل الأبله .
(٤) الخصر : البارد . يريد انه يسعى على الناس لا يقعد عنهم في اليوم البارد المجدب . وفي اللسان مادة سبط : « سبط الكفين » وهو السمح الجواد . وفي هذه القصيدة سناد التوجيه وهو تغير حركة ما قبل الرويّ المقيد (اي الساكن) بفتحة مع غيرها من ضمة أو كسرة ، وهو أقبح أنواع السناد عند الخليل .

عند هــذا الباب إذ ساكنَه … كلُّ وجهٍ حسنِ النُّقْبَــةِ[١] حُرّْ
يُوقِدُ النارَ إذا ما أُطفِئَتْ … يُعمِلُ القِدْرَ بأثْباجِ الجُزُرْ[٢]
من يَغُزُّ الدهرُ أو يأمنُــه … من قَبيل بعد عمرو وحُجُرْ[٣]
ملَكا من جبل الثلــج الى … جانِبَيْ أيْلَةَ[٤] من عبــد وحُرّْ
ثم كانا خيرَ من نال النَّــدى … سبَقا النــاسَ بإقساطٍ[٥] وبِرّْ
فارسيْ خيلٍ إذا ما أمسكتْ … ربَّــةُ الخِدرِ بأطرافِ السُّتُرْ
أتيــا فارسَ في دارهمُ … فتناهَوْا بعــد إعصارٍ[٦] بقُرّْ
ثم نادَوْا يا لَغَسَّانَ اصبِروا … إنــه يومُ مَصاليتَ[٧] صُبُرْ
إجعلوا مَعقِلَهــا أيمانَكم … بالصَّفيح المُصْطَفى غيرِ الفُطُرْ[٨]
بِضرابٍ تأذَنُ[٩] الجِنُّ له … وطِعانٍ مثلِ أفواه الفُقُرْ[١٠]
ولقد يعلم مَنْ حارَبنــا … أننا ننفــع قِدْماً ونضُرّْ
صُبُرٌ للموت إن حلَّ بنــا … صادِقوا البأسِ غطاريفُ فُخُرْ
وأقام العزُّ فينــا والغِنى … فلنا فيه على الناس الكُبُرْ[١١]

(١) النقبة بالضم : اللون، وبالكسر هيئة الانتقاب .

(٢) أثباج الجزر : أوساطها ، يقول اذا أطفئت نيران الناس من الجدب أوقد ناره وأطعم .

(٣) عمرو : من ملوك غسان .

(٤) في شرح ديوان حسان : جبل الثلج بدمشق ، وأيلة ما بين الحجاز والشام .

(٥) الإقساط : العدل .

(٦) الإعصار : الزوبعة .

(٧) المصاليت : جمع مصلات وهو الشجاع .

(٨) الفطر : جمع فطير، والفطير من السيوف : المتثلم .

(٩) تأذن : تستمع .

(١٠) الفقر جمع فقير: وهو مخرج الماء من فم القناة .

(١١) الكبر بضم فسكون أو كسر فسكون : الشرف، وقد حركت الباء هنا لضرورة الشعر ، إذ للشاعر أن يحرك الساكن فيا قبل القافية بحركة ما قبله .

منهمُ أصلي فمن يفخَرْ بـه يَعرفِ[١] الناسُ بفخر المفتخِرْ
نحن أهل العزّ والمجـد معاً غيرُ أنكاسٍ[٢] ولا مِيلٍ عُسُرْ
فأسألوا عنا وعن أفعالنـا كلُّ قومٍ عندهم علمُ الخَـبَرْ

قال الزُّبير فحدّثني عمي قال: ثم إن حسَّان بن ثابت مرّ يوماً بنِسْوة فيهنّ عَمْرة بعد ما طلّقها، فأعرضتْ عنه وقالت لامرأة منهنّ: إذا حاذاك هذا الرجلُ فاسأليه مَنْ هو وانسُبيه وانسبي أخوالَهُ وهي متعرّضة له، فلمـا حاذاهنّ سألته مَنْ هو ونسبَتْه فانتسب لها، فقالت: فمَنْ أخوالُك؟ فأخبرها، فبصَقتْ عن شِمالها وأعرضتْ عنه؛ فحدّد النظرَ اليها وعجِبَ من فعلهـا وجعلَ ينظر اليها، فبصُر بامرأته وهي تضحك فعرفها وعلم ان الأمر من قِبَلها أتى، فقال في ذلك:

قالت له يوماً تخاطِبُـه ريَّا الروادف غادةُ الصُّلْبِ
أما المروءةُ والوَسامــةُ أو حُسْنُ الرجال فقد بدا حَسْبي
فوَدِدْتُ أنـك لو تُخبِّرنا مَنْ والداكَ ومنصِبُ[٣] الشَّعْبِ[٤]
فضحكتُ ثم رفعتُ متَّصلاً[٥] صوتي كَرفع المنطق الشَّغْبِ
جدّي أبو ليلى ووالدُه عمْرٌو وأخوالي بنو كَعْبِ
وأنا من القـوم الذين اذا أزَمَ[٦] الشتاء بحلقة الجدْبِ
أعطى ذوو الأموال مُعْسِرَهم والضاربين بموْطنِ الرُّعْبِ

---

(١) يعرف: يقر ويعترف.

(٢) النكس: الضعيف الدنيء. والميل: جمع أميل وهو الذي به ميل خلقة، وعسر جمع اعسر وهو الذي يعمل بشماله.

(٣) المنصب: الأصل والمحتد.

(٤) قال صاحب الكشاف: الشعب الطبقة الأولى من الطبقات الست التي عليها العرب وهي الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة، فالشعب يجمع القبائل، والقبيلة تجمع العمائر، والعمارة تجمع البطون، والبطن يجمع الأفخاذ، والفخذ تجمع الفصائل.

(٥) متصلاً: منتسباً، من قولهم: اتصل الى بني فلان: انتمى وانتسب.

(٦) أزم: اشتد.

قال مصعَب : وأبو ليلى الذي عناه حسّان : حَرام بن عمرو بن زَيد مَناة .

ومما فيه صنعة من المائة المختارة من شعر قيس بن الخطيم

صوت

حَوراء مَمكورة[1] منعَّمــةٌ كأنما شَفَّ وجهَها نُزُفُ[2]
تنامُ عن كُبْرِ شأنهـا فإذا قامتْ رُويداً تكاد تنقصفُ
أوحشَ من بعد خُلَّةٍ سَرِفُ فالمُنحنى فالعَقيقُ فالجُرُفُ[3]

الشعر لقيس بن الخطيم سوى البيت الثالث . والغناء لقَفا النَّجار ، ولحنه المختار ثاني ثقيل ، هكذا ذكر يحيى بن عليّ في الاختيار الواثقيّ . وهو في كتاب إسحاق لقفا النجار ثقيل أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البِنصر ، ولعلّه غير هذا اللحن المختار .

في المعامع :

وهذا الشعر يقوله قيس بن الخطيم في حربٍ كانت بينهم وبين بني جَحْجَبي وبني خَطْمَةَ ، ولم يشهدها قيس ولا كانت في عصره ، وإنما أجاب عن ذكرها شاعراً منهم يُقال له : دِرْهم بن يَزيد . قال ابو المِنهال عُتيبةُ بن المِنهال : بعث رجل من غَطفان من بني ثَعلبة بن سعد بن ذُبيان الى يَثرب بفرسٍ وحُلَّةٍ مع رجل

(١) المكورة : المدمجة الخلق .

(٢) النزف بضم فسكون وحرك هنا للضرورة : خروج الدم . أراد ان في لونها مع البياض صفرة .

(٣) سرف : موضع على ستة أميال من مكة ، وهو مصروف وبعضهم يمنع صرفه على أنه اسم للبقعة . والمنحنى والعقيق والجرف : أسماء مواضع .

من غَطفان وقال: ادفعها الى أعز أهل يثرب – قال وقيل: إن الباعث بها عبدُ ياليل[١] بن عمرو الثقفيّ. قال وقيل: بل الباعثُ بها عَلقمة بن عُلاثة – فجاء الرسول بها حتى ورد سوق بني قَينُقاع فقال ما أُمِرَ به، فوثب اليه رجلٌ من غَطفان كان جاراً لمالك بن العَجْلان الخَزْرجيّ يقال له كعب الثَّعلبيّ، فقال: مالك ابن العجلان أعزّ أهل يثرب؛ وقام رجل آخر فقال: بل أُحَيحةُ بن الجُلاح أعزّ أهل يثرب، وكثر الكلام؛ فقبِل الرسول الغطفانيّ قول الثعلبيّ الذي كان جاراً لمالك بن العجلان ودفعها الى مالك؛ فقال كعب الثعلبيّ: ألم أقل لكم: إن حليفي أعزّ كم وأفضلكم! فغضب رجلٌ من بني عمرو بن عَوف يقال له سُمَير فرَصد الثعلبيّ حتى قتله، فأُخبر مالك بذلك، فأرسل الى بني عمرو بن عوف بن مالك ابن الأوس: إنكم قتلتم منّا قتيلًا فأرسِلوا الينا بقاتله؛ فلما جاءهم رسول مالك تَرامَوا به: فقالت بنو زيد: إنما قتلته بنو جحجبى، وقالت بنو جحجبى: إنما قتلته بنو زيد، ثم أرسلوا الى مالك: إنه قد كان في السوق التي قُتِل فيها صاحبُكم ناسٌ كثير، ولا يُدرَى أيهم قتَله؛ وأمر مالك أهلَ تلك السوق أن يتفرّقوا، فلم يبق فيها غير سُمير وكعب، فأرسل مالك الى بني عمرو بن عوف بالذي بلغه من ذلك وقال: إنما قتله سمير، فأرسلوا به إليّ أقتله؛ فأرسلوا اليه: إنه ليس لك أن تقتل سُميراً بغير بيّنة؛ وكثُرت الرسل بينهما في ذلك: يسألهم مالك أن يُعطوه سُميراً ويأبون أن يُعطوه إياه. ثم إن بني عمرو بن عوف كرهوا أن يُنشِبوا بينهم وبين مالك حرباً، فأرسلوا اليه يَعرِضون عليه الدِّية فقبِلها؛ فأرسلوا اليه: إن صاحبكم حليف وليس لكم فيه إلّا نصف الدية، فغضب مالك وأبى ان يأخذ فيه إلا الديةَ كاملة أو يقتل سميراً؛ فأبت بنو عمرو بن عوف أن يعطوه إلا ديةَ الحليف وهي نصف الدية، ثم دَعَوه أن يَحكُمَ بينهم وبينه عمرو بن امرىء القيس أحد بني الحارث بن الخزرج وهو جدّ عبد الله بن رَوَاحة ففعل، فانطلقوا حتى جاءوه في بني الحارث بن الخزرج، فقضى على مالك بن العجلان أنه ليس له في حليفه إلا

(١) عبد ياليل: رجل كان في الجاهلية، وياليل: صنم أضيف اليه كعبد يغوث وعبد مناة وعبد ودّ وغيرها.

دية الحلِيَة، وأبى مالك أن يرضى بذلك وآذن بني عمرو بن عوف بالحرب، وأستنصر قبائل الخزرج، فأبت بنو الحارث بن الخزرج أن تنصُره غضباً حين ردّ قضاء عمرو أبن أمرىء القيس؛ فقال مالك بن العجلان يذكر خِذْلانَ بني الحارث بن الخزرج له وَحدَبَ بني عمرو بن عوف على سُمير، ويحرّض بني النجّار على نُصْرته :

إن سُمَيراً أرى عشيرَتَــه قد حَدِبوا دونَه وقد أَنِفُوا
إن يكن الظنُّ صادقاً ببني النجّار لا يَطْعَموا الذي عُلِفوا
لا يُسْلِمونا لمعشرٍ أبــداً ما دام منّا ببَطْنِها شَرَفُ[1]
لكن مَواليَّ قد بــدا لهمُ رأيٌ سِوى ما لديَّ أو ضَعُفوا

يقال : عُلفوا الضيمَ اذا أقرّوا به، أي ظنّي أنهم لا يقبلون الضيم .

صوت

بين بني جَحْجَبى وبين بني زيدٍ فأنّى لجــاريَ التَّلَفُ
يمشون في البَيْض والدروع كما تمشي جِمالٌ مَصاعبٌ قُطُفُ[2]
كما تَمشَّى الأسودُ رَهَجُ[3] الـــموتِ اليه وكلُّهم لَهِفُ

غنّى في هذه الأبيات مَعبد خفيفَ ثقيل عن إسحاق، وذكر الهشاميّ أنّ فيه لحناً من الثقيل الأوّل للغَريض .

وقال درهم بن يزيد بن ضُبَيْعة أخو سُمير في ذلك :

---

(١) الشرف : الشريف، يقال هو شرف قومه وكرمهم أي شريفهم وكريمهم .

(٢) البيض : جمع بيضة وهي ما يلبس على الرأس من حديد كالخوذة للوقاية في الحرب . والمصاعب : جمع مصعب وهو الفحل الذي لم يركب ولم يمسه حبل حتى صار صعباً . والقطف : السريعة الخطو .

(٣) الرهج : الغبار .

يا قومِ لا تقتلوا سُميراً فإنَّ القتلَ فيه البَوارُ والأَسفُ
إن تقتُلوه تَرِنَّ[1] نِسوتُكم على كريمٍ ويَفزَعُ السَّلَفُ
إني لعَمْرُ الذي يَحجُّ له الناسُ ومن دون بيتِه سَرِفُ
يمينُ بَرٍّ بالله مجتهدٍ يَحلِف إن كان ينفَعُ الحَلِفُ
لا نرفعُ العبدَ فوقَ سُنَّتِه ما دام منّا ببطنِها شَرَفُ
إنك لاقٍ غداً غُواةَ بني عمّي فأنظر ما أنت مُزْدَهِفُ[2]
فأبدِ سِيماكَ يَعرِفوكَ كما يُبدونَ سِيماهمُ فتعترِفُ

معنى قوله « فأبد سيماك » : أن مالك بن العجلان كان اذا شهد الحرب يغيّر لباسه ويتنكّر لئلّا يُعرف فيُقصَد .

وقال درهم بن يزيد في ذلك :

يا مالِ لا تَبغِينْ ظُلامتَنا يا مالِ إنّا مَعاشِرٌ أُنُفُ
يا مالِ والحقُّ إن قَنِعتَ به فيه وفينا لأمرنا نَصَفُ
إنّ بُجَيراً عبدٌ فخُذْ ثمناً فالحقُّ يُوفَى به ويُعتَرَفُ
ثم أعلَمنْ إن أردتَ ضَيمَ بني زيدٍ فإني ومَنْ له الحَلِفُ
لأُصبِحَنْ دارَكم بذي لَجَبٍ جَوْنٍ له من أمامه عَزَفُ[3]
البَيضُ حِضنٌ لهم إذا فزِعوا وسابِغاتٌ كأنها النُّطَفُ[4]
والبِيضُ قد ثُلِمت مضارِبُها بها نفوسُ الكُماةِ تُختطَفُ
كأنها في الأكفِّ إذ لَمعتْ وَميضُ برقٍ يبدو وينكسفُ

---

(١) ترن نسوتكم : يرفعن اصواتهن بالبكاء .

(٢) مزدهف : مقتحم، أي انظر ما أنت مقتحمه ومقدم عليه من الشر .

(٣) العزف : الصوت وحرك للضرورة .

(٤) النطف : (بالتحريك أو بضم الاول وفتح الثاني) : جمع نطفة (بالتحريك أو الضم) وهي اللؤلؤة الصافية اللون أو قطرة الماء . وكلتاهما تشبه بها الدروع لصفائها .

وقال قيس بن الخطيم الظَفَريّ أحد بني النَبيت في ذلك، ولم يدركه وإنما قاله بعد هذه الحرب بزمان، ومن هذه القصيدة الصوت المذكور:

ردّ الخليطُ الجمالَ فانصرفوا ماذا عليهم لو أنهم وقفوا
لو وقفوا ساعةً نسائلهم رَيْث يضحّي جماله السَّلَف[١]
فيهم لَعوبُ العِشاء آنسةُ الـدلّ عَروب يَسوءها الخُلُف[٢]
بين شُكول النساء خِلقتُها قَصْدٌ فلا جَبْلةٌ ولا قَضَفُ
تنام عن كُبْر شأنها فإذا قامت رُويداً تكاد تَنغرِف[٣]
تَغترِقُ الطرفَ[٤] وهي لاهيةٌ كأنما شفّ وجهها نُزُفُ
حَوراءُ[٥] جَيداءُ يُستضاء بها كأنها خُوطُ بانةٍ قَصِف[٦]
قضى لها اللهُ حين صوّرها الـخالق أن لا يُكِنّها سَدَف[٧]
خَوْدٌ[٨] يَغِثُّ الحديثُ ما صَمَتَتْ وهو بفيها ذو لذة طَرِف[٩]
تخزُنه وهو مشتهىً حسَنٌ وهو اذا ما تكلمت أُنُف[١٠]

---

(١) الريث: مقدار المهلة من الزمان. ويضحي من الضحاء وهو أن يرعى الإبل ضحى. والسلف: القوم الذين يتقدّمون الظعن ينفضون الطرق.

(٢) لعوب العشاء: تسمر مع السمار وتلهو. والعروب: الحسناء المتحببة الى زوجها، وقيل: الضحاكة.

(٣) تنغرف: تنقصف من دقة خصرها.

(٤) يريد: من نظر اليها استغرقت طرفه وبصره وشغلته عن النظر الى غيرها وهي لاهية غير محتفلة.

(٥) الحوراء: ذات الحور، وهو سعة العين، أو شدّة سواد الحدقة مع شدّة بياضها. والجيداء الطويلة الجيد. والخوط: الغصن.

(٦) معناه الخوار الناعم المتثني.

(٧) السدف: الظلمة، والمراد أنها مضيئة لا تسترها ظلمة.

(٨) الخود: الشابة الناعمة ما لم تصر نصفاً.

(٩) الطرف: المستطرف المحبوب.

(١٠) الأنف: المستأنف الجديد.

وهي طويلة يقول فيها :

أبلغْ بني جَحْجَبي وإخوتَهم　　زيراً بأنا وراءهم أُنُفُ[١]
إنا وإن قَـلَّ نصرُنا لهمُ　　أكبادُنا من ورائهم تَجِفُ
لمَّا بدتْ نحونا جِباهُهمُ　　حنَّت الينا الأرحامُ والصُّحُفُ[٢]
نَفْلي بحدِّ الصَّفيـح هامَهمُ　　وفَلْيُنا هامَهم بهـا جَنَفُ[٣]
يَتْبَـع آثارَها اذا اختُلِجتْ　　سُخْنٌ عَبيطٌ عُروقُه تَكِفُ[٤]
إنَّ بني عمِّنا طغَوا وبغَـوْا　　ولَجَّ منهم في قومهم سَرَفُ

فردَّ عليه حسَّان بن ثابت ولم يدرك ذلك :

ما بالُ عينيك دمعها يَكِفُ　　من ذكر خَوْدٍ شَطَّتْ بها قَذَفُ[٥]
بانتْ بها غَرْبةٌ تؤمَّ بهـا　　أرضاً سِواناَ والشكل مختلِفُ
ما كنتُ أدري بوَشْكِ بَيْنهمُ　　حتى رأيتُ الحُدوجَ تَنقذفُ
دَعْ ذا وعدِّ القَريضَ في نَفَرٍ　　يَرْجُون مدحي ومدحيَ الشرفُ
إن تَدْعُ قومي للمجد تُلْفِهِمُ　　أهلَ فَعالٍ يبدوا إذا وُصِفوا
إن سُمَيراً عبدٌ طغى سَفَهاً　　ساعده أعبُـدٌ لهم نَطَفُ[٦]

قال : ثم أرسل مالكُ بن العجلان الى بني عمرو بن عوف يُؤذِنُهم بالحرب ،

---

(١) أنف : ذوو انفة تدفع الضيم عنهم وتنصرهم . ورواية الديوان :
أبلغ بني جحجبي وقومهم　　خطمة أنا وراءهم أنف

(٢) الصحف : العهود .

(٣) يقال : فلاه بالسيف اذا علاه . والصفيح : جمع صفيحة وهي السيف العريض . والجنف : انحراف وميل عما توجبه القربى والرحم . يريد أن قتلنا إياهم عنف منا لأنهم قومنا وبنو عمنا .

(٤) اختلجت : انتزعت . وسخن عبيط : دم طري ساخن .

(٥) قذف : بعيدة ، يقال : نوى قذف ونية قذف : أي بعيدة تقذف بمنتويها .

(٦) النطف بالتحريك : القرط، وغلام منطف ووصيفة منطفة بتشديـد الطاء وفتحها أي مقرطة ، قال الأعشى :
يسعى بها ذو ذجاجات له نطف　　مقلص أسفل السربال معتمل

ويَعِدُهم يوماً يلتقون فيه، وأمر قومَه فتهيأوا للحرب، وتحاشد الحيّان وجمع بعضهم لبعض. وكانت يَهودُ قد حالفتْ قبائل الأوْس والخزرج، إلا بني قُرَيظة وبني النَّضير فإنهم لم يحالفوا أحداً منهم، حتى كان هذا الجمع، فأرسلت اليهم الأوس والخزرج، كلٌّ يدعوهم الى نفسه، فأجابوا الأوْس وحالفوهم، والتي حالفتْ قُرَيْظة والنَّضير من الأوس أوسُ الله وهي خَطْمَةُ وواقِفُ وأُمَيَّةُ ووائل، فهذه قبائل أوس الله. ثم زحف مالكٌ بمن معه من الخزرج، وزَحفت الأوْس بمن معها من حلفائها من قُرَيظة والنَّضير، فالتقوا بفضاء كان بين بئر سالِم وقُباء، وكان أوّل يوم التَقَوْا فيه، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثم انصرفوا وهم متنصِفون جميعاً، ثم التقَوْا مرة أخرى عند أُطمِ بني قَيْنُقاع، فاقتتلوا حتى حجز الليل بينهم، وكان الظَّفَر يومئذٍ للأوْس على الخزرج، فقال أبو قَيس بن الأسْلَت في ذلك:

لقد رأيتُ بني عمرٍو فما وَهنوا ... عند اللقاء وما هَمّوا بتكذيبِ
ألا فِدًى لَهُمُ أُمي وما ولَدتْ ... غداةَ يَمْشُون إرقالَ المصاعيبِ
بكلِّ سَلْهَبةٍ[1] كالأيمِ ماضيةٍ ... وكلِّ أبيضَ ماضي الحدّ مخشوبِ

– أصل المخشوب: الحديث الطبع، ثم صار كل مصقول مخشوباً؛ فشبهها بالحية في انسلالها – قال: فلَبِث الأوسُ والخزرج متحاربيْن عشرين سنة في أمر سُمير يتعاودون القتالَ في تلك السنين، وكانت لهم فيها أيامٌ ومواطنُ لم تُحفظ، فلما رأت الأوس طول الشرّ وأن مالكاً لا يَنْزِع[2]، قال لهم سُوَيد بن صامت الأوسيّ – وكان يقال له الكامل في الجاهلية، وكان الرجل عند العرب إذا كان شاعراً شجاعاً كاتباً سابحاً رامياً سمّوه الكامل، وكان سويدٌ أحد الكَمَلة –: يا قومِ، أرْضوا هذا الرجل من حليفه، ولا تقيموا على حرب إخوتكم فيقتل بعضكم بعضاً ويطمعَ فيكم غيركم، وإن حمَلتم على أنفسكم بعضَ الحَمْل. فأرسلت الأوْس الى مالك بن العجلان يدعونه الى أن يحكم بينه وبينهم ثابت بن المُنذر بن حَرام أبو

(١) السلهبة من الخيل: الطويلة على وجه الارض.
(٢) ينزع: يكف وينتهي.

حَسَّان بن ثابت ، فأجابهم الى ذلك ، فخرجوا حتى أتوا ثابت بن المنذر ، وهو في البئر التي يقال لهـا سُمَيحة[١] ، فقالوا : إنا قد حكَّمناك بيننا ؛ فقال : لا حاجةَ لي في ذلـك ؛ قالوا : ولِمَ؟ قال : أخاف أن تردّوا حُكمي كما رددتم حكم عمرو بن امرىء القيس ؛ قالوا : فإنا لا نردّ حكمك فاحكم بيننا ؛ قال : لا أحكم بينكم حتى تُعطوني مَوْثقاً وعهداً لَتَرْضَونّ بحكمي وما قضيتُ به وَلَتُسلِمُنَّ له ؛ فأعطوه على ذلك عهودَهم ومواثيقهم ، فحكم بأن يُودَى حليف مالك دية الصريح ثم تكون السنّة فيهم بعده على ما كانت عليه : الصريح على دِيته والحليفُ على ديته ، وأن تُعَدّ القتلى الذين أصاب بعضهم من بعض في حربهم ثم يكون بعضٌ ببعض ثم يُعطوا الدية لمن كان له فضلٌ في القتلى من الفريقين ، فرضي بذلك مالكٌ وسلّمت الأوس وتفرّقوا على أنّ على بني النجّار نصفَ ديةِ جارِ مالكٍ معونةً لإخوتهم ، وعلى بني عمرو بن عوف نصفها ؛ فرأت بنو عمرو بن عوف أنهم لم يُخرجوا إلا الذي كان عليهم ، ورأى مالكٌ أنه قد أدرك ما كان يطلب ، ووُدِيَ جاره ديةَ الصريح . ويقال : بل الحاكم المنذر أبو ثابت .

---

(١) هي بئر بالمدينة وقيل بناحية قديد .

ذكر طويس واخباره

اسمه وكنيته :

طُوَيس لقبٌ غلَب عليه، واسمه عيسى بن عبد الله، وكنيته أبو عبد المُنعِم وغيّرها المخنَّثون فجعلوها أبا عبد النَّعيم، وهو مَولى بني مَخزوم. وقد حدّثني جَحْظَةُ عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الواقِديّ عن ابن أبي الزِّناد: قال سعد بن ابي وقّاص: كُنِيَ طويس أبا عبد المُنعم.

اول من غنى في المدينة :

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن المُسَيّبي ومحمد بن سَلّام الجُمَحيّ، وعن الواقديّ عن ابن أبي الزِّناد؛ وعن المدائني عن زيد بن أسلم عن أبيه، وعن ابن الكلبيّ عن أبيه وعن أبي مِسكين، قالوا:

أوّل من غنّى بالعربي بالمدينة طويسٌ، وهو أوّل من ألقى الخَنَث بها، وكان طويلًا أحول يُكنى أبا عبد المنعم، مولى بني مخزوم، وكان لا يضرب بالعود إنما كان ينقرُ بالدُّف، وكان ظريفاً عالماً بأمر المدينة وأنساب أهلها، وكان يُتّقى للسانه، قالوا: وسئل عن مولده فذكر أنه وُلد يوم قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلّم، وفُطم يوم مات ابو بكر، وخُتن يوم قُتل عمر، وزُوّج يوم قُتل عثمان، ووُلد له يوم قُتل عليّ رضوان الله عليهم أجمعين. قال وقيل: إنه وُلد له يوم مات الحسن بن عليّ عليهما السلام. قال: وكانت أمي تمشي بين نساء الأنصار بالنّميمة. قالوا وأوّل غناء غنّاه وهزِج به:

صوت

كيف يأتي من بعيدٍ وهو يُخفيه القريبُ
نازحٌ بالشام عنَّا وهو مِكسالٌ هَيوبُ
قد بَراني الحبُّ حتى كدتُ من وجدي أذوبُ

قال إسحاق : أخبرني الهيثم بن عديّ قال قال صالح بن حسّان الأنصاري أنبأني أبي قال :

حبه قريشاً :

اجتمع يوماً جماعةٌ بالمدينة يتذاكرون أمر المدينة الى ان ذكروا طويساً ، فقالوا : كان وكان ؛ فقال رجل منّا : أمّا لو شاهدتموه لرأيتم ما تُسرُّون به علماً وظرفاً وحسنَ غناء وجودةَ نقرٍ بالدفّ ، ويُضحك كلَّ ثكلى حَرَّى ؛ فقال بعض القوم : والله إنه على ذلك كان مشؤوماً ؛ وذكر خبرَ ميلاده كما قال الواقديّ ، إلا أنه قال : وُلد يوم مات نبيُّنا صلى الله عليه وسلم ، وفُطِم يوم مات صدّيقُنا ، وخُتِن يوم قُتِلَ فاروقُنا ، وزُوِّج يوم قُتل نورُنا ، وولد له يوم قُتل أخو نبينا[1] وكان مع هذا مخنثاً يَكيدنا ويطلب عثَراتنا ؛ وكان مُفرِطاً في طوله مضطرباً في خَلقه أحولَ . فقال رجل من جِلّة أهل المجلس : لئن كان كما قلتَ لقد كان ممتعاً فَهِماً يُحسن رِعايةَ من حَفِظ له حقَّ المجالسة ، ورعايةَ حُرْمة الخدْمة ، وكان لا يحمل قول من لا يَرعى له بعض ما يَرعاه له . ولقد كان مُعظِّماً لمواليه بني مخزوم ومَنْ والاهم من سائر قريش ، ومسالماً لمن عاداهم دون التَّحكيك به ؛ وما يلام من قال بعلم وتكلّم على فهم ، والظالم الملوم ، والبادىء أظلم . فقال رجل آخر : لئن كان ما قلتَ لقد رأيتُ قريشاً يَكتَنِفونه ويُحْدِقونَ به ويُحبّون مجالسته

(١) يشير بقوله « أخو نبينا » الى عليّ بن أبي طالب .

ويُنصتون الى حديثه ويتمنّوْنَ غناءه، وما وضعه شيء إلا خَنَثُه، ولولا ذلك ما بقي رجلٌ من قريش والأنصار وغيرهم إلا أدناه.

أخبرني رِضوان بن أحمد الصَّيدلانيّ قال حدّثنا يوسف بن إبراهيم قال حدّثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهديّ قال حدّثني إسماعيل بن جامع عن سِياط قال:

كان أوّل من تَغنّى بالمدينة غناء يدخلُ في الإيقاع[1] طويس، وكان مولدُه يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفِطامُه في اليوم الذي تُوُفّي فيه أبو بكر، وخِتانُه في اليوم الذي قُتل فيه عمر، وبناؤه بأهله في اليوم الذي قتل فيه عثمان، ووُلد له يوم قتل علي رضوان الله عليهم أجمعين، ووُلد وهو ذاهبُ العين اليمنى. وكان يلقّب بالذائب، وإنما لقِّب بذلك لأنه غنّى:

قـد براني الحبُّ حتى كدتُ من وَجدي أذوبُ

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه قال أخبرني ابنُ الكلبيّ عن أبي مِسكين قال:

مع المخنثين:

كان بالمدينة مخنَّث يقال له النُّغاشيّ، فقيل لمَرْوانَ بنِ الحَكَم: إنه لا يقرأ من كتاب الله شيئاً، فبعث اليه يومئذٍ، وهو على المدينة، فاستقرأه أمّ الكتاب؛ فقال: والله ما معي بناتُها، أو ما أقرأ البنات فكيف أقرأ أمّهنّ! فقال: أتهزأ لا أمّ لك! فأمر به فقُتل في موضع يقال له بَطِحان[2]، وقال: من جاءني بمخنَّث فله عشرة دنانير. فأُتِيَ طويسٌ وهو في بني الحارث بن الخَزْرج من المدينة، وهو يغنّي بشعر حسّان بن ثابت:

---

(١) الإيقاع: بناء الحان الغناء على موقعها وميزانها.

(٢) بطحان — بفتح أوله وكسر ثانيه كما ضبطه أهل اللغة —: واد بالمدينة وهو احد اوديتها الثلاثة: العقيق وبطحان وقناة. والمحدّثون ينطقونه بضم أوله وسكون ثانيه.

لقد هاج نفسَك أَشجانُها وعاودها اليومَ أَديانُها
تذكّرْتَ هنداً وما ذِكْرُها وقد قُطِعَتْ منك أَقرانُها
وقفتُ عليها فساءلتُها وقد ظَعَن الحيُّ ما شانُها
فصَدّتْ وجاوب من دونها بما أَوجع القلبَ أَعوانُها

فأُخبر بمقالة مَرْوان فيهم؛ فقال: أما فضّلني الأمير عليهم بفضل حتى جعل فيَّ وفيهم أمراً واحداً! ثم خرج حتى نزل السُّوَيداء – على ليلتين من المدينة في طريق الشام – فلم يَزَلْ بها عُمْرَه، وعُمِّر حتى مات في ولاية الوَليد بن عبد الملك.

قال إسحاق وأخبرني ابن الكلبيّ قال أخبرني خالد بن سعيد عن أبيه وعَوانةُ قالا:

قال هِيتُ المخنّث لعبد الله بن أبي أُميَّة: إنْ فَتح الله عليكم الطائفَ فسَل النبيَّ صلى الله عليه وسلم باديةَ بنت غَيلان بن سَلَمة بن معتِّب، فإنها هَيفاء، شَموعٌ[1] نجلاء، إن تكلّمت تغنّت، وإن قامت تثنّت، تُقبِل بأربع وتُدبِر بثمان[2]، مع ثغر كأنه الأُقحُوان، وبين رجليها كالإناء المَكفُوء، كما قال قيس بن الخطيم:

تَغتَرِقُ الطرفَ وهي لاهِيةٌ كأنما شَفَّ وجهَها نُزُفُ
بين شُكول النساء خِلقتُها قَصْدٌ فلا جَبلَةٌ ولا قَضَفُ

فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: لقد «غَلغلتَ النظر يا عدوّ الله» ثم جَلاه عن المدينة الى الحِمى. قال هشام: وأوّلُ ما اتُّخِذَت النُّعوش[3] من أجلها. قال: فلما فُتحت الطائف تزوّجها عبد الرحمن بن عَوف فولدت له بُرَيهة. فلم يزل هِيتٌ بذلك المكان حتى قُبض النبيّ صلى الله عليه وسلم؛ فلما ولي أبو بكر رضي الله

(١) الشموع: اللعوب الضحوك.
(٢) يريد أن عكن بطنها أذا أقبلت أربع وإذا أدبرت ثمان.
(٣) جمع نعش وهو شبه المحفة يحمل عليها الملك اذا مرض.

عنه كُلِّم فيه فأبى أن يردُّه؛ فلما وَلِيَ عمر رضي الله عنه كلِّم فيه فأبى أن يردّه وقال: إن رأيته لأضربنّ عنقه؛ فلما وليَ عثمانُ رضي الله عنه كُلِّم فيه فأبى أن يردّه؛ فقيل له: قد كبِر وضعُف واحتاج؛ فأذِن له أن يدخل كلّ جمعة فيسأل ويرجعَ الى مكانه. وكان هيتٌ مولىً لعبد الله بن أبي أميَّة بن المُغيرة المخزوميّ وكان طُويس له؛ فمن ثَمّ قبِل الخَنَث.

وجلس يوماً فغنّى في مجلس فيه ولدٌ لعبد الله بن أبي أمية:

تغترق الطرفَ وهي لاهيةٌ

الى آخر البيتين؛ فأشير الى طويس أن اسكتْ؛ فقال: والله ما قيل هذان البيتان في ابنة غَيلان بنِ سَلمة وإنما هذا مَثلٌ ضربه هيتٌ في أمّ بُرَيهة؛ ثم التفت الى ابن عبد الله فقال: يابن الطاهر، أوَجدتَ عليّ في نفسك؟ أُقسم بالله قسماً حقّاً لا أغنّي بهذا الشعر ابداً.

مع ابن جعفر:

قال إسحاق وحدّثنا أبو الحسن الباهليُّ الراويةُ عن بعض أهل المدينة، وحدّثنا الهيثم بنُ عديّ والمدائنيّ، قالوا:

كان عبد الله بن جعفر معه إخوانٌ له في عشيّة من عشايا الربيع، فراحت عليهم السماء بمطر جَودٍ فأسال كل شيء؛ فقال عبد الله: هل لكم في العقيق؟ — وهو متنزّه أهل المدينة في أيام الرّبيع والمطر — فركبوا دوابّهم ثم انتهوا اليه فوقفوا على شاطئه وهو يَرمي بالزّبد مثل مَدّ الفرات، فإنهم لينظرون إذ هاجت السماء، فقال عبد الله لأصحابه ليس معنا جُنّة نستجِنّ بها وهذه سماء خَليقة أن تَبُلّ ثيابنا، فهل لكم في منزل طُويس فإنه قريب منّا فنستكنّ فيه ويحدّثنا ويُضحِكنا؟ وطُويس في النظّارة يسمع كلام عبد الله بن جعفر؛ فقال له عبد الرحمن ابن حسّان بن ثابت: جُعلت فِداءك! وما تريد من طُويس عليه غضب الله: مخنّثٌ

شائنٌ لمن عرفه؛ فقال له عبد الله : لا تقلْ ذلك ، فإنه مَليح خفيف لنا فيه أُنس؛ فلما استوفى طويس كلامهم تعجّل الى منزله فقال لامرأته : وَيْحك ! قد جاءنا عبد الله ابن جعفر سيدُ الناس ، فما عندكِ ؟ قالت : نذبح هذه العَناق[1] ، وكانت عندها عُنَيْقَةٌ قد ربّتها باللبن ، واختبزَ خبزاً رُقاقاً ؛ فبادر فذبحها وعجنتْ هي . ثم خرج فتلقّاه مقبلاً اليه ، فقال له طُوَيس : بأبي أنت وأمي ؛ هذا المطرُ ، فهل لك في المنزل فتستكنّ فيه الى أن تكفَّ السماء؟ قال : إياك أريد ؛ قال : فامضِ يا سيدي على بركة الله ، وجاء يمشي بين يديه حتى نزلوا ، فتحدّثوا حتى أدرك الطعام؛ فقال : بأبي أنت وأمي تُكرمني إذ دخلتَ منزلي بأن تتعشّى عندي ؛ قال : هات ما عندكَ ؛ فجاءه بعَناقٍ سمينةٍ ورُقاق ، فأكل وأكل القوم حتى تملّئوا[2] ، فأعجبه طِيبُ طعامه ، فلما غسلوا أيديَهم قال : بأبي أنت وأمي ، أتمشّى معك وأغنّيكَ ؟ قال : افعلْ يا طويس؛ فأخذ مِلحَفَةً فأتّزر بها وأرخى لها ذَنَبَيْن ، ثم أخذ المُربَّع[3] فتمشّى وأنشأ يغنّي :

يا خليلي نابني سُهُدي لم تَنَم عيني ولم تَكَدِ
كيف تَلْحوني[4] على رجلٍ آنسٍ تَلْتَذُّه كَبِدي
مثلُ ضوء البدرِ طلعَتُهُ ليس بالزُّمّيلةِ[5] النَّكِدِ

فطرب القومُ وقالوا أحسنتَ والله يا طويس. ثم قال : يا سيدي ، أتدري لمن هذا الشعر ؟ قال : لا والله ، ما أدري لمن هو ، إلا أني سمعت شعراً حسناً ؛ قال : هو لفارعة بنت ثابت أختِ حسّان بن ثابت وهي تتعشّق عبدَ الرحمن بن الحارث

(١) العناق وزن سحاب : الأنثى من ولد المعز .

(٢) تملئوا : امتلئوا من كثرة الأكل .

(٣) المربع : آلة من آلات الطرب ، يريد دفه لتربيعه .

(٤) لحاه يلحوه ويلحاه (من بابي نصر وفتح) : لامه وعذله .

(٥) الزميلة : الرذل الجبان الضعيف ، يتزمل في بيته خوفاً وجبناً .

ابن هشام المخزوميّ وتقول فيه هذا الشعر ؛ فنكّس القومُ رؤوسهم ، وضرب عبدُ الرحمن برأسه على صدره[١] ، فلو شُقّت الأرض له لدخل فيها .

تعريض واغضاب :

قال وحدّثني ابنُ الكَلْبيّ والمدائنيُّ عن جعفر بن مُحْرز قال :

خرج عمر بن عبد العزيز ، وهو على المدينة ، الى السُّوَيداء وخرج الناسُ معه ، وقد أُخذت المنازل ، فلحق بهم يَزيدُ بن بَكْر بن دأب اللَّيْثيّ وسعيدُ بن عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت الأنصاريّ ، فلقيهما طويس فقال لهما : بأبي أنتا وأُمي ! عرّجا الى منزلي ؛ فقال يَزيدُ لسعيدٍ : مِلْ بنا مع أبي عبد النّعيم ؛ فقال سعيد : أين تذهب مع هذا المخنّث ! فقال يزيد : إنما هو منزلُ ساعة فلا ، واحتمل طويس الكلامَ على سعيد[٢] ، فأتيا منزله فاذا هو قد نضَحه ونصَّعه[٣] ، فأتاهما بفاكهة من فاكهة الماء ؛ ثم قال سعيد : لو أسمعتنا يا أبا عبد النعيم ! فتناول خريطة[٤] فاستخرج منها دُفًّا ثم نقره وقال :

يا خليلي نابني سُهُدي ... لم تنمْ عيني ولم تكدِ
فشرابي ما أُسيغُ وما ... أشتكي ما بي الى أحدِ
كيف تلحوني على رجلٍ ... آنسٍ تلتذُّه كبدي
مثلُ ضوء البدر صورتُه ... ليس بالزُّمَّيْلةِ النَّكِدِ
من بني آل المُغيرة لا ... خاملٍ نِكسٍ ولا جَحِدِ[٥]
نظرتْ يوماً فلا نظرتْ ... بعدَه عيني الى أحدِ

---

(١) ضرب برأسه على صدره : أطرق استحياء وخجلا ، وهو يريد بعبد الرحمن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت .

(٢) أي حفظه له واضطغن عليه من أجله :

(٣) يريد أنه رشه بالماء ونظفه .

(٤) الخريطة : وعاء من أدم .

(٥) النكس : الضعيف الدنيء الذي لا خير فيه . والجحد : القليل الخير .

ثم ضرب بالدفّ الأرضَ ، فقال سعيد : ما رأيت كاليوم قطُّ شعراً أجودَ ولا غناء أحسنَ منه ؛ فقال له طويس : يابنَ الحسام، أتدري مَن يقوله ؟ قال : لا ؛ قال : قالته عمّتك خَولةُ بنت ثابت تُشَبِّب بعُمارة بن الوليد المُغيرة المخزوميّ ، فخرج سعيد وهو يقول : ما رأيتُ كاليوم قطُّ مثلَ ما استقبلني به هذا المخنّث ! والله لا يُفلِتُني ! فقال يزيدُ : دَعْ هذا وأمِنْه ولا ترفَع به رأساً . قال أبو الفرج الأصبهاني : هذه الأبيات، فيما ذكر الحرَميّ بن أبي العلاء عن الزُّبير بن بَكّار، لابن زُهير المخنّث .

مدح ابن سريج غناءه :

قال إسحاق وحدّثني الهيثم بن عديّ عن ابن عَيّاش ، وابنُ الكلبيّ عن أبي مِسكين ، قالا :

قدِم ابنُ سُرَيج المدينةَ فغنّاهم ، فاستطرف الناس غناءه وآثروه على كلّ مَن غنّى ؛ وطلع عليهم طُوَيس فسمعهم وهم يقولون ذلك ، فاستخرج دُفّاً من حِضْنه ثم نقر به وغنّاهم بشعر عُمارة بن الوَليد المخزوميّ في خَولة بنت ثابت ، عارَضها بقصيدتها فيه :

يا خليـلي نابني سُهُدي لم تَنَمْ عَيني ولم تَكَدِ

وهو :

تَناهى فيكم وَجْدي وصدّع حبُّكم كَبِدي
فقلبي مُسْعَرٌ حزناً بذاتِ الخالِ في الخدِّ
فما لاقى أخو عشقٍ عَشيرَ[1] العُشرِ من جَهْدي

فأقبل عليهم ابن سُرَيج فقال : والله هذا أحسن الناس غناء

(١) العشير : جزء من العشرة كالعشر .

أخبرني وكيعٌ محمدُ بن خلف قال حدّثنا إسماعيلُ بن مجمِّع قال حدّثني المدائنيُّ قال :

قدم ابنُ سُرَيج المدينةَ فجلس يوماً في جماعةٍ وهم يقولون : أنت والله أحسن الناس غناء ، إذ مرّ بهم طُوَيس فسمعهم وما يقولون ، فاستلّ دُفّه من حِضْنه ونقره وتغنّى :

إنّ المُجنّبةَ[1] التي مرّتْ بنا قبلَ الصّباحِ
في حُلّةٍ مَوْشيّةٍ مكيّةٍ غرثى الوِشاحِ[2]
زَيّنٌ لمشهدِ فِطرِهم وتَزينُهم يومَ الأضاحي

– الشعر لابن زُهير المخنّث . والغناء لطُوَيس هَزَجٌ ، أخبرنا بذلك الحَرَمي بن أبي العَلاء عن الزُّبير بن بكّار – فقال ابنُ سُرَيج : هذا والله أحسنُ الناس غناء لا أنا .

مع جارية :

قال إسحاق حدّثني المدائنيّ قال : حُدّثتُ أنّ طويساً تبع جاريةً فراوغته فلم ينقطع عنها ، نخبَت[3] في المشي فلم ينقطع عنها ؛ فلما جازتْ بمجلسٍ وقفتْ ثم قالت : يا هؤلاء ، لي صديقٌ ولي زوجٌ ومولًى يَنكِحُني ، فسَلوا هذا ما يريد منّي ! فقال : أضيَقُ ما قد وَسِعوه . ثم جعل يتغنّى :

أَفِقْ يا قلبُ عن جُمْلٍ وجُمْلٌ قطعَتْ حَبْلي
أفِق عنها فقد عُنّيـتَ حَوْلاً في هوى جُمْلِ
وكيف يُفيق محزونٌ بجُمْلٍ هائمُ العقلِ

---

(١) المجنبة : وصف من جنبه اذا أبعده .
(٢) غرثى الوشاح : خميصة البطن دقيقة الخصر .
(٣) خبت : أسرعت .

بَرَاه الحبّ في جملٍ فحسْبي الحبُّ من ثِقلِ
وحَسْبي فيكِ ما أَلْقَى من التَّفْنيد والعَـذْلِ
وقِدْماً لامني فيهـا فلم أَحفِلْ بهم أَهـلي

مع الرجل المسحور :

قال إسحاق وقال المدائنيّ قال مَسْلَمة بن مُحارب حدّثني رجل من أصحابنا قال :

خرجنا في سَفرة ومعنا رجلٌ ، فانتهينا الى وادٍ فدعَوْنا بالغداء ، فمدّ الرجل يده الى الطعام فلم يَقدِر عليه ، وهو قبل ذلك يأكل معنا في كلّ منزل ، فخرجنا نسأل عن حاله فلقِينا رجلًا طويلًا أحولَ مضطربَ الخَلق في زِيّ الأعراب ، فقال لنا : مالكم ؟ فأنكرنا سؤاله لنا ، فأخبرناه خبرَ الرجل ؛ فقال : ما اسم صاحبِكم ؟ فقلنا : أُسيد ؛ فقال : هذا وادٍ قد أُخِذَت سِباعه فارحلوا ، فلو قد جاوزتُم الوادي استمرّ[1] صاحبكم وأكل . قلنا في أنفسنا : هذا من الجنّ ، ودخلتْنا فَزْعَةٌ ؛ ففهم ذلك وقال : ليُفرِخْ[2] روعُكم فأنا طويس . قال له بعض مَن معنا من بني غِفَار أو من بني عَبْس : مرحباً بك يا أبا عبد النعيم ، ما هذا الزِّيّ ! فقال : دعاني بعض أوِدّائي من الأعراب فخرجتُ اليهم وأحببتُ أن أتخطَّى الأحياء فلا يُنكروني . فسألت الرجل أن يغنّينا ؛ فاندفع ونَقَر بدُفّ كان معه مربّعٍ ، فلقد تخيّل لي أنّ الوادي يَنطِق معه حسناً ، وتعجّبنا من علمه وما أخبرنا به من أمر صاحبنا .

وكان الذي غَنّى به في شعر عُروة بن الوَرْد في سلمى امرأته الغِفاريّة حيث رَهنها على الشراب :

سَقَوْني الخمرَ ثم تَكنّفوني عُداةُ الله من كَذِبٍ وزُورِ
وقالوا لستَ بعدَ فِداء سَلْمى بمُغْنٍ ما لديك ولا فقيـرِ

(١) استمر : قوي واستقام أمره .
(٢) ليفرخ روعكم : ليذهب رعبكم وفزعكم .

فلا والله لو مُلِّكتُ أمري ومَنْ لي بالتَّدُّبرِ في الأُمورِ
إذاً لَعَصيتُهمْ في حبِّ سَلمى على ما كان من حَسَكِ[١] الصدورِ
فيا لَلنَّاسِ كيف غُلِبْتُ أمري على شيءٍ ويَكرَهُهُ ضميري

قصة عروة وامراته سلمى الغفارية :

قال إسحاق وحدَّثني الواقديّ قال حدَّثني عبد الرحمن بن أبي الزِّناد عن أبيه قال :

لما غَزا النبيّ صلى الله عليه وسلم بني النَّضيرِ وأجلاهم عن المدينة خرجوا يريدون خَيْبَرَ يضربون بدُفوفٍ ويَزمرون بالمزاميرِ وعلى النساء المُعَصْفَراتُ وحُليُّ الذهبِ مُظهِرين لذلك تجلُّداً، ومرَّت في الظُّعُنِ[٢] يومئذٍ سلمى امرأة عُرْوة بن الوَرْدِ العبسيّ، وكان عروة حليفاً في بني عمرو بن عوف، وكانت سلمى من بني غِفار، فسباها عروة من قومها وكانت ذات جمالٍ فولدتْ له أولاداً وكان شديدَ الحب لها وكان ولدُه يعيَّرون بأمهم ويسمَّوْن بني الأخيذة — أي السَّبيَّة — فقالت : ألا ترى ولدك يعيَّرون ؟ قال : فماذا تَرَيْنَ ؟ قالت : أرى أن تَرُدَّني الى قومي حتى يكونوا هم الذين يزوِّجونك فأَنعَمَ[٣] لها، فأرسلتْ الى قومها أنِ القَوه بالخمر ثم اتركوه حتى يسكَرَ ويَثمَل فإنه لا يُسأل حينئذٍ شيئاً إلا أعطاه ؛ فَلقُوه وقد نزل في بني النَّضيرِ فسقَوه الخمرَ، فلما سكِر سألوه سلمى فردَّها عليهم ثم أنكحُوه بعدُ . ويقال : إنما جاء بها الى بني النَّضير، وكان صُعلوكاً يُغير، فسقَوه الخمرَ، فلما أنتشى منعوه ولا شيء معه إلا هي فرهنها، ولم يزل يشرب حتى غَلِقَت[٤] ؛ فلما

(١) الحسك : الشوك، ويكنى به عن العداوة والحقد .

(٢) الظعن : جمع ظعينة وهي المرأة في هودجها، وقد يقال للمرأة ظعينة وإن كانت في بيتها لأنها تصير ظعينة أي مظعوناً بها . ويسمى الهودج أيضاً ظعينة سواء كانت فيه امرأة أم لا .

(٣) أنعم لها : قال لها نعم .

(٤) غلق الرهن في يد المرتهن : استحقه، وذلك اذا لم يقدر الراهن على افتكاكه في الوقت المشروط .

قال لها : انطلقي قالت : لا سبيل الى ذلك ، قد أَغْلَقْتني . فبهذا صارت عند بني النَّضير . فقال في ذلك :

سقَوني الخمرَ تكنَّفوني ُعداةُ الله من كذبٍ وزورِ

هذه الأبيات مشهورة بأن لطُويس فيها غناء، وما وجدُته في شيء من الكتب مجنَّساً فتُذكر طريقته.

تحريشه بالغناء :

قال إسحاق وحدثني المدائنيُّ قال: كان طويسٌ وَلِعاً بالشعر الذي قالته الأَوْس والَخزْرج في حروبهم ، وكان يريد بذلك الإغراء، فقلَّ مجلسٌ اَجتمع فيه هذان الَحيَّانِ فغنَّى فيه ُطوَيسٌ إلا وقع فيه شيء؛ فنُهيَ عن ذلك، فقال : والله لا تركتُ الغناء بشعر الأنصار حتى يوسِّدوني الترابَ ؛ وذلك لكثرة تولُّع القوم به، فكان ُيبْدي السرائرَ ويُخْرج الضغائنَ ، فكان القوم يتشاءمون به .

وكان ُيستحسن غناؤه ولا ُيصْبَر عن حديثه ويُستَشهد على معرفته، فغنَّى يوماً بشعر قيس بن الخطيم في حرب الأوس والخزرج وهو :

ردَّ اَلخليطُ الِجمالَ فانصرفوا ماذا عليهم لو أنهم وقفوا
لو وقفوا ساعــةً نسائلُهم رَيْث يضحِّي جِمالَه السَّلَفُ
فليت أهلي وأهل أَثْلَةَ في الـــدَّار قريبٌ من حيث نختلِفُ

فلما بلغ الى آخر بيت غنَّى فيه طويسٌ من هذه القصيدة وهو :

أبلغْ بني جَحْجَبى وقومَهمُ خَطْمَةَ أنَّا وراءهم أُنفُ

تكلموا وانصرفوا وجرت بينهم دماء، وانصرف طويسٌ من عندهم سليماً لم يكلَّم ولم يُقلْ له شيء .

حرب الأوس والخزرج :

قال إسحاق فحدّثني الواقِديّ وأبو البَخْتَريّ، قالا :

قال قيس بن الخطيم هذه القصيدة لشَغْبٍ أثاره القومُ بعد دهر طويل . ونذكُر سبب أوّلِ ما جرى بين الأوْس والخزرج من الحرب :

قال إسحاق قال أبو عبد الله اليَزيدي وأبو البَخْتَريّ، وحدّثني مشايخ لنا قالوا . كانت الأوسُ والخزرج أهلَ عزّ ومَنَعةٍ وهما أخوانِ لأبٍ وأمّ وهما ابنا حارثةَ ابن ثعلبة بن عمرو بن عامر، وأمّهما قَيْلَةُ بنت جَفْنة بن عُتَيبة بن عمرو؛ وقُضاعة تذكر أنها قَيْلة بنتُ كاهِل بن عُذْرةَ بن سعد بن زيد بن سُود بن أسلم بن الحاف بن قُضاعة . وكانت أوّلُ حرب جرت بينهم في مولًى كان لمالك بن العَجْلان قتله سُمَير ابنُ يَزيد بن مالك، وسُمَير رجل من الأوس ثم أحدُ بني عمرو بن عوف، وكان مالك سيدَ الحيَّيْن في زمانه، وهو الذي ساق تُبَّعًا الى المدينة وقتل الفِطْيونَ[1] صاحب زُهْرة[2] وأذلّ اليهودَ للحيَّيْن جميعاً، فكان له بذلك الذكرُ والشرفُ عليهم، وكانت ديةُ المَوْلى فيهم — وهو الحليفُ — خمساً من الإبل، ودية الصريح عشراً،

(١) حدث عنه ياقوت في الكلام على يثرب حيث قال في ج ٤ ص ٤٦٣ : «وكان ملك بني اسرائيل يقال له الفيطوان . وفي كتاب ابن الكلبي الفطيون بكسر الفاء والياء بعد الطاء، وكانت اليهود والأوس والخزرج يدينون له الخ» . وذكره ابن الأثير في الكامل ج ١ ص ٤٩٢ طبع ليدن سنة ١٨٦٦، وضبط فيه بالقلم بكسر أوله واسكان ثانيه، فقال ما ملخصه : إنه كان عظيم اليهود بالمدينة وكان رجل سوء فاجرا، وكانت اليهود تدين لهذا الرجل الى أن كانت لا تزوّج امرأة منهم حتى تدخل عليه قبل دخولها على زوجها، ويقال : إنه كان يفعل ذلك بنساء الأوس والخزرج، وكانت الغلبة يومئذ لليهود عليهم، حتى جاء زفاف أخت لمالك بن العجلان فأثارت في أخيها عوامل الحمية والغيرة، فتزيا مالك بزيّ امرأة وتقلد سيفه وآندس فيمن كان معها من النساء وقتل الفطيون، ثم فر هاربا الى الشام حتى دخل على أبي جبيلة عبيد بن سالم بن مالك الخزرجي، وكان أثيراً عند ملوك غسان، فشكا اليه حاله، فأقسم أبو جبيلة ليذلنّ اليهود وليجعلنّ الغلبة للأوس والخزرج عليهم . وقد فعل اهـ بتصرف في العبارة .

(٢) زهرة : القبيلة المعروفة التي ينتسب اليها عبد الرحمن بن عوف الزهريّ .

فبعث مالك الى عمرو بن عوف : إبعثوا إليَّ سُمَيراً حتى أقتله بمولاي فإنا نكره أن تَنشَبَ بيننا وبينكم حربٌ ؛ فأرسلوا اليه : إنا نُعطيك الرضا من مولاك فخذ منا عَقْلَه[١]، فإنك قد عرفت أن الصريح لا يُقتَلُ بالمولى ؛ قال : لا آخذ في مولاي دون دية الصريح ؛ فأبوا إلا ديةَ المولى . فلما رأى ذلك مالكُ بن العَجْلان جمع قومَهُ من الخزرج، وكان فيهم مُطاعاً، وأمرهم بالتهيُّؤ للحرب . فلما بلغ الأوس استعدّوا لهم وتهيَّئوا للحرب واختاروا الموت على الذلّ ؛ ثم خرج بعض القوم الى بعض فالتقوا بالصَّفينة بين بئر سالم وبين قُباء (قرية لبني عمرو بن عوف) فاقتتلوا قتالًا شديداً حتى نال بعض القوم من بعض . ثم إنّ رجلًا من الأوس نادى : يا مالك، نَنشدك الله والرَّحِمَ — وكانت أمّ مالك إحدى نساء بني عمرو بن عوف — فاجعل بيننا وبينك عَدْلًا من قومك فما حكَم علينا سلّمنا لك؛ فارعوى مالكٌ عند ذلك، وقال نعم ؛ فاختاروا عمرو بن امرىء القيس أحدَ بني الحارث بن الخزرج فرضي القوم به، واستوثق منهم ثم قال: فإني أقضي بينكم : إن كان سُمَير قتل صَريحاً من القوم فهو به قَوَدٌ، وإن قبِلوا العَقْل فلهم دية الصريح ؛ وإن كان قتل مَولًى فلهم دية المولى بلا نقصٍ، ولا يُعطى فوق نصف الدية، وما أصبتم منا في هذه الحرب ففيه الديةُ مسلَّمةً الينا ، وما أصبنا منكم فيها علينا فيه ديةٌ مسلَّمة اليكم . فلما قضى بذلك عمرو بن امرىء القيس غضِب مالك بن العجلان ورأى أن يَرُدَّ عليه رأيه، وقال : لا أقبل هذا القضاء ؛ وأمرَ قومه بالقتال، فجمع القومُ بعضهم لبعض ثم التقَوا بالفضاء[٢] عند آطامِ بني قَيْنُقاع، فاقتتلوا قتالًا شديداً، ثم تداعَوا الى الصلح فحكَّموا ثابت بن حَرام بن المُنذِر أبا حَسّانَ بنِ ثابت النَّجّاريَّ، فقضى بينهم أن يَدُوا مَولى مالك بن العجلان بديّة الصريح ثم تكون السُّنَّة فيهم بعده على مالك وعليهم كما كانت أوّل مرّة : المَولى على ديته، والصريح على ديته ؛ فرضي مالك وسلَّم الآخرون . وكان ثابت إذ حكّموه أراد إطفاء النائرة[٣] فيما بين القوم

(١) عقله : ديته .

(٢) الفضاء كما في ياقوت : موضع بالمدينة .

(٣) النائرة : الفتنة القائمة المنتشرة .

ولَمَّ شعَثهم، فأخرج خمساً من الإبل من قبيلته حين أبتْ عليه الأوسُ أن تؤدي الى مالكٍ أكثر من خمسٍ وأبى مالكٌ أن يأخذ دون عشرٍ. فلما أخرج ثابتٌ الخمسَ أرضى مالكاً بذلك ورضيتِ الأوسُ، واصطلحوا بعهد وميثاقٍ ألا يُقتَل رجلٌ في داره ولا مَعْقِله – والمعاقل : النخل – فإذا خرج رجل من داره أو مَعقِله فلا دية له ولا عَقْل. ثم انظروا في القتلى فأيُّ الفريقين فَضَل على صاحبه وَدَى له صاحبُه. فأفضلت الأوسُ على الخزرج بثلاثة نفَر فودَتْهم الأوسُ واصطلحوا. ففي ذلك يقول حسّان بن ثابت لِما كان أبوه أصلح بينهم ورضاهم بقضائه في ذلك :

وأبي في سُمَيْحة القائلُ الفا ... صِلُ حين التفَّتْ عليه الخصومُ

وفي ذلك يقول قيس بن الخطيم قصيدتَه وهي طويلة :

رَدَّ الخليطُ الجمالَ فانصرفوا ... ماذا عليهم لو أنهم وقَفوا

قول عمر بن عبد العزيز في شعر قيس :

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عبد الرحمن بن أبي الزِّناد عن أبيه قال :

كان عمر بن عبد العزيز يُنشد قولَ قيس بن الخطيم :

بين شُكول النساء خِلقتُها ... قَصْدٌ فلا جَبْلَةٌ ولا قَضَفُ

تنام عن كُبْر شأنها فإذا ... قامت رُوَيداً تكاد تنقصفُ

تغترق الطرفَ وهي لاهيةٌ ... كأنما شَفَّ وجهها نُزُفُ

ثم يقول : قائلُ هذا الشعر أنسبُ[1] الناس.

(١) أنسب الناس : أرقهم غزلا ونسيباً بالنساء.

ومما في المائة المختارة من اغاني طويس

صوت

يا لَقَوْمي قد أَرَّقتني الهمومُ   ففؤادي مما يُجِنُّ سقيمُ
أَندَبَ الحبُّ في فؤادي ففيه   لو تَراءى للناظرين كلومُ

يُجِنّ : يُخفي ، والجُنَّة من ذلك ، والجِنّ أيضاً مأخوذ منهُ . وأندب : أبقى فيه نَدَبا وهو أثر الجرح ؛ قال ذو الرُّمَّة :

تُرِيكَ سُنَّةَ[1] وجهٍ غيرِ مُقْرِفة   ملساء ليس بها خالٌ ولا نَدَبُ

الشعر لابن قيس الرُّقيَّات فيما قيل . والغناء لطويس ، ولحنه المختار خفيفُ رمل مطلق في مجرى الوسطى ، قال إسحاق : وهو أجود لحن غنّاه طويس ، ووجدته في كتاب الهشاميّ خفيفَ رمل بالوسطى منسوباً الى ابن طُنبورة . قال وقال ابن المكيّ : إنه لحكَم ، وقال عمرو بن بانة : إنه لابن عائشة أوّله هذان البيتان ، وبعدهما :

ما لِذا الهمِّ لا يريمُ فؤادي   مثلَ ما يلزمُ الغريمَ الغريمُ
إنّ مَن فرّق الجماعــةَ منّا   بعد خَفضٍ[2] ونَعمةٍ لذميمُ

إنقضت أخبارُ طويس .

---

(١) سنة الوجه : صورته . وغير مقرفة : غير كريهة . والمراد وصف صورة وجهها بالحسن . وقد أورد صاحب اللسان هذا البيت شاهداً على أن مقرفاً في قولهم «وجه مقرف» بمعنى غير حسن . وقيل : إن «مقرفة» هنا بمعنى مدانية الهجنة، يقال : أقرف الرجل اذا دنا من الهجنة، وعلى هــذا التفسير ذهب الصاغاني فقال : هو يقول : إنها كريمة الأصل لم يخالطها شيء من الهجنة .

(٢) الخفض : سعة العيش ولينه . والنعمة (بالفتح) : النعيم ورغد العيش .

صوت

من المائة المختارة من صنعة قفا النجار

حُجِبَ الأُلى كنّا نُسَرّ بقربهم يا ليتَ أنّ حجابَهم لم يُقْدَرِ
حُجبوا ولم نَقضِ اللُّبانة منهمُ ولنا اليهم صَبْوةٌ لم تُقْصِرِ(١)
ويُحيطُ مِئزرُها برِدْفٍ كاملٍ رابي المَجسَّةِ(٢) كالكَثيب الأعفرِ
واذا مَشَتْ خِلتَ الطريقَ لمشيها وَحِلاً(٣) كمَشي المُرْجحِنّ(٤) المُوقَرِ

لم يقع الينا قائل هذا الشعر . والغناء لقفا النجّار، ولحنه المختار من الثقيل الثاني بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى . ويقال : إن فيه لحناً لابن سُريج . وذكر يحيى بن عليّ بن يحيى في الاختيار الواثقيّ أنّ لحن قفا النجّار المختار من الثقيل الأوّل .

صوت

من المائة المختارة

أفِقْ يا دارميُّ فقد بُليتا وإنك سوف تُوشك أن تموتا
أراك تَزيدُ عشقاً كلَّ يومٍ اذا ما قلتَ إنك قد بَريتا

الشعر والغناء جميعاً لسعيد الدارميّ، ولحنه المختار من خفيف الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى .

(١) لم تقصر : لم تكف ولم تنته .
(٢) المجسة: الموضع التي تقع عليه اليد عند الجس، فمعنى رابي المجسة: أنه عظيم سمين حيث يجس.
(٣) وحلا : ذا وحل .
(٤) المرجحنّ : المائل من ثقله . والموقر : الذي يحمل حملاً ثقيلاً .

ذكر الدارمي وخبره ونسبه

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثني أبو أيوب المَديني قال حدّثني عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ عن عمه قال :

الدارميّ من ولد سُوَيد بن زيد الذي كان جَدُّه قتل أسعد بن عمرو بن هِند ، ثم هَربوا الى مكة فحالفوا بني نَوْفَل بن عبد مَناف .

وكان الدارميّ في أيام عمر بن عبد العزيز ، وكانت له أشعار ونوادر ، وكان من ظُرفاء أهل مكة ، وله أصوات يسيرة . وهو الذي يقول :

ولما رأيتُـكَ أوليتني الـ ـقبيحَ وأبعدتَ عنّي الجميلا
تركتُ وِصالك في جانبٍ وصادفتُ في الناس خِلًّا بَديلا

شبب بذات خمار اسود :

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني إسحاق ابن إبراهيم عن الأصمعيّ ، وأخبرني عمّي قال حدّثنا فَضل اليزيدي عن إسحاق بن إبراهيم عن الأصمعيّ ، وأخبرني عمّي قال حدّثنا أبو الفضل الرِّياشيّ عن الأصمعيّ ، قال وحدّثني به التُّوشْجانيّ عن شيخ له من البصريّين عن الأصمعيّ عن ابن أبي الزِّناد ، ولم يقل عن ابن أبي الزناد غيره :

أنّ تاجراً من أهل الكوفة قَدِم المدينةَ بخُمُر[١] فباعها كلها وبقيت السودُ منها

(١) الخمر : جمع خمار ، وهو ما تغطي به المرأة رأسها .

فلم تَنْفُق[١]، وكان صديقاً للدارمي، فشكا ذاك اليه، وقد كان نسك[٢] وترك الغناء وقولَ الشعر؛ فقال له: لا تهتمّ بذلك فإني سأُنفقها لك حتى تبيعها أجمع؛ ثم قال:

صوت

قُلْ للمليحة في الخمارِ الاسودِ ماذا صَنَعتِ براهبٍ متعبِّدِ
قد كان شمَّر للصلاة ثيابَــه حتى وقَفتِ له ببابِ المسجدِ

وغنّى فيه، وغنّى فيه أيضاً سِنانٌ الكاتب، وشاع في الناس وقالوا: قد فتَك[٣] الدارميّ ورجع عن نُسكه؛ فلم تبقَ في المدينة ظريفةٌ إلا ابتاعت خماراً أسود حتى نَفِد ما كان مع العراقيّ منها؛ فلما علم بذلك الدارميّ رجع الى نسكه ولزم المسجد.

فأما نسبة هذا الصوت فإنّ الشعر فيه للدارميّ والغناء أيضاً، وهو خفيفُ ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لسنانٍ الكاتب رملٌ بالوسطى عن حَبَش. وذكر حَبَش أن فيه لابن سُرَيج هزَجاً بالبنصر.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثني أبو هفّان قال: حضرتُ يوماً مجلسَ بعض قوّاد الأتراك وكانت له سِتارةٌ فنُصِبتْ، فقال لها: غنّي صوتَ الخمار الاسود المليح، فلم ندرِ ما أراد حتى غنّتْ:

قل للمليحةِ في الخمار الاسودِ

ثم أمسك ساعةً ثم قال لها غنّي:

إني خريتُ وجئت أنتقله

---

(١) نفقت السلعة (وزن نصر) نفاقاً: راجت ورغب فيها. وأنفقها ونفقها: روّجها.
(٢) نسك (وزن ضرب): تعبد وتزهد وتقشف.
(٣) فتك: مجن.

فضحكتْ ثم قالت : هذا يشبهك ! فلم ندر أيضاً ما اراد حتى غنّت :

إنَّ الخليطَ أَجدَّ مُنتقَلَهْ

بخله وظرفه :

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا هارون بن محمد قال حدّثني محمد بن أخي سَلْم الخُزاعيّ قال حدّثني الحِرْمازيّ قال زَعم لي ابن مَوْدود قال :

كان الدارميّ المكيّ شاعراً ظريفاً وكانت مُتَفَتِّيات[1] أهل مكة لا يطيبُ لهنّ مُتنَزَّه إلا بالدارمي، فاجتمع جماعةٌ منهنّ في متنزَّه لهنَّ، وفيهنّ صديقةٌ له، وكلُّ واحدة منهنّ قد واعدتْ هَوَاها[2]، فخرجن حتى أتينَ الجُحْفَةَ[3]، وهو معهنّ؛ فقال بعضهنّ لبعض : كيف لنا أن نَخْلوَ مع هؤلاء الرجال من الدارميّ؟ فإنا إن فعلنا قطَعَنا في الأرض[4]! قالت لهنّ صاحبتُه : أنا أكفيكُنَّه؛ قلن : إنا نريد ألا يلومَنا؛ قالت : عليّ أن ينصرف حامداً، وكان أبخل الناس، فأتته فقالت : يا دارميّ، إنا قد تَفِلْنا[5] فاجلب لنا طِيباً؛ قال نعم هو ذا، آتي سوقَ الجُحْفة آتيكنّ منها بطيبٍ؛ فأتى المُكارِين فأكترى حماراً فصار عليه الى مكة وهو يقول :

أنا باللهِ ذي العِزِّ وبالرُّكنِ وبالصَّخْرهْ
من اللائي يُرِدنَ الطِّيـــبَ في اليُسر وفي العُسْره
وما أقوَى على هـذا ولو كنتُ على البَصْرهْ

(١) متفتيات : وصف من تفتت الجارية اذا راهقت فخدّرت ومنعت من اللعب مع الصبيان .

(٢) هواها : من تهواه وتحبه .

(٣) الجحفة : قرية بطريق المدينة على أربع مراحل من مكة ، وهي ميقات أهل مصر والشام إن لم يمروا على المدينة ، فان مروا بالمدينة فيقاتهم ذو الحليفة .

(٤) يريد أنه يمزق أعراضهنّ وينشر ذلك في الأرض بين الناس .

(٥) تفل كفرح : تغيرت رائحته لطول عهده بترك الطيب .

فمكث النسوةُ ما شئن. ثم قَدِم من مكة فلقيتْه صاحبتُه ليلةً في الطَّواف، فأخرجته الى ناحية المسجد وجعلتْ تُعاتبه على ذَهابه ويُعاتبها، الى أن قالت له: يا دارميّ، بحقّ هذه البَنِيَّة[1] أتحبُّني؟ فقال نعم، فبِرَبّها أتحِبّيني؟ قالت نعم؛ قال: فيا لكِ الخيرُ فأنتِ تحبّيني وأنا أحبُّكِ، فما مَدْخلُ الدراهم بيننا!

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبي قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثني عمّي قال:

كان الدارميّ عند عبد الصمد بن عليّ يحدّثه، فأغفى عبد الصمد فعطَس الدارميُّ عَطْسةً هائلة، ففزِع عبد الصمد فزعاً شديداً وغَضِب غضباً شديداً، ثم استوى جالساً وقال: يا عاضّ كذا من أمه أتفزِعني. قال: لا والله ولكن هكذا عُطاسي! قال: والله لأنقعنّك في دمك[2] أو تأتيني ببيّنة على ذلك؛ قال: فخرج معه حَرَسيّ[3] لا يدري أين يذهب به، فلقيه ابن الريّان المكيّ فسأله؛ فقال: أنا أشهد لك؛ فمضى حتى دخل على عبد الصمد؛ فقال له: بم تشهد لهذا؟ قال: أشهد أني رأيتُه مرّةً عطس عطسةً فسقط ضرسه؛ فضحك عبد الصمد وخَلّى سبيله.

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا هارون بن محمد قال حدّثنا الزُّبير قال:

قال محمد بن إبراهيم الإمام للدارميّ: لو صَلَحتْ عليك ثيابي لكسوتك؛ قال: فَدَيتك! إن لم تصلحْ عليّ ثيابك صَلَحتْ عليّ دنانيرك.

---

(١) البنية: الكعبة.

(٢) لأنقعك في دمك: لأربقن دمك حتى تقرّ فيه كما يقر الشيء الجامد في الماء ونحوه.

(٣) الحرس: الأعوان. قال في المصباح: جعل علماً على الجمع لهذه الحالة المخصوصة ولا يستعمل له واحد من لفظه، ولهذا نسب الى الجمع، ولو جعل الحرس هنا جمع حارس لقيل حارسيّ. قالوا: ولا يقال حارسيّ إلا إذا ذهب به الى معنى الحراسة دون الجنس.

الدارمي والاعرابيات :

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا الزبير، ونسخت من كتاب هارون بن محمد : حدثنا الزبير قال حدثني يونس بن عبد الله الخيّاط قال :

خرج الدارمي مع السُّعاة[١]، فصادف جماعة منهم قد نزلوا على الماء فسألهم فأعطوه دراهم، فأتى بها في ثوبه، وأحاط به أعرابيات فجعلن يسألنه وألححنَ عليه وهو يردّهنّ؛ فعرفته صبية منهن فقالت : يا إخواتي، أتدرين من تسألن منذُ اليوم؟ هذا الدارمي السآل. ثم أنشدتْ :

اذا كنتَ لا بدّ مُستطِعماً فدَعْ عنك مَنْ كان يَستطعِمُ

فولّى الدارمي هارباً منهنّ وهنّ يتضاحكنَ به .

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبي قال أخبرني أحمد بن أبي خَيْثمة قال حدثنا مصعَب الزبيري قال :

أتى الدارمي الأوقصَ القاضيَ بمكة في شيء فأبطأ عليه فيه، وحاكمه اليه خَصْمٌ له في حقٍّ، فحبسه به حتى أدّاه اليه . فبينا الأوقصُ يوماً في المسجد الحرام يصلّي ويدعو ويقول : يا ربّ أعتقْ رقبتي من النار، إذ قال له الدارمي والناس يسمعون : أوَلك رقبةٌ تُعتَق! لا والله ما جعل الله، وله الحمد، لك من عتق ولا رقبة! فقال له الاوقص : ويلك! ومن أنت؟ قال : أنا الدارمي، حبستَني وقتلتني؛ قال : لا تقل ذلك وأتني فإني أعوّضك؛ فأتاه ففعل ذلك به .

(١) السعاة : جمع ساع وهو العامل على الصدقات، يأخذها من الاغنياء ويردها على الفقراء .

تندره :

أخبرني الحرميّ أحمد بن محمد بن إسحاق قال حدثني الزبير بن بكّار قال حدثني عمي قال :

مدح الدارمي عبد الصمد بن عليّ بقصيدة واستأذنه في الإنشاد فأذن له ؛ فلما فرغ أُدْخِل اليه رجلٌ من الشُّراة[1] ؛ فقال لغلامه : أَعطِ هذا مائة دينار واضرب عنقَ هذا ؛ فوثب الدارميُّ فقال : بأبي انت وأمي ! بِرُّك وعقوبتُك جميعاً نقد ! فإن رأيتَ أن تبدأ بقتل هذا ، فاذا فرغ منه أمرتَه فأعطاني ! فإني لن أريمَ من حضرتك حتى يفعل ذلك ؛ قال : ولم ويلك ؟ قال : أخشى أن يغلَطَ فيا بيننا والغلط في هذا لا يُستقال ؛ فضَحِك وأجابه الى ما سأل .

أخبرني الحرميّ قال حدثنا الزبير قال حدثنا عمّي قال :

أصابت الدارميَّ قَرْحَةٌ في صدره ، فدخل اليه بعضُ أصدقائه يَعوده ، فرآه قد نفَث من فيه نَفْثاً أخضر ، فقال له أَبْشِر ، قد اخضرّت القرحة وعُوفيتَ ؛ فقال : هيهات! والله لو نفثتُ كلَّ زُمُرُّدَةٍ في الدنيا ما أُفْلِتُّ منها .

صوت

من المائة المختارة

يا رَبْعَ سَلمى لقد هيّجتَ لي طرَبا ... زِدْتَ الفؤاد على عِلّاته وَصَبا
ربعٌ تبدّل ممن كان يسكنه ... عُفْرَ الظِّباء وظُلماناً به عُصَبا[2]

الشعر لهلال بن الأسعَر المازنيّ ، أخبرني بذلك وكيعٌ عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه . وهكذا هو في رواية عَمرو بن أبي عمر الشَّيبانيّ . ومن لا يعلم ينسُبه

(١) الشراة : الخوارج، سموا بذلك لقولهم : « إننا شرينا أنفسنا في طاعة الله » أي بعناها بالجنة .
(٢) الظلمان (بالضم والكسر) : جمع ظليم وهو ذكر النعام . والعصب : الجماعات .

الى عمرَ بن أبي ربيعة والى الحارث بن خالد ونُصَيب، وليس كذلك . والغناء في اللحن المختار لغزّور الكوفيّ ، ومن الناس من يقول غزُّون بالنون وتشديد الزاي، وهو رجل من أهل الكوفة غيرُ مشهور ولا كثير الصنعة ، ولا أعلم أنّي سمعتُ له بخبرٍ ولا صنعة غير هذا الصوت . ولحنُ هـذا المختار ثقيلٌ أوّل بالبِنصر في مجراها عن إسحاق، وهكذا نسبه في الاختيار الواثقي . وذكر عمرو بن بانةَ أنّ فيه لابن عائشةَ لحناً من الثقيل الأول بالبنصر . وفي أخبار الغريض عن حمّاد أنّ له فيه ثقيلًا أول . وقال الهشاميّ : فيه لعبد الله بن العبّاس لحنٌ من الثقيل الثاني . وذكر حبش أن فيه لحسَين بن محرز خفيف رملٍ بالبنصر .

أخبار هلال ونسبه

هو فيما ذكر خالد بن كلثوم ، هِلالُ بن الأسْعَر بن خالد بن الأرقم بن قسيم[١] بن ناشرة بن سَيَّار بن رِزام بن مَازن بن مالك بن عمرو بن تَمِيم . شاعرٌ إسلاميٌّ من شعراء الدولة الأموية ، وأظنه قد أدرك الدولةَ العباسية ، وكان رجلاً شديداً عظيم الخَلْق أكُولاً معدوداً من الأكلة . قال أبو عمرو : وكان هلال فارساً شجاعاً شديد البأس والبطش أكثرَ الناس اكلاً وأعظمهم في حربٍ غَناء . هذا لفظ أبي عمرو .

اريحية المغيرة :

وقال أبو عمرو : وعمر هلال بن أسعر عمراً طويـلاً ومات بعد بَلايا عِظامٍ مرَّت على رأسه . قال : وكان رجل من قومه من بني رِزام بن مالك يقال له المُغيرة بن قَنْبَرٍ يَعوله ويُفضِلُ عليه ويحتمل ثقله وثِقلَ عياله فهلك ، فقال هلال يَرْثيه :

ألا ليت المُغيرة كان حيّاً ... وأفنى قبله النـاسَ الفَناءُ
لِيَبكِ على المُغيرة كُلُّ خيلٍ ... إذا أفنى عَرائكها[٢] اللِقاءُ
ويَبكِ على المغيرة كُلُّ كَلّ ... فَقيرٍ كان يَنعَشُه العطاءُ
ويَبكِ على المغيرة كلُّ جيشٍ ... تَمُور[٣] لدى مَعاركه الدِماءُ

(١) سمي بقسيم كأمير وقسيم كزبير .

(٢) العرائك : جمع عريكة ، وأصل العريكة سنام البعير ، وتقال على النفس ، وعلى القوّة والشدّة ، ولعل هذا المعنى هو المراد في هذا البيت . وقد فسرت العريكة بمعنى الشدّة والقوّة في قول الأخطل :

من اللواتي اذا لانت عريكتها ... كان لهـا بعدها آل ومجهود

(٣) تمور : تجري وتسيل .

فتى الفتيان فارسِ كلّ حربٍ — اذا شالتْ[١] وقد رُفع اللِّواء
لقد وارى جديدُ[٢] الأرض منه — خِصالاً عَقْدُ عِصْمتها الوفاء
فصبراً للنوائب إن ألمّتْ — إذا ما ضاق بالحَدَثِ الفضاء
هِزَبْرٌ تَنجلي الغَمَراتُ عنه — نَقِيّ العِرْض هِمّتُه العَلاء
إذا شهد الكَريهةَ خاض منها — بُحُوراً لا تكدِّرها الدِّلاء
جَسورٌ لا يروَّع عند رَوْعٍ — ولا يَثْني عزيمتَه اتّقاء
حَليمٌ في مَشاهده اذا ما — حُبا الحُلَماء أطلقها المِراء[٣]
حَميدٌ في عشيرته فَقيدٌ[٤] — يَطيب عليه في الملإ الثناء
فإن تكن المنيةُ أقصدَتْه[٥] — وحُمّ[٦] عليه بالتلف القَضاء
فقد أوْدى به كرمٌ وخِيرٌ[٧] — وعَوْدٌ بالفضائلِ وابتداء
وجودٌ لا يَضُمّ اليه جوداً — مُراهِنُهُ اذا جَدّ الجِراء[٨]

صفته :

وقال خالد بن كُلثوم : كان هلال بن الأسعر، فيما ذكروا ، يَرِد مع الابل فيأكلُ ما وَجد عند أهله ثم يَرْجع اليها ولا يتزوّد طعاماً ولا شراباً حتى يرجع

(١) شالت الحرب : تهيأت لأن يخوض الابطال غمارها. وهو من شالت الناقة اذا رفعت ذنبها للقاح.

(٢) يريد بجديد الأرض قبره الذي جدّ منها وحفر ليدفن فيه .

(٣) حبا : جمع حبوة وهي الثوب الذي يحتبى به ، واسم للاحتباء بالثوب أي الاشتمال بــه . وإطلاق الحبا يكنى به عن السفه والطيش . والمراء : المجادلة والملاجة والمخاصمة .

(٤) فقيد : يفتقده العافون ويطلبونه .

(٥) أقصدته : أصابته .

(٦) حم : قضي وقدر .

(٧) الخير : (بالكسر) الشرف .

(٨) مراهنه : مسابقه . والجراء : مصدر كالمجاراة وهي المسابقة والمفاخرة .

يومَ ورودِها ، لا يَذوق فيما بين ذلك طعاماً ولا شراباً ، وكان عاديّ الخلقِ[١] لا تُوصف صفتُه . قال خالد بن كلثوم فحدَّثنا عنهُ من أدركهُ : أنه كان يوماً في إبلٍ له ، وذلك عند الظُّهيرة في يوم شديدٍ وَقْع الشمس مُحْتَدِم الهاجرة وقد عَمد الى عصاه فطرح عليها كساءه ثم أدخل رأسه تحت كسائه من الشمس ، فبينا هو كذلك إذ مرَّ به رجلان أحدهما من بني نَهْشَل والآخر من بني فُقَيم ، كانا أشدَّ تميميَّيْن في ذلك الزمان بطشاً ، يقال لأحدهما الهيَّاج ، وقد أقبلا من البحْرين ومعهما أنواطٌ[٢] من تمر هَجَر[٣] ، وكان هلالٌ بناحية الصِّعابِ[٤] ؛ فلما انتهيا الى الإبل ، ولا يعرفان هلالاً بوجهه ولا يعرفان أن الإبل له ، ناديا : يا راعي ، أعندك شرابٌ تَسقينا ؟ وهما يُظنَّانه عبداً لبعضهم ؛ فناداهما هلالٌ ورأسه تحت كسائه : عليكما الناقة التي صفتها كذا في موضع كذا فأنيخاها فإن عليها وَطْبيْن[٥] من لبن ، فاشربا منهما ما بدا لكما . قال فقال له احدهما : وَيْحك ! إنهض يا غلام فأت بذلك اللبن ! فقال لهما : إن تكُ لكما حاجةٌ فستأتيانها فتجدان الوطبينِ فتشربانِ ؛ قال فقال أحدهما : إنك يابْن اللَّخناء لغليظ الكلام ، قُمْ فاسقنا ، ثم دنا من هلال وهو على تلك الحال . وقال لهما حيث قال له أحدهما : « إنك يابْنَ اللخناء لغليظ الكلام » : أراكما والله ستلقيانِ هَواناً وصَغاراً ؛ وسمعا ذلك منه ، فدنا أحدهما فأهوى له ضَرْباً بالسَّوْط على عَجْزه وهو مضطجع ، فتناول هلالٌ يدَه فاجتذبه اليه ورماه تحت فَخِذه ثم ضَغَطه ضَغطةً ؛ فنادى صاحبه : وَيْحك أغثْني قد قتلني ! فدنا صاحبُه منه فتناوله هلالٌ أيضاً فاجتذبه فرمى به تحت فخذه الأخرى ، ثم أخذَ برقابهما فجعل

(١) عاديّ الخلق : عملاق ضخم الجسم ، نسبة الى عاد . والعرب تضرب المثل بأحلام عاد لما تتصور من عظم خلقها ، وتزعم أن أحلامها على مقادير أجسامها . قال الشاعر :

كأنما ورثوا لقمان حكمتــه علماً كما ورثوا الاحلام من عاد

(٢) أنواط : جمع نوط ، والنوط : الجلة الصغيرة فيها التمر ونحوه .

(٣) هجر : مدينة وهي قاعدة البحرين ، وقيل ناحية البحرين كلها هجر ، وهو الصواب .

(٤) الصعاب : اسم جبل بين اليمامة والبحرين ، وقيل : رمال بين البصرة واليمامة صعبة المسالك .

(٥) الوطب : سقاء اللبن خاصة .

يَصُكُّ برؤوسهما[1] بعضاً ببعضٍ لا يستطيعان أن يمتنعا منه ؛ فقال أحدهما : كن هِلالًا ولا نُبالي ما صنعتَ ؛ فقال لهما : أنا والله هلالٌ ، ولا والله لا تُفلِتان منّي حتى تُعْطياني عهداً وميثاقاً لا تَخيسان[2] به : لتأتيان المِرْبَد[3] اذا قَدِمتما البصرة ، ثم لتُناديانِ بأعلى أصواتكما بما كان منّي ومنكما ؛ فعاهداه وأعطياه نَوْطاً من التمر الذي معهما ، وقدما البصرةَ فأتيا المِرْبد فناديا بما كان منه ومنهما .

وحدَّث خالد عن كُنَيف بن عبد الله المازنيّ قال : كنتُ يوماً مع هلال ونحن نَبغي إبلًا لنا ، فدفعْنا الى قوم من بكر بن وائل وقد لَغِبْنا[4] وعطشنا ، واذا نحن بفتيةٍ شَبابٍ عند ركيَّة[5] لهم وقد وردت إبلهم ، فلما رأوْا هلالًا استَهْوَلوا خَلْقه وقامتَه ، فقام رجلان منهم اليه فقال له أحدهما : يا عبد الله ، هل لك في الصِّراع ؟ فقال له هلال : أنا الى غيرِ ذلك أحوجُ ؛ قال : وما هو ؟ قال : الى لبنٍ وماء فإنّني لَغِبٌ ظمآنُ ؛ قال : ما أنتَ بذائقٍ من ذلك شيئاً حتى تُعطينا عهداً لَتُجيبنّنا الى الصراع اذا أرَحتَ[6] ورَوِيتَ ؛ فقال لهما هلال : إنني لكم ضيفٌ والضيفُ لا يُصارِعُ آهله وربَّ منزله ، وانتم مكتفون من ذلك بما أقول لكم : إعْمِدوا الى أشد فحل في إبلكم وأهيبه صولةً وإلى أشدِّ رجل منكم ذراعاً ، فإن لم أقبِض على هامة البعير وعلى يد صاحبكم فلا يمتنعُ الرجل ولا البعير حتى أدخل يد الرجل في فم البعير ، فإن لم أفعل ذلك فقد صرعتموني ، وإن فعلته علمتم أن صراع أحدكم أيسرُ من ذلك . قال : فعجبوا من مَقالته تلك ، وأومأوا الى فحل في إبلهم

---

(١) الجمع في رؤوسهما دون التثنية لكراهة اجتماع تثنيتين مع ظهور المراد، وهو في مثل ذلك أكثر استعمالا من التثنية والافراد ، وفي القرآن الكريم : (فقد صغت قلوبكما) .

(٢) لا تخيسان به : لا تغدران به ولا تنكثان .

(٣) المربد من أشهر محال البصرة ، وكان يكون سوق الإبل فيه قديما ثم صار محلة عظيمة سكنها الناس وبه كانت مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء .

(٤) لغبنا : تعبنا وأصابنا الإعياء .

(٥) الركية : البئر لأنها مركوة أي محفورة .

(٦) أراح الرجل : رجعت اليه نفسه بعد الإعياء .

هائج صائل، قَطِم[1]؛ فأتاه هلال ومعه نفرٌ من أولئك القوم وشيخٌ لهم، فأخذ بهامة الفحل مما فوق مِشفَره فضغطها ضَغطةً جرجرَ[2] الفحل منها واستخذى ورَغا، وقال: ليُعْطني من أحببتم يده أُولجها في فم هذا الفحل. قال فقال الشيخ: يا قوم تنكّبوا هذا الشيطان، فوالله ما سمعتُ فلاناً[3] يعني الفحل جرجر منذ بزَل[4] قبل اليوم، فلا تَعرضوا لهذا الشيطان. وجعلوا يَتْبعونه وينظرون الى خطوه ويَعْجَبون من طول أعضائه حتى جازهم.

مصارعة:

قال وحدَّثنا مَنْ سمع هلالاً يقول: قَدمتُ المدينة وعليها رجلٌ من آل مَرْوان، فلم أزل أَضعُ عن إبلي وعليها أحمال للتجار حتى أُخذ بيدي وقيل لي: أَجب الأميرَ. قال: قلتُ لهم: وَيْلكم! إبلي وأَحمالي! فقيل: لا بأس على إبلك وأَحمالك. قال: فانطُلِقَ بي حتى أُدخِلتُ على الأمير، فسلّمت عليه ثم قلتُ: جُعلت فداك! إبلي وأَماناتي! قال فقال: نحن ضامنون لإبلك وأماناتك حتى نؤدّيها اليك: قال فقلت عند ذلك: فما حاجةُ الأمير إليّ جعلني الله فداه؟ قال فقال لي — والى جنبه رجل أصفر، لا[5] والله ما رأيت رجلاً قط أشدّ خَلقاً منه ولا أغلظ عُنقاً، ما أدري أطوله أكثر أم عرضُه —: إن هـذا العبد الذي ترى لا والله ما ترك بالمدينة عربياً يصارع إلا صَرعه، وبلغني عنك قوّةٌ، فأردتُ أن يُجريَ الله صَرْع هذا العبد على يديك فتُدْرِكَ ما عنده من أوتار العرب. قال فقلت: جعلني الله فداء الأمير، إني لَغِبٌ نَصِبٌ جائعٌ، فإن رأى الأمير ان يدعني اليوم حتى أضع

(١) القطم: الهائج.

(٢) جرجر: ردد صوته في حنجرته. واستخذى: خضع.

(٣) كذا في الاصل، ولكن الذي قاله أئمة اللغة أن فلانا وفلانة بغير أل يكنى بها عن الآدميين، والفلان والفلانة بأل يكنى بها عن غيرهم.

(٤) بزل البعير: فطر نابه ودخل في سنته التاسعة.

(٥) «لا» هذه زائدة، والعرب يزيدونها قبل القسم تمهيداً لنفي الجواب.

عن إبلي وأؤدِّيَ أمانتي وأريح يومي هذا وأجيئهُ غداً فليفعلْ . قال فقال لأعوانه : إنطلقوا معه فأعينوه على الوَضْع عن إبله وأداء أمانته وانطلِقوا بــه إلى المطبخ فأشبِعوه ؛ ففعلوا جميع ما أمرهم به . قال : فظلِلْتُ بقيــة يومي ذلك وبتُّ ليلتي تلك بأحسن حالٍ شِبعاً وراحةً وصلاح أمرٍ ، فلما كان من الغد غدوتُ عليه وعليَّ جُبَّةٌ لي صوفٌ وبتٌّ[1] وليس عليَّ إزار إلا أني قد شددتُ بعمامتي وسطي ، فسلَّمتُ عليه فردَّ عليَّ السلام ، وقال للأصفر : قُمْ اليه ، فقد أرى أنه أتاك الله بما يُخزيك ؛ فقال العبد : اتّزِرْ يا أعرابيّ ؛ فأخذت بَتِّي فاتَّزرت به على جُبَّتي ، فقال : هيهات ! هذا لا يثبُت ، اذا قبضتُ عليه جاء في يدي ؛ قال فقلت : والله ما لي من إزار ، قال : فدعا الامير بملحَفة ما رأيت قبلها ولا علا جلدي مثلُها ، فشدَدْتُ بها على حَقْوِي[2] وخلعت الجُبَّة ؛ قال : وجعل العبد يَدور حولي ويريد خَتْلي وأنا منه وجِلٌ ولا أدري كيف أصنع به ، ثم دنا مني دَنْوَةً فنقَدَ[3] جبهتي بظُفره نَقْدَةً حتى ظننتُ أنه قد شجَّني وأوجعني ، فغاظني ذلك ، فجعلتُ أنظر في خَلْقِهِ بِمَ أقبضُ منه ، فما وجدتُ في خلقه شيئاً أصغرَ من رأسه فوضعتُ إبهاميَّ في صُدغه وأصابعي الأُخر في أصل أذُنه ، ثم غمزته غمزةً صاح منها : قتلتَني ! قتلتَني ! فقال الامير : اغمس رأسَ العبد في التراب ؛ قال فقلت له : ذلك لك عليَّ ؛ قال فغمَسْتُ والله رأسه في التراب ووقع شبيهاً بالمَغْشيّ عليه ، فضحك الأميرُ حتى استلقى وأمر لي بجائزةٍ وكُسوةٍ وانصرفتُ .

فراره الى اليمن :

قال أبو الفرج : ولهلالٍ أحاديثُ كثيرةٌ من أعاجيبِ شدَّته . وقد ذكره حاجب بن ذبيان فقال لقوم من بني ربابٍ من بني حنيفة في شيء كان بينهم فيه أربعُ ضربات بالسيف ، فقال حاجب :

---

(١) البت : كساء غليظ مهلهل مربع أخضر . وقيل : هو من وبر وصوف .

(٢) الحقو : الخصر .

(٣) نقد الشيء : نقره بأصبعه .

وقائلةٍ وباكيــةٍ بشجوٍ لَبئسَ السيفُ سيفُ بني رباب
ولو لاقى هلالَ بني رزام لعــجّله إلى يوم الحساب

وكان هلالُ بن الأسعر ضربه رجل من بني عنزة ثم من بني جَلّان يقال له عُبَيد بن جري في شيء كان بينهما، فشجّه وخمشه[١] خُماشةً، فأتى هلالٌ بني جَلّانَ فقال: إن صاحبكم قد فعل بي ما ترون فخذوا لي بحقي، فأوعدوه وزجروه؛ فخرج من عندهم وهو يقول: عسى أن يكون لهذا جزاء حتى أتى بلادَ قومه؛ فمضى لذلك زمنٌ طويل حتى درس ذكره؛ ثم إن عبيد بن جريّ قدِم الوَقَبى — وهو موضع من بلاد بني مالك — فلما قَدِمها ذكر هلالا وما كان بينه وبينه فتخوّفه؛ فسأل عن أعزّ أهل الماء، فقيل له: مُعاذ بن جَعْدة بن ثابت بن زُرارة بن ربيعة ابن سيّار بن رِزام بن مازن؛ فأتاه فوجده غائباً عن الماء، فعقد عُبَيد بن جريّ طرف ثيابه الى جانب طُنُب بيت معاذ — وكانت العرب إذا فعلت ذلك وجب على المعقود بطُنُب بيته للمستجير به أن يُجيرَه وأن يطلب له بظُلامته — وكان يومَ فعل ذلك غائباً عن الماء، فقيل: رجلٌ استجار بآل مُعاذ بن جَعْدة. ثم خرج عبيد ابن جريّ ليستقي، فوافق قدوم هلال بإبله يوم وروده، وكان إنما يقدُمها في الأيام، فلما نظر هلال الى ابن جريّ ذكر ما كان بينه وبينه، ولم يعلم باستجارته بمعاذ بن جعدة، فطلب شيئاً يضربه به فلم يجده، فانتزع المِحْورَ[٢] من السّانية فعلاه به ضربةً على رأسه فصُرع وقِيذاً[٣]، وقيل: قتل هلالُ بن الأسعر جارَ معاذ بن جعدة! فلما سمع ذلك هلال تخوّف بني جعدة الرِّزاميّين، وهم بنو عمّه، فأتى راحلته ليركبها. قال هلال: فأتتني خَوْلة بنت يزيد بن ثابت أخي بني جَعْدة بن ثابت، وهي جَدّةُ أبي السفّاح زهيرِ بن عبد الله بن مالك أمّ ابيه، فتعلّقتْ بثوب هلال، ثم قالت: أيْ عدوّ الله قتلتَ جارنا! والله لا تُفارقني حتى يأتيَك رجالنا! قال هلال:

(١) الخمش: الخدش في الوجه، وقد يستعمل للخدش في سائر الجسد.
(٢) المحور: الحديدة التي تجمع بين الخطاف والبكرة. والسانية: الدلو العظيمة مع أدواتها.
(٣) الوقيذ: الدنف الذي أشفى على الموت.

والمحورُ في يدي لم أضعه ؛ قال : فهممتُ أن أعلوَ به رأسَ خولةَ ، ثم قلتُ في نفسي : عجوزٌ لها سِنٌّ وقرابةٌ ! قال : فضربتُها برجلي ضربــةً رميتُ بها من بعيدٍ، ثم أتيتُ ناقتي فأركبها ثم أضربها هارباً . وجاء مُعاذ بنُ جعدة وإخوته — وهم يومئذ تسعة إخوة — وعبد الله بن مالك زوج لبنت معاذ ويقال لها جُبيلة ، وهو مع ذلك ابن عمتهم خَولة بنت يزيد بن ثابت ، فهو معهم كأنه بعضهم ؛ فجاءوا من آخر النهار فسمِعوا الواعية[1] على الجلاني وهو دَنِفٌ لم يمتْ ، فسألوا عن تلك الواعية فأُخبروا بما كان من استجارة الجلاني بمعاذ بن جعدة وضربِ هلال له من بعد ذلك ؛ فركب الإخوةُ التسعةُ وعبدُ الله بن مالك عاشرهم ، وكانوا أمثالَ الجبال في شدّة خلقهم مع نجدتهم ، وركبوا معهم بعشرةِ غِلمةٍ لهم أشدَّ منهم خَلقاً لا يقع لأحد منهم سهم في غير موضع يريده من رَميّته ، حتى تبعوا هلالاً؛ وقد نَسَلَ[2] هلال من الهرب يومه ذلك كلّه وليلته ، فلما أصبح أمنَهم وظنّ أن قد أَبعد في الأرض ونجا منهم ؛ وتبِعوه ، فلما أصبحوا من تلك الليلة قصّوا[3] أثره ، وكان لا يخفى أثره على أحد لعظم قَدَمه ، فلحِقوه من بعد الغد ، فلما أدركوه وهم عشرون ومعهم النَّبل والقِسِيّ والسيوف والتِّرَسة[4] ، ناداهم : يا بني جعدة ، إني أنشدُكم الله ! أن أكون قتلتُ رجلاً غريباً طلبته بِترَةٍ تقتلوني وأنا ابن عمّكم ! وظنّ انّ الجلاني قد مات، ولم يكن مات إلى أن تَبِعوه وأخذوه ؛ فقال معاذ : والله لو أيقنّا أنه قد مات ما ناظرنا بكْ[5] القتلَ من ساعتنا ولكنّا تركناه ولم يمت، ولسنا نحبّ قتلك إلّا أن تمتنع منا ، ولا نُقدِم عليك حتى نعلم ما يصنع جارنا ؛ فقاتلهم وامتنع منهم ، فجعل معاذ يقول لأصحابه وغلمانه : لا تَرْموه بالنبل ولا تضربوه بالسيوف ، ولكن ارموه بالحجارة واضربوه بالعصيّ حتى تأخذوه ؛ ففعلوا

(١) الواعية : الصراخ على الميت .

(٢) نسل : أسرع في سيره .

(٣) قص أثره قصا وقصصاً : تتبعه .

(٤) الترسة : جمع ترس ، وهو صفيحة من الفولاذ مستديرة تحمل للوقاية من السيف .

(٥) ما ناظرنا بك القتل : ما أخرناه .

ذلك، فما قَدَروا على أخذه حتى كسروا من إحدى يديه ثلاث أصابع ومن الأخرى إصبعين ، ودقّوا ضلعين من أضلاعه وأكثروا الشّجاج في رأسه ، ثم أخذوه وما كادوا يقدرون على أخذه، فوضعوا في رجله أدهم[1] ، ثم جاءوا به وهو معروض على بعير حتى انتهوا به الى الوَقبى فدفعوه الى الجلّاني ولم يمت بعدُ، فقالوا: انطلقوا بـه معكم الى بلادكم ولا تحدثوا في أمره شيئاً حتى تنظروا ما يُصنع بصاحبكم ، فإن مات فاقتلوه وإن حيي فأعلمونا حتى نحمل لكم أرش[2] الجناية . فقال الجلّانيون : وَفَتْ ذمتكم يا بني جعدة ، وجزاكم الله أفضل ما يجزي به خيارَ الجيران ، إنا نتخوّف أن ينتزعه منّا قومكم إن خلّيتم عنا وعنهم وهو في أيدينا ؛ فقال لهم مُعاذ : فإني أحمله معكم وأشيّعكم حتى تَرِدوا بلادكم، ففعلوا ذلك، فحُمل معروضاً على بعير وركبتْ أخته جماء بنت الأسعر معه، وجعل يقول : قتلتني بنو جعدة ! وتأتيه أخته بمغرة[3] فيشربها فيقال : يُمشي[4] بالدّم، لأن بني جعدة فرَثوا[5] كبده في جوفه . فلما بلغوا أدنى بلاد بكر بن وائل قال الجلّانيّون لمعاذ وأصحابه : أدام الله عزّكم، قد وفيتم فانصرفوا . وجعل هلال يُريهم انه يمشي في الليلة عشرين مرّة . فلما ثقل الجلّانيّ وتخوّف هلال أن يموت من ليلته أو يصبحَ ميّتاً ، تبرّز هلال كما كان يصنع وفي رجله الأدهم كأنه يقضي حاجةً ، ووضع كساءه على عصاه في ليلة ظلماء ، ثم اعتمد على الأدهم فحطمه، ثم طار تحت ليلته على رجليه، وكان أدلّ الناس فتنكب الطريق التي تُعرف ويُطلب فيها وجعل يسلك المسالك التي لا يُطمع فيها، حتى انتهى الى رجل من بني أثاثة بن مازِن يقال له السِعر بن يزيد ابن طلق بن جُبيلة بن أثاثة بن مازِن ، فحمله السِعر على ناقة له يقال لها ملوة ، فركبها ثم تجنّب بها الطريقَ فأخذ نحو بلاد قيس بن عيلان ، تخوّفاً من بني مازن

---

(١) الأدهم : القيد .

(٢) الأرش : دية الجراحات .

(٣) المغرة (بالفتح وبالتحريك) : طين أحمر يصبغ به .

(٤) أمشى الرجل : استطلق بطنه من دواء تناوله .

(٥) فرثوا كبده : ضربوها وهو حيّ .

أن يتبعوه أيضاً فيأخذوه ، فسار ثلاثَ ليال وأيامَها حتّى نزل اليوم الرابع ، فنحر الناقة فأكل لحمها كلّه إلا فضلةً فضلت منها فاحتملها ، ثم أتى بلادَ اليمن فوقع بها ، فلبث زماناً وذلك عند مُقام الحجاج بالعراق ، فبلغ إفلاتُه مَن بالبصرة من بَكر بن وائل ، فانطلقوا الى الحجاج فاستعدَوْه وأخبروه بقتله صاحبهم ؛ فبعث الحجاج الى عبد الله بن شُعبة بن العَلقم ، وهو يومئذٍ عَريف بني مازن حاضرتهم وباديتهم ، فقال له : لتأتيني بهلال أو لأفعلنَّ بك ولأفعلن ؛ فقال له عبد الله بن شُعبة : إن أصحاب هلال وبني عمّه قد صنَعوا كذا وكذا : فاقتصَّ عليه ما صنعوا في طلبه وأخذِه ودفعه الى الجِلاَنيّين وتَشييعهم إيّاه حتى ورَدوا بلادَ بَكر بن وائل ؛ فقال له الحجّاج : ويلك ! ما تقول ؟ قال فقال بعض البَكريّين : صدَق ، أصلحَ الله الأميرَ ؛ قال فقال الحجّاج : فلا يُرغم الله إلا أنوفَكم ، إشهدوا أني قد آمنتُ كلَّ قريب لهلال وحَميم وعَريف ومنعتُ من أخذ أحدٍ به ومن طلبه حتّى يظفَر به البَكريّون أو يموت قبل ذلك . فلما وقع هلال الى بلاد اليمن بعث الى بني رِزام بن مازن بشعر يعاتبهم فيه ويُعظِّم عليهم حقَّه ويذكر قرابته ، وذلك أنّ سائر بني مازن قاموا ليحملوا ذلك الدّم ، فقال معاذ : لا أرضى والله أن يُحمل لجاري دمٌ واحد حتى يُحمَل له دمٌ ولجواري دمٌ آخر ، وإن اراد هلال الأمان وَسْطَنا حُمل له دم ثالث ؛ فقال هلال في ذلك :

بَني مازنٍ لا تطردوني فإنّني ... أخوكم وإن جرّتْ جرائرُها[1] يدي
ولا تُثلِجوا أكبادَ بكر بن وائلٍ ... بترك أخيكم كالخليع المُطرَّدِ
ولا تجعلوا حِفظي بظَهرٍ وتحفَظوا ... بعيداً ببغضاء يروح ويغتدي
فإنّ القريب حيثُ كان قريبكم ... وكيف بقطع الكفِّ من سائر اليدِ
وإن البعيد إن دنا فهو جاركم ... وإن شطَّ عنكم فهو أبعدُ أبعدِ
وإني وإن أوجدتموني[2] لحافظ ... لكم حفظَ راض عنكمُ غيرِ مُوجَدِ

(١) الجرائر : جمع جريرة وهي الذنب والجناية .

(٢) أوجدتموني : أغضبتموني ، من وجد يجد وجداً وجدة وموجدة اذا غضب . وتعدية الفعل بالهمزة في مثل هذا قياسية على المختار . ويروى : « أوحدتموني » بالحاء ، أي جعلتموني وحيداً منفرداً .

سيَحْمي حِمامُ بي وإن كنتُ غائباً — أغرُّ اذا ما رِيــع لم يتبلَّدِ
وتعلم بكر أنكم حيثُ كنتمُ — وكُنتُ من الأرض الغريبة مُحتدي
وأني ثقيلٌ حيثُ كنتُ على العِدا — وأني وإن أوحدتُ لستُ بأوحدِ
وأنهمُ لمــاَّ أرادوا هَضيمتي — مُنُوا[1] بجميع القلب عَضبٍ مُهنَّدِ
حُسامٍ متى يعزمْ على الأمرِ يأتهِ — ولم يتوقَّف للعواقب في غــدِ
وهم بَدأوا بالبَغي حتى إذا جُزوا — بأفعالهم قالوا لجازيهمُ قَــدِ[2]
فلم يَكُ منهم في البديهة[3] مُنصِفٌ — ولم يكُ فيهم في العواقب مُهتدي
ولم يفعَلوا فعلَ الحليم فيُجْمِلوا — ولم يفعلوا فعلَ العزيزِ المؤيَّــدِ
فإن يَسْرِ لي إيعادُ بَكرٍ فربَّما — مَنَعتُ الكرى بالغيظِ من مُتوعِدِ
ورُبَّ حِمى قوم أبحتُ ومَوردٍ — وردتُ بفتيان الصباح وموردِ
وسَجْفِ دُجُوجيٍّ من الليل حالكٍ — رفعتُ بعَجْلى الرِّجل مَوّارةِ اليدِ[4]
سفينةِ خوّاضٍ بُحورَ هُمومــه — قليل التلبّاث[5] العزم عند التردّدِ
جَسور على الأمر المهيب إذا ونَى — أخو الفتكِ ركّابٍ قَرى[6] المتهدّدِ

وقال وهو بأرض اليمن :

أقول وقد جاوزتُ نُعمى وناقتي — تَحِنُّ الى جَنْبَيْ فُلَيجٍ مع الفَجْرِ
سقى الله يا ناقَ البلادَ التي بهــا — هواكِ، وإن عنّا نأتْ، سَبَلَ[7] القَطْرِ
فما عن قِلىً منّا لها خَفَّتِ النّوى — بنا عن مَراعيها وكُثْبانها العُفْرِ
ولـكنَّ صرفَ الدّهر فرّق بيننا — وبين الأداني، والفتى غرضُ الدّهرِ

---

(١) منوا : ابتلوا .

(٢) قد : اسم فعل بمعنى يكفي .

(٣) البديهة : أول الشيء .

(٤) يريد بموّارة اليد : الناقة : أي ان يدها كثيرة التردد في عرض جنبها ، يعني أنهــا سهلة السير سريعته .

(٥) الالتياث : الإبطاء .

(٦) القرى (بالتحريك) : الظهر ، وقيل : وسطه .

(٧) السبل : المطر النازل من السحاب قبل أن يصل الى الأرض .

فسَقْياً لصحراء الإهالة[١] مَرْبعاً ... وللوَقبى من مَنزلٍ دَمِثٍ[٢] مُثْري
وَسقْياً ورَعياً حيث حلّتْ مازنٌ ... وأيامِها الغُرّ المحجّلة الزُّهرِ

قال خالدُ بنُ كلثوم: ولما دُفِعَ هلالٌ الى أولياء الجلاني ليقتلوه بصاحبهم جاء رجل يقال له: حُفيدٌ كان هلال قد وتَره فقال: والله لأؤنّبنّه ولأُصغِرنّ اليه نفسَه وهو في القيود مَصْبور[٣] للقتل، فأتاه فلم يَدعْ له شيئاً مما يكره إلا عدَّه عليه. قال: والى جنب هلالٍ حجر يملأ الكفَّ، فأخذه هلالٌ فأهوى به للرجل فأصاب جبينَه فاجتلف[٤] جُلفةً من وجهه ورأسه، ثم رمى بها وقال: خذ القصاص منّي الآن، وأنشأ يقول:

أنا ضربتُ كرباً وزيدا ... وثابتاً مشّيتُهم رُوَيدا
كما أقدتُ حينَه عُبيدا ... وقد ضربتُ بعده حُفيدا

قال: وهؤلاء كلُّهم من بني رِزام بن مازن، وكلُّهم كان هلالٌ قد نكأ فيهم[٥].

ادى عنه ديسم الدية لبني جلان فمدحه:

قال خالدُ بن كلثوم: ولما طال مُقامُ هلالٍ باليمن نهضَت بنو مازن بأجمعهم الى بني رزام بن مازن رهْط هلال ورهط مُعاذ بن جَعدة جارِ الجلاني المقتول، فقالوا: إنكم قد أسأتم بابن عمكم وجُزتم الحدَّ في الطلب بدم جاركم، فنحن نحملُ لكم ما أردتم، فحمل دَيسَمُ بنُ المِنهالِ بن خُزَيمةَ بن شِهاب بن أثاثة بن ضِباب بن حُجيّة بن كابيةَ بن حُرقوص بن مازن الذي طلب معاذُ بن جعدة أن

(١) صحراء الإهالة: موضع ذكره ياقوت.
(٢) دمث: سهل لين. ومثر: كثير الثرى خصب.
(٣) المصبور: المحبوس للقتل.
(٤) اجتلف منه جلفة: بضع من لحمه بضعة.
(٥) نكأ فيهم: قتل فيهم وجرح وأثخن.

يُحمل جاره، لفضل عزّه وموضعه في عشيرته، وكان الذي طلب ثلثمائــةِ بعيرٍ؛ فقال هلال في ذلك:

إن ابن كابِيَةَ المرزّأ[1] دَيْسماً ... واري الزنادِ بعيدُ ضوء النارِ
من كان يحملُ ما تحمّل ديسمٌ ... من حائلٍ فُنُقٍ[2] وأمِّ حُوارِ
عَيّت[3] بنو عمرو بحمل هنائدٍ ... فيها العِشار[4] مَلَابِئ الأبكارِ
حتى تلافاها كريمٌ سابــقٌ ... بالخير حلّ منازل الأخيارِ
حتى إذا وردت جميعاً أرزمت[5] ... جَلّانَ بعد تَشَمّسٍ ونِفارِ
تَرعى بصحراء[6] الإهالة رَوْبَةً[7] ... والعُنظُوان[8] منابتَ الجرجارِ[9]

وقال خالد بن كلثوم: كان قُبيرُ بن سَعْد مُصَدِّقاً على بكر بن وائل، فوجد منهم رجلاً قد سرق صدقته، فأخذه قُبير ليحبسه، فوثب قومُه وأرادوا أن يَحولوا بين قُبيرٍ وبينه وهلالٌ حاضرٌ، فلما رأى ذلك هلالٌ وثب على البكريّين فجعل يأخذ الرجلين منهم فيكنُفُهما[10] ويناطِح بين رؤوسهما، فانتهى الى قُبيرٍ أعوانه فقهروا البكريّين؛ فقال هلال في ذلك:

---

(١) المرزأ: الكريم الذي يصاب في ماله كثيراً.

(٢) الفنق بضمتين: الناقة الفتية السمينة. والحوار بالضم ويكسر: الفصيل.

(٣) يظهر انه جمع هنيدة وهي المائة من الإبل. والذي في اللسان وشرح القاموس: أن هنيدة مائة من الإبل معرفة لا تنصرف ولا يدخلها الألف واللام ولا تجمع ولا واحد لها من جنسها. وفي الأساس: «وأعطاه هنيدة: مائة من الإبل، وهنداً: مائتين».

(٤) العشار: جمع عشراء بضم العين وفتح الشين كنفساء ونفاس ولا ثالث لهما، والعشراء: الناقة التي أتى عليها عشرة أشهر من نتاجها. ويقال عشار ملابئ اذا دنا نتاجها.

(٥) أرزمت الناقة: حنت الى ولدها. وفي المثل: «لا أفعله ما أرزمت أم حائل».

(٦) صحراء الإهالة: اسم موضع ذكره ياقوت ولم يعينه واستشهد بشعر لهلال بن الأسعر.

(٧) الروبة: مكرمة من الأرض كثيرة النبات والشجر وهي أبقى الأرض كلأ.

(٨) العنظوان: ضرب من النبات اذا أكثر منه البعير وجع بطنه.

(٩) الجرجار: نبت طيب الريح.

(١٠) يكنفها: يضمها.

دعاني قُمَيرٌ دَعْوةً فأجبتُه فأيُّ امرىءٍ في الحرب حين دَعاني
معي مِخْذَمٌ قد أخلصَ القَيْنُ حدَّه يُخَفِّضُ عند الرَّوْعِ رَوْعَ جَناني
وما زِلتُ مذ شَدَّتْ يميني حُجْزَتي[1] أحارِبُ أو في ظِلِّ حربٍ[2] تراني

أخبرني محمد بن عِمْرانَ الصَّيْرفيّ قال حدّثنا الحسنُ بنُ عُلَيلٍ العَنَزيّ قال حدّثنا حَكيم بن سعد عن زُفَرَ بن هبيرةَ قال :

حبسه :

تَقاوَمَ هلالُ بنُ أسعر المازني ، وهو أحد بني رِزام بن مازن ، ونُهيسٌ الجَلّاني من عنزة وهما يسقيان إبلهما ، فخذف[3] هلالٌ نُهيساً بمحورٍ في يده فأصابه فمات ، فاستعدى ولدُه بلالَ بن أبي بُردة على هلالٍ فحبسه فأسلمه قومُه بنو رِزام وعمل في أمره دَيسمُ بن المنهـال أحدُ بني كابيةَ بنِ حُرقوص فافتكه بثلاث ديات ، فقال هلال يمدحه :

تدراكَ دَيسمٌ حسباً ومجداً رزاماً بعد ما انشقت عَصاها
هُمو حملوا المئـينَ فألحقوها بأهليهـا فكان لهم سَناها
وما كانت لتحمِلَهـا رِزامٌ بأستاهٍ مُعَقَّصةٍ لِحـاها
بكابيةَ بن حُرقوصٍ وجدٍّ كـريمٍ لا فتى إلا فَتاها

(١) الحجزة : معقد الإزار .

(٢) لم يقع في هذا البيت ما يسمى في العروض بالاعتماد . والاعتماد : سقوط الخامس من فعولن التي قبل القافية . وإثبات هذا الساكن فيما يكون ضربه محذوفاً كما في هذا الشعر لم يقع إلا على قبح ، ولم يأت في الشعر إلا شاذاً قليلاً ، ومنه ما أنشده الخليل :

أقيموا بني النعمان عنا صدوركم وإلا تقيموا صاغرين الرؤوسا

وقول امرىء القيس :

أعني عـلى برق أراه وميض بضيء حُبياً في شمـاريخ بيض
وتخرج منه لامعـات كأنها أكف تلقى الفوز عند المفيض

(٣) خذف بالحصاة والنواة ونحوهما : رمى بها بين سبابتيه أو بمخذفة من خشب . ولعل المحور كان في يد هلال لقوته أشبه بالنواة .

نهمه وكثرة اكله :

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار وأحمد بن عبد العزيز الجَوْهري قالا حدّثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي قال حدّثني نصر بن عليّ الجَهْضَميّ قال حدّثنا الأصمعيّ، وأخبرني أبو عبيد محمد بن أحمد بن المؤمل الصَّيْرفيّ قال حدّثنا فضل بن الحسن قال حدّثنا نصر بن عليّ عن الأصمعيّ قال حدّثنا المُعْتَمِر بن سُليمان قال :

قلت لهلال بن أسْعَر : ما أكْلةٌ أكلتها بلغتني عنك ؟ قال : جُعتُ مرّةً ومعي بعيري فنحرتُه وأكلته إلا ما حملتُ منه على ظهري ، قال أبو عبيد في حديثه عن فضل : ثم أردتُ امرأتي فلم أقدر على جماعها ؛ فقالت لي : وَيْحَك ! كيف تصل إليّ وبيني وبينك بعيرٌ ! قال المعتمر : فقلت له : كم تكفيك هذه الأكلة ؟ قال : أربعةَ أيام . وحدّثني به ابن عَمّار قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني أحمد ابن مُعاوية عن الأصمعيّ عن مُعْتمر بن سليمان عن أبيه قال : قلت لهلال بن الأسْعَر — هكذا قال ابن أبي سعد : معتمر عن أبيه وقال في خبره : فقلت له — كم تكفيك هذه الأكلة ؟ فقال : خَمْساً .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي قال حدّثنا نصر بن عليّ قال حدّثني الأصمعيّ قال حدّثني شيخ من بني مازن قال :

أتانا هلال بن أسعر المازنيّ فأكل جميعَ ما في بيتنا ، فبعثنا الى الجيران نقترض الخبز فلما رأى الخبز قد اختلف عليه قال : كأنكم أرسلتم الى الجيران ، أعندكم سَويقٌ(١) ، قلنا : نعم ، فجئتُه بجراب طويل فيه سَويقٌ وببَرْنيّةٍ(٢) نبيذٍ ، فصبّ السّويقَ كلّه وصبّ عليه النبيذَ حتى أتى على السّويق والنبيذ كله .

---

(١) السويق : دقيق الحنطة والشعير .

(٢) البرنية : إناء من خزف .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ :

أن هلالَ بن أسعر مرّ على رجل من بني مازن بالبصرة وقد حمل من بستانه رُطباً في زَواريقَ[١] ، فجلس على زَورقٍ صغيرٍ منها وقد كُثِبَ[٢] الرطبُ فيه وغُطِّيَ بالبَواري[٣] ؛ قال له: يأبن عمّ آكُلُ من رُطبك هذا؟ قال: نعم؛ قال: ما يكفيني؟ قال : ما يكفيك ؛ فجلس على صدر الزورقِ وجعل يأكل الى أن اكتفى ، ثم قام فانصرف ، فكُشِفَ الزورقُ فاذا هو مملوء نوًى قد أكلَ رُطبَه وألقى النوى به .

قال المدائنيّ وحدّثني مَنْ سأله عن أعجبِ شيء أكله ، فقال : مائتي رغيف مع مَكُّوكِ[٤] ملح .

أخبرني أحمدُ بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدّثنا عبد الله بن أبي سَعْد قال حدّثني الحسن بن علي بن منصور الأهوازيّ ، وكان كَهْلاً سَرِيّاً مُعدَّلا ، قال حدّثني شبان النَّبليّ عن صَدَقة بن عُبيد المازنيّ قال :

أولمْ عليّ أبي لما تزوّجت فعملنا عشر جِفانٍ ثَريداً من جَزورٍ . فكان أوّل من جاءنا هلال بن أسعر المازنيّ ، فقدّمنا اليه جَفنةً فأكلها ثم أخرى ثم أخرى

(١) زواريق : جمع زورق . أشبع الكسرة فتولدت منها ياء كما جاء في قوله :
تنفي يداها الحصى في كل هاجرة   نفي الدراهيم تنقاد الصياريف
ومنه للمتنبي :
أفدى ظبـــاء فلاة ما عرفن بها   مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب
(٢) معناه جُمِع .
(٣) البواري : الحصر المنسوجة من القصب .
(٤) المكوك : مكيال يسع صاعاً ونصف صاع .
(٥) أولم عليّ أبي : عمل لي وليمة زواجي .

حتى أتى على العشر، ثم أستسقى فأُتِيَ بِقربة نبيذ فوضع طرفها في شِدقه ففرّغها في جوفه ثم قام فخرج؛ فاستأنفنا عملَ الطعام.

طوله :

أخبرني الجوهريّ قال حدّثنا إسماعيل بن إسحاق قال حدّثنا نصر بن عليّ عن الأصمعيّ قال: حدّثني أبو عمرو بن العلاء قال: رأيت هلال بن أسعر ميتاً ولم أره حيّاً، فما رأيت أحداً على سرير اطول منه.

غنى مخارق الرشيد فاعتقه :

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني محمد بن يزيد قال حدّثني بعض حاشية السلطان قال:

غنّى إبراهيمُ الموصليّ الرشيد يوماً:

يا ربعَ سلمى لقد هيّجتَ لي طرباً   زِدتَ الفؤاد على علّاته وَصَباً

— قال: والصنعة فيه لرجل من أهل الكوفة يُقال له عَزّون — فأُعجب به الرشيد وطرب له واستعاده مراراً؛ فقال له الموصليّ: يا أمير المؤمنين فكيف لو سمعته من عبدك مُخارق، فإنه اخذه عنّي وهو يفضلُ فيه الخلق جميعاً ويفضُلني، فأمر باحضار مُخارق، فاحضِر فقال له غنّني:

يا ربعَ سلمى لقد هيّجتَ لي طربا   زدت الفؤاد على عِلّاته وصبا

فغنّاه إياه؛ فبكى وقال: سَلْ حاجتك! قال مخارق: فقلتُ: تُعتقُني يا أمير المؤمنين من الرقّ وتُشرّفني بولائك، أعتقك الله من النار؛ قال: أنتَ حرّ لوجه الله، أَعِدِ الصوتَ؛ قال: فأعدتُه، فبكى وقال: سل حاجتك، فقلت: يا أمير المؤمنين ضَيعةٌ تُقيمُني غلّتها؛ فقال: قد أمرتُ لك بها، أَعِدِ الصوتَ؛ فأعدته

فبكى وقال : سل حاجتك ؛ فقلت : يأمر لي أميرُ المؤمنين بمنزلٍ وفرشه وما يُصلِحه وخادمٍ فيه ؛ قال : ذلك لك، أعِدْه ؛ فأعدتُه فبكى وقال : سل حاجتك ؛ قلتُ : حاجتي يا أمير المؤمنين أن يُطيل الله بقاءك ويُديم عزّك ويجعلني من كل سوء فداءك ؛ قال فكان إبراهيم الموصليّ سببَ عتقه بهذا الصوت .

أخبرني بهذا الخبر محمد بن خلف وَكيعٌ قال حدّثني هارون بن مُخارق، وحدّثني به الصُّوليّ أيضاً عن وكيع عن هارون بن مُخارق قال :

كان أبي اذا غنّى هذا الصوت :

يا ربعَ سلمى لقد هيجت لي طربا زدت الفؤاد على عِلّاته وصبا

يقول : أنا مولى هذا الصوت ؛ فقلت له يوماً : يا أبت، وكيف ذلك ؟ فقال : غنّيتُه مولاي الرشيد فبكى وقال : أحسنتَ، أعِد فأعدتُ ؛ فبكى وقال : أحسنت! أنت حرّ لوجه الله وأمر لي بخمسة آلاف دينار، فأنا مولى هذا الصوت بعد مولاي، وذكر قريباً مما ذكره المبرّد من باقي الخبر .

حدّثني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن أبي الدُّنيا قال حدثني إسحاق النَّخَعيّ عن حُسين بن الضَّحّاك عن مُخارِق :

أن الرشيد أقبل يوماً على المغنّين وهو مضطجع، فقال : مَن منكم يُغنّي :

يا ربعَ سلمى لقد هيَّجتَ لي طربا زدتَ الفؤاد على عِلّاته وصبا

قال : فقمت فقلت : أنا، فقال : هاته ؛ فغنّيتهُ فطرب وشرب، ثم قال : عليَّ بهَرْثَمة، فقلتُ في نفسي : ما تُراه يريد منه ! فجاءوا بهرثمة فأُدخِلَ اليه وهو يَجرّ سيفه، فقال : يا هرثمة، مُخارق الشاري الذي قتلناه بناحية الموصل ما كانت كنيته ؟ فقال : أبو المهنأ ؛ فقال : انصرف فانصرف ؛ ثم أقبل عليّ فقال : قد كنيتك أبا المهنأ لإحسانك، وأمر لي بمائة الف درهم، فانصرفتُ بها وبالكنية .

صوت

من المائة المختارة من رواية جَحْظة عن أصحابه

وخِلٍّ كنتُ عينَ الرُّشْد منه اذا نظرتْ ومستمِعاً سَميعا
أطاف بِغَيِّه فعدلتُ عنه وقلت له أرى أمراً فظيعا

الشعر لِعرْوة بن الوَرْد ، والغناء في اللحن المختار لِسياط ثاني ثقيل بالبِنْصر عن عمرو بن بانة . وفيه لإبراهيم ماخوريّ بالوُسطى عن عمرو أيضاً .

اخبار عروة بن الورد ونسبه

عُرْوةُ بن الوَرْد بن زيد، وقيل: ابن عمرو بن زيد بن عبد الله بن ناشِب بن هريم بن لُدَيم بن عوذ بن غالب بن قُطَيعة بن عَبْس بن بَغيض بن الرَّيْث ابن غَطَفان بن سعد بن قَيس بن عِيلان بن مُضَر بن نِزار، شاعرٌ من شعراء الجاهلية وفارس من فُرْسانها وصُعْلوكٌ[1] من صَعاليكها المعدودين المقدَّمين الأجواد. وكان يُلقَّب عروةَ الصعاليك لجَمْعه إياهم وقيامه بأمرهم اذا أخفقوا في غزواتهم ولم يكن لهم معاشٌ ولا مَغزًى، وقيل: بل لُقِّبَ عُروةَ الصعاليك لقوله:

لَحى اللهُ صعلوكاً اذا جَنَّ ليلُه مُصافي المُشاشِ[2] آلِفاً كلَّ مَجزِرِ
يَعُدُّ الغِنى من دهره كلَّ ليلةٍ أصابَ قِراها من صَديقٍ مُيسِّرِ[3]
ولله صُعلوكٌ صفيحةُ وجهه كضوء شهابِ القابِس المتنوّرِ

شرفه:

أَخبرني احمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدَّثنا عمر بن شَبَّة قال بلغني أن معاوية قال:

لو كان لعُرْوة بن الوَرْدِ وَلَدٌ لأحببتُ ان أتزوّجَ اليهم.

---

(١) الصعلوك: الفقير الذي لا مال له، وصعاليك العرب: لصوصها وفقراؤها.
(٢) المشاش: كل عظم هش دسم واحدته مشاشة.
(٣) يسر الرجل: سهلت ولادة إبله وغنمه ولم يعطب منها شيء.

أخبرني محمد بن خَلف قال حدّثنا أحمد بن الهَيثم بن فِراس قال حدّثني العُمريّ عن الهَيثم بن عَديّ، وحدّثنا إبراهيمُ بن أيوبَ عن عبد الله بن مُسلم قالا جميعاً:

قال عبد الملك بن مَرْوان: ما يَسُرّني أنّ احداً من العرب وَلَدني ممّن لم يلدني إلا عُرْوة بن الورد لقوله:

إنّي آمروٌ عافي إنائيَ شِركةٌ وأنت آمروٌ عافي إنائك واحدُ
أتهزأ منّي أن سمِنتَ وأن ترى بجسمي مَسّ الحقّ والحقُّ جاهِدُ
أفرّقُ جِسْمي في جسوم كثيرةٍ وأحسو قَراحَ الماء والماءُ باردُ

اقوال الثناء فيه:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثني عمر بن شبّة قال:

بلغني ان عمر بن الخطّاب رضي الله عنه قال للحطيئة: كيف كنتم في حربكم؟ قال: كنّا الفَ حازم، قال: وكيف؟ قال: كان فينا قيس بن زُهير وكان حازماً وكنّا لا نَعصيه، وكنّا نُقْدم إقدام عنترة، ونأتمّ بشعر عُرْوة بن الوَرْد، وننقاد لأمرِ الرّبيع بن زياد.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبة قال:

ويقال: إن عبد الملك قال: من زعم أن حاتماً أسمَح الناس فقد ظلم عُرْوةَ آبن الورد.

اخبرني احمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال اخبرنا إبراهيم بن المُنْذر قال حدّثنا مَعْن بن عيسى قال:

سمعت ان عبد الله بن جعفر بن ابي طالب قال لمعلّم ولده: لا تُرَوِّهم قصيدة عُرْوة بن الوَرْد التي يقول فيها:

دَعِيني للغِنى أَسعى فإني رأيتُ الناسَ شرُّهمُ الفقيرُ

ويقول: إن هذا يدعوهم الى الاغتراب عن اوطانهم .

مع فتاته :

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني محمد بن يحيي قال حدّثني عبد العزيز بن عمران الزّهريّ عن عامر بن جابر قال :

أغار عُرْوة بن الوَرْد على مُزَينة فأصاب منهم امرأةً من كِنانة ناكِحاً ، فاستاقها ورجع وهو يقول:

تَبَغّ عَدِيّاً حيث حَلَّتْ ديارَها وأبناءَ عَوفٍ في القُرون الأوائلِ
فَإلّا أَنَلْ أَوْساً فإنّي حَسْبُها بِمُنْبَطِحِ الأَدغال[1] من ذي السلائلِ[2]

ثم أقبل سائراً حتى نزل ببني النَّضير ، فلما رأوها أعجبتهم فسَقَوه الخمر، ثم استوهبوها منه فوهبها لهم ، وكان لا يَمسُّ النساء ، فلما أصبح وصحا نَدِم فقال :

سَقَوني الخمرَ ثم تكنّفوني

الأبيات . قال: وَجلاها النبيُّ صلى الله عليه وسلّم مع مَن جلا من بني النَّضير .

وذكر أبو عمرو الشَّيبانيّ من خبر عُرْوةَ بن الوَرد وسَلمى هذه أنه أصاب امرأةً من بني كنانة بكراً يقال لها سلمى وتُكنى أمّ وهب ، فأعتقها واتّخذها لنفسه، فمكثتْ عنده بِضع عشرة سنة وولدت له أولاداً وهو لا يشكّ في انها أرغب الناس فيه ، وهي تقول له : لو حَججتَ بي فأَمُر على أهلي وأراهم ! فحج بها، فأتى

(١) الأدغال : جمع دغل، وله معانٍ كثيرة أنسبها هنا الوادي أو المنخفض من الأرض .
(٢) ذو السلائل : وادٍ بين الفرع والمدينة .

مكة ثم أتى المدينة ، وكان يخالط من أهل يثرب بني النضير فيُقرضونه إن احتاج ويُبايعُهم[١] اذا غنم ، وكان قومُها يخالطون بني النضير ، فأتوهم وهو عندهم ؛ فقالت لهم سلمى : إنه خارجٌ بي قبل ان يخرُج الشهرُ الحرام ، فتعالَوا اليه وأخبروه أنكم تستحيُون أن تكون امرأةٌ منكم معروفةُ النسب صحيحته سَبيّةً ، وافتدوني منه فإنه لا يرى أني أفارقه ولا أختار عليه احداً ، فأتوه فسقوه الشراب فلماَّ ثمِل قالوا له : فَادِنا بصاحبتنا فإنها وَسيطةُ[٢] النسب فينا معروفةٌ ، وإن علينا سُبّةً أن تكون سبيّةً ، فإذا صارت الينا وأردتَ معاودتها فاخطُبها الينا فإننا نُنكِحُكَ ؛ فقال لهم : ذاك لكم ، ولكن ليَ الشرطُ فيها أن تُخيّروها ، فإن اختارتْني انطلقتْ معي الى ولدها وإن اختارتكم انطلقتم بها ؛ قالوا : ذاك لك ؛ قال : دعُوني أَلَهُ بها الليلة وأُفادها غداً ، فلما كان الغدُ جاءوه فامتنع من فِدائها ؛ فقالوا له : قد فاديتنا بها منذُ البارحةِ ، وشهد عليه بذلك جماعةٌ ممن حضر ، فلم يقدر على الامتناع وفاداها ، فلما فادَوْه بها خيّروها فاختارت أهلها ، ثم أقبلتْ عليه فقالت : يا عُروة أمَا إني أقول فيك وإن فارقتُك الحقّ : والله ما اعلم امرأةً من العرب ألقتْ سِترها على بعلٍ خيرٍ منك وأغضّ طرفاً وأقل فُحشاً وأجودَ يداً وأحمى لحقيقةٍ[٣] ؛ وما مرّ عليّ يومٌ منذ كنتُ عندك إلا والموت فيه أحبُّ إليّ من الحياة بين قومك ، لأني لم اكن اشاء أن اسمعَ امرأةً من قومك تقول: قالت أمةُ عروةَ كذا وكذا إلا سمعته ؛ ووالله لا انظر في وجهِ غطفانيّةٍ أبداً ، فارجع راشداً الى ولدك وأحسِن اليهم . فقال عروةُ في ذلك :

سَقَوني الخمرَ ثم تكنّفوني

واوّلها :

(١) ويبايعهم : يعقد معهم البيع .

(٢) وسيطة النسب : حسيبة في قومها كريمة .

(٣) الحقيقة : ما يجب على الرجل أن يحميه وما لزمه الدفاع عنه من أهل بيته .

أَرِقتُ وصُحْبتي بمضيقِ عُمْقٍ[١] لبرقٍ من تِهامـةَ مُستطيرِ
سَقى سَلمى واين ديارُ سلمى اذا كانت مُجاوِرةَ السَّريرِ[٢]
إذا حلَّتْ بأرض بني علـيٍّ واهلي بين إِمَّرةٍ[٣] وكيرِ
ذكرتُ منازلًا من أمّ وهبٍ محلَّ الحيِّ اسفلَ من نَقـيرِ[٤]
وأَحدَثُ معهدٍ من أمّ وهبٍ مُعرَّسُنا بـدار بني النَّضيرِ
وقالوا مـا تشاء؛ فقلتُ أَلْهو الى الإصباح آثِرَ ذي أَثـيري[٥]
بآنسةِ الحديثِ رُضابُ فيها بُعيدَ النوم كالعِنَبِ العَصيرِ

وأخبرني عليُّ بن سُليمان الأخفش عن ثَعلب عن ابن الأعرابيّ بهذه الحكاية كما ذكر ابو عمرو، وقال فيها: إنّ قومَها أغلَوْا بها الفداء، وكان معه طَلْقُ وجُبار اخوه وابن عمه، فقالا له: والله لئن قبِلتَ ما اعطوك لا تفتقر ابداً، وانتَ على النساء قادر متى شئتَ، وكان قد سَكِرَ فأجاب الى فدائها، فلما صحا ندم فشهدوا عليه بالفداء فلم يقدر على الامتناع. وجاءت سَلمى تُثني عليه فقالت: والله إنك ما علمتُ لضَحُوكٌ مُقبلًا كَسوبٌ مُدبِراً خفيفٌ على متْن الفرس ثقيلٌ على العدوّ طويلُ العِماد كثير الرَّماد راضي الأهلِ والجانبِ[٦]، فاستوصِ ببنيك خيراً، ثم فارقته. فتزوّجها رجل من بني عمّها، فقال لها يوماً من الأيام: يا سلمى، أثني عليَّ كما اثنيتِ على عروة — وقد كان قولها فيه شُهِرَ — فقالت له: لا تُكلِّفني ذلك فإني إن قلتُ الحقَّ غضبتَ ولا واللّاتِ والعُزّى لا اكذب؛ فقال: عَزَمْتُ

(١) عمق: موضع قرب المدينة من بلاد مزينة.

(٢) السرير: موضع في بلاد بني كنانة.

(٣) إمرة: منزل في طريق مكة من البصرة وهو منهل.

(٤) نقير: موضع بين هجر والبصرة.

(٥) آثر ذي أثير: أول كل شيء، يقال: إفعل هذا آثرا ما وآثر ذي أثير أي قدّمه على كل عمل.

(٦) الجانب: الغريب والمراد الضيف.

عليكِ لتأتيني في مجلس قومي فَلَتُثْنِينَ عليّ بما تَعْلَمِين ، وخرج فجلس في نَديّ القوم ، واقبلتْ فرماها القومُ بأبصارهم ، فوقفَتْ عليهم وقالت : أنعِموا صباحاً ، إنّ هذا عزَم عليّ ان أثني عليه بما اعلم . ثم اقبلتْ عليه فقالت : والله إن شِمْلَتَك لَالْتِحاف ، وإنّ شُربَكَ لَاشْتِفاف[1] ، وإنك لتنامُ ليلةَ تخاضُ ، وتَشبعُ ليلة تُضافُ ، وما تُرضي الأهلَ ولا الجانبَ ، ثم انصرفتْ . فلامَه قومه وقالوا : ما كان اغناك عن هذا القولِ منها .

اكرامه الصعاليك :

اخبرني الأخفش عن ثَعلب عن ابن الأعرابيّ قال حدّثني ابو فَقْعَس قال :

كان عُرْوةُ بن الورْد اذا اصابت الناس سَنة شديدةٌ تركوا في دارهم المريض والكبير والضعيف ، وكان عروة بن الورد يجمعُ اشباه هؤلاء من دون الناس من عشيرته في الشدّة ثم يَحفرُ لهم الأسراب ويكنُفُ عليهم الكُنُفَ[2] ويكسِبُهم[3] ، ومَنْ قَويَ منهم — إما مريضٌ يبرأ من مرضه ، أو ضعيفٌ تثوب قوّته — خرج به معه فأغار ، وجعل لأصحابه الباقين في ذلك نصيباً ، حتى إذا أخصب الناس وألبَنوا وذهبتِ السَّنة ألحقَ كلّ إنسانٍ بأهله وقسم له نصيبه من غنيمةٍ إن كانوا غنموها فربما اتى الإنسانُ منهم أهله وقد استغنى ، فلذلك سُمِّي عروة الصعاليك ، فقال في ذلك بعض السنين وقد ضاقتَ حاله :

لعلّ ارتيادي[4] في البلاد وبُغيَتي وشَدّي حيازيمَ المطيَّةِ بالرَّحلِ

---

(١) الاشتفاف : شرب كل ما في الإناء .

(٢) يكنف عليهم الكنف : يتخذ لهم حظائر يؤويهم اليها ، واحدها « كنيف » .

(٣) يقال كسب لأهله : طلب المعيشة ويتعدّى بنفسه الى مفعول ثان كما هنا .

(٤) في ديوان الحماسة : لعلّ انطلاقي في البلاد ورحلتي .

سيدفعُني يوماً الى ربّ هَجْمَةٍ[١] يُدافِعُ عنها بالعُقوقِ وبالبُخلِ

في غارة :

فزعموا ان الله عز وجلّ قيّض له وهو مع قوم من هُلاّك[٢] عشيرته في شتاء شديد ناقتين دهْماوَيْن، فنحر لهم إحداهما وحمل متاعهم وضُعفاءهم على الأخرى وجعل ينتقل بهم من مكان الى مكان، وكان بين النقرة[٣] والرَّبذة[٤] فنزل بهم ما بينهما بموضع يقال له : ماوَان[٥]. ثم إن الله عزّ وجلّ قيّض له رجلاً صاحب مائةٍ من الإبل قد فرّ بها من حقوق قومه – وذلك أوّل ما ألبنَ الناسُ – فقتله وأخذ إبله وامرأته، وكانت من احسن النساء، فأتى بالإبل أصحاب الكَنيف فحلبها لهم وحملهم عليها، حتى اذا دَنَوا من عشيرتهم أقبل يَقْسِمها بينهم واخذ مثل نصيب احدهم، فقالوا : لا واللاتِ والعُزّى لا نرضى حتى تجعلَ المرأةَ نصيباً فمن شاء اخذها، فجعل يَهُمّ بأن يحمل عليهم فيقتلهم ويَنتزع الإبل منهم، ثم يذكر أنهم صنيعته وأنه إن فعل ذلك أفسد ما كان يصنع، فأفكر طويلاً ثم اجابهم الى أن يردّ عليهم الإبل إلا راحلةً يحمل عليها المرأة حتى يَلحق بأهله، فأبَوا ذلك عليه، حتى أنتدب رجل منهم فجعل له راحلةً من نصيبه؛ فقال عروةُ في ذلك قصيدته التي أوّلها :

---

(١) الهجمة من الإبل : أوّلها أربعون الى ما زادت أو ما بين السبعين الى المائة أو الى دونها فاذا بلغت المائة فهي «هنيدة» .

(٢) الهلاك : الصعاليك .

(٣) النقرة – بفتح أوله وسكون ثانيه أو بفتح أوّله وكسر ثانيه – : من منازل حاج الكوفة بين أضاخ وماوان .

(٤) الربذة : من قرى المدينة على ثلاثة أميال قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز اذا رحلت من فيد تريد مكة ، وبها قبر أبي ذر الغفاري .

(٥) ماوان : قرية في أودية العلاة من أرض اليمامة .

ألا إن أصحابَ الكَنيف وجدتُهم ... كما الناس لمَّا أمرعوا وتَموَّلوا
وإني لمدفُـوعٌ إليَّ وَلاؤهم ... بماوَانَ إذ نَمشي وإذ نَتَملمَلُ
وإنّي وإياهم كذي الأمِّ أرهنت[١] ... له ماءَ عينيهـا تُفدّي وتَحمِلُ
فباتت بحدٍّ[٢] المِرفَقين كِليهما ... تُوحوحُ ممّا نالها وتُوَلْوِلُ[٣]
تُخيَّرُ من أمرين ليسا بِغبطـةٍ ... هو الثُّكل إلا أنها قد تجمَّلُ

مع سبية :

وقال ابنُ الأعرابيِّ في هذه الرواية أيضاً : كان عُروة قد سبى أمرأة من بني هلال بن عامر بن صَعْصَعة يقال لها : ليلى بنت شعواء ، فمكثتْ عنده زماناً وهي معجِبة له تُريه أنها تحبُّه ، ثم استزارتـه أهلها فحمَلها حتى اتاهم بها ، فلمّا اراد الرّجوع أبتْ أنْ ترجع معه ، وتوعّده قومُها بالقتل فانصرف عنهم ، وأقبل عليها فقال لها : يا ليلى ، خبِّري صواحبَك عنّي كيف أنا ؛ فقالت : ما أرى لك عقلاً ! أتُراني قد اخترتُ عليك وتقول : خبِّري عنّي ! فقال في ذلك :

تحِنّ الى ليـلى بجوّ بلادها ... وأنت عليها بالمَلا[٤] كنتَ أقدرا
وكيف تُرَجّيها وقد حِيلَ دونَها ... وقد جاوزتْ حيّاً بتَيْماء مُنكرا
لعلّك يوماً ان تُسرّيَ[٥] ندامـةً ... عليّ بما جشّمتَني يوم غَضْورا[٦]

---

(١) أرهنت : أدامت .

(٢) المراد أنها باتت متكئة على مرفقيها .

(٣) بين هذا البيت والبيت الذي قبله بيت يتوقف عليه فهم الأبيات وهو :
فلما ترجت نفعه وشبابـه ... أتت دونه اخرى جديد تكحل

(٤) الملا : المتسع من الارض .

(٥) تسري : تكشف .

(٦) غضور : مدينة فيما بين المدينة الى بلاد خزاعة وكنانة ، وبهذا شرح ابن السكيت غضور في قول عروة :
عفت بعدنا من ام حسان غضور ... وفي الرمل منها آية لا تغيـر

وهي طويلة . قال : ثم إن بني عامر أخذوا امرأةً من بني عبس ثم من بني سُكين يقال لها أسماء ، فما لبثت عندهم إلا يوماً حتى استنقذها قومها ؛ فبلغ عروة أنّ عامر بن الطُّفيل فخر بذلك وذكر أخذه إياها، فقال عروة يعيّرهم[1] بأخذه ليلى بنت شَعْواء الهلالية :

إن تأخذوا أسماء موقفَ ساعةٍ فمأخذُ ليلى وهي عذراء أعجبُ
لبسنا زماناً حسنَها وشبابَها وردّت الى شَعْواء والرأس أشيبُ
كمأخذنا حسناء كرهاً ودمعُها غداةَ اللوى معصوبةً يتصبّبُ

وقال ابن الأعرابيّ : أجدَب ناس من بني عَبس في سنة اصابتهم فأهلكت أموالهم وأصابهم جوعٌ شديد وبؤس، فأتوا عُروة بن الوَرد فجلسوا أمامَ بيته ، فلما بَصُروا به صرخوا وقالوا : يا أبا الصّعاليك ، أغثنا ؛ فرقّ لهم وخرج ليغزوَ بهم ويُصيب معاشاً، فنهته امرأته عن ذلك لِما تخوّفت عليه من الهلاك، فعصاها وخرج غازياً، فمرّ بمالك بن حِمار الفزاريّ ثم الشَّمْخيّ ؛ فسأله : اين يريد ؟ فأخبره، فأمر له بجزور فنحرها فأكلوا منها ؛ وأشار عليه مالكٌ ان يرجع ، فعصاه ومضى حتى انتهى الى بلاد بني القَين ، فأغار عليهم فأصاب هَجْمَةً ، عاد بها على نفسه وأصحابه ؛ وقال في ذلك :

أرى أمّ حسّانَ الغداةَ تلومُني تخوّفني الأعداء والنفسُ أخوفُ
تقول سُليمى لو اقمتَ لسرّنا ولم تدرِ أني للمُقام أطوفُ
لعلّ الذي خوّفتنا من امامنا يُصادفه في أهله المتخلّفُ

وهي طويلة .

---

(١) أنكر صاحب القاموس استعمال « عير » متعدياً بالباء وقال : وعيّر الامر ولا تقل بالامر . وقال صاحب اللسان : والعامة تقول عيّره بكذا . ولكن المرزوقي في شرح الحماسة صرح بأنه يتعدّى بالباء قال : والمختار تعديته بنفسه (انظر شرح القاموس للسيد مرتضى) .

وقال في ذلك أيضاً :

أليس ورائي ان ادِبَّ على العصا فيَشمَتَ اعدائي ويسأمني اهلي
رَهينة قَعر البيت كلَّ عَشيَّةٍ يُطيفُ بيَ الوِلْدانُ أَهدَجَ كالرَّألِ[1]
أقيموا بني لُبنى صُدورَ رِكابكم فكلُّ منايا النَّفس خيرٌ من الهزْلِ[2]
فإنكم لن تبلغوا كلَّ هِمَّتي ولا أَرَبي حتى تَرَوْا مَنبِتَ الأَثْلِ
لعَلَّ ارتيادي في البلاد وحيلتي وشَدّي حيازيمَ المطيَّة بالرَّحلِ
سيدفعني يوماً الى ربِّ هَجمةٍ يُدافِعُ عنها بالعُقوق وبالبُخلِ

قصته مع هذلي اغار على فرسه :

نسختُ من كتاب أحمد بن القاسم بن يوسف قال حدّثني حرّ بن قَطَن انّ ثُمامة بن الوليد دخل على المنصور ؛ فقال : يا ثُمامة ، أتحفظ حديث ابن عمك عُروة الصّعاليك بن الوَرد العبسيّ ؟ فقال : أيّ حديثه يا أمير المؤمنين ؟ فقد كان كثير الحديث حسنه ؛ قال : حديثه مع الهذليّ الذي أخذ فرسه ؛ قال : ما يَحْضُرني ذلك فأرويَه يا امير المؤمنين ؛ فقال المنصور : خرج عُروة حتى دنا من منازل هُذَيل فكان منها على نحو ميلين وقد جاع فإذا هو بأرنب فرماها ثم أَوْرى ناراً فشواها واكلها ودفَن النار على مقدار ثلاث أذرُع وقد ذهب الليل وغارت النجوم، ثم أتى سَرْحةً[3] فصَعدها وتخوّف الطلب ، فلما تغيَّب فيها إذ الخيل قد جاءت وتخوّفوا

(١) أهدج : وصف من الهدج أو الهدجان ، وهو اضطراب المشي من الكبر . ولهذا سموا مشية الشيخ هدجاناً . والرأل : ولد النعام أو حوليه . وشبه الشيخ به في مشيته لأن في مشيه ارتعاشاً ، يقال : هدج الظليم يهدج هدجاناً اذا مشى وعدا في ارتعاش .

(٢) الهزل : الضعف وقلة الشحم واللحم وهو نقيض السمن .

(٣) السرحة : واحدة السرح وهو شجر كبار عظام طوال لا ترعى وإنما يستظل به ، وقيل : السرح كل شجر طال .

البَيات[١] . قال : فجاءت جماعة منهم ومعهم رجل على فرس فجاء حتى ركز رُمحه في موضع النّار وقال : لقد رأيت النار ها هنا ؛ فنزل رجل فحفر قدر ذراع فلم يجد شيئاً ، فأكبّ القومُ على الرجل[٢] يَعذلونه ويعيبون أمره ويقولون : عنّيتنا في مثل هذه الليلة القرّة وزعمتَ لنا شيئاً كذبتَ فيه ؛ فقال : ما كذبتُ ، ولقد رأيت النار في موضع رُمحي ؛ فقالوا : ما رأيتَ شيئاً ولكن تحذلُقك[٣] وتدهِيك[٤] هو الذي حَملك على هذا ، وما نَعجب إلا لأنفسنا حين أطعنا أمرك واتّبعناك ؛ ولم يزالوا بالرجل حتى رجع عن قوله لهم . واتّبعهم عروة ، حتى اذا وردوا منازلهم جاء عروة فتكمّن في كِسْر[٥] بيت ؛ وجاء الرجل الى امرأته وقد خالفه اليها عبد اسود ، وعُروة ينظر ، فأتاها العبد بعلبة فيها لبن فقال : أشربي ؛ فقالت لا ، أوْ تَبدأ ، فبدأ الأسود فشرب ؛ فقالت للرجل حين جاء : لعَن الله صَلفك[٦] ! عنّيت قومك منذ الليلة ؛ قال : لقد رأيتُ ناراً ، ثم دعا بالعلبة ليشرب ، فقال حين ذهب ليكرَع : ريحُ رجلٍ وربِّ الكعبة ! فقالت امرأته : وهذه أخرى ، أي ريح رجلٍ تجده في إنائك غير ريحك ! ثم صاحت ، فجاء قومها فأخبرتهم خبره ، فقالت : يتّهمني ويظُنّ بي الظُّنون ! فأقبلوا عليه باللّوم حتى رَجع عن قوله ؛ فقال عروة : هذه ثانية . قال ثم أوى الرجل الى فراشه ، فوثب عروة الى الفرس وهو يريد ان يذهب به ، فضرب الفرس بيده وتحرّك ، فرجع عروة الى موضعه ، ووثب الرجل فقال : ما كنتَ لتكذِبَني فمالكَ ؟ فأقبلت عليه امرأته لوماً وعَذلا . قال : فصنع عروة ذلك ثلاثاً وصنعه الرجل ، ثم أوى الرجل الى فراشه وضجر من كثرة

---

(١) البيات : الإيقاع بالقوم ليلًا من دون أن يعلموا، وهو اسم مصدر لبيت كالكلام من كلم ، يقال : بيتنا القوم أي أوقعنا بهم ليلًا وهم لا يعلمون .

(٢) في بعض النسخ : « فركب القوم الرجل يعذلونه » والمعنى علوه بعذلهم .

(٣) التحذلق : إظهار الانسان الحذق ، أو ادعاؤه اكثر مما عنده .

(٤) التدهي : أن يفعل الانسان فعل الدهاة .

(٥) كسر البيت : جانبه .

(٦) مجاوزة الرجل قدر الظرف وادعاؤه فوق ذلك إعجاباً وتكبراً .

ما يقوم، فقال: لا اقوم اليك الليلة؛ وأتاه عروة فجال(١) في متنه وخرج ركضاً، وركب الرجل فرساً عنده أنثى. قال عروة: فجعلت أسمعه خلفي يقول: إلحقي فإنك من نسله. فلما انقطع عن البيوت، قال له عُروة بن الوَرْد: أيها الرجل قِفْ، فإنك لو عرفتني لم تُقدم عليّ، انا عروة بن الورد، وقد رأيت الليلة منك عجباً، فأخبرني به وأردّ اليك فرسك؛ قال: وما هو؟ قال: جئتَ مع قومك حتى ركزتَ رُمحك في موضع نارٍ قد كنتُ اوقدتُها فثنَوْك عن ذلك فانثنيتَ وقد صدقْتَ، ثم اتبعتك حتى اتيتَ منزلك وبينك وبين النار ميلان فأبصرتَها منها، ثم شممتَ رائحة رجل في إنائك، وقد رأيتُ الرجلَ حين آثرْته زوجتك بالإناء، وهو عبدُك الأسودُ واظن ان بينهما ما لا تحبُّ، فقلتَ: ريحُ رجل؛ فلم تزل تثنيكَ عن ذلك حتى انثنيتَ، ثم خرجتُ الى فرسك فأردتُه فاضطرب وتحرّك فخرجتَ اليه، ثم خرجتَ وخرجتَ، ثم اضربتَ عنه، فرأيتك في هذه الخصال اكمل الناس ولكنك تنثني وترجع؛ فضحكَ وقال: ذلك لأخوال السَّوْء، والذي رأيتَ من صرامتي فمن قِبَل أعمامي وهم هُذَيلٌ، وما رأيتَ من كَعاعَتي(٢) فمن قِبل اخوالي وهم بطن من خزاعة، والمرأةُ التي رأيتَ عندي امرأة منهم وأنا نازلٌ فيهم، فذلك الذي يثنيني عن أشياء كثيرة، وانا لاحقٌ بقومي وخارجٌ عن اخوالي هؤلاء، ومخلٍّ سبيل المرأة، ولولا ما رأيتَ من كعاعتي لم يقوَ على مناوأة قومي احدٌ من العرب. فقال عروة: خُذْ فرسك راشداً؛ قال: ما كنت لآخذه منك وعندي من نسله جماعةٌ مثله، فخذه مباركاً لك فيه. قال ثُمامة: إنّ له عندنا أحاديثَ كثيرةً ما سمعنا له بحديث هو اظرفُ من هذا. قال المنصور:

قصة غزوه لماوان:

أفلا أحدّثك له بحديث هو أظرف من هذا؟ قال: بلى يا امير المؤمنين، فإن

---

(١) جال في متن فرسه جؤولا اذا وثب وركب.

(٢) الكعاعة: الجبن والضعف.

الحديثَ اذا جاء منك كان له فضل على غيره ؛ قال: خرج عروةُ واصحابه حتى أتى ماوَان فنزل اصحابُه وكَنَف عليهم كنيفاً من الشجر، وهم أصحاب الكنيف الذي سمعتَه قال فيهم :

ألا إنّ أصحاب الكنيف وجدتُهم كما النـاس لمّا أمرعوا وتموّلوا

وفي هذه الغزاة يقول عروة :

أقول لقوم[1] في الكَنيف تروّحوا عَشيَّةَ قِلنا حول ماوَانَ رُزَّحِ[2]

وفي هذه القصيدة يقول :

ليَبْلُغَ عُذراً أو يُصيبَ غنيمةً ومُبْلِغُ نفسٍ عُذرَها مِثلُ مُنْجِحِ

ثم مضى يبتغي لهم شيئاً وقد جُهدوا، فإذا هو بأبيات شَعَر وبامرأة قد خلا من سنّها وشيخ كبيرٍ كالحِقاء[3] المُلقى، فكمَن في كِسْر بيت منها، وقد أجدب الناسُ وهلَكت الماشيةُ، فإذا هو في البيت بسُحورٍ ثلاثةٍ مَشويّة — فقال ثمامة : وما السُّحور؟ قال : الحلقوم بما فيه — والبيت خالٍ فأكلها، وقد مكث قبل ذلك يومين لا يأكل شيئاً فأشبعته وقويَ، فقال : لا أبالي مَن لقيتُ بعد هذا. ونظرتِ المرأةُ فظنّت أنّ الكلب أكلها فقـالت للكلب : أفعلتَها يا خبيثُ! وطردْته . فإنه لكذلك اذا هو عند المساء بإبلٍ قد ملأتِ الأُفقَ واذا هي تلتفت فَرَقاً، فعلم ان راعيها جَلْدٌ شديد الضرب لها، فلما أتت المُناخ بركَتْ، ومكث الراعي ثم أتى ناقةً منها فمَرى[4] اخلافها، ثم وضع العلبة على ركبتيه وحلب حتى

(١) في ديوان الحماسة :

قلت لقوم في الكنيف تروّحوا عشية بتنا عنـد ماوان رزّح

(٢) ورزح جمع رازح، والرازح : الهالك هزالا .

(٣) الحقاء : الإزار .

(٤) مرى أخلافها : مسح ضرعها لتدرّ .

ملأها، ثم أتى الشيخ فسقاه، ثم أتى ناقة أخرى ففعل بها ذلك وسقى العجوز، ثم أتى اخرى ففعل بها كذلك فشرب هو، ثم ألتفع بثوب وأضطجع ناحية، فقال الشيخ للمرأة وأعجبه ذلك: كيف ترين ابني! فقالت: ليس بأبنك! قال: فأبن من ويلك؟ قالت: أبن عروة بن الورد، قال: ومن أين؟ قالت: أتذكر يوم مر بنا يريد سوق ذي المجاز فقلت: هذا عروة بن الورد، ووصفته لي بجلد فإني أستطرفته[1]. قال: فسكت، حتى اذا نوّم[2] وثب عروة وصاح بالإبل فاقتطع منها نحواً من النصف ومضى ورجا ألا يتبعه الغلام — وهو غلام حين بدا شاربه — فاتّبعه. قال: فاتخذا[3] وعالجه، قال: فضرب به الأرض فيقع قائماً، فتخوّفه على نفسه، ثم واثبه فضرب به وبادره، فقال: إني عروة بن الورد، وهو يريد أن يعجزه عن نفسه. قال: فارتدع، ثم قال: مالك ويلك! لست أشك أنك قد سمعت ما كان من أمي؛ قال قلت نعم، فاذهب معي أنت وأمك وهذه الإبل ودع هذا الرجل فإنه لا ينهاك[4] عن شيء، قال: الذي بقي من عمر الشيخ قليل، وأنا مقيم معه ما بقي، فإن له حقاً وذماماً، فاذا هلك فما أسرعني اليك، وخذ من هذه الإبل بعيراً؛ قلت: لا يكفيني، إن معي أصحابي قد خلّفتهم؛ قال: فثانياً، قلت: لا؛ قال: فثالثاً، والله لا زدتك على ذلك. فأخذها ومضى الى اصحابه، ثم إن الغلام لحق به بعد هلاك الشيخ. قال: والله يا امير المؤمنين لقد زيّنته عندنا وعظّمته في قلوبنا؛ قال: فهل اعقب عندكم؟ قال لا، ولقد كنا نتشاءم بأبيه، لأنه هو الذي أوقع الحرب بين عبس وفزارة بمراهنته حذيقة، ولقد بلغني أنه كان له أبن أسن من عروة فكان يؤثره على عروة فيما يعطيه ويقرّبه، فقيل له: أتؤثر الأكبر مع غناه عنك على الأصغر مع ضعفه! قال

---

(١) استطرفته: اخترته وفضلته.

(٢) نوّم: مبالغة في نام.

(٣) يقال اتخذ القوم اذا اخذ بعضهم بعضاً في القتال.

(٤) ومعنى لا ينهاك عن شيء أنه لا غناء فيه فلا ينهاك عن تطلب غيره.

أَتَرَوْن هذا الأصغرَ! لئن بقي مع ما رأى من شدّة نفسه ليصيرنّ الأكبر عيالاً عليه .

صوت

من المائة المختارة

أَزْرى بنا أننا شالتْ نَعامتُنا ... فخالني دونه بل خِلتُه دوني
فإن تُصِبكَ من الأيام جائحةٌ ... لم أبكِ منك على دنيا ولا دينِ

الشعر لذي الإصبع العَدْوانيّ ، والغناء لفيلٍ مولى العَبلات هزجٌ خفيف بإطلاق الوتر في مجرى البنصر . معنى قوله أزرى بنا : قصَّر بنا ، يقال : زَرَيت عليه إذا عِبتَ عليه فِعله ، وأزريتُ به اذا قصرت بـه في شيء . وشالت نعامتهم إذا أنتقلوا بكُلِّيتهم ، يقال : شالت نعامتهم ، وزفّ رألُهم ، اذا أنتقلوا عن الموضع فلم يبق فيه منهم أحد ولم يبق لهم فيه شيء . وخالني : ظنني ، يقال : خِلت كذا وكذا فأنا أخاله اذا ظننته . والجائحة : النازلة التي تجتاح ولا تُبقي على ما نزلتْ به .

ذكر ذى الاصبع العدوانى ونسبه وخبره

هو حُرثانُ بن الحارث بن مُحرّث بن ثعلبة بن سيار بن ربيعة بن هُبيرة بن ثعلبة بن ظرب بن عمرو بن عباد بن يَشكُر بن عَدوان بن عمرو بن سَعد بن قَيس بن عَيلان بن مُضَر بن نِزار، احدُ بني عدوان، وهم بطنٌ من جَديلة. شاعرٌ فارسٌ من قُدماء الشعراء في الجاهلية وله غاراتٌ كثيرةٌ في العرب ووقائعُ مشهورة.

تفاني عدوان:

اخبرنا محمد بن خَلف وَكيع وابن عَمّار والأسديّ، قالوا حدّثنا الحسن بن عُليل العنزيّ قال حدّثنا ابو عثمان المازنيّ عن الأصمعيّ قال:

نزلَت عَدوان على ماء فاحصوا فيهم سبعين الف غلام أغرل[١] سِوى من كان مختوناً لكثرة عددهم، ثم وقع بأسهم بينهم فتفانَوْا فقال ذو الإصبع:

صوت

عَذيرَ الحيّ مِن عَدْوا ... نَ كانوا حيّةَ الأرضِ[٢]
بغى بعضُهم بعضاً ... فلم يُبقُوا على بعضِ
فقد صاروا أحاديثَ ... برَفْع القولِ والخفضِ[٣]
ومنهم كانت السّادا ... تُ والمُوفونَ بالقَرْضِ

(١) الاغرل: الذي لم يختن.

(٢) يقول: هات عذراً فيا فعل بعضهم من التباعد والتباغض والقتل بعد ما كانوا حية الأرض التي يحذرها كل أحد، والعرب تقول للرجل الصعب المنيع الجانب: حية الأرض.

(٣) يعني بقوله هذا: أنهم صاروا أحاديث للناس يرفعونها ويخفضونها، ومعنى يخفضونها: يسرونها.

ومنهم مَنْ يُجيزُ النـا سَ بالسُّنة والفَرضِ
ومنهم حَكَمٌ يَقضي فلا يُنقَضُ ما يَقضي

غنّى في هذه الأبيات مالك ثقيلاً أوّل بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو .

واما قول ذي الإصبع :

ومنهم حكمٌ يَقضي

فإنه يعني عامر بن الظَّرِب العَدْوانيّ ، كان حكماً للعرب تَحتَكم إليه .

من قرعت له العصا :

حدّثنا محمد بن العبّاس اليزيدي عن محمد بن حبيب قال :

قيس تدّعي هذه الحكومة وتقول : إنّ عامر بن الظَّرِب العدوانيّ هو الحكَم وهو الذي كانت العصا تُقرَع له ، وكان قد كبر فقال له الثاني من ولده : إنك ربّما أخطأت في الحكم فيُحمل عنك ؛ قال : فاجعلوا لي امارةً اعرفها فاذا زُغت فسمعتها رجعت الى الحكم والصواب ، فكان يجلس قُدّام بيته ويقعدُ أبنه في البيت ومعه العصا ، فإذا زاغ او هفا قرَع له الجَفْنة فرجع الى الصواب . وفي ذلك يقول المتلمِّس :

لذي الحِلْم قبل اليومِ ما تُقرَعُ العصا وما عُلِّمَ الإنسانُ إلا ليَعلما

قال أبنُ حبيب : وربيعة تدّعيه لعبد الله بن عمرو بن الحارث بن هَمّام . واليَمن تدّعيه لربيعة بن مُخاشِن ، وهو ذو الأعواد ، وهو اوّل من جلس على منبر او سرير وتكلّم ؛ وفيه يقول الأسود بن يَعفر :

ولقد علمت لَوَ أنّ علمي نافعي أنّ السبيلَ سبيلُ ذي الأعوادِ

خبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ ابو دُلَفَ قال اخبرنا الرّياشيّ قال حدّثنا الأصمعيّ قال :

زعم ابو عمرو بن العلاء انه ارتحلتْ عَدوان من منزلٍ، فعُدَّ فيهم أربعون الفَ غلام أقْلَف[1] . قال الرياشي واخبرني رجل عن هِشام بن الكلبيّ قال : وقع على إيادٍ البَقُّ فأصاب كلَّ رجل منهم بقّتان .

استعراض احياء العرب :

أخبرني احمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدّثني يعقوب بن نُعيم قال حدّثنا احمد بن عُبيد ابو عَصيدة قال اخبرني محمد بن زياد الزّياديّ، وأخبرني به احمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثني عمر بن شبّة ولم يُسنده الى احد وروايته أتمّ .

انّ عبد الملك بن مَروان لما قدم الكوفة بعد قتله مُصعب بن الزّبير كان جلس لعرض احياء العرب – وقال عمر بن شبة : إنّ مصعب بن الزّبير كان صاحب هذه القصة – فقام اليه مَعبد بن خالد الجَدَليّ، وكان قصيراً دميماً، فتقدّمه اليه رجل منا حسن الهيئة ؛ قال معبدٌ : فنظر عبد الملك الى الرجل وقال : ممن انت ؟ فسكت ولم يقل شيئاً وكان منّا، فقلتُ من خلفه : نحن يا امير المؤمنين من جَدِيلة ؛ فأقبل على الرجل وتركني، فقال : مِن أيكم ذو الإصبع ؟ قال الرجل : لا أدري ؛ قلت : كان عدوانياً ؛ فأقبل على الرجل وتركني وقال : لمَ سُمِّي ذا الإصبع ؟ قال الرجل : لا ادري ؛ فقلت : نهشتْه حيةٌ في إصبعه فيبستْ ؛ فأقبل على الرجل وتركني، فقال : وبِمَ كان يسمّى قبل ذلك ؟ قال الرجل : لا أدري ؛ قلت : كان يسمّى حُرثان ؛ فأقبل على الرجل وتركني، فقال : مِن أيّ عَدوان كان ؟ فقلت من خلفه : من بني ناجٍ الذين يقول فيهم الشاعر :

وأمّا بَنو ناجٍ فلا تَذكُرَنّهم ولا تُتبعَنْ عَينيكَ ما كان هالكا

---

(١) الأقلف : الذي لم يختن .

إذا قُلتُ معروفاً لأُصلحَ بينهم يقول وُهيبٌ لا أُسالمُ ذلكا

وروى عمرُ بن شبة : لا أُسلِم .

فأضحى كظَهر الفحل جُبَّ سَنامُه يَدِبُّ الى الأعداء أحدبَ باركا

فأقبل على الرجل وتركني وقال أَنشدني قوله :

عذيرَ الحيِّ من عدوان

قال الرجل : لستُ أرْويها ؛ قلت : يا امير المؤمنين إن شئتَ أنشدتُكَ ؛ قال : ادْنُ مِنّي ، فإني أراكَ بقومك عالماً ؛ فأنشدتُه :

وليس المرءُ في شيءٍ من الإبرام والنقضِ
إذا أبرم أمراً خا له يَقْضي وما يَقضي
يقولُ اليومَ أُمضِيه ولا يَملِكُ ما يُمضي
عَذيرَ الحيِّ من عَدوا نَ كانوا حَيَّةَ الأرضِ
بغى بعضُهم بعضاً فلم يُبقُوا على بعضِ
فقد صاروا احاديثَ برفع القول والخفضِ
ومنهم كانت السادا ت والموفونَ بالقَرضِ
ومنهم حَكَمٌ يَقضي فلا يُنقَضُ ما يَقضي
ومنهم من يُجيزُ النا سَ بالسُّنَّة والفرضِ
وهم مَنْ وَلَدوا أَشبَوْا[1] بِسرِّ الحسبِ المحضِ
ومِمَّنْ ولدوا عامِرُ ذو الطول وذو العرضِ
وهم بوّوا[2] ثَقيفاً دا رَ لا ذُلٍّ ولا خَفضِ

(١) يقال : أشبى فلان اذا ولد له ولد كيس .

(٢) بوّوا : أنزلوا ، والأصل بوأوا ، وحذف الهمز للتخفيف .

فأقبل على الرجل وتركني وقال : كم عطاؤك ؟ فقال : ألفان، فأقبل عليّ فقال : كم عطاؤك ؟ فقلت : خمسمائة ؛ فأقبل على كاتبه وقال : اجعل الألفين لهذا والخمسمائة لهذا ؛ فانصرفتُ بها .

وقوله : « ومنهم من يُجيزُ الناس » فإنّ إجازةَ الحج كانت لخزاعة فأخذتْها منهم عَدوانُ فصارت الى رجل منهم يقال له أبو سَيَّارة احد بني وَابِش بن زيد ابن عَدْوان . وله يقول الراجز :

خَلُّوا السبيل عن أبي سَيَّارَهْ وعن مَواليــه بني فَزارَهْ
حتى يُجيـزَ سالمًا حِمارَهْ مستقبِلَ الكعبةِ يدعو جارَهْ

قال : وكان ابو سيَّارَةَ يُجيز الناس في الحج بأن يتقدّمهم على حمارٍ، ثم يَخطُبهم فيقول : اللهم أصلحْ بين نسائنا ، وعادِ بين رعائنا ، واجعل المالَ في سُمحائنا ، أوْفوا بعهدكم، واكرموا جاركم، واقرُوا ضيفكم ، ثم يقول : أَشرِقْ[1] ثَبيرْ كيما نُغيرْ، وكانت هذه إجازته ، ثم يَنفرُ ويتبعه الناس . ذكر ذلك ابو عمرو الشَّيبانيّ والكلبيّ وغيرُهما .

بناته والزواج :

اخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمرُ بن شبة قال حدّثنا أبو بكر العُلَيميّ قال حدّثنا محمد بن داود الهشاميّ قال : كان لذي الإصبع أربعُ بنات وكنّ يُخطَبْنَ اليه فيَعرِضُ ذلك عليهنّ فيستحيِنَ ولا يزوّجهنّ ، وكانت أمهنّ تقول : لو زوّجتهنّ ! فلا يفعل . قال : فخرج ليلةً الى مُتحدَّثٍ لهنّ فاستمع عليهنّ وهنّ لا يعلمنَ فقلنَ : تعالَينَ نتمنّى ولنَصْدُقْ، فقالت الكبرى :

(١) هذا مثل، ومعناه ادخل يا ثبير في الشروق وهو ضوء الشمس كما تقول : أشمل أي دخل في الشمال وأجنب أي دخل في الجنوب . وكيما نغير أي كيما نسرع للنحر من قولهم أغار إغارة الثعلب أي أسرع ودفع في عدوه . وثبير : جبل بمكة . قال عمر رضي الله عنه : كان المشركون يقولون ذلك ولا يفيضون حتى تطلع الشمس وهو يضرب في الإسراع والعجلة .

ألا ليتَ زوجي من أُناسٍ ذَوي غِنًى حَديثُ الشباب طيِّبُ الريح والعِطرِ
طبيبٌ بأدواء النساء كأنه خليفةُ جانٍ لا ينام على وِتْرِ

فقلن لها : أنتِ تُحِبِّينَ رجلاً من قومك . فقالت الثانية :

ألا هل أراها ليلةً وَضجيعُها أشمُّ كنصل السيف غيرُ مُبلَّدِ
لَصُوقٌ بأكباد النساء وأصلُه إذا ما انتمى من سِرِّ أهلي ومَحْتِدي

فقلن لها : أنتِ تُحِبِّينَ رجلاً من قومك . فقالت الثالثة :

ألا لَيْتَهُ يَملأ الجِفانَ لضَيْفه[١] له جفنةٌ يَشقى بها النِّيبُ[٢] والجُزْرُ[٣]
له حَكَماتُ[٤] الدَّهرِ من غيرِ كَبْرة تَشين ولا الفاني ولا الضَّرِعُ الغَمْرُ[٥]

فقلن لها : أنت تُحِبِّين رجلاً شريفاً . وقلن للصُّغرى : تمنَّي ؛ فقالت : ما أريد شيئاً ؛ قلن : والله لا تبرحينَ حتى نعلم ما في نفسك ؛ قالت : زوج من عُود خيرٌ من قُعود . فلما سمع ذلك أبوهنَّ زوَّجهنَّ أربعتهنَّ . فمكثْنَ بُرهةً ثم أجتمعن اليه ، فقال للكبرى : يا بُنيَّة ، ما مالكم ؟ قالت : الإبل ؛ قال : فكيف تجدونها ؟ قالت : خيرَ مال ، نأكل لحومها مُزعا[٦] ، ونشرب ألبانها جُرَعا ، وتحملنا وضعيفنا معاً ؛ قال : فكيف تجدين زوجك ؟ قالت : خيرُ زوج يُكرِمُ الحليلة ، ويُعطي

---

(١) في الكامل للمبرد : ألا ليته يعطي الجمال بديية .

(٢) النيب جمع ناب وهي الناقة المسنة ، وقيل لها ناب لطول نابها .

(٣) الجزر بضم الزاي وسكن للضرورة جمع جزور ، وهي الناقة المجزورة ، وإنما عطفت على النيب لأن من الإبل ما يكون جزوراً للنحر لا غير .

(٤) الحكمات جمع حكمة وأصلها الحديدة في اللجام تمنع الفرس من مخالفة راكبه . والمراد بها هنا التجارب لأنها تمنع من ارتكاب ما لا يليق .

(٥) الضرع : الضعيف ، والغمر مثلث الغين : من لم يجرب الأمور .

(٦) مزعة جمع مزعة بضم الميم وكسرها وهي القطعة من اللحم .

الوَسيلةُ[١] ؛ قال : مالٌ عميمٌ وزوجٌ كريم . ثم قال للثانية : يا بُنيَّة ما مالكم ؟ قالت : البقر ؛ قال : فكيف تجدونها ؛ قالت : خير مال، تألف الفِناء ، وتُوَدِّك[٢] السِّقاء ، وتملأ الإناء ، ونساء في نساء ؛ قال فكيف تجدين زوجك ؟ قالت : خير زوج يكرم اهله وينسى فضله ؛ قال : حَظيتِ ورضيتِ . ثم قال للثالثة : ما مالكم ؟ قالت : المِعْزى ؛ قال : فكيف تجدونها ؟ قالت : لا بأس بها نُولِدها فُطُماً[٣] ، ونسلخها أدماً[٤] ؛ قال : فكيف تجدين زوجك ؟ قالت : لا بأس به ليس بالبخيل الحَكِر[٥] ولا بالسَّمح البَذِر ، قال : جَدْوى[٦] مُغْنية . ثم قال للرابعة : يا بنيَّة ، ما مالكم ؟ قالت : الضأن ؛ قال : وكيف تجدونها ؟ قالت : شرّ مال ، جُوف[٧] لا يَشبعنَ ، وهِيمٌ[٨] لا يَنقَعْنَ ، وصُمٌّ[٩] لا يَسمعنَ ، وأمرَ مُغْويَتهن يَتبَعْنَ[١٠] ؛ قال : فكيف تجدين زوجك ؟ قالت : شرّ زوج ، يُكرم نفسه ويُهين عِرْسه ؛ قال : « أشبه امرأً بعضُ بَزّه[١١] » .

---

(١) الوسيلة : ما يتقرّب به الى الغير .

(٢) تودّك السقاء : تجعل فيه الودك وهو الدسم .

(٣) جمع فطيم وهو ما يفصل عن الرضاع .

(٤) الأدم : اسم لجمع الأديم وهو الجلد أو الأحمر منه أو مدبوغه .

(٥) الحكر : المستبد بالشيء .

(٦) كذا في جميع النسخ والجدوى : الغناء والنفع . وفي الكامل للمبرد : « جذو مغنية » وقال في تفسيره : الجذو جمع جذوة وأصل ذلك في الخشب ما كان منه فيه نار .

(٧) جوف : عظام الأجواف .

(٨) الهيم : العطاش واحده أهيم أو هيماء ، ولا ينقعن : لا يروين .

(٩) هذا وارد على وجه التمثيل ، وشبهت الضأن بما لا يسمع لبلادتها . والعرب يقولون : أبلد ما يرعى الضأن .

(١٠) قال عليّ بن عبد الله : قلت لأبي عائشة : ما قولها : « وأمر مغويتهن يتبعن » فقال : أما تراهن يمررن فتسقط الواحدة منهن في ماء أو وحل وما أشبه ذلك فيتبعنها اليه .

(١١) وله رواية ثانية « أشبه امرؤ بعض بزه » . في طبعة دار الكتب المصرية تعقيب ، نصه « ولم نجده في مجمع الامثال للميداني» وهو عجيب فالميداني ذكره في الكتاب المذكور ج ١ ص ٢٩٤ ط المطبعة البهية مصر .

وذكر الحسن بن عُلَيل العنزيّ في خبر عَدوان الذي رواه عن أبي عمرو بن العَلاء أنه لا يصحّ من أبيات ذي الإصبع العَدوانيّ إلّا الأبيات التي أنشدها وأنّ سائرها مَنحولٌ .

خرفه :

أخبرني عمّي قال حدّثني محمد بن عبد الله الحَزَنبل قال حدّثني عمرو بن أبي عمرو الشّيباني عن أبيه قال : عُمّر ذو الإصبع العدوانيّ عمراً طويلاً حتى خُرِف[1] وأُهتِر وكان يفرّق ماله، فعذله أصهاره ولاموه وأخذوا على يده[2] ؛ فقال في ذلك :

أهلكَنا الليلُ والنهار معاً ... والدّهر يَعدو مُصمِّماً جَذَعا[3]
فليس فيما أصابني عَجَبٌ ... إن كنتُ شَيباً أنكرتُ أو صَلَعا
وكنتُ إذ رَونق الشّباب به ... ماء شبابي تَخاله شرعا
والحيُّ فيه الفتاةُ تَرْمُقني ... حتى مضى شأْوُ ذاك فانقشعا

صوت

إنّكما صاحبيّ لم تدعا ... لَوْمي ومَهما أَضِقْ فلن تَسَعا
لم تَعقلا جَفوةً عليّ ولم ... أشتِمْ صديقاً ولم أَنَلْ طَبعا[4]
إلا بأن تكذِبا عليّ وما ... أملِك أن تكذِب وأن تَلِعا[5]

---

(١) خرف بتثليث الراء : فسد عقله . وأهتر (بالبناء للمفعول فهو مهتر) : فسد عقله من الكبر وصار خرفاً، ويقال : أهتر بالبناء للفاعل أيضاً، ولكن الوصف منه مهتر على صيغة اسم المفعول شذوذا .

(٢) أخذوا على يده : حجروا عليه ومنعوه مما يريد أن يفعل .

(٣) الجذع : الشاب الحدث .

(٤) الطبع : الدنس والعيب .

(٥) تلعا : من الولع وهو الكذب، يقال : ولع يلع ولعاً وولعاناً أي كذب .

لابن سريج في هذه الأبيات لحنان : أحدهما ثاني ثقيل بالسبابة والبنصر عن يحيى المكي ، والآخر ثقيل أول عن الهشامي .

وإنني سوف أبتدي بندى ‏ يا صاحبي الغداة فاستمعا
ثم سلا جارتي وكنتها ‏ هل كنت فيمن أراب أو خدعا
أو دعتاني فلم أجب ، ولقد ‏ تأمن مني حليلتي الفجعا
آبى فلا أقرب الخباء إذا ‏ ما ربه بعد هدأة هجعا
ولا أروم الفتاة زورتها ‏ إن نام عنها الحليل أو شسعا
وذاك في حقبة خلت ومضت ‏ والدهر يأتي على الفتى لمعا[1]
إن تزعما أنني كبرت فلم ‏ ألف ثقيلاً نكساً ولا ورعا[2]
إما ترى شكتي[3] رميح أبي ‏ سعد فقد أحمل السلاح معا

ابو سعد : ابنه ، ورميح : عصاً كانت لابنه يلعب بها مع الصبيان يطاعنهم بها كالرمح ، فصار يتوكأ هو عليها ويقوده ابنه هذا[4] بها .

السيف والرمح والكنانة قد ‏ أكملت فيها معابلاً[5] صنعا[6]

(١) لمعا : ألواناً لاختلاف ما يأتي به من خير وشر . واللمع واحدته لمعة وهي كل لون خالف لوناً آخر .

(٢) النكس : الرجل الضعيف الذي لا خير فيه . والورع : الضعيف لا غناء عنده .

(٣) الشكة : السلاح .

(٤) في لسان العرب مادة رمح : « وأخذ الشيخ رميح أبي سعد : اتكأ على العصا من كبره ، وأبو سعد أحد وفد عاد ، وقيل هو لقمان الحكيم ، قال :

إما ترى شكتي رميح أبي ‏ سعد فقد أحمل السلاح معا

وقيل : أبو سعد كنية الكبر » .

(٥) المعابل : جمع معبلة وهي نصل عريض طويل .

(٦) صنعا : جمع صنيع وهو المجرب المجلو ، يقال : سيف صنيع وسهم صنيع أي مجرب مجلو .

والمُهرُ صافي الأديم أصنعُه[1] يَطير عنه عِفاؤه قزَعا[2]
أقصرُ من قَيده وأودَعُه حتى إذا السِّرب ريعَ أو فزِعا
كان أمام الجِياد يَقدُمها يَهُزُّ لدْناً وجُؤجؤاً تَلِعا[3]
فغامَس[4] الموتَ أو حمى ظُعُناً[5] أو ردَّ نهباً لأيٍّ ذاك سعى

وصيته :

قال أبو عمرو : ولما احتضر ذو الإصبع دعا ابنه أسيداً فقال له : يا بُنيّ ، إن اباك قد فني وهو حيّ وعاش حتى سَئِم العيش ، وإني مُوصيك بما إن حفِظته في قومك ما بلغته ، فاحفظ عني : ألِن جانبك لقومك يحبُّوك ، وتواضَعْ لهم يرفعوك ، وابسُط لهم وجهك يطيعوك ، ولا تستأثر عليهم بشيء يُسوّدوك ؛ وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم يكرمك كبارهم ويكبر على مودّتك صغارهم ، واسمح بمالك ، واحم حَريمك ، وأعززْ جارك ، وأعِن من استعان بك ، وأكرم ضيفك ، وأسرع النَّهضة[6] في الصَّريخ ، فإن لك أجلاً لا يَعدُوك ، وصُن وجهك عن مسئلة احد شيئاً ، فبذلك يتم سُودَدُك ؛ ثم أنشأ يقول :

أأسيدُ إن مالاً ملكـتَ فسِرْ به سَيراً جميلا
آخِ الكِرامَ إن استطعـتَ إلى إخائهمُ سبيلا

---

(١) أصنعه : أحسن القيام عليه ، يقال : صنعت فرسي صنعاً وصنعة أي أحسنت القيام عليه .

(٢) العفاء : الشعر الطويل . والقزع : القطع المتفرقة ، وكل شيء يكون قطعاً متفرقة فهو قزع .

(٣) اللدن : اللين من كل شيء ، ولعل المراد منه هنا الكفل . والجؤجؤ : الصدر . وتلع : منبسط .

(٤) غامس الموت : ورده .

(٥) ظعنا : جمع ظعينة وهي الزوجة ، يقال : هي ظعينة فلان أي زوجته ، وهؤلاء ظواعنه أي نساؤه ، وسميت الزوجة ظعينة لأن الرجل يظعن بها .

(٦) استعمل ابن جنى أسرع متعدياً فقال : « ويسرع قبول ما يسمعه » قال صاحب اللسان : فهذا إما أن يكون يتعدى بحرف وبغير حرف ، وإما أن يكون أراد الى قبول فحذف وأوصل .

وأشرب بكأسهم وإن شربوا به السمّ الثّميلا[1]
أهِنِ اللئام ولا تكن لإخائهم جملًا ذَلولا
إنّ الكرام إذا تُوا خيهم وجدتَ لهم فُضولا[2]
ودَع الذي يَعِد العَشيرةَ أن يسيلَ ولن يسيلا
أبُنيّ إن المال لا يَبْكي اذا فقد البخيلا

صوت

ألُسَيدُ إن أزمعتَ من بلدٍ الى بلدٍ رَحيلا
فاحفظْ وإن شحط المزَا رُ أخا أخيك أو الزّميلا[3]
واركبْ بنفسك إن هممتَ بها الحزونةَ والسُّهولا
وصِلِ الكرام وكن لمن ترجو مودّته وَصولا

الغناء للهُذَليّ خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى عن عمرو .

ودَعِ التّوانيَ في الأمو ر وكن لها سَلِساً ذَلولا
وابسُط يمينَك بالنّدى وامدُدْ لها باعاً طويلا
وابسُطْ يدَيكَ بما ملكْتَ وشيّدِ الحسَبَ الأثيلا
واعْزِمْ اذا حاولتَ أمراً يَفرجُ الهمّ الدّخيلا
وابذُلْ لضَيفكَ ذاتَ رَحْلِكَ[4] مُكرماً حتى يَزولا

---

(١) الظاهر أن الثميل هنا الناقع ، ولكنا لم نجد في كتب اللغة التي بأيدينا الثميل بهذا المعنى ، وانما الوارد الثال، بضم أوّله ، والمثمل وهو السم المنقع أي الذي أنقع فبقي وثبت .

(٢) الفضول : جمع فضل .

(٣) الزميل : الرفيق في السفر الذي يعينك على أمورك .

(٤) الرحل : المثوى والمنزل .

وأحلُلْ على الأيفاع ِ للـعافِـينَ وأجتنبِ المَسيلا
وإذا القُرومُ تخاطرَتْ يوماً وأرعَـدتِ الخَصيلا[1]
فاهصِرْ كهَصْرِ الليث خَضَّبَ مِن فَريسته التَّليـلا[2]
وأنزِلْ الى الهيجا إذا أبطالُهـا كرِهوا النزولا
وإذا دُعيتَ الى المُهِمّ فكن لفادِحِـهِ حَمولا

استنشاد معاوية شعره :

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا العُمريّ عن العُتْبيّ قال :

جرى بين عبد الله بن الزُّبير وعُتْبَةَ بنِ أبي سُفيان لِحاءٌ[3] بين يدي معاوية ، فجعل ابنُ الزُّبير يَعدِلُ بكلامه عن عُتبة ويُعرّض بمعاوية ، حتى أطال وأكثر من ذلك ، فالتفتَ اليه معاوية متمثِّلاً وقال :

ورامٍ بعُورانِ[4] الكلامِ كأنها نوافِرُ صُبحٍ نفَّرتها المراتِعُ
وقد يَدْحَضُ المرءُ المُوارِبُ بالخنا وقد تُدرِكُ المرءَ الكريمَ المصانِعُ

ثم قال لابن الزُّبير : مَن يقول هذا ؟ فقال ذو الإصبع ؛ فقال : أتَروِيه ؟ قال لا ؛ فقال : مَن ها هنا يَروِي هذه الأبيات ؟ فقام رجل من قيس فقال : أنا أرْويها يا أمير المؤمنين ؛ فقال : أنشدني ؛ فأنشده حتى أتى على قوله :

وساعٍ برجليه لآخَرَ قاعـدٍ ومُعطٍ كريمٌ ذو يَسارٍ ومانِعُ
وبانٍ لأحساب الكرامِ وهادمٌ وخافضُ مولاه سَفاهاً ورافِـعُ

(١) الخصيل : جمع خصيلة وهي كل لحمة فيها عصب .
(٢) التليل : العنق .
(٣) اللحاء : المنازعة .
(٤) عوران الكلام : ما تنفيه الأذن ، الواحدة عوراء .

ومُغضٍ على بعض الخطوب وقد بدَت له عَوْرةٌ من ذي القرابة ضاجِعُ
وصالب حُوبٍ باللسان وقلبُه سِوى[1] الحقِّ لا تخفى عليه الشرائعُ

فقال له معاوية : كم عطاؤك ؟ قال سبعمائة ؛ قال : اجعلوها ألفاً ، وقطع الكلام بين عبد الله وعُتْبة .

شعره في ابن عمه :

قال أبو عَمْرو : وكان لذي الإصبع ابنُ عمٍّ يُعاديه فكان يتدسَّسُ الى مكارهه ويَمشي به الى أعدائه ويُؤلِّبُ عليه ويسعى بينه وبين بني عمه ويَبْغيه عندهم شراً ؛ فقال فيه — وقد أنشدَنا الأخفش هذه الأبيات أيضاً عن ثعلب والأحول السُّكَّريّ — :

يا صاحِبيّ قِفا قَليلا وتَخبَّرا عَنّي لَميسا
عمّنْ أصابت قلبَه في مَرّها فغدا نَكيساً[2]
وليَ ابنُ عمٍّ لا يزا لُ اليَّ مُنكَرُه[3] دَسيساً
دَبّتْ له فأحسَّ بعـد البُرْءِ من سَقَمٍ رَسيساً[4]
إمّا علانيةً وإمّا مُخمَراً[5] أكلاً وهيساً[6]
إنّي رأيتُ بَني أبيك يُحَمِّجون[7] اليَّ شُوساً[8]

(١) سوى الحق : وسطه ، يعني ان قلبه ملازم الحق .
(٢) النكيس : المريض .
(٣) في رواية «مئبرة» . والمئبر : اللسان .
(٤) الرسيس : أول الحمى .
(٥) من أخمر الشيء إذا ستره .
(٦) الأكل الوهيس : الشديد .
(٧) معناه يديمون النظر . وقد ورد هذا البيت في اللسان في مادة شوس هكذا :
أني رأيت بني أبيـك محمجين اليك شوسا
(٨) الشوس بالتحريك : النظر بمؤخر العين تكبراً أو تغيظاً .

حَنَقاً عليَّ ولن ترى لِيَ فيهم أثراً بَئِيساً[1]
أنحَوْا على حُرّ الوجو ه بحَدّ مِئشارٍ[2] ضَروسا
لو كنتَ ماءً لم تكنْ عذبَ المذاقِ ولا مَسوسا[3]
مِلحاً بعيدَ القعرِ قد فَلّتْ حجارتُه الفؤوسا
منّاعُ ما ملكتْ يدا كَ وسائلٌ لهمُ نُحوسا

وأنشدَنا الأخفش عن هؤلاء الرواة بعقب هذه الأبيات – وليس من شعر ذي الإصبع ولكنه يشبه معناه – :

لو كنتَ ماءً كنتَ غيرَ عَذْبِ أو كنتَ سيفاً كنتَ غيرَ عَضْبِ
أو كنتَ طِرْفاً كنتَ غيرَ نَدْبِ[4] أو كنتَ لحماً كنتَ لحمَ كلْبِ

قال : وفي مثله أنشدنا :

لو كنتَ مُخّاً كنتَ مُخّاً رِيرا[5] أو كنتَ بَرْداً كنتَ زَمْهَرِيرا
أو كنت ريحاً كانت الدَّبورا

سبب تفرق عدوان وتقاتلهم :

قال أبو عمرو : وكان السبب في تفرّق عدْوان وقتال بعضهم بعضاً حتى تفانَوْا : أن بني ناج بن يَشكر بن عَدوان أغاروا على بني عَوف بن سعد بن ظَرِب بن عمرو ابن عباد بن يشكر بن عدوان ، ونَذِرتْ[6] بهم بني عوف فاقتتلوا ، فقتل بنو ناج

(١) البئيس : الشديد المكروه .
(٢) المئشار لغة في المنشار .
(٣) المسوس : الماء بين العذب والملح .
(٤) يقال : فرس ندب أي ماض نشيط .
(٥) يقال : مخ رير أي فاسد من الهزال .
(٦) يقال : نذر بالشيء أي علمه فحذره .

ثمانية نفرٍ، فيهم عُمير بن مالك سيّدُ بني عوف، وقتلت بنو عوف رجلًا منهم يقال له سِنان بن جابر، وتفرّقوا على حرب. وكان الذي أصابوه من بني واثلة بن عمرو بن عباد وكان سيّداً، فاصطلح سائر الناس على الديات أن يتعاطَوها ورَضوا بذلك، وأبى مَريرُ بن جابر ان يقبل بسنان بن جابر ديةً، واعتزل هو وبنو أبيه ومن أطاعهم ومَن والاهم، وتَبعه على ذلك كَربُ بن خالد أحد بني عبس بن ناج، فمشى اليهما ذو الإصبع وسألهما قبول الدية وقال: قد قُتل منّا ثمانيـةُ نفر فقبِلنا الديةَ وقُتل منكم رجل فاقبلوا ديته؛ فأبَيا ذلك وأقاما على الحرب، فكان ذلك مبدأ حربٍ بعضهم بعضاً حتى تفانَوا وتقطّعوا. فقال ذو الإصبع في ذلك:

ويا بؤسَ للأيام والدّهرِ هالِكاً ... وَصرْفِ اللّيالي يَختلِفنَ كذلكا
أبعَـدَ بني ناجٍ وسَعيكَ فيهمُ ... فلا تُتبِعَنْ عينيكَ ما كان هالِكا
إذا قلتُ معروفاً لأُصلِح بينهم ... يقولُ مَريرٌ لا أحاولُ ذلكا
فأضحَوا كظهر العَودِ جُبّ سَنامُه ... تَحومُ عليه الطيرُ أحدَبَ بارِكا
فإن تكُ عَدوانُ بن عمرو تفرّقت ... فقد غَنِيَتْ دَهراً ملوكاً هُنالكا

قصيدته النونية:

وقال ابو عمرو: وفي مَرير بن جابر يقول ذو الإصبع — وهذه القصيدة هي التي منها الغناء المذكور — وأوّلها:

يا من لقلبٍ شَديدِ الهمّ محزونِ ... أمسى تذكّرَ رَيّاً أمّ هارونِ
أمسى تَذكّرها من بعد ما شَحطَتْ ... والدّهرُ ذو غِلَظ حيناً وذو لينِ
فإنْ يكن حبُّها أمسى لنا شَجَناً ... وأصبح الوَليّ(٢) منها لا يواتيني
فقد غَنِينا(٣) وشَملُ الدار يجمعنا ... أطيعُ رَيّاً ورَيّاً لا تُعاصيني

(١) في أمالي القالي ج ١ ص ٢٥٥ طبع دار الكتب: «طويل البث».
(٢) الولي: القرب.
(٣) غنينا: أقمنا.

ترمي الوُشاةَ فلا تُخطي مَقاتِلَهم   بخالصٍ(١) من صفاء الوُدِّ مكنونِ

ولي ابنُ عمٍّ على ما كان من خُلُقٍ   مُختلِفانِ فأقليه(٢) ويَقليني

أزرى بنا أننا شالتْ نعامتُنا   فخالني دونه بل خِلتُه دوني

لاهِ(٣) ابنُ عمِّك لا أفضلتَ في حسبٍ   شيئاً ولا أنت دَيّاني فتخزوني(٤)

ولا تَقوتُ عِيالي يومَ مَسغَبةٍ   ولا بنفسك في العزّاء(٥) تكفيني

فإن تُرِدْ عَرَضَ الدنيا بمَنقصتي   فإن ذلك مِمّا ليس يُشجيني

ولا تَرى فيَّ غيرَ الصبر مَنقصةً   وما سِواه فإنّ الله يكفيني

لولا أواصِرُ قُربى لستَ تحفظها   ورَهبةُ الله في مولىً يعاديني

إذاً بَرَيتُك بَرْياً لا انجبارَ له   إني رأيتك لا تنفكّ تبريني

إنّ الذي يَقبِضُ الدنيا ويَبسُطها   إن كان أغناكَ سوف يُغنيني

الله يَعلمُكم والله يَعلمني   والله يجزيكم عني ويجزيني

ماذا عليَّ وإن كنتم ذوي رَحِمي   ألّا أحبكم إن لم تُحبوني

لو تَشربونَ دَمي لم يَروَ شارِبُكم   ولا دماؤكمُ جمعاً تُرَوّيني

ولي ابنُ عمٍّ لو انّ الناس في كَبَدي   لظلّ مُحتجِزاً(٦) بالنَّبلِ يرميني

يا عمرُو إن لا تدعْ شتمي ومَنقصتي   أضربْك حتى تقول الهامة اسقوني(٧)

كلَّ امرىءٍ صائرٌ يوماً لشيمته   وإن تخلّقَ أخلاقاً إلى حينِ

---

(١) في أمالي القالي ج ١ ص ٢٥٥ طبع دار الكتب: «بصادق».

(٢) أقليه: أبغضه.

(٣) أصله: لله ابن عمك، حذفت منه اللام الخافضة.

(٤) الديان: القائم بالأمر. وتخزوني: تسوسني وتقهرني.

(٥) العزاء: الشدة.

(٦) المحتجز: الشادّ مئزره على وسطه وهو كناية عن التهيؤ للأمر والتشمر له.

(٧) هذا وارد على ما يزعمه العرب في جاهليتهم من أن روح القتيل الذي لم يدرك بثأره تصير هامة فتزقو عند قبره وتقول: اسقوني اسقوني، فاذا أدرك بثأره طارت.

إني لعَمْرُكَ ما بابي بـذي غَلَقٍ (١) عن الصديق ولا خيري بممنونِ
ولا لساني على الأدنى بمنطلقٍ بالمنكرات ولا فتكي بمأمونِ
لا يُخرِجُ القسر مني غير مَغضَبةٍ (٢) ولا ألينُ لِمَنْ لا يبتغي ليني
وأنتم مَعشرٌ زَيدٌ على مائـةٍ فأجمعوا أمركم شتّى فكيدوني
فإن علمتم سبيل الرُّشد فانطلقوا وإن غَبيتُم طريق الرشدِ فأتوني
يا رُبَّ ثوبٍ حواشيه كأوسطِه لا عيب في الثوب من حسن ومن لينِ
يوماً شَدَدتُ على فَرْغاء (٣) فاهقةٍ يوماً من الدّهر تاراتٍ تماريني
ماذا عليَّ إذا تدعونني فَزَعاً ألّا أُجيبكم إذ لا تُجيبوني
وكنتُ أُعطيكم مالي وأمنحكم وُدّي على مُثبَتٍ في الصدر مكنوني
يارُبَّ حَيٍ شديد الشَّغْبِ ذي لَجَبٍ (٤) دَعَوتُ من راهنٍ منهم ومرهونِ
رَدَدتُ باطِلهم في رأس قائلهم حتى يَظَلّوا خصوماً ذا أفانينِ
يا عَمرو لو كنتَ لي ألفيتني يَسَراً (٥) سَمحاً كريماً أُجازي من يُجازيني

قصيدته في رثاء قومه :

قال ابو عمرو : وقال ذو الإصبع يرثي قومه :

وليس المرء في شيء من الإبرام والنقـضِ
اذا يفعـلُ شيئاً خا له يَقضي وما يَقضي

---

(١) الغلق : ما يغلق به الباب .

(٢) في المفضليات : « مأبية » ومعناه : اذا أكرهت على شيء لم يكن عندي إلا الإباء له .

(٣) الفرغاء : الواسعة والمراد طعنة واسعة . والفاهقة : التي تفهق بالدم أي تصب .

(٤) اللجب : ارتفاع الأصوات واختلاطها .

(٥) اليسر : السهل الانقياد .

جَديدُ العيش ملبوسٌ وقد يُوشِكُ أن يُنضي

وقد مضى بعض هذه القصيدة متقدّماً في صدر هذه الأخبار، وتمامها :

وأمرَ اليوم أَصلِحْهُ ولا تَعرِض لما يَمضي
فبينا المرء في عَيشٍ له من عيشةٍ خَفضِ
أتاه طَبَقٌ[1] يوماً على مَزْلَقةٍ دَحْضِ
وهم كانوا فلا تُكذَبْ ذوي القوّة والنَّهضِ
وهم إن وَلَدوا أَشْبَوا[2] بسرّ الحسب المحضِ
لهم كانت أعالي الأر ض فالسرّان فالعِرْضِ[3]
الى ما حازه الحَزْنُ فما أسهلَ للحَمْضِ
الى الكَفْرَينِ من نخلةَ فالدّاءة[4] فالمَرضِ
لهم كان جِمامُ[5] الما ءِ لا المُزجَى[6] ولا البَرضِ
فكان الناس إذ همّوا ببُسْرٍ خاشعٍ مُغضي
تنادَوْا ثم ساروا بـرئيسٍ لهمُ مُرضي
فَمَنْ ساجَلهم حرباً في الخَيبةِ والخفضِ
وهم نالوا على الشَّنآ ن والشَّحناء والبُغضِ

(١) الطبق : الشدة ، وبه فسر قوله تعالى : (لتركبن طبقاً عن طبق) .

(٢) يقال : أشبى فلان اذا ولد له ولد كيس .

(٣) السران : اسم موضع . والعرض : واد اليامة . ويقال لكل وادٍ فيه قرى ومياه : عرض .

(٤) الداءة (بوزن داعة) : اسم للجبل الذي يحجز بين نخلتين الشامية واليانية من نواحي مكة .

(٥) الجمام : جمع جم وهو الكثير من كل شيء .

(٦) المزجى : القليل ، ومنه بضاعة مزجاة أي قليلة . والبرض : القليل أيضا ، يقال : ماء برض ، في مقابلة ماء غمر . وفي المثل « برض من عدّ » أي قليل من كثير .

مَعالي لم ينلهـا النا س ُ في بَسْطٍ ولا قبْضِ

شعر ابنته :

قال ابو عمرو : قالت أُمامةُ بنتُ ذي الإصبع وكانت شاعرة ترثي قومها :

كم من فتى كانت له مَيْعَةٌ[١] أبلجَ مثـل القمر الزاهرِ
قد تَمرَّت الخيلُ بجافاتـه كمرِّ غيثٍ لجبٍ[٢] ماطِرِ
قد لقِيَتْ فهمٌ وعَدوانُهـا قتْلاً وهُلكاً آخرَ الغابرِ
كانوا ملوكاً سادةً في الذُّرى دهراً لها الفخرُ على الفاخرِ
حتى تَساقَوا كأسهم بينهم بَغْياً فَيا لِلشاربِ الخـاسِرِ
بادُوا فمنْ يَحْلُلْ بأوطـانهم يَحْلُلْ برَسْمٍ مُقْفرٍ داثِرِ

شعره في الكبر :

قال أبو عمرو : ولأُمامة ابنته هذه يقول ذو الإصبع ورأته قد نهض فسقط وتوكّأ على العصا فبكت فقال :

جَزِعَت أُمامَةُ أن مَشَيتُ على العصا وَتذَكَّرَتْ إذ نحن مِ الفِتْيانِ
فَلَقَبْلَ ما رام الإله بكيـده إرَماً وهذا الحيَّ مِنْ عَدوانِ

---

(١) الميعة : أوّل الشباب وأنشطه .

(٢) يقال : غيث لجب أو سحاب لجب، لما فيه من قعقعة الرعد .

بعد الحكومةِ والفضيلة والنُّهى طاف الزمانُ عليهمُ بأوانِ
وتفرّقوا وتقطّعتْ أشلاؤهم وتبدّدوا فِرَقاً بكلّ مكانِ
جَدَبَ البلادُ فأُعقِمتْ أرحامُهم والدّهرُ غيّرهمْ مع الحِدثانِ
حتى أبادَهمُ على أُخراهمُ صَرعى بكلّ تُنُوفةٍ ومكانِ
لا تَعجَبِنَّ أمام من حدَثٍ عرا فالدّهرُ غيّرنا مع الأزمانِ

ذكر قيل مولى العبلات

ولاؤه وغناؤه :

قال هارونُ بنُ محمد بن عبد الملك : أخبرني حمَّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

كان يحيي قَيْل عبداً للثُّريَّا ورَضيًا وأخواتها بنات عليّ بن عبد الله بن الحارث ابن أُميَّة الأصغر بن عبد شمس مَوْليات الغريض .

قال وحدّثني حمَّاد قال حدّثني أبي قال حدثني ابن أبي جَناح قال حدّثنا مقاحف بنُ ناصح مولى عبد الله بن عباس قال قال حدّثني هشام بن المُريّه — وهي أمه ، وهو مولى بني مَخْزوم — قال :

كان يحيي قيل عبداً لامرأة من العَبلات ، وله من الغناء :

وأخرجتُها من بطن مكةَ بعد ما أَصاتَ المنادي للصلاةِ وأَعْتَما[1]

فرّتْ ببطن اللّيثِ[2] تهوي كأنما تُبادرُ بالإصباح نَهْباً مُقسَّما

والشعرُ لابي دَهْبَلٍ الُجمحيّ . وأول هذه القصيدة :

ألا عَلِقَ القلبُ المتيّم كأنما

---

(١) أعتم : دخل في العتمة وهي ثلث الليل الأول بعد مغيب الشفق .

(٢) الليث (بكسر اللام) : وادٍ بأسفل السراة يدفع في البحر أو موضع بالحجاز . ويروى : « البيت » .

ابو دهبل الجمحي :

وأخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثني الزّبير بن بكّار قال حدثني يحيى بن المِقْداد الزّمْعيّ قال حدّثني عمي موسى بن يعقوب الزّمْعيّ قال أنشدني أبو دَهْبَل الجُمحيّ لنفسه :

ألا عَلِقَ القلبُ المتيّمُ كَلْثما لَجوجاً ولم يلزَمْ من الحبّ مَلْزما
خَرَجْتُ بها من بطن مكة بعد ما أصاتَ المنادي للصّلاة وأعتما
فما نام من راعٍ ولا ارتدّ سامرٌ من الحيّ حتى جاوزَتْ بي يَلَمْلَما[1]
ومرّتْ ببطن اللّيثِ تهوي كأنها تُبادرُ بالإدلاج نَهْباً مُقسّما
أجازت على البَزْواء[2] والليلُ كاسرٌ جناحَيْنِ بالبزواء وَرْداً[3] وأدْهما
فما ذرّ قرنُ الشمس حتى تبيّنَتْ بِعُلَيبَ[4] نخلاً مُشرفاً ومُخيّما
ومرّت على أشطان[5] دُومةَ[6] بالضحى فما خزَرتْ للماء عيناً ولا فَما
وما شَربَتْ حتى ثنَيتُ زمامها وخِفْتُ عليها أن تُخرَّ وتُكْلَما
فقلت لها قد تِعْتِ[7] غيرَ ذميمةٍ وأصبحَ وادي البُرْكِ[8] غَيْثاً مُدَيّما

---

(١) يلملم : موضع على ليلتين من مكة وهو ميقات أهل اليمن ، وفيه مسجد معاذ بن جبل رضي الله عنه .

(٢) البزواء : موضع في طريق مكة قريب من الجحفة .

(٣) الورد : وصف من الوردة وهي لون أحمر يضرب الى صفرة ، يقال : ورُد الفرس يورد ورُدة اذا صار ورداً أي كلون الورد وهو ما بين الكميت والأشقر ، والمراد بالورد هنا الفجر عند انشاقه ، وبالأدم آخر ما بقي من سواد الليل .

(٤) عليب : موضع بتهامة .

(٥) الأشطان : جمع شطن وهو الحبل الطويل الشديد الفتل يستقى به .

(٦) الدومة : وادٍ بين المدينة وخيبر به آبار .

(٧) تعت : أسرعت في السير، من تاع الماء يتيع تيعاً أي سال على وجه الأرض .

(٨) ناحية باليمن بين ذهْبان وحَلي وهو نصف الطريق بين حلي ومكة .

قال فقلت له : يا عمّ ما كنتَ إلا على الريح ! فقال : يابن أخي إنّ عمّك كان إذا همّ فعل ، وهي العَجاجة ، أما سمعتَ قول أخي بني[1] مُرّة :

إذا أقبلَتْ قُلتَ مَشحُونَـةٌ أقلَّتْ لها الرِّيحُ قِلعاً[2] جفولا
وإن أدبرتْ قلتَ مَذعورةٌ من الرُّمدِ[3] تتبعُ هَيقاً[4] ذَمولا
وإن أعرضتْ[5] خالَ فيها البَصيرُ ما لا يُكلِّفه أن يَفيلا[6]
يَداً سُرُحاً مائراً[7] ضَبْعُها تَسومُ[8] وتَقدُمُ رِجلًا زَجولا
فمرّتْ على كشبٍ[9] غُدوةً ومرّتْ فُوَيقَ أُريكٍ[10] أصيلا
تُخَبِّطُ بالليل حِزّانَهُ[11] كَخَبْط القويِّ العزيزِ الذّليلا

(١) هو بشامة بن عمرو الغدير كما في معجم ياقوت البكري في الكلام على « كشب » .

(٢) القلع : شراع السفينة .

(٣) الرمد : جمع رمداء وهي النعامة التي فيها سواد منكسف كلون الرماد ، ويروى : « الدبر » وهو النحل والزنابير .

(٤) الهيق : الظليم وهو ذكر النعام . وذمولا : سريعاً .

(٥) أعرضت : رأيتها من عرضها وأحد جانبيها .

(٦) يفيل : يخطىء ، من فال رأيه اذا أخطأ ، والمراد انها اذا رؤيت لم يخطىء البصير في نجابتها .

(٧) يقال : مارت الناقة تمور فهي مائرة اذا كانت نشيطة في سيرها . والضبع : العضد ، وقيل : هو ما بين الإبط الى نصف العضد .

(٨) تسوم : تعدو على وجهها ، وقيل : تمرّ مرًّا سهلاً . وزجولا بالزاي والجيم من الزجل وهو الدفع ، والمراد تدفع نفسها .

(٩) كذا في معجم ياقوت في مادة كشب والبكري ، وقد اختلف ضبطه في ياقوت والبكري وشرح القاموس فقد روى بضم أوله وتشديد ثانيه المفتوح كما روي ككتب وككتف وهو جبل مما يلي حدود اليمن . وفي جميع النسخ وياقوت في الكلام على أريك : « فمرت بذي خشب الخ » وذو خشب : موضع قرب المدينة .

(١٠) أريك : جبل في بلاد بني مرة ، قال جابر بن حنى التغلبي :

تصعّد في بطحاء عرق كأنها ترقى الى أعلى أريك بسلم

وقال الأخفش : انما سمي أريكاً لأنه جبل كثير الأراك .

(١١) الحزان بكسر الحاء وضمها : جمع حزين وهو المكان الغليظ الصلب من الارض ، وفي الأصول : « حزانة » بالتاء المنقوطة وهو تحريف .

أخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني ابن أصبغ السلميّ قال :

جاء إنسانٌ يغنّي الى عَيّاش المِنقريّ بالعقيق فجعل يُغنّيه قول أبي دهبل :

ألا عَلِقَ القلبُ المتيمُ كَلثما

وجعل يعيده فلما أكثر قال له عيّاش : كم تُنذر بالعجوز عافاك الله ! إسم أمي كلثمُ ، قال : وتسمع العجوز ، فقالت : لا والله ما كان بيني وبينه شيء .

قال : ومن غنائه :

أزرى بنا أننا شالَتْ نعامتُنا ... فخالني دونه بل خِلته دوني

فإن تُصبكَ من الأيام جائحةٌ ... لا نَبكِ منك على دنيا ولا دينِ

وأول هذه الأبيات فيما أنشدناه عليّ بن سليمان الأخفش عن ثعلب .

صوت

من المائة المختارة

لِيَ ابنُ عمٍ على ما كان من خلقٍ ... مختلفانِ فأقليه ويَقليني

لاهِ ابنُ عمِّكَ لا أفضلتَ في حَسَبٍ ... عَنّي ولا أنتَ ديّاني فتخزوني

غنّى في هذين البيتين الهذليّ ثاني ثقيل بالوُسطى .

وقد عَجِبتُ وما في الدهر من عَجبٍ ... يَدٌ تَشجُ وأخرى منك تأسوني

صوت

من المائة المختارة

إدْفعْ ضَعيفَكَ لا يَحُرْ بكَ ضَعفُه ... يوماً فتدركَه العواقبُ قد نما

يَجزيك أو يُثني عليك وإنّ مَنْ ... أثنى عليكَ بما فعلتَ فقد جزى

عروضه من الكامل . الشعرُ لغريض[1] اليهوديّ وهو السموءل[2] بن عادياء ، وقيل إنه لابنه سَعْيَة[3] بن غريض ، وقيل إنه لزيد بن عمرو بن نُفَيل ، وقيل إنه لوَرَقة بن نَوفل ، وقيل إنه لزُهير بن جَناب ، وقيل إنه لعامر بن المجنون الجَرْميّ الذي يقال له : مَدْرَج الرّيح ، والصحيحُ أنه لغريض أو لابنه .

---

(١) كذا ورد هذا الاسم بالغين المعجمة وفي شرح القاموس مادة عرض ذكر ابنه سعية فقال : «وكزبير سعية بن عريض ويقال بالغين المعجمة أيضاً» وقد جاء في الاصابة ج ٣ ص ١٦٧ في الكلام على سعية أنه سعية بن غريض بفتح الغين المعجمة .

(٢) ذكر أبو الفرج هذا الاسم هنا فقال : إن الغريض اليهوديّ هو السموءل بن عادياء وفي ترجمة السموءل ج ١٩ ص ١٨ طبع بولاق قال : إنه السموءل بن غريض بالغين المعجمة، وقال صاحب معاهد التنصيص شرح شواهد التلخيص « إنه السموءل بن عريض » بالعين المهملة .

(٣) صحح الاستاذ الشنقيطي في نسخته طبع بولاق هذا الاسم هكذا : سعية بالسين والعين والياء وسعنة بالسين والعين والنون وكتب فوقه كلمة «معاً» إشارة الى أن كليهما صحيح، وقد ذكرهما كذلك ابن حجر في كتاب الاصابة، وجاء في شرح القاموس مادة سعى « وسعية بن عريض شاعر » . وفي جميع الاصول : « شعبة بن غريض » .

خبر غريض اليهودي

نسبه واصل قومه :

وَغريضٌ هذا من اليهود من ولد الكاهن بن هارون بن عِمْران صلى الله عليه وسلم ، وكان موسى عليه الصلاة والسلام وجَّه جيشاً الى العَماليق وكانوا قد طَغَوا وبلغت غاراتهم الى الشام وأمرهم إن ظَفروا بهم يقتلوهم أجمعين ، فظفَروا بهم فقتلوهم أجمعين سوى ٱبن لملكهم كان غلاماً جميلًا فرحموه وٱستبقوه ، وقدموا الشام بعد وفاة موسى عليه السلام فأخبروا بني إسرائيل بما فعلوه ؛ فقالوا : أنتم عصاةٌ لا تدخلون الشام علينا أبداً ، فأخرجوهم عنها . فقال بعضهم لبعض : ما لنا بلدٌ غيرِ البلد الذي ظفرنا به وقتلنا أهله ؛ فرجعوا الى يَثْرِبَ فأقاموا بها وذلك قبل ورود الأوْس والخَزْرج إياها عند وقوع سَيل العرم[1] باليمن ، فمِنْ هؤلاء اليهود قُرَيظةُ والنَّضير وبنو قَينقاع وغيرهم ، ولم أجد لهم نسباً فأذكره لأنهم ليسوا من العرب فتُدَوَّن العرب أنسابَهم إنما هم حُلفاؤُهم ، وقد شَرَحتُ أخبارهم وما يُغَنَّي به من أشعارهم في موضع آخر من هذا الكتاب .

والغناء في اللحن المختار لأبن صاحب الوضوء واسمه محمد وكنيتُه أبو عبد الله ، وكان أبوه على المِيضأة[2] بالمدينة فعُرف بذلك ، وهو يسيرُ الصناعة ليس ممن خَدَمَ الخلفاء ولا شُهر عندهم شُهرة غيره . وهذا الغناء ماخوريٌّ بالبنصر وفيه ليونُس ثاني ثقيل بالبنصر .

---

(١) العرم : اسم واد وقيل : السيل الذي لا يطاق، وقيل : المطر الشديد.

(٢) الميضأة : مطهرة كبيرة يتوضأ منها، والعامة تقول : ميضة .

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدّثنا الرّياشيّ وعبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن الأصمعيّ عن ابن أبي الزّناد عن هشام بن عروة قال:

إرفَع ضعيفك لا يحرْ بك ضعفه لغريض اليهوديّ.

وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أحمد بن عيسى قال حدّثنا مؤمّل بن عبد الرحمن الثقفيّ قال حدّثني سهل[1] بن المُغيرة عن الزُّهريّ عن عروة عن عائشة قالت:

دخل عليّ رسول الله صلّى الله عليه وسلم وأنا أتمثّلُ بهذين البيتين:

إرفعْ ضعيفك لا يحرْ بك ضعفه يوماً فتُدركَه العواقبُ قد نَمَا
يَجزيك أو يُثني عليك وإنّ مَن أثنى عليك بما فعلتَ فقد جَزى

فقال صلى الله عليه وسلم: «رُدّي عليّ قول اليهوديّ قاتله الله! لقد أتاني جبريلُ برسالة من ربي: أيّما رجل صنعَ الى أخيه صَنيعةً فلم يَجدْ له جزاء إلّا الثناء عليه والدعاء له فقد كافأه».

قال أبو زيد: وقد حدّثني أبو عثمان محمد بن يحيي أن هذا الشعر لورقة بن نَوفل، وقد ذكر الزُّبير بن بكّار أيضاً أن هذا الشعر لورقة بن نوفل وذكر هذين البيتين في قصيدةٍ أوّلها:

---

(١) لعله سهل أبو حريز مولى المغيرة، قال عنه ابن حبان يروي عن الزهري العجائب، وله ترجمة.

(٢) جاء في الجزء الثالث من العقد الفريد لابن عبد ربه صحفية ١١٩ في باب (فضائل الشعر): «وسمع النبيّ صلى الله عليه وسلم عائشة وهي تنشد شعر زهير بن حباب — وصوابه جناب — تقول:

ارفع ضعيفك لا يحل بك ضعفه يوماً فتدركه عواقب ما جنى
يجزيك أو يثني عليك فإن من أثنى عليك بما فعلت كمن جزى

فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «صدق يا عائشة لا شكر الله من لا يشكر الناس» ويرى المتأمل أن في هذه الرواية والبيتين اختلافاً عما هو وارد في الأغاني.

رَحَلَتْ قُتيلةُ عِيرَها قبل الضحى وأخالُ أن شَحَطَت بجارتك النّوى
أو كلّما رَحَلَتْ قُتيلَةُ غُدْوَةً وغَدَتْ مُفارَقَةً لأرضهم بكى
ولقد ركِبتُ على السَّفِينِ مُلجِجاً[١] أذرُ الصديق وأنتَحي دار العِدا
ولقد دخلتُ البيت يُخشى أهلُه بعد الهدوء وبعد ما سقط الندى
فوجدتُ فيه حُرّةً[٢] قد زُيِّنَتْ بالحَلْي تحسَبه بها جمرَ الغضا
فنعِمْتُ بالًا إذ أتيتُ فِراشها وسقطتُ منها حين جئتُ على هَوَى
فلتلك لذّاتُ الشّبابِ قَضَيتُها عَنّي فسائلْ بعضَهم ماذا قَضى
فرج الرِّباب فليس يؤذي فرجه لا حاجةً قَضًى ولا ماء بغى
فارفَعْ ضعيفكَ لا يحرْ بك ضعفُه يوماً فتدركه العواقبُ قد نَمَا
يَجزيكَ أو يُثني عليك وإنّ مَنْ أثنى عليك بما فعلتَ فقد جَزى

---

(١) ملججاً : خائضاً اللجة وهي معظم الماء .

(٢) ويروى « طفلة » بفتح الطاء وهي المرأة الناعمة الرخصة .

وكلاء التوزيع والاشتراكات

لكتاب الاغاني في العالم العربي

الوكلاء العموميون : **دار الثقافة** — ميدان السور — بيروت

مصر والسودان	: **شركة توزيع الاخبار**	— ميدان التحرير	القاهرة
مصر والسودان	: **مكتبة الخانجي**	— شارع عبد العزيز	القاهرة
العراق	: **مكتبة المثنى**	— قاسم الرجب	بغداد
افريقيا الشمالية	: **دار الكتب**	— الدار البيضاء	مراكش
الكويت	: **مكتبة الطلبة**	— عبدالرحمن الخرجي	الكويت
الخليج الفارسي	: **المكتبة الوطنية**	— ابراهيم محمد	البحرين
المملكة السعودية العربية	: **مكتبة الثقافة**	— مكة المكرمة	المملكة السعودية

ولنا وكلاء في الحجاز ونجد والطائف وفي عموم البلاد العربية — وفي اوربا — وفي الاميركتين .

بدل الاشتراك

٣٠ ليرة لبنانية او ما يعادلها بدل اشتراك ٢٤ جزءاً بما فيه الاعداد الممتازة
(يضاف اليها اجور البريد للخارج)

يراجع بخصوص الاشتراكات

دار الثقافة ص . ب ٥٤٣ — تلفون ٣٠٥٦١ — بيروت
وعموم الوكلاء

يوجد لدى الدار نسخ محدودة من المجلد الاول مجلدة تجليداً ممتازاً

الثمن ٧ ليرات — اطلبه من الدار

ثمن النسخة ١٥٠ غ . ل .

كتاب الأغاني

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني

المجلد الثالث - الجزء الثاني

القسم ١٠

الناشر

دار الثقافة

بيروت

١٩٥٥

ذكر ورقة بن نوفل ونسبه

هو ورقةُ بن نوفل بن عبد العزّى بن قُصيّ ، وأمه هندُ بنتُ أبي كثير بن عبد بن قُصيّ . وهو أحدُ من اعتزلَ عبادة الاوثان في الجاهلية وطلب الدين وقرأ الكتبَ وامتنع من أكل ذبائح الاوثان .

نسبة ما في هذا الشعر من الغناء

غير «ارفع ضعيفَكَ ...»

صوت

ولقد طرقتُ البيتَ يخشى أهلُه بعد الهدوء وبعد ما سقط الندى
فوجدتُ فيه حُرّةً قد زُيّنت بالحلي تحسَبُه بها جمر الغضا

الشعرُ لورقة بن نوفل[1] . والغناء لابن مُحرز من القدر الاوسط من الثقيل الاول بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق .

أخبرنا الطُّوسي قال حدثنا الزُّبيرُ بن بكّار قال حدثنا عبدُ الله بن مُعاذ عن مَعمَر عن الزُّهري عن عُروة بن الزُّبير قال :

سُئلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ورقةَ بن نوفل كما بلغنا فقال : «قد

(١) ذكر في شرح شواهد الرضى أن هذه الأبيات لزيد بن عمرو بن نفيل ، وقيل لأمية بن أبي الصلت .

رأيتُه في المنام كأنّ عليه ثياباً بيضاً فقد[١] أظنّ أن لو كان من أهل النار لم أرَ عليه البياض ».

قال الزبير وحدّثنا عبد الله بن مُعاذ عن معمر عن الزُّهريّ عن عائشة :

أنّ خديجة بنت خُوَيلد انطلقت بالنبيّ صلى الله عليه وسلم حتى أتت به وَرَقة ابن نَوفل بن أسد بن عبد العُزّى وهو ابن عمّ خديجة أخي أبيها ، وكان امرأً تنصَّر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب[٢] العِبرانيّ فيكتب بالعبرانية من الإنجيل ما شاء أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عَمِيَ ، فقالت خديجة : أي ابنَ عمِّ ، اسمعْ من ابن أخيك ؛ قال ورقة : يابن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى فقال ورقة : هذا الناموس[٣] الذي أنزله الله تبارك وتعالى على موسى ؛ يا ليتني فيها جَذَع[٤] ، ليتني أكون حيّاً إذ يُخرجكَ قومُك ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أوَ مُخرجيّ هم ؟ قال ورقة : نعم ، لم يأت رجل قطُّ بمثل ما جئتَ به إلا عوديَ ، وإن يُدركْني يومك لأنصرنّك نصراً مؤزّراً ، ثم لم ينشب ورقة أن تُوُفّي .

انتصاره لمعذب في الله :

قال الزُّبير حدّثني عثمان عن الضحّاك[٥] بن عثمان بن عبد الرحمن بن أبي الزِّناد

---

(١) ورد الحديث في ص ٨٨ جزء خامس من اسد الغابة في معرفة الصحابة في حديث عائشة قالت : « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ورقة فقالت له خديجة : إنه كان صدقك وإنه مات قبل أن تظهر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيته في المنام وعليه ثياب بياض ولو كان من أهل النار لكان عليه لباس غير ذلك » .

(٢) الكتاب : مصدر كالكتابة .

(٣) الناموس في الأصل : صاحب السر أو صاحب سر الوحي ، والمراد به جبريل عليه السلام .

(٤) الجذع : الشاب الحدث ، أي يا ليتني أكون شاباً حين تظهر نبوّته حتى أبالغ في نصرته .

(٥) الضحاك بن عثمان إما أن يكون الضحاك بن عثمان بن الضحاك بن عثمان المتوفي سنة ثمانين ومائة وهو الذي وصفه الزبير بن بكار بأنه كان علامة قريش بأخبار العرب وأيامها وأشعارها وأحاديث الناس وهو الذي يروي الزبير بن بكار عن ابنه محمد كما سيأتي ، وإما أن يكون الضحاك بن عثمان جده المتوفي سنة ثلاث وخمسين ومائة ، لأن كلا منهما عاصر عبد الرحمن بن أبي الزناد الذي ولد سنة مائة وتوفي سنة أربع وسبعين ومائة .

قال قال عروة : كان بلالٌ لجارية من بني جُمَح بن عمرو ، وكانوا يعذّبونه برَمضاء[١] مكة ، يُلصقون ظهره بالرمضاء ليُشرك بالله ؛ فيقول : أحدٌ أحدٌ ؛ فيمرّ عليه ورقة ابن نوفل وهو على ذلك يقول : أحد أحد ، فيقول ورقة بن نوفل : أحدٌ أحدٌ والله يا بلال ! والله لئن قتلتموه لأتخذنّه حناناً[٢] كأنه يقول : لأتمسّحنّ به . وقال وَرَقة بن نوفل في ذلك :

لقد نَصحتُ لأقوامٍ وقلتُ لهم أنا النذيرُ فلا يَغرُرْكم أحدُ
لا تَعبُدُنّ إلهاً غير خالقكم فإن دَعَوكم فقولوا بيننا حَدَدُ[٣]
سُبحانَ ذي العرش سبحاناً نعوذ به وقبلُ قد سبّح الجوديّ والجُمُدُ[٤]
مُسخَّرٌ كلُّ ما تحت السماء له لا ينبغي أن يُناوي مُلكه أحدُ
لا شيء مما ترى تبقى بشاشتُه يبقى الإله ويُودي المالُ والولدُ
لم تُغنِ عن هُرمُزٍ يوماً خزائنه والخُلدَ قد حاولت عادٌ فما خَلَدوا
ولا سُليمانَ إذ دان الشُعوبُ له والجنُّ والإنسُ تجري بينها البُرُدُ[٥]

ثناء عليه :

قال الزبير حدّثني عمي قال حدّثنا الضحّاك بن عبد الرحمان بن أبي الزّناد عن هشام بن عروة :

---

(١) الرمضاء : الارض الحامية من شدة حر الشمس .

(٢) شرح اللسان هذه العبارة في مادة «حنن» فقال : الحنان : الرحمة والعطف ، والحنان : الرزق والبركة ؛ اراد لأجعلن قبره موضع حنان أي مظنة من رحمة الله تعالى فأتمسح به متبركاً كما يتمسح بقبور الصالحين الذين قتلوا في سبيل الله من الأمم الماضية فيرجع ذلك عاراً عليكم وسبة عند الناس ، وضعف هذا الحديث بأن ورقة مات قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وبلال ما عذب إلا بعد أن أسلم ، وهو ضعيف الإسناد لأنه مرسل وعروة تابعي لم يدرك عصر النبوة .

(٣) الحدد (بالتحريك) : المنع ، يقال : دونه حدد أي منع .

(٤) الجودي : جبل بالجزيرة استوت عليه سفينة نوح عليه السلام ، والجمد : جبل بنجد .

(٥) البرد : جمع بريد وهو الرسول : وقد ورد البيت الثالث من هذه الابيات في كتاب سيبويه غير معز لأحد وذهب أكثر شراحه الى أنه لأمية بن الصلت وقال بعضهم : إنه لزيد بن عمرو بن نفيل ، وصوّب البغدادي في الخزانة ج ٢ ص ٣٩ أن هذا الشعر لورقة بن نوفل كما نسبه اليه السهيلي والحافظ الكلاعي في سيرته .

أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأخي ورقة بن نوفل أو لاَبن أخيه : « شعرتُ أنّي قد رأيت لوَرَقة جنّة ، أو جنّتين » ، يشكّ هشام .

قال عروة : ونَهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبّ ورقة .

وقال الزبير وحدّثني عمي قال حدّثني الضحّاك عن عبد الرحمن بن أبي الزّناد عن هشام بن عُروة عن ابيه :

أن خديجة كانت تأتي ورقة بما يُخبرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يأتيه فيقول ورقة : لئن كان ما يقول حقًّا إنه ليأتيه الناموس الأكبر ناموس عيسى بن مريم الذي لا يجيزه أهل الكتاب إلا بثمن[١] ، ولئن نَطقَ وأنا حيٌّ لأُبلِيَنَّ فيه لله بَلاء حسناً .

(١) هذه الكلمة محرفة في جميع الاصول وفي شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ١ ص ٢٥٩ طبع بولاق : « إنه ليأتيه ناموس عيسى الذي لا يعلمه بنو إسرائيل أبناءهم » .

خبر زيد بن عمرو ونسبه

هو زيد بن عَمْرو بن نُفَيل بن عبد العُزّى بن رياح بن عبد الله بن قُرْط بن رَزاح بن عَديّ بن كَعْب بن لُؤيّ بن غالب . وأمه جَيْداء بنت خالد بن جابر أبي حبيب بن فَهْم . وكانت جَيداء عند نُفَيل بن عبد العُزّى فولدت له الخطّاب أبا عُمر بن الخطّاب وعبدنُهم[١] ، ثم مات عنها نُفَيل فتزوّجها ابنه عمرو فولدتْ له زيداً ، وكان هذا نِكاحاً يَنكِحه أهلُ الجاهلية .

اعتزاله الاوثان :

وكان زيد بن عمرو أحدَ مَن اعتزل عبادة الأوثان وامتنع من أكل ذبائحهم وكان يقول : يا معشر قريش ، أيُرسلُ الله قطرَ السماء ويُنبت بَقل الأرض ويَخلق السائمةَ فترعى فيه وتذبحوها لغيره ! والله ما اعلمُ على ظهر الأرض أحداً على دين إبراهيم غيري .

أخبرنا الطوسيّ قال حدّثنا الزُبير قال حدّثني عمي مصعب بن عبد الله ومحمد ابن الضحّاك عن أبيه ، قالا :

نفيه :

كان الخطّاب بن نُفيل قد أخرج زيد بن عمرو من مكة وجماعةٌ من قريش ومنعوه أن يدخلها حين فارقَ أهلَ الأوثان ، وكان أشدّهم عليه الخطّاب بن نُفيل .

(١) نهم بالفم : شيطان أو صنم لمزينة ، وبه سموا «عبدنهم» .

وكان زيد بن عمرو اذا خلص الى البيت استقبله ثم قال: لبَّيك حقاً حقاً؛ تعبُّداً ورقاً؛ البِرَّ[١] أرجو لا الخال[٢]، وهل مُهجِّر[٣] كمن قال[٤]! ثم يقول:

عُذتُ بما عاذَ بـه إبراهيمُ ... مُستقبِلَ الكعبـة وهو قائمُ
يقول أنفي لك عانٍ راغمُ ... مهما تُجشِّمْني فإني جاشِمُ[٥]

ثم يسجد . قال محمد بن الضحَّاك عن أبيه : وهو الذي يقول :

لا هُمَّ إني حَرَمٌ لا حِلَّهْ[٦] ... وإنَّ داري أوسط المَحَلَّهْ
عند الصَّفا ليست بها مَضَلَّهْ

قال الزُّبير وحدَّثني مصعب بن عبد الله عن الضحَّاك بن عثمان عن عبد الرحمن ابن أبي الزناد قال قال هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت : قال زيد بن عمرو بن نُفَيل :

عزلتُ الجنَّ والجِنَّانَ عنِّي[٧] ... كذلك يفعل الجَلْدُ الصَّبورُ

---

(١) البر : الطاعة والخير .

(٢) الخال : الخيلاء .

(٣) المهجر : السائر في الهاجرة .

(٤) قال : أقام في القائلة .

(٥) جاشم : وصف من جشم الأمر اذا تجشمه وتكلفه على مشقة .

(٦) كذا ورد «حرم» و«حله» مضبوطين في بعض الاصول ، وهذا الضبط هو الذي يتزن به الشعر ، فلعلها مصدران وصف بهما، إذ الوصف الذي ورد في كتب اللغة من هذه المادة في هـذا المعنى : «حرم» و«حل» بالكسر و«حرام» و«حلال» .

(٧) الأرب في أحوال العرب ج ٢ ص ٢٢٠ طبع مطبعة دار السلام ببغداد :
ترکت اللات والعزى جميعاً

فلا العُزّى أدينُ ولا ٱبنتيها ... ولا صَنَمَيْ بني غَنْمٍ (١) أزورُ
ولا هُبَلاً (٢) أدينُ وكان رَبّاً ... لنا في الدهر إذ حِلمي صغيرُ
أربًّا واحداً أم الف ربٍّ ... أدينُ إذا تُقُسِّمَت الأمورُ
ألم تعلمْ بأنّ الله أفنى ... رجالاً كان شأنَهمُ الفُجورُ
وأبقى آخرين ببِرِّ قومٍ ... فيربو منهم الطفلُ الصغيرُ
وبينا المرءُ يَعثُرُ ثابَ (٣) يوماً ... كما يتروّحُ الغصنُ النضيرُ

فقال ورقة بن نوفل لزيد بن عمرو بن نُفَيْل :

رَشَدتَ وأنعمتَ ٱبن عمرو وإنما ... تجنّبتَ تنُّوراً من النار حامياً
بدينك ربًّا ليس ربٌّ كمثله ... وتركِكَ جِنّانَ (٤) الجبالِ كما هيا
أقول اذا ما زُرتُ أرضاً مخوفةً ... حنانَيْكَ لا تُظهِرْ عليّ الأعاديا
حنانَيْكَ إنّ الجنَّ كانت رجاءَهُم ... وأنت إلهي ربّنـا ورجائيا
أدينُ لربٍّ يستجيبُ ولا أرى ... أدينُ لمن لا يسمع الدهرَ داعياً
أقول اذا صلّيتُ في كلِّ بِيعةٍ ... تباركتَ قد أكثرتُ بأسمك داعياً

يقول : خلقتَ خلقاً كثيراً يدعون بأسمك .

امتناعه عن الذبائح :

قال الزُّبير وحدّثني مصعب بن عبد الله قال حدّثني الضحّاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزِّناد عن موسى بن عُقْبة قال سمعتُ من أرضى يحدِّث :

---

(١) كذا في كتاب الاصنام لابن الكلبيّ ص ٢٢ طبع المطبعة الأميرية وبلوغ الارب في أحوال العرب ، والذي في الأصول : « بني طسم » وطسم من القبائل البائدة فلم يكن لها في عهد زيد بن عمرو أصنام يهجرها .

(٢) كذا في كتاب الأصنام لابن الكلبيّ ، وهبل كصرد : صنم كان لقريش في الكعبة يعبدونه .

(٣) ثاب : عاد الى ما كان عليه من استقامة .

(٤) جنّان الجبال : الذين يأمرون بالفساد من شياطين الأنس أو من الجنّ .

ان زيد بن عمرو كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول : الشاة خلقها الله وانزل من السماء ماء وانبت لها من الارض نباتاً ثم تذبحونها على غير اسم الله ! إنكاراً لذلك وإعظاماً له .

قال الزبير : وحدّثني مصعب بن عبد الله عن الضحّاك بن عثمان عن عبد الرحمن ابن أبي الزّناد عن موسى بن عُقبة عن سالم بن عبد الله انه سمع عبد الله بن عمر يحدّث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : انه لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بَلْدَح[١] ، وكان قبل ان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحيُ ، فقدّم اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم سُفرة[٢] فيها لَحم ، فأبى ان يأكل ، وقال : إني لا آكل إلا ما ذُكر اسم الله عليه .

تحنفه :

قال الزبير وحدثني مصعب بن عبد الله عن الضحّاك بن عثمان عن عبد الرحمن ابن ابي الزناد عن موسى بن عُقبة عن سالم بن عبد الله قال — قال موسى : لا أراه إلا حدّثه عن عبد الله بن عمر — :

إن زيد بن عمرو خرج الى الشام يسأل عن الدين ويتّبعه ، فلقيَ عالماً من اليهود فسأله عن دينهم فقال : لعلّي أدين بدينكم فأخبرني بدينكم ؛ فقال اليهوديّ : إنك لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله ؛ فقال زيد بن عمرو : لا أفرّ إلا من غضب الله وما احمل من غضب الله شيئاً أبداً وأنا أستطيع ، فهل تدلّني على دين ليس فيه هذا ؟ قال : ما أعلمه إلا أن يكون حنيفا ؛ قال : وما

---

(١) بلدح : وادٍ قبل مكة من جهة الغرب . قال ابن قيس الرقيات :

فمنى فالجمار من عبد شمس   مقفرات فبلدح فحراء

(٢) السفرة : جلد مستدير يحمل فيه المسافر طعامه ، وهي في الاصل اسم لنفس الطعام ثم نقلت الى الجلد لأنه يحمل فيها .

الحنيف ؟ قال : دينُ إبراهيم؛ فخرج من عنده وتركه . فأتى عالماً من علماء النصارى فقال له نحواً مما قال لليهوديّ ، فقال له النصرانيّ : إنك لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله، فقال : إني لا أمل لعنة الله ولا من غضبه شيئاً أبداً وأنا أستطيع ، فهل تدلّني على دين ليس فيه هذا ؟ فقال له نحواً مما قال اليهوديّ : لا أعلمه إلا أن يكون حنيفاً ؛ فخرج من عندهما وقد رضيَ بما اخبراه واتّفقا عليه من دين إبراهيم ، فلما برَز رفع يديه وقال : اللّهم إني على دين إبراهيم .

مصرعه :

قال الزُّبير وحدّثني مصعب بن عبد الله عن الضحّاك بن عثمان عن عبد الرحمن ابن أبي الزّناد قال قال هشام بن عُروة :

بلَغنا أن زيد بن عمرو كان بالشام ، فلما بلغه خبر النبيّ صلى الله عليه وسلم أقبل يريده فقتله أهل مَيْفَعَة[1] .

قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم : انه ياتي يوم القيامة امة وحده :

قال الزُّبير وحدّثني مصعب بن عبد الله عن الضحّاك بن عثمان عن عبد الرحمن ابن ابي الزّناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن سعيد بن زيد بن عمرو قال :

سألت أنا وعمر بن الخطّاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن زيد فقال : « يأتي يوم القيامة أمّة وحده » .

وأنشد محمد بن الضحّاك عن الحِزاميّ عن أبيه لزيد بن عمرو :

أسلمتُ وجهي لمن أسلمتْ   له المُزْن تحمل عَذباً زُلالا

(١) قرية من أرض البلقاء من الشام

وأسلمتُ وجهي لمن أسلمتْ   له الأرض تحمل صخراً ثِقالا
دَحاها فلما أستوتْ شدَّها   سَواء وأرسى عليهــا الجبالا

زهير بن جناب وشعره في الكبر :

وأما زُهير بن جناب الكلبي فإنه أحد المعمَّرين، يقال : إنه عُمِّر مائةً وخمسين سنة وهو – فيما ذُكر – أحد الذين شربوا الخمر في الجاهلية حتى قتلتهم ؛ وكان قد بلغ من السنّ الغايةَ التي ذكرناها ، فقال ذات يوم : إنّ الحيّ ظاعنٌ ، فقال عبد الله بن عُليم[1] بن جناب : إنّ الحيّ مقيم ؛ فقال زُهير : إنّ الحيّ مقيم ؛ فقال عبد الله : إنّ الحيّ ظاعن، فقال : مَن هذا الذي يخالفني منذ اليوم ! قيل : أبن اخيك عبد الله بن عُليم ؛ فقال : أوَ ما هاهنا احدٌ ينهاه عن ذلك ! قالوا : لا ، فغضب وقال : لا أراني قد خولفتُ ، ثم دعا بالخمر فشربها صِرفًا بغير مِزاج وعلى غير طعام حتى قتلته . وهو الذي يقول في ذمّ الكِبر وطول الحياة :

المَوتُ خيرٌ للفتى   فليَهلِكَنْ وبه بَقيَّهْ
من أن يُرى الشيخَ البَجا   لَ[2] اذا تهادى بالعشيَّهْ
أبنيّ إن أهلكْ فقد   أورثتكم مجداً بَنيَّهْ
وتركتكم أبناء سا   داتٍ زِنادُكمُ وَرِيَّهْ
بل كلّ ما نال الفتى   قد نلتُه إلا التَّحيَّهْ[3]

---

(١) الزيادة عن كتاب شعراء النصرانية ج ١ ص ٢٠٧ وقد جاء في القاموس وشرحه مادة علم «وكزبير اسم رجل وهو عُلَيم بن جناب أخو زهير من بني كلب بن وبرة».

(٢) البجال : الكبير العظيم، ونقل صاحب اللسان في مادة بجل عن أبي عمرو : أنّ البجال : الرجلُ الشيخُ السيّد واستشهد له بهذه الابيات .

(٣) مما يطلق عليه التحية الملك والبقاء . قال ابن بري : والمراد هنا البقاء، لان زهير بن جناب كان ملكاً في قومه

مدرج الريح وسبب هذه التسمية :

وأمّا مدرجُ الرّيح فاسمه عامر بن المجنون الجَرْميّ ، وإنما سمي مدرجَ الريح بشعر قاله في امرأة كان يزعم أنه يهواها من الجنّ وأنها تسكن الهواء وتتراءى له ، وكان محمّقاً ؛ وشعرُه هذا :

صوت

لابنة الجنّيّ في الجوّ طَلَلْ دارسُ الآياتِ عافٍ كالخَلَلْ
دَرَسَتْهُ الرّيح من بين صَباً وجَنوبٍ درَجتْ حيناً وطَلّ

الغناء فيه لحُنين ثقيلٌ أوّل بالوُسطى عن الهشاميّ وابن المكيّ ، وذكر حبش أنه لمَعبد ، وذكر عمر بن بانة أنّ لحن حُنين من خفيف الثّقيل الأوّل بالبنصر . وأخبار عامر بن المجنون تُذكر في موضع آخر إن شاء الله تعالى .

سعية بن غريض وشعره وهو يحتضر :

وأمّا سَعيَة بن غريض فقد كان ذُكر خبر جدّه السموءل بن غَريض بن عاديا في موضع غير هذا . وكان سعية بن غريض شاعراً ، وهو الذي يقول لمّا حضرته الوفاة يَرْثي نفسه :

صوت

يا ليتَ شعري حين يُذكر صالحي ماذا تؤبّنني بـه أنواحي[1]

---

(١) الانواح : النائحات .

أيقُلْنَ لا تَبْعد ، فربَّ كريهة فرّجتها ببشارة وسَماحِ
وإذا دُعيتُ لصعبةٍ سهّلتُهـا أُدعى بأفلحُ تارةً ونجاحِ

غنّاه ابن سريج ثاني ثقيل بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو — وأسلم سعية وعُمِّر طويلاً ، ويقال : إنه مات في آخر خلافة معاوية .

سعية بن غريض ومعاوية .

فأخبرني احمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمرُ بن شبة قال حدّثني أحمد ابن معاوية عن الهيثم بن عديّ قال :

حجّ معاوية حِجّتين في خلافته ، وكانت له ثلاثون بغلة يُحجّ عليها نساؤه وجواريه . قال : فحجّ في إحداهما فرأى شيخاً يُصلّي في المسجد الحرام عليه ثوبان أبيضان ، فقال : من هذا ؟ قالوا : سعية بن غريض ، وكان من اليهود ، فأرسل اليه يدعوه ، فأتاه رسوله فقال : اجِب أمير المؤمنين ؛ قال : أو ليس قد مات أمير المؤمنين ! قيل : فأجب معاوية ؛ فأتاه فلم يسلّم عليه بالخلافة ؛ فقال له معاوية : ما فعلتْ أرضُكَ التي بتَيْماء ؟ قال : يُكسى منها العاري ويُردّ فضلها على الجار ؛ قال : أفتبيعها ؟ قال : نعم ؛ قال : بكَمْ ؟ قال : بستّين الف دينار ، ولولا خَلّة أصابتْ الحيّ لم أبِعْها ؛ قال : لقد أغليتَ ! قال : أمّا لو كانت لبعض أصحابك لأخذتها بست مئة ألف دينار ثم لم تُبَل[1] ! قال : أجلْ ، وإذ بخلتَ بأرضك فأنشدني شعر أبيك يَرْثي به نفسه ؛ فقال : قال أبي :

---

(١) ويروى «لم تبال» وكلاهما صحيح تقول : «لم أبال» وهو الاصل «ولم أبل» حذفت منها الياء تخفيفاً ، ونزلت اللام منزلة النون من يكن فسكنت للجازم وحذفت الالف لالتقاء الساكنين.

يا ليتَ شعري حين أُندَبُ هالكاً ماذا تؤبِّنني بـه أنواحي
أيقلن لا تبعـد، فربَّ كريهة فرّجتها بشجاعةٍ وسماحِ
ولقد ضربتُ بفضل مالي حقَّه عند الشتاء وهَبَّةِ الأرواحِ
ولقد أخذتُ الحقَّ غير مخاصمٍ ولقد رددتُ الحقَّ غير مُلاحي
واذا دُعيتُ لصعبـةٍ سهّلتها أُدعى بأفلحْ مرّةً ونجاحِ

فقال: أنا كنتُ بهذا الشعر أولى من أبيك؛ قال: كذبتَ ولؤُمتَ؛ قال: اما كذبتُ فنعَم، وأمّا لؤمتُ فلِمَ، قال: لانك كنتَ مَيِّتَ الحقّ في الجاهلية وميّتَه في الإسلام، أما في الجاهلية فقاتلتَ النبيّ صلى الله عليه وسلم والوَحيَ حتى جعل الله عزّ وجلّ كيدكَ المردود، وأمّا في الإسلام فمنعتَ ولد رسولِ الله صلى الله عليه وسلم الخلافة، وما أنتَ وهي! وأنتَ طليقٌ[١] ابن طليق! فقال معاوية: قد خَرِفَ الشيخ فأقيموه، فأُخذ بيده فأُقيم.

وسعيةُ هذا هو الذي يقول:

صوت

يا دارَ سُعدى بأقصى تلعةِ[٢] النَعَمِ حُيّيتِ داراً على الإقواء والقِدَمِ
وما بجزْعِكِ إلا الوحشُ ساكنةً وهامدٌ من رمادِ القِدرِ والحُمَمِ
عُجنا فما كلّمتنا الدارُ إذ سُئلتْ وما بها عن جوابٍ خلتُ من صَمَمِ

الشعر لسعية بن غريض، والغناء لابن مُحرز ثقيلٌ أوّل بالسبابة في مجرى البنصر.

(١) أي من الطلقاء وهم الذين حاربوا النبيّ صلى الله عليه وسلم من قريش وآذوه، فلما غلبهم عام الفتح خطبهم فقال: «يا معشر قريش ما ترون أني فاعل فيكم؟» قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم، فقال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء» (انظر سيرة ابن هشام ص ٨٢١ طبع أوربا).

(٢) تلعة النعم: موضع بالبادية استشهد له ياقوت بهذا البيت.

أخبار ابن صاحب الوضوء ونسبه

اسمه محمد بن عبد الله، ويُكنى أبا عبد الله، مولى بني أُميَّة، وهو من أهل المدينة؛ وكان أبوه على مِيضأة المدينة فسُمِّي صاحبَ الوَضوء. وهو قليل الصنعة لم يذكر له إسحاق إلا صوتين كلاهما في خفيف الثقيل الثاني المعروف بالماخوري، ولا ذكر له غير إسحاق سواهما إلا ما هو مرسوم في الكتاب الباطل المنسوب الى إسحاق فإن له فيه شيئاً كثيراً لا أصلَ له، وفي كتاب حبش الصينيّ. وهو رجل لا يُحصِّل ما يقوله ويرويه.

مدح يونس الكاتب غناءه:

أخبرني محمد بن مَزيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن جدّه عن سِياط عن يونس الكاتب قال:

غنّى ابن صاحب الوضوء في شعر النابغة:

خطاطِيفُ حُجْنٌ (١) في حبالٍ متينةٍ ... تَمُدُّ بها أيدٍ اليكَ نَوازِعُ

وفي شعر بعض اليهود:

(١) حجن: معوجة، جمع أحجن وحجناء.

إرفع ضعيفك لا يحر بك ضعفه يوماً فتدركه العواقبُ قد نَما

فأجاد فيها ما شاء وأحسنَ غايةَ الإحسان، فقيل له: ألا تزيدُ وتصنع شيئاً آخر؟ فقال: لا والله حتى أرى غيري قد صنعَ مثل ما صنعت وأزيد، وإلا فحسبي هذا.

غناء في المحراب:

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وإسماعيل ابن يونس الشيعيّ، قالوا حدّثنا عمر بن شبَّة قال حدّثنا عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن عليّ – قال ابن عمار في خبره: وكان يُسمّى المبارك – قال حدّثنا أبو مَسْلَمَة المصبحيّ قال:

قَدم علينا أسودُ من أهل الكوفة فغنّى:

إرفع ضعيفك لا يحرْ بك ضعفه يوماً فتدركه العواقب قد نَما

قال: فمررت بعبد الله بن عامر الأسْلَميّ، وكان يؤمّنا وهو قائم يُصلّي الظهر، فقلت له: قدم علينا أسودُ من الكوفة يُغنّي كذا وكذا فأجاده؛ فأشار إليّ بيده أن اجلس؛ فلما قضى صلاته قال: أخذتَه عنه؟ قلت: نعم؛ قال: فأَمِرّه عليّ، ففعلتُ؛ قال: فلما كان بالليل صلّى بنا فأدّاه في المحراب.

صوت

من المائة المختارة التي رواها عليّ بن يحيى

يا ليلتي تزدادُ نُكرَا مِن حُبِّ مَنْ أحببتُ بِكرا

حَـوْراء إن نظرتْ إليـــكَ سقتْكَ بالعينــين خمرَا

الشعر لبشّار، والغناء في اللحن المختار ليَزيد حوراء رَمَلٌ بالبنصر عن عمرو ويحيي المكيّ وإسحاق. وفيه لسياط خفيفُ رَمَلٍ بالبنصر عن عمرو وإبراهيم الموْصليّ.

اخبار بشار¹ بن برد ونسبه

كنيته وطبقته في الشعراء :

هو، فيما ذكره الحسن بن عليّ عن محمد بن القاسم بن مَهْرويه عن غيلان الشعوبيّ، بَشَّار بن بُرْد بن يَرْجوخ بن أزدكرد بن شروستان بن بهمن بن دارا بن فَيْروز بن كرديه بن ماهفيدان بن دادان بن بهمن بن أزدكرد بن حسيس بن مهران بن خسروان ابن أخشين بن شهر داد بن نبوذ بن ما خرشيدا غاذ بن شهريار بن بنداد سيحان بن مكرر بن أدريوس بن يستاسب بن لهراسف . قال : وكان يَرْجوخ من طُخارستان² من سَبْي المُهلَّب بن أبي صُفرة . ويُكنى بَشَّارٌ أبا مُعاذ . ومَحلُّه في الشعر وتقدُّمه طبقات المُحدَثين فيه بإجماع الرُّواة ورياستُه عليهم من غير اختلاف في ذلك يغني عن وصفه وإطالة ذكر محله . وهو من مُخَضْرَميّ شعراء الدولتين العبّاسية والأُموية، قد شُهِر فيهما ومَدَح وَهجا وأخذ سَنيّ الجوائز مع الشعراء .

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى المنجِّم قال قال حُمَيد بن سَعيد :

---

(١) قال ابن خلكان في ترجمته لبشار : « ذكر له أبو الفرج الأصبهاني في كتاب الأغاني ستة وعشرين جدًّا أسماؤهم أعجمية ، فأضربت عن ذكرها لطولها واستعجامها ، وربما يقع فيها التصحيف والتحريف فانه لم يضبط شيئاً منها ، فلا حاجة الى الاطالة فيها بلا فائدة » . وقد حاولنا وجه الصواب في هذه الأسماء وضبطها فلم نوفق، فأثبتناها هنا كما وردت في الأغاني طبعة بولاق ونسخة ط وذلك لاختلافها واضطرابها في الأصول التي بين أيدينا والإطالة فيها بلا فائدة كما قال ابن خلكان .

(٢) ضبطها ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان في ترجمته لبشار ج ١ ص ١٢٥ بضم الطاء وضم الراء وضبطها ياقوت بفتح الطاء .

كان بشّار من شعب ادريوس بن يستاسب الملك بن لهراسف الملك . قال : وهو بشّار بن برد بن بهمن بن أزدكرد بن بهمن بن دارا بن فيروز . قال : وكان يُكنى أبا مُعاذ .

ولاؤه لبني عقيل :

وأخبرني يحيى بن عليّ ومحمد بن عِمْران الصَّيْرفيّ وغيرهما عن الحسن بن عُليل العنزيّ عن خالد بن يزيد بن وهب بن جرير بن حازم عن أبيه قال :

كان بشارُ بن بُرْد بن يَرْجوخ وأبوه بُرْدٌ من قِنّ خِيرة القُشيريّة امرأة المهلّب بن أبي صُفرة ، وكان مُقيماً لها في ضيعتها بالبصرة المعروفة « بخِيرَتان[1] » مع عبيدٍ لها وإماء ، فوهبت بُرداً بعد أن زوّجته لامرأة من بني عُقيل كانت مُتَّصلة بها ، فولدتْ له امرأته وهو في مِلْكها بشاراً فأعتقته العُقيليّة .

وأخبرني محمد بن مَزيد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : كان بُردٌ أبو بشار مولى أمّ الظِّباء العقيلية السَّدوسيّة ، فادّعى بشارٌ أنه مَوْلى بني عُقيل لنزوله فيهم .

وأخبرني أحمد بن العبّاس العسكريّ قال حدّثنا العنزيّ قال حدّثني رجلٌ من ولد بشار يقال له حمدان كان قصّاراً[2] بالبصرة ، قال : وَلاؤنا لبني عُقيل ؛ فقلت : لأيّهم ؟ فقال : لبني ربيعة بنِ عُقيل .

وأخبرني وكيعٌ قال حدّثني سليمان المَدنيّ قال قال أحمد بن مُعاوية الباهليّ :

---

(١) قال ياقوت عند الكلام على خطط البصرة وقراها : خيرتان منسوب الى خـيرة بنت ضمرة امرأة المهلب بن أبي صفرة . قال : ومن اصطلاح أهل البصرة أن يزيدوا في الاسم الذي تنسب اليه القرية ألفاً ونوناً : نحو قولهم : طلحتان : نهر ينسب الى طلحة بن أبي رافع (انظر ياقوت في اسم البصرة) .

(٢) القصار : محوّر الثياب أي مبيضها .

كان بشارٌ وأُمّه لرجل من الأَزْد ، فتزوّج امرأة من بني عُقيل ، فساق اليها بشاراً وأُمّه في صَداقها ، وكان بشّار وُلدَ مكفوفاً فأعتقته العُقيليّة .

أخبرني محمدُ بن عمران الصَّيْرفيّ قال حدّثني الحسنُ بنُ عُليل العنزيّ قال حدّثنا قَعْنَب بنُ المُحرز الباهليّ قال حدّثني محمد بن الحجّاج قال :

باعتْ أمُّ بشّار بشّاراً على أمِّ الظِّباء السَّدُوسيّة بدينارين فأعتقته . وأمُّ الظِّباء امرأةُ أوْس بن ثَعْلَبة أحدِ بني تَيم اللّات بن ثعلبة ، وهو صاحب قصر أوْس بالبصرة ؛ وكان أوْسٌ أحدَ فرسان بَكر بن وائل بخُراسان .

ابوه طيان :

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال حدّثنا العنزيُّ قال حدّثنا محمد بن زيد العِجليُّ قال أخبرني بَدْر بن مُزاحم :

أنّ بُرْداً أبا بشّار كان طيّاناً يَضرب اللَّبِن ، وأراني أبي بيتين لنا فقال لي : لَبِنُ هذين البيتين من ضَرْب بُرْدٍ أبي بشّار . فسمع هذه الحكاية حمّاد عجْرد فهجاه فقال :

يابْنَ بُرْدٍ إخسأ إليكَ فمثلُ الـــكلبِ في الناس أنتَ لا الإنسانِ
بل لَعَمْري لأنتَ شرٌّ من الكلـــب وأولى منه بكلّ هَوانِ
ولَريحُ الخنزير أهونُ من ريـــحِكَ يابْنَ الطيّانِ ذي التُّبّانِ [١]

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثنا أبو أيوب المدينيّ عن أبي الصَّلت البصريّ عن أبي عدنان قال حدّثني يحيى بنُ الجَوْن العبديّ راويةُ بشّار قال :

قال : لمّا دخلتُ على المهديّ قال لي : فيمَنْ تَعتَدُّ يا بشّار ؟ فقلتُ : أمّا

---

(١) التبان (بالضم وتشديد الباء) : سراويل صغير يكون للملاحين والمصارعين .

اللِسان والزِيُّ فعربيَان ، وأمَا الأصلُ فعجميّ ، كما قلتُ في شعري يا أمير المؤمنين :

وُنبِئتُ قوماً بهم جِنَّـةٌ يقولونَ مَنْ ذا وكنتُ العَلَمْ
ألا أيّها السائلي جاهـداً ليَعرفني أنا أنفُ الكرَمْ
نَمتْ في الكرامِ بَني عامرٍ فُروعي وأصلِي قريشُ العَجَمْ
فإني لأغنِي مَقـامَ الفتى وأصبي الفتاةَ فما تَعتصِمْ

قال : وكان أبو دُلامة حاضراً فقال : كلّا ! لَوَجْهُكَ أقبحُ من ذلك ووجهي مع وجهك ؛ فقلتُ : كلّا ! والله ما رأيتُ رجلًا أصدقَ على نفسه وأكذب على جليسه منكَ ، والله إني لطويلُ القامة عظيم الهامة تامّ الألواح أسجحُ[1] الخدَّين ، ولَرُبّ مُسترْخي المِذْرَوَين[2] للعين فيه مَرادٌ قد جلس من الفتاة حَجْرَةً[3] وجلستُ منها حيثُ أريدُ ، فأنتَ مثلي يا مَرْضَعانُ[4] ! قال : فسكتَ عنّي . ثم قال لي المهديّ : فمن أيّ العجم أصلك ؟ فقلت : من أكثرها في الفرسان ، وأشدِّها على الأقران ، أهل طُخارُستانَ ؛ فقال بعضُ القوم : أولئك الصُّغْدُ ؛ فقلت : لا ، الصُّغْدُ تِجارٌ ؛ فلم يَرْدُدْ ذلك المهديّ .

وكان بشّار كثير التلوّن في ولائه ، شديد الشَّغْب والتعصّب للعجم ، مرّةً يقول يفتخرُ بولائه في قيس :

أمِنتُ مَضرَّةَ الفُحشاء[5] أني أرى قيساً تَضُرُّ ولا تُضارُ
كأن الناسَ حين تغيب عنهم نباتُ الأرض أخطأه القطار[6]

(١) يقال : سجح الخدّ : سهل ولان .
(٢) المذروان : طرفا الأليتين أو طرفا كل شيء ، ولعله يريد أنه بض سمين يجذب النظر اليه .
(٣) حجرة : ناحية .
(٤) المرضعان : اللئيم ، من الرضاعة وهي اللؤم .
(٥) الفحشاء : جمع فاحش كجاهل وجهلاء . والفاحش : السيىء الخلق .
(٦) القطار : جمع قطر وهو المطر .

وقد كانت بتَدْمُرَ خيل قيسٍ فكان لتدْمُرٍ فيها دَمارُ
بجيّ من بني عَيلانَ شُوسٍ[1] يَسيرُ الموتُ حيث يقال ساروا
وما نَلقاهمُ إلا صَدَرنا بِرِيّ منهمُ وهُمُ حِرارُ[2]

ومرّةً يتبرأ من ولاء العرب فيقول :

أصبحت مولى ذي الجلالِ وبعضهم مولى العُرَيب فخذ بفضلك فافخرِ
مَولاك أكرمُ من تميمٍ كلِّها أهلِ الفَعالِ[3] ومن قُرَيشِ المَشعرِ
فارجعْ إلى مولاك غيرَ مُدافَعٍ سُبحانَ مَولاكَ الأجلِّ الأكبرِ

وقال يفتخر بولاء بني عُقيل :

إنني من بني عُقيل بنِ كعبٍ مَوضِعَ السَّيفِ مِن طُلى[4] الأعناقِ

يلقب بالمرعث :

ويُكنى بَشَّار أبا مُعاذٍ ، ويُلقَّبُ بالمرَعَّث .

أخبرني عمي ويحيى بن عليّ قالا حدّثنا أبو أيوب المَدينيّ قال حدَّثني محمد بن سلَّام قال : بشّار المرعَّث هو بشّار بنُ بُردٍ ، وإنما سُمِّيَ المرعَّث بقوله :

قال ريمٌ مُرَعَّثٌ ساحرُ الطَّرفِ والنَّظَرْ
لستَ والله نائلي قلتُ أو[5] يَغلِبُ القدَرْ

---

(١) شوس : جمع أشوس وهو الذي ينظر بمؤخر عينيه .

(٢) حرار : جمع حرّان وهو الشديد العطش .

(٣) الفعال (بالفتح) : اسم للفعل الحسن من الجود والكرم ونحوه .

(٤) الطلى : أصول الأعناق ؛ واحدتها طلية أو طلاة .

(٥) أو : هنا بمعنى بل .

أنتَ إن رُمتَ وَصْلنا فأنجُ، هل تُدْرِكُ القمر

قال أبو أيوب: وقال لنا ابنُ سلّام مرّةً أخرى: إنما سُمّيَ بشّار المرعّث، لأنه كان لقميصه جَيبان: جَيبٌ عن يمينه وجَيبٌ عن شماله، فإذا أراد لُبسه ضَمّه عليه من غير أن يُدخل رأسه فيه، واذا اراد نزْعه حلّ ازراره وخرج منه، فشُبِّهتْ تلك الجيوب بالرِّعاث لاسترسالها وتدلّيها، وسُمّيَ من أجلها المرعّث.

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا عليّ بنُ مهديّ قال حدّثني أبو حاتم قال قال لي ابو عُبيدة:

لُقِّبَ بشّارٌ بالمرعّث لأنه كان في أذنه وهو صَغير رِعاثٌ. والرِّعاث: القِرَطة، واحدتها رَعْثة وجمعها رِعاثٌ، ورَعَثاتٌ. ورَعَثاتُ الديك: اللحم المتدلّي تحت حنكه؛ قال الشاعر:

سَقَيتُ أبا المصرَّع إذ أتاني وذو الرَّعَثاتِ مُنتصبٌ يَصيحُ
شراباً يهربُ الذِّبّانُ منه ويَلثَغُ حين يشربه الفصيحُ

قال: والرَّعثُ: الاسترسال والتساقط. فكأنّ اسمَ القِرَطةِ اشتُقّ منه.

أخبرني محمد بن عمران قال حدّثني العنزيّ قال حدّثنا محمد بن بدر العِجْليّ قال: سمعتُ الأصمعيّ يذكر أنّ بشّاراً كان من أشدّ الناس تبرّماً بالناس، وكان يقول: الحمد لله الذي ذهب ببصري؛ فقيل له: ولِمَ يا أبا مُعاذ؟ قال: لئلّا أرى مَن أبغِضُ. وكان يلبس قيصاً له لِبنَتان[١]، فإذا أراد أن ينزعه نزعه من أسفله، فبذلك سُمّيَ المرعّث.

---

(١) اللبنة: بنيقة القميص وهي زيقه الذي يفتح في النحر.

صفاته :

أخبرني هاشمُ بنُ محمدٍ أبو دُلَفَ الُخزاعيّ قال حدّثنا قَعْنَبُ بنُ مُحرِزٍ عن الأصمعيّ قال :

كان بشّار ضخماً، عظيمَ الخلق والوجه، مَجدوراً، طويلًا، جاحظَ المُقلَتَين قد تغشّاهما لحمٌ أحمرُ، فكان أقبحَ الناس عَمى وأفظعَه[١] مَنظراً، وكان إذا أراد أن ينشد صفّق بيديه وتنحنح وبصقَ عن يمينه وشماله ثم يُنشدُ فيأتي بالعَجب.

أخبرنا يحيى بن عليّ عن أبي أيوب المدينيّ عن محمد بن سلّام قال :

وُلِد بشّارٌ أعمى، وهو الأكمَهُ. وقال في تَضداق ذلك أبو هشام الباهلي يهجوه :

وعبدي فَقَا[٢] عينيكَ في الرَّحمِ أيرُه ... فجئتَ ولم تعلم لعينيكَ فاقِيا
أأُمّكَ يا بشّارُ كانت عفيفةً ؟ ... عليَّ إذاً مَشيٌ الى البيت حافيا

قال : ولم يزل بشّار منذ قال فيه هذين البيتين مُنكسِراً.

أخبرنا هاشم بن محمد قال حدّثنا الرِّياشيّ عن الأصمعيّ قال :

وُلد بشّار أعمى فما نَظر الى الدنيا قطُّ، وكان يُشبِّه الأشياء بعضها ببعض في شعره فيأتي بما لا يقدر البُصَراء أن يأتوا بمثله ؛ فقيل له يوماً وقد أنشد قوله :

كأنّ مُثارَ النقعِ فوق رؤوسنا ... وأسيافنا ليلٌ تَهاوى كواكبُهْ

(١) كذا في الاصل بإفراد الضمير. وهو استعمال عربيّ فصيح، يقال : أحسن الناس خلقاً وأحسنه وجهاً، والمراد أحسنهم، وهو كثير من أفصح الكلام. انظر اللسان مادة «حنة».

(٢) فقأ : قلع، والأصل فيه الهمز فسهل.

ما قال أحدٌ احسن من هذا التشبيه ، فمن اين لك هذا ولم ترَ الدنيا قطّ ولا شيئاً فيها ؟ فقال : إن عدم النظر يُقوّي ذكاء القلب ويقطعُ عنه الشغلَ بما يُنظَرُ اليه من الأشياء فيتوفّر حِسه وتذكو قريحته ؛ ثم أنشدهم قوله :

عميتُ جنيناً والذكاء من العمى فجئتُ عجيبَ الظنِّ للعلم مَوْئلا
وغاضَ ضياء العين للعلم رافداً لقلب اذا ما ضيّعَ الناسُ حصَّلا
وشعرٍ كنَور الروض لاءمتُ بينه بقولٍ اذا ما أحزن الشعرُ أسهلا

أخبرنا هاشم قال حدّثنا العَنَزيّ عن قَعْنَب بن مُحرز عن أبي عبد الله الشراذني قال : كان بشّار أعمى طويلاً ضخماً آدمَ مجدورا .

وأخبرني يحيي بن عليّ عن أبي أيوب المدينيّ قال قال الحرانيّ قالت لي عمّتي : زرتُ قرابةً لي في بني عُقَيل فاذا أنا بشيخ أعمى ضخم يُنشد :

مِن المفتون بشّارِ بنِ بُرْدٍ الى شَيْبانَ كهلهمُ ومُرْدِ
بأنّ فتاتكم سَلَبت فؤادي فنِصْفٌ عندها والنصفُ عندي

فسألت عنه فقيل لي : هذا بشّار .

أخبرني محمد بن يحيي الصَيْرفيّ قال حدّثنا العنزيّ قال حدّثنا أبو زيد قال سمعت أبا محمد التَّوَّزيّ يقول : قال بشّار : أزرى بشعري الأذان . يقول : إنه إسلاميّ .

وأخبرني حبيب بن نَصر المُهلّبيّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال قال أبو عُبيدة : قال بشّار الشعر ولم يبلغ عَشرَ سنين ، ثم بلغ الحُلم وهو مَخْشيٌّ مَعرّةَ لسانه .

هجاؤه جريرا :

قال : وكان بشّار يقول : هجوتُ جريراً فأعرض عني واستصغرني ، ولو أجابني لكنتُ أشعر الناس .

واخبرنا يحيي بن عليّ بن يحيي واحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا حدّثنا عمر ابن شبّة قال :

كان الأصمعيّ يقول : بشّار خاتمة الشعراء ، والله لولا أنّ ايامه تأخرت لفضّلته على كثيرٍ منهم .

قال ابو زيد : كان راجزاً مُقَصِّداً[1] .

حسه النقدي :

اخبرني أبو الحسن الأسديّ قال حدّثنا محمد بن صالح بن النطّاح قال حدّثني أبو عُبَيدة : قال سمعتُ بشّاراً يقول وقد أُنشد في شعر الأعشى :

وأنكرَتْني وما كان الذي نَكِرَتْ   من الحوادثِ إلا الشَّيْبَ والصَّلَعا

فأنكره ، وقال : هذا بيت مصنوع ما يُشبه كلام الأعشى ؛ فعجِبتُ لذلك . فلمّا كان بعد هذا بعشر سنين كنت جالساً عند يونس ، فقال : حدّثني ابو عمرو بن العلاء أنه صنع هذا البيت وأدخله في شعر الأعشى :

وأنكرتني وما كان الذي نكرت   من الحوادث إلا الشيب والصَّلَعا

فجعلت حينئذٍ أزداد عجباً من فِطنة بشّار وصحة قريحته وجَوْدة نقده للشعر .

اكثاره :

أخبرني عمي قال حدّثني الكُرانيّ قال حدّثني أبو حاتم عن ابي عُبيدة قال :

قال بشار : لي اثنا عَشَر ألفَ بيتٍ عَيْنٍ ؛ فقيل له : هذا ما لم يكن يَدّعيه

(١) يقال : قصد الشاعر وأقصد : أطال وواصل عمل القصائد .

احدٌ قطُّ سواك ؛ فقال : لي اثنتا عشرة الف قصيدةٍ ، لَعَنها الله ولعن قائلها إن لم يكن في كل واحدةٍ منها بيتٌ عينٌ .

واخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا عليّ بن مهديّ عن أبي حاتم قال :

موازنة بينه وبين مروان :

قلتُ لأبي عُبيدة : أَمَرْوانُ عندك أشعر أم بشّار ؟ فقال : حَكَم بشّار لنفسه بالاستظهار انه قال ثلاثةَ عشر الف بيتٍ جيّد ، ولا يكون عددُ الجيّد من شعر شعراء الجاهلية والإسلام هذا العدد ، وما أحسبهم بَرَّزوا في مثلها ، ومَرْوانُ أمدحُ للملوك .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثنا الأصمعيّ قال :

قال بشّار الشعر وله عشرُ سنين ، فما بلغ الحُلُمَ إلا وهو مَخْشِيٌّ مَعَرَّةِ اللسان بالبصرة . قال : وكان يقول : هَجوتُ جريراً فاستصغرني وأعرض عنّي ، ولو أجابني لكنتُ أشعرَ أهل زماني .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهرويه قال حدّثنا أبو العَواذِلِ زكريا بن هارون قال :

قال بشّار : لي اثنا عشرَ ألفَ بيت جيّدةٌ ؛ فقيل له : كيف ؟ قال : لي اثنتا عشرةَ الفَ قصيدةٍ ، أما في كلّ قصيدة منها بيتٌ جيّد ! .

كلام الجاحظ عنه :

وقال الجاحظ في كتاب البيان والتبيين وقد ذكره : كان بشّار شاعراً خطيباً

صاحبَ منثورٍ ومُزدَوِجٍ[1] وسجعٍ ورسائلَ، وهو من المطبوعين أصحاب الابداع والاختراع المُفتنّينَ في الشعر القائلين في أكثر أجناسه وضُروبه؛ قال الشعرَ في حياة جرير وتَعرّضَ له، وحُكيَ عنه انه قال: هجوتُ جريراً فأعرض عني، ولو هاجاني لكنتُ اشعر الناس.

قوله بالرجعة:

قال الجاحظ: وكان بشّار يَدين بالرّجعة[2]، ويُكفِر جميعَ الأمّة، ويصوّب رأي إبليس في تقديم النار على الطين، وذكر ذلك في شعره فقال:

الأرضُ مُظلمة والنارُ مُشرقةٌ والنارُ معبودةٌ مذ كانت النارُ

قال: وبلغه عن أبي حُذَيفة واصلِ بن عطاء إنكارٌ لقوله وهَتفٌ به، فقال يهجوه:

ما لي أشايعُ غَزّالاً[3] له عُنُقٌ كنِقْنِقِ الدَّوِّ[4] إن وَلّى وإنْ مثَلا
عُنقَ الزَّرافةِ ما بالي وبالكُمُ تُكفِرونَ رجالاً كَفّروا[5] رجلا!

قال: فلما تتابع على واصلٍ منه ما يَشهد على إلحاده خَطبَ به واصلٌ،

(١) المزدوج: ما أشبه بعضه بعضاً في السجع أو الوزن.

(٢) الرجعة: الايمان بالرجوع بعد الموت الى الدنيا وهو مذهب قوم من العرب في الجاهلية، ومذهب طائفة من أولي البدع والاهواء من المسلمين يقولون إن الميت يرجع الى الدنيا ويكون فيها حياً.

(٣) عرف واصل بن عطاء بالغزال لكثرة جلوسه في سوق الغزالين الى ابي عبـد الله مولى قطن الهلالي.

(٤) النقنق: الظليم وهو ذكر النعام. والدوّ: الفلاة.

(٥) وفي رواية «أتكفرون رجالا أكفروا» بالهمزة في الفعلين، وكفره بالتضعيف، وأكفره بالهمز: نسبه للكفر.

وكان ألثغَ على الراء فكان يجتنبها في كلامه ، فقال : أما لهذا الأعمى المُلحِد ، أما لهذا المُشنَّف المكنيِّ بأبي مُعاذ من يقتله؟ أمَا والله لولا أن الغيلة سجيَّةٌ من سَجايا الغالية لدسستُ اليه من يَبْعَج بطنه في جوف منزله أو في حَفْله[1]، ثم كان لا يتولّى ذلك إلا عُقَيْليٌّ أو سَدوسيٌّ ! فقال أبا مُعاذ[2] ولم يقل بشّار ، وقال المُشَنَّف ولم يقل المُرعَّث ، وقال : من سجايا الغالية ولم يقل الرافضة ، وقال : في منزله ولم يقل في داره ، وقال : يبعج بطنه ولم يقلْ يَبقُر ، للثغة التي كان به في الراء .

قال : وكان واصلٌ قد بَلغَ من اقتداره على الكلام وتمكُّنه من العبارة أن حذَفَ الراء من جميع كلامه وخُطَبه وجعل مكانها ما يقوم مقامها .

بشار والكلام « اللاهوت » :

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني ابي عن عافية بن شَبيب قال حدّثني ابو سُهَيل قال حدّثني سَعيد بن سَلّام قال :

كان بالبصرة ستةٌ من اصحاب الكلام : عمرو بن عُبيد ، وواصل بن عطاء ، وبَشّار الأعمى ، وصالح بن عبد القُدّوس ، وعبد الكريم بن أبي العوجاء ، ورجل من الأزد – قال ابو أحمد : يعني جرير بن حازم – فكانوا يجتمعون في منزل الأزديّ ويختصمون عنده . فأمّا عَمرو وواصلٌ فصارا الى الاعتزال . وأمّا عبد الكريم وصالح فصحّحا التوبة . وأمّا بشّار فبقي متحيّراً مُخلِّطاً . وأمّا الأزديّ فمال الى قول السُّمَنيَّة[3] ، وهو مذهب من مذاهب الهند ، وبقي ظاهره على ما كان عليه .

---

(١) الحفل : الجمع من الناس .

(٢) في جميع الأصول : « فقال أبو معاذ ولم يقل بشار » ولا وجه لرفع أبي معاذ وبشار هنا ، لأن القول ينصب المفرد اذا لم يكن في إسناد .

(٣) السمنية (بضم السين وفتح الميم) : قوم من أهل الهند دهريون . وقال الجوهريّ : السمنية : فرقة من عبدة الاصنام تقول بالتناسخ وتنكر وقوع العلم بالاخبار ، وهي نسبة الى « سومنات » بلد بالهند . والدهريون : هم الذين ذهبوا الى قدم الدهر وإسناد الحوادث اليـــه ، وهم قوم ملحدون لا يؤمنون بالآخرة .

قال : فكان عبد الكريم يُفسد الأحداث ؛ فقال له عمرو بن عُبيد : قد بلغني أنك تخلو بالحدث من أحداثنا فتُفسده وتستزلّه[1] وتُدخله في دينك ، فإن خرجتَ من مصرنا وإلا قمتُ فيك مقاماً آتي فيه على نفسك ؛ فلحق بالكوفة ، فدلَّ عليه محمدُ بن سُليمان فقتله وصلبه بها . وله يقول بشّار :

قلْ لعبد الكريم يابنَ أبي العوْ جاء بعتَ الإسلامَ بالكفر مُوقاً[2]
لا تصلّي ولا تصوم فإن صُمْتَ فبعضَ النّهار صوماً رَقيقاً
لا تبالي إذا أصبتَ من الخمر عَتيقاً ألّا تكون عَتيقاً
ليتَ شعري غداةَ حُليتَ في الجيد حَنيفاً حُليتَ أم زنديقاً
أنت ممّن يَدور في لعنة اللـه صديق لمن ينيك الصديقا

رأي الأصمعي فيه :

اخبرني هاشم بن محمد قال حدّثني الرّياشيّ قال : سئل الأصمعيّ عن بَشّار ومَرْوان أيّهما أشعر؟ فقال : بشّار ؛ فسئل عن السبب في ذلك ، فقال : لأن مروان سلك طريقاً كثُر من يَسلكه فلم يلحق من تقدّمه ، وشَرِكه فيه من كان في عصره ، وبشّار سلك طريقاً لم يُسلك وأحسنَ فيه وتفرّد به ، وهو اكثر تصرّفاً وفنونَ شعرٍ وأغزرُ وأوسعُ بَديعاً ، ومروان لم يتجاوز مَذاهبَ الأوائل .

اخبرني هاشم بن محمد قال حدّثني العنزيّ عن أبي حاتم قال سمعت الأصمعيّ وقد عاد الى البصرة من بغداد فسأله رجل عن مروان بن أبي حَفصَة ، فقال : وَجد اهل بغداد قد ختموا به الشعراء، وبشّار أحقّ بأن يَختموهم به من مروان ؛ فقيل له : ولِمَ ؟ فقال : وكيف لا يكون كذلك وما كان مروان في حياة بشّار يقول شعراً حتى يُصلحه له بشّار ويُقوّمه ! وهذا سَلْمٌ الخاسر من طبقة مروان

(١) تستزله : توقعه في الزلل .
(٢) موقا : حمقاً وغباوة .

يزاحمه بين ايدي الخلفاء بالشعر ويساويه في الجوائز، وسلم مُعترف بأنه تَبعٌ لبشّار.

مقارنته بامرىء القيس والقطامي:

اخبرني جَحْظَةُ قال سمعتُ عليّ بن يحيى المُنجّم يقول: سمعتُ مَن لا أُحصي من الرّواة يقولون: أحسن الناس ابتداء في الجاهلية امرؤ القيس حيث يقول:

ألا انعمْ صَباحاً أيُّها الطَّلل البالي

وحيث يقول:

قِفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ

وفي الإسلام القَطاميّ حيث يقول:

إنّا مُحيّوكَ فاسلم أيها الطللُ

ومن المُحدَثين بشّار حيث يقول:

صوت

أبى طَلَلٌ بالجزع ان يتكلّما ... وماذا عليه لو أجاب مُتيّما
وبالفرع(١) آثارٌ بقين وباللّوى(٢) ... مَلاعبُ لا يُعرَفْنَ إلا توهّما

(١) الفرع بالفتح ثم السكون: موضع من وراء الفرك. والفرع بالضم والسكون: قرية بينها وبين المدينة ثمانية برد على طريق مكة. فيها نخل ومياه كثيرة، ومنهم من ضبط اسم هذه القرية بضم أوله وثانيه. وفي رواية «وبالقاع»، والقاع: منزل بطريق مكة بعد العقبة، وفي أخرى «وبالجزع».

(٢) اللوى في الاصل: منقطع الرملة، وهو اسم موضع بعينه. قال ياقوت: «قد أكثر الشعراء من ذكره وخلطت بين ذلك اللوى والرمل فعزّ الفصل بينهما» ثم قال: «وهو وادٍ من أودية بني سليم».

وفي هذين البيتين لابن المكي ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى الوسطى من كتابه . وفيهما لابن جوذر رمل .

أخبرني عمي عن الكُراني عن أبي حاتم قال :

كان الأصمعي يُعجَبُ بشعر بشّار لكثرة فنونه وسعة تصرّفه ، ويقول : كان مطبوعاً لا يُكلّف طَبْعه شيئاً متعذّراً لا كمن يقول البيت ويحكّكه أياماً . وكان يُشبّه بشّاراً بالأعشى والنابغة الذّبياني ، ويشبّه مروان بزُهير والحُطيئة ، ويقول : هو متكلِّف .

قال الكُراني : قال أبو حاتم : وقلت لأبي زيد : أيّما أشعر بشّارٌ أم مروان؟ فقال : بشّار أشعر ، ومروان اكفر .

قال أبو حاتم : وسألت أبا زيد مرّة أخرى عنهما فقال : مروان أجدُّ وبشّارٌ أهزل ؛ فحدّثت الأصمعي بذلك ؛ فقال : بشّارٌ يصلحُ للجدّ والهزل ، ومروان لا يصلحُ إلا لأحدهما .

شعره سيار :

نسختُ من كتاب هارون بن علي بن يحيى قال حدّثنا علي بن مهدي قال حدّثنا نجمُ بن النطّاح قال :

عهدي بالبصرة وليس فيها غَزِلٌ ولا غَزِلةٌ إلا يروي من شعر بشّار ، ولا نائحةٌ ولا مُغنّية إلا تتكسّب به ، ولا ذو شرفٍ إلا وهو يَهابه ويخاف مَعرّة لسانه .

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهرويه قال حدّثني أحمد بن المُبارك قال حدّثني ابي قال :

قلتُ لبشّار : ليس لأحد من شعراء العرب شعر إلا وقد قال فيه شيئاً استنكرته

العرب من ألفاظهم وشُكَّ فيه ، وإنه ليس في شعرك ما يُشكُّ فيه؛ قال : ومن أين يأتيني الخطأ ! وُلدتُ هاهنا ونشأتُ في حُجور ثمانين شيخاً من فُصحاء بني عُقيل ما فيهم أحدٌ يعرف كلمة من الخطإ، وإن دخلتُ الى نسائهم فنساؤهم أفصحُ منهم ، وأيفعتُ(١) فأبديتُ(٢) الى ان ادركتُ ، فمن أين يأتيني الخطأ ! .

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبي واحمد بن عبد العزيز ويحيى بن عليّ قالوا حدّثنا عمر بن شبّة قال :

كان الأصمعيّ يقول : إنّ بشّاراً خاتمةُ الشعراء ، والله لولا أنّ أيامه تأخرتْ لفضّلته على كثيرٍ منهم .

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثني ابو الفضل المَرْوَزيّ قال حدّثني قَعنب بن المحرز الباهليّ قال قال الأصمعيّ :

لَقيَ أبو عمرو بن العَلاء بعض الرّواة فقال له : يا أبا عمرو ، مَنْ أبدعُ الناس بيتاً ؟ قال : الذي يقول :

لم يَطُلْ ليلي ولكن لم أنَمْ   ونفى عنّي الكَرى طيفٌ ألمّ
رَوِّحي عنّي قليلاً واعلَمي   أنّني يا عَبْدَ من لحمٍ ودمْ

قال : فمنْ أمدحُ الناس ؟ قال : الذي يقول :

لَمستُ بكفّي كفّه أبتغي الغنى   ولم أدر أنّ الجود من كفّه يُعدي
فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى   أفدتُ وأعداني فأتلفتُ ما عندي

قال : فمنْ أهجى الناس ؟ قال : الذي يقول :

---

(١) يفع الغلام وأيفع إذا راهق البلوغ فهو يافع ولا يقال : موفع .

(٢) أبديت (بالبناء للمفعول) : أخرجت الى البادية .

رأيت السُّهيلَين استوى الجودُ فيهما على بُعْد ذا من ذاك في حُكم حاكمِ
سُهَيل بن عثمانٍ يَجود بمـاله كما جاد بالوَجعا[1] سُهَيلُ بن سالمِ

قال : وهذه الأبيات كلُّها لبَشَّار .

نسبة ما في هذا الخبر من الأشعار التي يُغنَّى فيها

صوت

لم يَطُلْ ليلي ولكن لم أَنَمْ ونفى عنّي الكرى طيفٌ أَلَمّْ
واذا قلتُ لها جُودي لنـا خرجتْ بالصَّمْت عن لا ونَعَمْ
نَفِّسي يا عَبْدَ عنّي واعلمي أنني يا عبـدَ من لحمٍ ودمْ
إنَّ في بُرْدَيَّ جسماً ناحـلاً لو توكّأتِ عليـه لانهدَمْ
خَتَم الحبُّ لهـا في عُنُقي موضعَ الخاتَمِ من أهل الذِّمَمْ

غناه إبراهيم هزَجاً بالسَّبَّابة في مجرى الوُسطى عن ابن المكيّ والهشاميّ . وفيه لقَعْنَب الأسود خفيفُ ثقيلٍ . فأما الأبيات التي ذكر أبو عمرو أنّه فيها أمدحُ الناس وأوّلها :

لَمَستُ بكفِّي كفَّه أبتغي الغنى

فإنه ذكر أنها لبَشَّار . وذكر الزُّبيرُ بنُ بَكَّار أنها لابن الخيَّاط في المَهديّ ، وذكر له فيها معه خبراً طويلاً قد ذكرته في أخبار ابن الخيَّاط في هذا الكتاب .

هجاؤه :

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا عليّ بن مَهديّ الكِسْرَويّ قال حدّثنا أبو حاتم قال :

---

(١) الوجعاء : الدبر .

كان بشارٌ كثيرَ الولوع بدَيْسَم العَنَزيّ وكان صديقاً له وهو مع ذلك يُكثِرُ هجاءه ، وكان ديسمٌ لا يزال يحفظ شيئاً من شعر حمّادٍ وأبي هشام الباهليّ في بشّار ؛ فبلغه ذلك فقال فيه :

أَدَيْسَمُ يا بْنَ الذئبِ من نجلِ زارعٍ أَتروي هِجائي سادِراً(١) غيرَ مُقصِر

قال أبو حاتم : فأنشدْتُ أبا زيد هذا البيتَ وسألتُه ما يقولُ فيه ، فقال لِمنْ هذا الشعرُ ؟ فقلتُ : لبشار يقوله في دَيسَم العنزيّ ؛ فقال : قاتله الله ما أعلَمَه بكلام العرب ! ثم قال : الدَّيسمُ : ولد الذئب من الكلبةِ ، ويقال الكلاب : أولاد زارعٍ . والعِسْبارُ : ولدُ الضَّبُع من الذئب(٢) . والسِّمْعُ : ولدُ الذئب(٣) من الضَّبع . وتزعمُ العرَبُ أن السِّمعَ لا يموتُ حتفَ أنفِه ، وأنه أسرَعُ من الريح وإنما هلاكُه بعَرَض من أعراض الدنيا .

مع مصور :

أخبرنا حبيبُ بنُ نصر المهلّبيّ قال حدّثنا عمرُ بنُ شَبّة قال :

كان بالبصرة رجلٌ يقال له حمدانُ الخرّاطُ ، فاتخذ جاماً لإنسان كان بشّارٌ عنده ، فسأله بشارٌ أن يتخذَ له جاماً فيه صُوَرُ طيرٍ تطير ، فاتخذه له وجاءه به ، فقال له : ما في هذا الجام ؟ فقال : صُوَرُ طيرٍ تَطير ؛ فقال له : قد كان ينبغي أن تتخذَ فوق هذه الطيرِ طائراً من الجوارح كأنه يُريدُ صيدَها ، فإنه

(١) السادر : الذي لا يهتمّ لشيءٍ ولا يُبالي ما صنع .

(٢) أي إن أمه ضبع وأباه ذئب كما ذكره الدميريّ في حياة الحيوان في الكلام على الضبع .

(٣) اتفقت كتب اللغة على هذا التفسير ولعله « الذئبة » بالتاء لأن الذئب لا يذكر ويؤنث كالضبع . وفي كتاب الحيوان للجاحظ جزء ٦ ص ٤٥ ما يؤيد ذلك حيث قال : « والأعراب تزعم أن الله تعالى لم يدع ماكساً الا أنزل فيه بلية وأنه مسخ منهم اثنين ضبعاً وذئباً فلهذه القرابة تسافدا وتناجلا وان اختلفا في سوى ذلك ، ومن ولدهما : السمع والعسبار وانما اختلفتا لان الأم ربما كانت ضبعاً والأب ذئباً وربما كانت الأم ذئبة والأب ذيخا والذيخ : « ذكر الضباع » .

كان أحسنَ ؛ قال : لم أعلم ؛ قال : بَلى قد علمتَ ، ولكن عَلِمْتَ أني أعمى لا أبصِرُ شيئاً ! وتَهدّده بالهجاء ، فقال له حَمدانُ : لا تفعلْ فإنك تندمُ ؛ قال : أو تُهدِّدُني أيضاً ! قال : نعم ؛ قال : فأيَّ شيء تستطيعُ أن تَصنعَ بي إن هجوتُكَ ! قال : أصوِّرُكَ على باب داري بصورتكَ هذه وأجعلُ مِنْ خلفكَ قرداً يَنكِحُكَ حتى يراكَ الصّادرُ والواردُ ؛ قال بشارٌ : اللّهمّ أخزِه ، أنا أمازحُهُ وهو يأبى إلا الجدّ !.

مفاخره :

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى والحسنُ بن عليّ ومحمدُ بنُ عِمرانَ الصَّيْرَفيّ قالوا : حدّثنا العَنَزيّ قال حدّثني جعفر بن محمد العدويّ عن محمد بن سَلّام قال حدّثني مَخْلَدُ أبو سفيانَ قال :

كان جريرُ بنُ المُنذرِ السَّدُوسيّ يُفاخرُ بشّاراً ؛ فقال فيه بشّارٌ :

أَمِثلُ بَني مُضَرٍ وائِلٌ ... فَقَدْتُكَ من فاخرٍ ما أَجَنْ
أفي النومِ هذا أبا مُنذرٍ ... فَخَيراً رأيتَ وخيراً يَكُنْ
رأيتُكَ والفخرَ في مِثلِها ... كعاجنةٍ غيرَ ما تَطحِنْ

وقال يحيى في خبره : فحدّثني محمد بن القاسم قال حدّثني عاصم بنُ وهبٍ أبو شِبْلٍ الشاعر البُرْجُميّ قال حدّثني محمدُ بن الحجّاج السرادانيّ قال :

كنّا عند بَشّار وعنده رجلٌ ينازعه في اليَمانيّةِ والمُضَريّةِ إذ أذّن المؤذّن ، فقال له بشّار : رُوَيداً ، تَفهّمْ هذا الكلام ؛ فلما قال : أشهدُ أنّ محمداً رسولُ اللهِ ، قال له بشّار : أهذا الذي نودي باسمه مع اسم الله عزّ وجلّ من مُضرَ هو أم من صُداء وعَكٍّ وحِمْيَرَ ؟ فسكتَ الرجلُ .

نقده للشعر :

خبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا الرّياشيّ قال أنشدَ بشّارٌ قولَ الشاعر :

وقد جعل الأعداء ينتقصوننا وتطمع فينا ألسن وعيون
ألا إنما ليلى عصا خيزرانة إذا غمزوها بالأكف تلين

فقال : والله لو زعم أنها عصا مخ أو عصا زبد ، لقد كان جعلها جافية خشنة بعد أن جعلها عصاً ! ألا قال كما قلت :

ودعجاء المحاجر من معد كأن حديثها ثمر الجنان
إذا قامت لمشيتها[1] تثنت كأن عظامها من خيزران

اعتداده بنفسه :

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عمر بن شبة قال أخبرني محمد بن صالح بن الحجاج قال :

قلت لبشار : إني أنشدت فلانا قولك :

إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه

فقال لي : ما كنت أظنه إلا لرجل كبير ؛ فقال لي بشار : ويلك ! أفلا قلت له : هو والله لأكبر الجن والإنس ! .

مواعدة وعتاب :

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أبو الشبل عن محمد بن الحجاج قال :

كان بشار يهوى امرأة من أهل البصرة فراسلها يسألها زيارته ، فوعدته بذلك

(١) في كامل المبرد « لسبحتها » والسبحة : صلاة التطوع والنافلة . والمشهور في رواية هذا البيت اذا قامت لحاجتها تثنت

ثم أخلفَتْه، وجعل ينتظرها ليلتَه حتى أصبح، فلما لم تأته أرسل إليها يُعاتبُها، فاعتذرت بمرض أصابها؛ فكتب إليها بهذه الأبيات:

يا لَيلَتي تَزدادُ نُكرا ... مِن حُبِّ مَنْ أحببتُ بِكرا
حَوراء إن نظرت إليـكَ سقتكَ بالعينين خَمرا
وكأن رَجْعَ حديثها ... قِطَعُ الرياض كُسِينَ زَهرا
وكأنّ تحت لسانها ... هاروتَ ينفُثُ فيه سِحرا
وتَخالُ ما جمعَتْ عليه ثيابَها ذهباً وعِطرا
وكأنها بَردُ الشرا ... ب صَفا ووافق منك فِطرا
جِنّيّةٌ إنسيّةٌ ... أو بينَ ذاك أجلُّ أمرا
وكفاك أني لم أحِطْ ... بشكاةِ مَنْ أحببتُ خُبرا
إلا مقالةَ زائرٍ ... نَثَرَتْ ليَ الأحزانَ نَثرا
مُتخشِّعاً تحت الهوى ... عشراً وتحت الموتِ عشرا

حدّثني جَحْظةُ قال حدّثني عليّ بن يحيى قال:

كان إسحاقُ الموصليّ لا يَعتدُّ ببشّارٍ ويقول: هو كثيرُ التخليط في شعره، وأشعارُه مُختلفةٌ، لا يُشبِه بعضُها بعضاً؛ أليس هو القائل:

إنما عَظمُ سُلَيمى حِبَّتي[1] ... قَصَبُ السُّكَّرِ لا عَظمُ الجمَلْ
وإذا أدنَيتَ منها بصَلًا ... غلبَ المِسكُ على ريح البصَلْ

لو قال كلَّ شيءٍ جيّدٍ ثم أُضيفَ إلى هذا لزَيَّفَهُ. قال: وكان يُقدِّمُ عليه مَروانَ ويقول: هذا هو أشدُّ استواءَ شِعرٍ منه، كلامُه ومذهبُه أشبهُ بكلام العرب ومذاهبها، وكان لا يَعُدُّ أبا نواس ألبتَّةَ ولا يَرى فيه خيراً.

---

(١) ويروى «خلّتي» وكلاهما بمعنى الصديقة والمحبوبة.

هجوه الخليفة :

حدّثنا محمد بن عليّ بن يحيى قال حدّثنا محمدُ بن زكريا قال حدّثنا محمد بن عبد الرحمن التّيميّ قال :

دخل بشّار الى إبراهيمَ بن عبد الله بن حسن ، فأنشده قصيدةً يهجو فيها المنصورَ ويُشيرُ عليه برأيٍ يستعمله في أمره ، فلما قُتِلَ إبراهيمُ خاف بشّارٌ ، فقلبَ الكنيةَ ، وأظهر أنه كان قالها في أبي مُسلم وحذَف منها أبياتاً وأوّلها :

أبا جعفرٍ ما طولُ عيش بدائمٍ ولا سالمٌ عمّا قليلٍ بسالمِ

قلب هذا البيت فقال : « أبا مسلمٍ » :

على الملكِ الجبّار يقتحمُ الردى ويصرَعُه في المأزق المتلاحمِ
كأنك لم تَسمَعْ بقتل مُتوّجٍ عظيمٍ ولم تسمع بفَتكِ الأعاجمِ
تَقسّمَ كسرى رهطُه بسيوفهم وأمسى أبو العباسِ أحلامَ نائمِ

يعني الوليدَ بن يزيدَ

وقد كان لا يخشى انقلابَ مكيدةٍ عليه ولا جَرْيَ النّحوسِ الأشائمِ
مُقيماً على اللّذاتِ حتى بَدتْ له وجوهُ المنايا حاسِراتِ العمائمِ
وقد تَرِدُ الأيامُ غُرّاً وربّما وَرَدْنَ كُلوحاً باديات الشّكائمِ
ومَروانُ[١] قد دارتْ على رأسه الرحى وكان لِما أجرمْتَ نَزْرَ الجرائمِ
فأصبحتَ تجري سادراً في طريقهم ولا تَتّقي أشباهَ تلكَ النقائمِ
تجرّدتَ للإسلام تَعفُو[٢] سبيلَه وتُعري مَطاه[٣] لليوثِ الضّراغمِ

(١) يريد به مروان الحمار آخر ملوك بني أمية الذي قتله أبو العباس السفاح بمصر .

(٢) تعفو : تمحو ، يقال : عفت الريح المنزل أي محته ودرسته .

(٣) المطا : الظهر .

فما زِلتَ حتى استنصرَ الدينُ أهلَه عليكَ فعادوا بالسّيوفِ الصوارمِ
فَرُمْ وَزَراً يُنجيكَ يابنَ سَلامةٍ فلستَ بِناجٍ من مَضيمٍ وضائمِ

جعل موضع «يابنَ سلامة» «يابن وشيكة[1]» وهي أمّ أبي مسلمٍ.

لَحا الله قوماً رأسوكَ عليهمُ وما زِلتَ مرؤوساً خبيثَ المطاعِمِ
أقولُ لِبَسّامٍ عليه جَلالةٌ غَدا أرْيَحيّاً عاشِقاً للمكارِمِ
من الفاطميّينَ الدُّعاةِ الى الهدى جِهاراً ومَن يَهديكَ مثلُ ابنِ فاطِمِ[2]

هذا البيتُ الذي خافه وحذفه بشارٌ من الأبيات.

سِراجٌ لعينِ المستضيءِ وتارةً يكون ظَلاماً للعدوِّ المُزاحِمِ
إذا بلغَ الرأيُ المَشورةَ فاستعِنْ برأيِ نَصيحٍ أو نَصيحةِ حازمِ
ولا تجعلِ الشُّورى عليكَ غضاضةً فإنّ الخوافي قُوّةٌ للقَوادِمِ
وما خيرُ كفٍّ أمسكَ الغُلّ[3] أختَها وما خيرُ سَيفٍ لم يُؤيَّدْ بقائمِ
وخَلِّ الهُوَينا للضَّعيفِ ولا تكُنْ نَؤوماً فإنّ الحَزْمَ ليس بنائمِ
وحارِبْ اذا لم تُعطَ إلا ظُلامةً شَبا الحربِ خيرٌ من قَبولِ المظالِمِ

قال محمد بن يحيي: فحدّثني الفضلُ بن الحُباب قال سمعتُ أبا عثمان المازنيّ يقول سمعتُ أبا عبيدةَ يقول: مِيميّةُ بشارٍ هذه أحب اليّ من مِيميَّتَيْ جريرٍ والفرزدقِ.

قال محمد: وحدّثني ابنُ الرّياشيّ قال حدّثني أبي قال:

قال الأصمعيّ قلت لبشّار: يا أبا مُعاذٍ، إن الناس يَعجبونَ من أبياتك

---

(١) كذا في أكثر الأصول: وهو الموافق لما في وفيات الأعيان لابن خلكان (ج ١ ص ٣٩٧) في ترجمة أبي مسلم الخراساني.

(٢) أصله فاطمة فرخمه بحذف تاء التأنيث، والترخيم في غير النداء جائز للضرورة.

(٣) الغل بالضم: الحديدة التي تجمع بين يد الأسير وعنقه، وتسمى الجامعة.

في المَشورةِ؛ فقال لي: يا أبا سعيد، إن المُشاورَ بين صَوابٍ يفوزُ بثمرته أو خطإٍ يُشارِكُ في مكروهه؛ فقلت له: أنت والله في قولك هذا أشعرُ منك في شعرك.

ظرف بادرته:

حدّثني الحسنُ بن عليّ قال حدّثنا الفضلُ بنُ محمد اليزيديّ عن إسحاقَ وحدّثني به محمد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر عن حمّاد عن أبيه قال:

كان بشّارٌ جالساً في دار المهديّ والناسُ يَنتظرونَ الإذنَ، فقال بعض موالي المهديّ لمن حضر: ما عندكم في قول الله عزّ وجلّ:

﴿وأَوْحى ربُّكَ إلى النَّحل أنِ اتَّخذِي مِنَ الجِبالِ بُيُوتاً ومِنَ الشَّجرِ﴾ فقال له بشّارٌ: النحل التي يعرفها الناسُ؛ قال: هيهاتَ يا أبا مُعاذٍ، النحلُ: بنو هاشم، وقوله: ﴿يَخرُجُ مِنْ بُطُونِها شَرابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ يعني العلم؛ فقال له بشار: أراني اللهُ طعامَك وشرابَكَ وشِفاءَكَ فيما يخرج من بطون بني هاشم، فقد أوسَعْتَنا غَثاثَةً؛ فغضبَ وشتم بشاراً؛ وبلغ المهديَّ الخبرُ فدعا بهما فسألهما عن القصة، فحدّثه بشّارٌ بها؛ فضحكَ حتى أمسك على بطنه، ثم قال للرجل: أَجلْ! فجعل اللهُ طعامكَ وشرابكَ مما يخرجُ من بطون بني هاشم، فإنك باردٌ غَثٌّ. وقال محمد بن مَزْيَد في خبره: إنّ الذي خاطب بشّاراً بهذه الحكاية وأجابه عنها من موالي المهديّ المُعَلَّى بنُ طريفٍ.

أخبرنا الحسين بن يحيي عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

دخل يزيدُ بنُ منصور الحِمْيَريُّ على المهديّ وبشّارٌ بين يديه يُنشِدُه قصيدةً امتدحه بها، فلما فرغ منها أقبل عليه يزيدُ بن منصور الحِمْيَريّ، وكانت فيه غَفلةٌ، فقال له: يا شيخُ، ما صناعتكَ؟ فقال: أثقُبُ اللؤلؤَ؛ فضحك المهديّ

ثم قال لبشّار : أُعزُبْ[١] ويلك ؛ أتتنادَرُ على خالي ! فقال له : وما أصنعُ به ! يرى شيخاً أعمى يُنشدُ الخليفة شِعراً ويسأله عن صناعته ! .

ترفعه عمن عابه :

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه قال :

وقف على بشّار بعضُ المُجّان وهو يُنشدُ شعراً ؛ فقال له ؛ آسْتُرْ شِعرَكَ هذا كما تستر عورَتكَ ؛ فصفَّقَ بشّارٌ بيديه وغضب وقال له : من أنت ويلك ؟ قال : أنا أعزّكَ الله رجل من باهِلَةَ[٢] ، وأخوالي من سَلول[٣] ، وأصهاري عُكل[٤] ، وآسمي كلبٌ ، ومولدي بأضاخ[٥] ، ومنزلي بنَهْر بلال[٦] ؛ فضحك بشّارٌ ثم قال ؛ آذهب ويلكَ ! فأنت عَتيقُ لؤمك ، قد علم اللهُ أنك آستترتَ مني بحصونٍ من حديد .

سخره :

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا محمدُ بن القاسم بن مَهْرُويَه قال حدّثني الفضلُ بنُ سَعيد قال حدّثني أبي قال :

مرّ بشّار بقاصٍ بالبصرة فسمعه يقولُ في قصَصِه : مَن صام رجبا وشعبانَ

---

(١) اعزب : ابعد . وفي رواية « اغرب » بالغين المعجمة والراء المهملة وهي بمعناها .

(٢) باهلة : قبيلة من قيس عيلان وهو اسم امرأة من همذان كانت تحت معن بن أعصر بن سعد ابن قيس عيلان فنسب ولده اليها .

(٣) سلول : قبيلة من هوازن وهم بنو مرّة بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن وسلول أمهم نسبوا اليها .

(٤) عكل : قبيلة فيهم غباوة وقلة فهم ، ولذلك يقال لكل من فيه غفلة ويستحق : عكليّ .

(٥) أضاخ : قرية من قرى اليمامة لبني نمير .

(٦) نهر بلال بالبصرة احتفره بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري ، وجعل على جنبيه حوانيت ونقل اليها السوق .

ورمضانَ بنى اللهُ له قصراً في الجنّة صحنُه ألفُ فرسخ في مثلها وعُلوُه ألفُ فرسخ وكلّ باب من أبواب بيوته ومقاصره عشرةُ فراسخ في مثلها ، قال : فالتفت بشّار إلى قائده فقال : بئستْ واللهِ الدارُ هذه في كانون الثاني[١] .

قال الفضلُ بنُ سَعيد وحدّثني رجلٌ من أهل البصرة ممن كان يتزوّج بالنّهاريّاتِ[٢] قال : تزوّجتُ امرأةً منهن فاجتمعتُ معها في عُلوِ بيتٍ وبشّار تحتنا، أو كنا في أسفل البيت وبشّارٌ في عُلوِه مع امرأةٍ ، فنهق حمارٌ في الطريق فأجابه حمار في الجيران وحمارٌ في الدار فارتجّتِ الناحيةُ بنهيقها ، وضربَ الحمارُ الذي في الدار الأرضَ برجله وجعل يَدُقُّها بها دقّاً شديداً فسمعتُ بشّاراً يقول للمرأة : نُفِخَ – يعلم الله – في الصُّور وقامت القيامةُ أما تسمَعينَ كيف يُدَقّ على أهل القبور حتى يخرجوا منها ! قال : ولم يلبث أن فزِعَتْ شاةٌ كانت في السطح فقطعَتْ حبلَها وعدَتْ فألقَتْ طبقاً وغَضارة[٣] الى الدار فانكسرا ، وتطاير حمامٌ ودَجاجٌ كنّ في الدار لصوت الغضارةِ وبكى صبيّ في الدار ؛ فقال بشّار : صحّ والله الخبرُ ونُشِرَ أهلُ القبور من قبورهم أزِفَتِ – يشهدُ اللهُ – الآزفةُ وزُلزِلَتِ الأرضُ زلزالَها ؛ فعجِبْتُ من كلامه وغاظني ذلك ؛ فسألتُ مَنِ المتكلم ؟ فقيل لي : بشّارٌ ، فقلت : قد علمتُ أنه لا يتكلم بمثل هذا غيرُ بشّارٍ .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن محمد جدار قال حدّثني قُدامةُ بن نوح قال :

مرّ بشّارٌ برجل قد رَمَحته[٤] بغلةٌ وهو يقول : الحمد لله شكراً ، فقال له بشّار : أستزِدْه يَزِدْكَ . قال : ومرّ به قومٌ يحملون جنازة وهم يُسرعونَ المشيَ بها ، فقال : ما لهم مُسرعِينَ ! أتُراهُمْ سرَقوه فهم يخافونَ أن يُلحَقوا فيؤخذَ منهم ! .

(١) كانون الاول وكانون الثاني : شهران شمسيان يقعان في قلب الشتاء ، معربان عن الرومية .

(٢) لعلها نسبة الى بني النهارى : قبيلة من الأشراف باليمن .

(٣) الغضارة : القصعة الكبيرة فارسية .

(٤) رمحته : رفسته .

رثاؤه ابنه :

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه عن عافيةَ بن شَبيب، وأخبرني به وكيعٌ عن محمد بن عمر بن محمد بن عبد الملك عن الحسن بن جُمهور، قالا :

تُوُفّيَ ابنٌ لبشّار فجزِعَ عليه؛ فقيل له : أجرٌ قدّمتَهُ، وفَرَطٌ افترطتَه، وذُخرٌ أحرزتَه، فقال : ولدٌ دفنتُه، وثُكلٌ تعجّلتُه، وغيبٌ وُعِدتُه فانتظرتُه؛ والله لئن لم أجزعْ للنقص لا أفرحُ للزيادة. وقال يَرثيه :

أجارَتَنا لا تَجزَعي وأنيبي ... أتاني من الموت المُطِلِّ نَصيبي
بُنَيّي على رَغمي وسُخطي رُزِئتُه ... وبُدِّلَ أحجاراً وجالَ[1] قليبِ
وكان كرَيحانِ الغصون[2] تخالُه ... ذَوى بعد إشراقٍ يَسُرُّ وطيبِ
أُصيبَ بُنَيّي حين أورَقَ غصنُه ... وألقى عليّ الهمّ كلُّ قريبِ
عَجِبتُ لإسراع المنيّةِ نحوَه ... وما كان لو مُلّيتُه[3] بعَجيبِ

نوادره :

أخبرني يحيى بن عليّ قال ذكر عافيةُ بنُ شَبيب عن أبي عثمانَ الليثيّ، وحدّثني به الحسنُ بن عليّ عن ابن مَهرويهِ عن أبي مُسلم، قالا :

رفع غلامُ بشّارٍ اليه في حساب نفقته جِلاءَ مِرآةٍ عَشرةَ دراهمَ، فصاح به بشّارٌ وقال : والله ما في الدنيا أعجبُ من جِلاء مِرآةِ أعمى بعشرة دراهم، والله لو صَدِئَتْ عينُ الشمس حتى يبقى العالمُ في ظُلمَةٍ ما بلغتْ أجرةُ مَن يجلوها عشرةَ دراهمَ .

(١) الجال : الجانب، والقليب في الأصل : البئر لأنها قلبت الأرض بالحفر، والمراد هنا القبر.

(٢) وفي رواية «العروس».

(٣) مليته : متعت به، يقال ملاك الله حبيبك أي متعك به وأعاشك معه طويلاً .

أخبرنا محمدُ بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثني المُغيرةُ بن محمد المهلّبيّ قال حدّثنا أبو مُعاذ النُّميريّ قال: قلت لبشّار: لِمَ مَدحتَ يزيدَ بنَ حاتم ثم هجوْتَه؟ قال: سألني أن أنيكَه فلم أفعل؛ فضحكتُ ثم قلتُ: فهو كان ينبغي له أن يغضبَ، فما موضعُ الهجاء! فقال: أظنّكَ تُحبُّ أن تكون شريكَه؛ فقلت: أعوذ بالله من ذلك ويلَكَ!

دفاعه عن شعره:

حدّثني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مَهْرُويَه قال حدّثنا أحمد بن خَلَّاد، وأخبرنا يحيى بن عليّ ومحمد بن عِمْرانَ الصَّيرفيّ، قالا حدّثنا العَنَزيّ قال حدّثنا أحمد بن خَلَّاد قال حدّثني أبي قال قلتُ لبشّار: إنك لَتَجيء بالشيء الهَجين المتفاوِتِ، قال: وما ذاك؟ قال قلتُ: بينما تقول شعراً تُثيرُ به النقعَ وتخلع به القلوبَ، مثل قولك:

إذا ما غَضِبنا غَضْبَةً مُضَرِيَّةً هَتكنا حِجابَ الشمس أو تُمطِرَ الدما
إذا ما أعَرْنا سَيِّداً من قبيلةٍ ذُرَى مِنبرٍ صلّى علينا وسَلَّما

تقول:

رَبابَةُ رَبَّةُ البيتِ تَصُبُّ الخلَّ في الزَّيتِ
لها عَشرُ دَجاجاتٍ وديكٌ حَسَنُ الصَّوتِ

فقال: لكلٍّ وَجهٌ وموضعٌ، فالقولُ الأوّلُ جِدٌّ، وهذا قُلتُه في رَبابة جاريتي، وأنا لا آكلُ البيضَ من السوقِ، ورَبابةُ هذه لها عَشرُ دجاجاتٍ وديكٌ فهي تجمعُ لي البيضَ وتحفَظُه عندها فهذا عندها مِن قولي أَحسَنُ مِنْ:

قِفا نَبْكِ مِنْ ذِكْرى حبيبٍ ومنزِلِ

عندكَ.

حشوه شعره بما لا حقيقة له :

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال حدّثني أحمدُ بن محمد جِدار قال حدّثني قُدامةُ ابن نوح قال :

كان بشّار يحشو شِعرَه إذا أعوزته القافيةُ والمعنى بالأشياء التي لا حقيقةَ لها ، فمن ذلك أنه أنشدَ يوماً شعراً له فقال فيه :

غَنِّني للغَريض يابنَ قنانِ

فقيل له : مَن ابنُ قنان هذا ؛ لسنا نعرفه من مُغَنِّي البصرة ؟ قال : وما عليكم منه ! ألكم قِبَلَهُ دَينٌ فتطالبوه به ، أو ثأرٌ تُريدون أن تُدرِكوه ، أو كَفَلتُ لكم به فإذا غاب طالبتُموني بإحضاره ؟ قالوا : ليس بيننا وبينه شيء من هذا ، وإنما أردنا أن نَعرِفه ، فقال : هو رجل يُغَنِّي لي ولا يَخرُجُ من بيتي ؛ فقالوا له : إلى متى ؟ قال : مُذ يومَ وُلِدَ وإلى يومِ يموتُ . قال : وأنشدنا أيضاً في هذه القصيدة :

... ... ووافا ني هلالُ السماء في البردانِ

فقلنا : يا أبا مُعاذٍ . أين البردان هذا ؟ لسنا نعرفُه بالبصرة ، فقال : هو بيت في بيتي سمّيتُه البردان ، أفعليكم مِن تَسميتي داري وبيوتَها شيء فتسألوني عنه ! .

حدّثني هاشمُ بن محمد الخزاعيّ قال حدّثني أبو غسَّانَ دَماذ – واسمه رفيعُ بن سَلَمَةَ – قال حدّثني يحيي بنُ الجَونِ العَبْديّ راويةُ بشّارٍ قال :

كنا عند بشّار يوماً فأنشدنا قولَه :

وجاريةٍ خُلِقَتْ وحدَها كأن النساءَ لَدَيْها خَدَمْ

دُوارُ[١] العذارى اذا زُرْنَها أَطفْنَ بجوْزاء مثلِ الصَّنَمْ[٢]
ظَمِئْتُ إليهـا فلم تَسقِني بِرِيٍّ ولم تَشفِني من سَقَمْ
وقالت هَويتَ فمتْ راشداً كما مات عُروةُ[٣] غمًّا بغَمّ
فلما رأيتُ الهوى قاتِلي ولستُ بجارٍ ولا بابنِ عَمّ
دَسستُ إليها أبا مِجْلَزٍ وأيَّ فتًى إن أصابَ أعتزَمْ
فما زال حتى أنابتْ له فراح وحلَّ لنا ما حَرُمْ

فقال له رجل: ومَنْ أبو مِجْلزٍ هذا يا أبا مُعاذٍ؟ قال: وما حاجتك اليه! لك عليه دينٌ أو تُطالبُه بطائلةٍ[٤]! وهو رجل يتردَّدُ بيني وبين مَعارِفي في رسائلَ. قال: وكان كثيراً ما يحشو شعرَه بمثل هذا.

شعره في قينة:

أخبرني محمدُ بنُ مَزْيد بن أبي الأزهر قال حدّثنـا حمّادُ بن إسحاق عن أبيه قال:

كانتْ بالبصرة قَيْنةٌ لبعض وَلدِ سليمان بن عليّ وكانت مُحسِنةً بارعةَ الظَّرف، وكان بشّار صديقاً لِسيِّدها ومَدّاحاً له، فحضر مجلسَه يوماً والجاريةُ تُغنّي؛ فَسُرّ بحضوره وشَرِب حتى سكِر ونام، ونهضَ بشّار؛ فقالت: يا أبا مُعاذ، أُحِبُّ أن تذكُرَ يومنا هذا في قصيدة ولا تذكُرَ فيها أسمي ولا أسمَ سيِّدي وتكتُبَ بها إليه؛ فأنصرف وكتب اليه:

---

(١) الدوار بضم الدال وفتحها مع تخفيف الواو وقد تشدّد: صنم كانت العرب تنصبه، يجعلون موضعاً حوله يدورون به، وهو وارد هنا على وجه التشبيه؛ وفي زهر الآداب ج ٢ ص ١١٩ طبع المطبعة الرحمانية: «رواء».

(٢) كذا في زهر الآداب وفي جميع الأصول: «الضم» بالضاد المعجمة والميم، وهو تحريف.

(٣) يشير الى عروة بن حزام العذري صاحب عفراء، أحد العشاق المشهورين الذين قتلهم العشق.

(٤) الطائلة: الذحل والثأر.

وذاتِ دَلٍّ كأنّ البدرَ صورتُها — باتتْ تُغنّي عميدَ[1] القلبِ سكرانا:
(إنّ العيونَ التي في طرْفِها حَوَرٌ — قتلْننا ثم لم يُحيينَ قتلانا)
فقلتُ أحسنتِ يا سُؤْلي ويا أملي — فأسمِعيني جزاكِ اللهُ إحسانا:
(يا حبّذا جبلُ الريّانِ[2] من جبلٍ — وحبّذا ساكنُ الريّانِ مَنْ كانا)
قالت فهلّا، فدتكَ النفسُ، أحسن مِن — هذا لِمَن كان صبَّ القلبِ حيرانا:
(يا قومِ أذْني لبعضِ الحيِّ عاشقةٌ — والأذْنُ تعشقُ قبلَ العينِ أحيانا)
فقلتُ أحسنتِ أنتِ الشمسُ طالعةً — أضرمْتِ في القلبِ والأحشاءِ نيرانا
فأسمِعيني صوتاً مُطرباً هزَجاً[3] — يزيدُ صبّاً مُحبّاً فيكِ أشجانا
يا ليتني كنتُ تفّاحاً مُفلّجةً[4] — أو كنتُ من قُضُبِ الريحانِ ريحانا
حتى اذا وجدتْ ريحي فأعجبَها — ونحن في خلوةٍ مُثِّلْتُ إنسانا
فحرّكتْ عودَها ثم انثنتْ طرباً — تشدو به ثم لا تُخفيه كتمانا:
(أصبحْتُ أطوعَ خلقِ اللهِ كلِّهمِ — لأكثرِ الخلقِ لي في الحبِّ عصيانا)
فقلتُ أطربْتِنا يا زيْنَ مجلسِنا — فهاتِ إنّكِ بالإحسانِ أولانا
لو كنتُ أعلمُ أنّ الحبَّ يقتلُني — أعددتُ لي قبل أن ألقاكِ أكفانا
فغنّتِ الشَّرْبَ صوتاً مُؤْنقاً[5] رَمَلا — يُذكي السرورَ ويُبكي العينَ ألوانا:
(لا يقتلُ اللهُ مَنْ دامتْ مودّتُه — واللهُ يقتلُ أهلَ الغدرِ أحيانا)

ووُجّه بالأبيات إليها، فبعث إليه سيّدُها بألفَيْ دينار وسُرّ بها سروراً شديداً.

مع اعرابي:

أخبرني أحمدُ بن العباس العسكريّ قال حدثني الحسنُ بن عُليلٍ قال حدّثني

(١) عميد القلب: مريضه، يقال: قلب عميد اذا هدّه العشق وكسره.
(٢) الريان: جبل في ديار طيء لا يسيل منه الماء، وهو في مواضع كثيرة منها.
(٣) الهزج: ضرب من ضروب الأغاني فيه تطريب بتدارك الصوت وتقاربه.
(٤) مفلّجة: مقسمة، ويريد بذلك أنها اذا قسمت كانت أسطع نفحاً وأضوع شذاً وطيباً.
(٥) مؤنقاً: معجباً، يقال: آنقني الشيء فهو مؤنق وأنيق كما يقال مؤلم وأليم؛ والرمل: ضرب من الأغاني.

عليّ بن منصور أبو الحسن الباهليّ قال حدّثني أبو عبد الله المقرئ الجَحْدَريّ الذي كان يقرأ في المسجد الجامع بالبصرة، قال :

دخلَ أعرابيّ على مَجزَأَةَ بن ثور السَّدُوسيّ وبشّارٌ عنده وعليه بِزّةُ الشعراء، فقال الأعرابيّ : مَن الرجلُ؟ فقالوا : رجلٌ شاعرٌ ؛ فقــال : أمَوْلًى هو أمْ عَرَبيّ؟ قالوا : بل مولًى ؛ فقــال الأعرابيّ : وما للموالي وللشعر ! فغضِبَ بشّارٌ وسكتَ هُنيهةً، ثم قال : أتأذَنُ لي يا أبا ثورٍ ؟ قال : قل ما شئتَ يا أبا مُعاذ ؛ فأنشأ بشارٌ يقول :

خليلِي لا أنامُ على اقتسارِ ... ولا آبَى على مَوْلًى وجارِ
سَأُخبِرُ فاخرَ الأعراب عنّي ... وعنه حــين تأذنُ بالفَخارِ
أحين كُسيتَ بعد العُرْيِ خزًّا ... ونادَمْتَ الكِرامَ على العُقارِ
تُفاخِرُ يا بنَ راعيةٍ وراعٍ ... بني الأحرار حَسبُكَ مِن خَسارِ
وكنتَ إذا ظمئتَ الى قَراحٍ ... شَرِكْتَ الكلبَ في وَلْغ الإطارِ[١]
تُريغُ[٢] بخُطبَةٍ كسرَ الموالي ... ويُنسِيكَ المكارمَ صيدُ فارِ
وتَغدُو للقنافذ تَدَّرِيها[٣] ... ولم تَعقِلْ[٤] بدرّاجٍ[٥] الديارِ
وتَتّشحُ[٦] الشِّمالَ لِلابسيها ... وتَرعى الضأنَ بالبلَد القِفارِ

---

(١) من معاني الإطار : ما حول البيت فلعله المراد هنا وأن الكلب يلغ في المياه الراكدة حول الدور .

(٢) تريغ : تريد وتطلب وهو المناسب لسياق الكلام، وفي جميع الأصول : « تربع » بالعين المهملة .

(٣) تدّريها : تختلها لتصيدها .

(٤) كذا في جميع النسخ، ولعله « تعلق »، يريد أنه يحاول صيد القنافذ ولا يلحقها .

(٥) الدرّاج : القنفذ .

(٦) كذا في جميع النسخ، ولعله « وتنتسج » بمعنى « تنسج »، والشمال : جمع شملة وهي الكساء يتشح به؛ وفي حديث عليّ قال للأشعث بن قيس : « إن أبا هذا كان ينسج الشمال باليمين »؛ ولا يخفى ما في هذه المقابلة من الحسن .

مُقامُكَ بيننا دَنَسٌ علينا فليتَكَ غائبٌ في حَرِّ نارِ
وخرُكَ بين خنزيرٍ وكلبٍ على مِثلِي من الحدَثِ الكُبارِ

فقال مجزأةُ للأعرابيّ: قَبحَكَ اللهُ! فأنتَ كَسَبْتَ هذا الشرَّ لنفسك ولأمثالِكَ!.

أخبرني أحمدُ بنُ العباس العسكريّ قال حدّثني العنزيّ عن الرّياشيّ قال:

حضرَ بشَّارٌ بابَ محمد بن سليان، فقال له الحاجبُ: أصبِرْ؛ فقال: إنَّ الصبرَ لا يكون إلا على بليَّةٍ؛ فقال له الحاجبُ: إنّي أظنُّ أنَّ وراءَ قولكَ هذا شرّاً ولن أتعرّضَ له، فقم فادخُل.

بشار وهلال الرأي:

أخبرني وكيعٌ قال حدّثنا أبو أيّوبَ المدينيّ عن محمد بن سلّام قال:

قال هلال الرأي[1] – وهو هلالُ بنُ عطيةَ – لبشارٍ وكان له صديقاً يمازحه: إنّ اللهَ لم يُذهِبْ بصرَ أحدٍ إلا عوّضه بشيء، فما عوّضكَ؟ قال: الطويلَ العريضَ؛ قال: وما هذا؟ قال: ألّا أراكَ ولا أمثالكَ من الثقلاء. ثم قال له: يا هلال أتطيعُني في نصيحةٍ أخصُّكَ بها؟ قال نعم؛ قال: إنكَ كنتَ تسرقُ الحميرَ زماناً ثم تُبْتَ وصِرتَ رافِضيّاً، فعُدْ الى سَرقةِ الحميرِ، فهي واللهِ خيرٌ لكَ من الرَّفْضِ[2].

(١) هو هلال بن يحيى بن مسلم البصري، أخذ الفقه عن أبي يوسف المتوفى سنة ١٨٢ وزفر المتوفى سنة ١٥٨، ويقولون مع هذا: إنه توفي سنة ٢٤٥، أنظر الفوائد البهية في تراجم الحنفية وتاج التراجم في طبقات الحنفية والفهرست لابن النديم ص ٢٠٥، وذكره ابن حجر في لسان الميزان ص٢٠٢ ج ٦ وبعد أن ذكر أنه توفي سنة ٢٤٥ قال: وفي الأغاني لأبي الفرج الاصبهاني «هلال الرأي هو هلال بن عطية» وذكر له قصة مع بشار بن برد، فهذا يدل على أنه متقدّم جداً لان بشاراً قتل في زمن المهدي.

(٢) الرفض (بالكسر): مذهب الرافضة وهم فرقة من الشيعة بايعوا زيد بن عليّ ثم قالوا له: تبرّأ من الشيخين فأبى فرفضوه وانفضوا عنه فسموا الرافضة.

قال محمدُ بن سَلّام : وكان هلال يُستَثقَلُ، وفيه يقول بشارٌ :

وكيفَ يَخِفُّ لي بصري وسمعي ... وحَولِي عَسكرانِ مِنَ الثِّقالِ
قُعُوداً حولَ دَسْكَرَتِي[1] وعندي ... كأنّ لهم عليَّ فضولَ مالِ
إذا ما شِئتُ صبَّحني هِلالٌ ... وأيُّ الناس أثقل من هلالِ

وأخبرني أبو دُلَفَ الخُزاعيّ بهذا الخبر عن عيسى بن إسماعيل عن ابن عائشةَ، فذكرَ أنّ الذي خاطب بشارا بهذه المخاطبة ابنُ سَيابةَ، فلما أجابه بشّار بالجواب المذكور، قال له : من أنت ؟ قال : ابن سَيَّابةَ ؛ فقال له : يابن سَيَّابةَ، لو نُكِحَ الأسدُ ما افترسَ ؛ قال : وكان يُتَّهمُ بالأُبنة .

قال أيوب وحدّثني محمدُ بن سلّام وغيره قالوا : مرّ ابنُ أخي بشّار به ومعه قومٌ ؛ فقال لرجل معه : مَنْ هذا ؟ فقال : ابنُ أخيك ؛ قال : أشهد أن أصحابه أنذالٌ ؛ قال : وكيف علِمتَ ؟ قال : ليست لهم نِعالٌ .

دقة حسه :

أخبرني محمد بن عليّ قال حدّثني أبي قال حدّثني عافيةُ بنُ شبيب عن أبي دُهمانَ الغَلابِيّ، قال :

مررتُ ببشّار يوماً وهو جالس على بابه وحدَه وليس معه خلقٌ وبيده مِخْصَرةٌ[2] يَلعبُ بها وقُدّامَه طبقٌ فيه تُفّاحٌ وأُترُجٌ[3]، فلما رأيتُه وليس عنده أحدٌ تاقتْ نفسي إلى أن أسرقَ ما بين يديه، فجئتُ قليلاً قليلاً وهو كافٌّ يدَه حتى مددتُ يدي لأتناولَ منه، فرفَع القضيبَ وضرب به يدي ضربةً كاد يكسِرُها، فقلتُ

---

(١) الدسكرة : بناء كالقصر، وهي أيضاً : الارض المستوية .

(٢) المخصرة : ما اختصر الانسان بيده فأمسكه من عصا أو قضيب، وقيل المخصرة : شيء يأخذه الرجل بيده ليتوكأ عليه .

(٣) الأترج : ثمر شجر بستانيّ من جنس الليمون ناعم الورق والحطب .

له : قطعَ اللهُ يدكَ يابْنَ الفاعلةِ، أنتَ الآنَ أعمى ! فقال : يا أحمقُ، فأين الحسُّ ! .

مع نادبات :

أخبرني يحيي بن عليّ قال حدثني العَنَزيّ قال حدثني خالدُ بنُ يزيدَ بن وهب ابن جرير عن أبيه قال :

كان لبشار في داره مجلسانِ : مجلسٌ يَجلِسُ فيه بالغداةِ يُسمّيه « البردانَ » ومجلسٌ يَجلِسُ فيه بالعَشيّ اسمه « الرَّقيقُ »، فأصبح ذاتَ يومٍ فاحتجمَ وقال لغلامه : أمسكْ عليّ بابي واَطْبُخ لي مِنْ طَيِّبِ طعامي وصَفِّ نبيذي ؛ قال : فإنه لكذلك إذ قُرِعَ البابُ قرعاً عنيفاً؛ فقال : ويحكَ يا غلامُ ! انظرْ مَن يدُقّ البابَ دَقّ الشُّرَطِ؛ قال : فنظر الغلامُ، فقال له : نِسوةٌ خمسٌ بالباب يَسألنَ أن تقولَ لهنّ شِعراً يَنُحنَ به ؛ فقال : أدخِلْهنّ، فلمّا دَخلنَ نظرنَ الى النبيذ مُصفّىً في قنانيه في جانب بيتِه؛ قال : فقالت واحدةٌ منهنّ : هو خمر، وقالت الأخرى : هو زبيبٌ وعسلٌ، وقالت الثالثة : نقيعُ زبيبٍ؛ فقال : لستُ بقائلٍ لكنّ حرفاً أو تطعَمْنَ من طعامي وتَشرَبْنَ من شرابي ؛ قال فما سكَنَّ ساعةً، ثم قالت واحدةٌ منهنّ : ما عليكنّ ! هو أعمى فكُلْنَ مِنْ طعامه واشرَبْنَ من شرابه وخُذنَ شِعرَه؛ فبلغ ذلك الحسنَ البصريَّ فعابه وهتَفَ ببشار ؛ فبلغه ذلك — وكان بشار يُسمّي الحسنَ البصريّ القَسّ — فقال :

لما طَلَعنَ من الرَّقيـــق عليّ بالبردانِ خمساً
وكأنهنّ أهِلّـةٌ تحت الثيابِ زففنَ شمساً
باكَرْنَ عِطرَ لَطيمةٍ[1] وغَمسنَ في الجادِيّ[2] غمساً

(١) اللطيمة : نافحة المسك .

(٢) الجاديّ : الزعفران .

صوت

لمَّا طلعْنَ حففْنَها وأصخْنَ ما يَهمِسْنَ هَمسَا
فسألنَني مَنْ في البيو تِ فقلتُ ما يُؤوِينَ إنسَا
ليتَ العيونَ الطارفا تِ(١) طُمِسنَ عنَّا اليومَ طَمْسَا
فأصبْنَ من طُرَفِ الحديــثِ لَذاذةً وخَرجنَ مُلسَا(٢)
لولا تَعرُّضُهنَّ لي يا قَسُّ كنتُ كأنتَ قَسَّا

غنّى في هذه الأبيات يحيى المكيّ، ولحنُه رَمَلٌ بالبنصر عن عمرٍو.

نهيه عن التشبيب :

أخبرنا يحيى قال حدّثني العَنزِيّ قال حدّثنا عليّ بن محمد قال حدّثني جعفر بن محمد النوفليّ — وكان يَروِي شعرَ بشار بنِ بُردٍ — قال : جئتُ بشارا ذاتَ يومٍ فحدّثني، قال : ما شعَرتُ منذ أيَّام إلا بقارع يقرَع بابي مــع الصّبح، فقلت : يا جارية أنظُري مَن هذا، فرجعتْ إليّ وقالت : هذا مالكُ بن دينار ؛ فقلت : ما هو من أشكالي ولا أضرابي، ثمّ قلت : ائذَني له، فدخل فقال : يا أبا معاذ، أتشتُمُ أعراضَ الناس وتُشبِّب بنسائهم ! فلم يكن عندي إلا أن دفعتُ عن نفسي وقلت : لا أعود، فخرج عنّي، وقلتُ في أثره :

غَدا مالكٌ بملاماته عليّ وما بات من باليَهْ

(١) في جميع الأصول : « الطارقات » بالقاف، وهو تحريف .

(٢) كذا في جميع النسخ والقلس : الشرب الكثير من النبيذ، فلعلها مصدر وقع موقع الحــال، أو لعلها محرفة عن « ملسا » بمعنى أنهن ملس من العيب أي ليس فيهن عيب . قال العجاج : وحاصن من حاصنات ملس وقد فسره بذلك اللسان في مادة « قلس » .

تَناولَ خَوْداً هَضيمَ الحشى   من الُحورِ مَحطوطة[١] عاليَهْ
فقلتُ دَعِ اللومَ في حبِّها   فقبلكَ أعييتُ عُذّالِيَهْ
وإنّي لأكتُمهم سِرَّها   غداةَ تقول لها الجالِيَه[٢]
عُبَيدةُ مالكِ مَسلوبةً   وكنتِ مُعطَّرة حاليَهْ
فقالت على رِقبةٍ[٣]: إنّني   رَهنتُ المرَعّث[٤] خلخاليَهْ
بمجلس يوم سأُوفي به   ولو أَجلَبَ الناسُ أحواليَه[٥]

شعره في محبوبته فاطمة :

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا العَنَزيّ قال حدّثني السَّميدع بن محمد الأزدي قال حدّثني عبد الرحمن بن الجَهْم عن هِشام بن الكلْبيّ قال :

كان أوّلُ بَدء بشّار أنّه عشِق جارية يقال لها فاطمةُ، وكان قد كُفّ وذهب بصرُه، فسمعها تغنّي فهَوِيَها وأنشأ يقول :

دُرّةٌ بَحريّةٌ مكنونةٌ   مازها التّاجرُ من بين الدُّرَرْ
عجِبتْ فَطْمةُ من نَعتي لها   هل يُجيدُ النّعتَ مَكفوفُ البصرْ

(١) كذا في جميع النسخ والمخطوطة ذات الخط وربما كانت محرّفة عن محطوطة قال في اللسان : وجارية محطوطة المتنين : ممدودتها وقال الأزهري : ممدودة حسنة مستوية وقد جاء ذلك في الشعر العربي كثيراً كقول الشاعر :

محطوطة المتن هضيم الحشى   لا يطّبيها الورع الواغل

وكقول القطامي : بيضاء محطوطة المتنين بهكنة   ولا يخفى ما بين اللفظين « محطوطة وعالية » من المقابلة .

(٢) الجالية : الماشطة التي تجلو المرأة وتزينها .

(٣) على رقبة : على تحفظ واحتراس .

(٤) لقب بشار كما تقدم .

(٥) أحواليه : من حولي .

أمتا[1] بَدَّد هـذا لَعِبي ووِشاحِي حَلَّه حتى انتثرْ
فدَعِيني معَــه يا أمتا[2] عَلّنا في خَلوةٍ نَقضي الوَطرْ
أقبلتْ مُغضَبــةً تَضربها واعتراها كجنونِ مُستعِرْ
بأبي واللهِ ما أحسَنَــه دمعُ عينٍ يَغسِلُ الكحلَ قَطَرْ
أيُّها النُّوّام هُبُّوا وَيْحكم وٱسألوني اليومَ ما طعمُ السَّهرْ

أخبرني محمد بن عِمران الصَّيرفيّ قال حدّثنا العَنَزيّ قال حدّثني خالد بن يزيد ابن وهب بن جرير قال حدّثني أبي عن الحكم بن مَخلَد بن حازم قال: مررتُ أنا ورجل من عُكَل من أبناء سَوّار بن عبد الله بقصر أوس[3]، فإذا نحن ببشار في ظلّ القصر وحدَه، فقال لي العُكليّ: لا بدّ لي من أن أعبث ببشار؛ فقلت: وَيْحك، مَهْ لا تُعرِّض بنفسك وعِرضك له؛ فقال إنّي لا أجده في وقتٍ أخلى منه في هذا الوقت؛ قال فوقفت ناحيةً ودنا منه فقال: يا بشار؛ فقال: من هـذا الذي لا يَكنيني ويدعوني باسمي؟ قال: سأخبرك من أنا، فأخبِرني أنت عن أمّك: أولدتْك أعمى أم عمِيتَ بعد ما ولدتْك؟ قال: وما تريد الى ذلك؟ قال: وَدِدتُ أنه فُسِح لك في بصرك ساعة لتنظُر الى وجهك في المِرآة، فعسى أن تُمسِكَ عن هجاء الناس وتعرفَ قدرَك؛ فقال: وَيحكم! مَن هذا؟ أمَا أحدٌ يُخبرني مَن هذا؟ فقال له: على رِسلك، أنا رجل من عُكَل وخالي يبيع الفَحم بالعَبْلاء[4] فما تقدِر أن تقول لي؟ قال: لا شيء، اذهبْ، بأبي أنت، في حِفظ الله.

(١) كذا في الأصول وفي زهر الآداب: «أمّتي»، وأمتا: أمة (وهي المملوكة) مضافة الى ياء المتكلم المنقلبة ألفا، ويحتمل أن يكون أصلها يا أمي حذف منه حرف النداء ثم حذفت ياء المتكلم وعوض عنها التاء، ويجوز في هـذه التاء الفتح والكسر وهو الاكثر، واذا فتحت لا تلحقها الالف إلا للضرورة.

(٢) كذا في الأصول وفي زهر الآداب: «أمتي».

(٣) قصر أوس بالبصرة ينسب الى أوس بن ثعلبة بن زفر بن وديعة، وكان قد ولي خراسان في عهد الدولة الأموية.

(٤) ذكره ياقوت في معجمه فقال: العبلاء اسم علم لصخرة بيضاء الى جنب عكاظ، وعندهـا كانت الوقعة الثانية من وقعات الفجار. ثم قال: والعبلاء، وقيل العبلاة بلدة كانت لخثعم بهـا كان ذو الخلصة بيت وصنم. وذكره البكري في معجمه (ص ٤٩٢، ٦٤١) فقال: العبلاء: قرية وتربة واد من أودية الحجاز، أسفله لبني هلال والضباب وسلول، وأعلاه الخثعم، وهناك كان ذو الخلصة بيتهم الذي يحجون اليه.

مدح خالد البرمكي :

أخبرني عليّ بن سُلَيمان الأخفش قال حدّثني هارون بن عليّ بن يحيى المنجّم قال حدّثني عليّ بن مَهديّ قال حدّثني العبّاس بن خالد البرمكيّ قال :

كان الزُّوّار يُسمَّوْن في قديم الدّهر الى أيّام خالد بن بَرمك السُّؤّال؛ فقال خالد : هذا والله اسم أستثقله(١) لطلّاب الخير، وأرفع قدرَ الكريم عن أن يُسمّي به أمثالَ هؤلاء المؤمّلين، لأنّ فيهم الأشرافَ والأحرارَ وأبناءَ النّعيم ومن لعلّه خيرٌ ممن يقصِد وأفضلُ أدباً ، ولكنّا نسمّيهم الزُّوّار ؛ فقال بشار يمدَحه بذلك :

حذا خالدٌ في فعله حَذوَ بَرمكٍ فمَجدٌ له مُستطرَفٌ وأصيلُ
وكان ذوو الآمالِ يُدعَوْن قبلَه بلفظٍ على الإعدام فيه دليلُ
يُسمَّون بالسُّؤّال في كلّ مَوطنٍ وإن كان فيهم نابهٌ وجَليلُ
فسمّاهمُ الزُّوّارَ سَتراً عليهمُ فأستارُه في المُجتدين سُدولُ

قال : وقال بشار هذا الشعر في مجلس خالد في الساعة التي تكلّم خالد بهذا الكلام في أمرِ الزُّوّار، فأعطاه لكلّ بيت ألفَ درهم .

بشار وصديقه :

أخبرني عمّي قال حدّثني محمد بن القاسم بن مَهرُويَه قال حدّثني أبو شِبل عاصم بن وهب قال : نَهق حِمارٌ ذاتَ يوم بقرب بشار، فخطر بباله بيتٌ فقال :

ما قام أيرُ حمارٍ فأمتلا شَبَقاً إلا تحرّكَ عرقٌ في أست تَسنيمِ

قال : ولم يُرِد تَسنياً بالهجاء؛ ولكنه لمّا بلغ الى قوله : « إلا تحرّكَ عِرقٌ »

(١) في جميع النسخ : « أستقبله » .

قال : في أستِ مَن ؟ ومرّ به تسنيم بن الحوارى وكان صديقَه، فسلَّم عليه وضحك، فقال : في أستِ تسنيم عَلِمَ الله؛ فقال له : أيش[١] وَيحك ! ؟ فأنشده البيتَ؛ فقال له : عليك لعنةُ الله ! فما عندك فَرقٌ بين صديقك وعدوّك، أيّ شيء حملك على هذا ! ألا قلت : « في أست حمّاد » الذي هجاك وفضحك وأعياك، وليست قافيتك على الميم فأعذرك ! قال : صدقتَ واللهِ في هذا كلّه، ولكن ما زلتُ أقول : في أست من ؟ في أست من ؟ ولا يخطر ببالي أحد حتى مررتَ وسلّمت فرزقته ؛ فقال له تسنيم : اذا كان هذا جوابَ السّلام عليك فلا سلّم الله عليك ولا عليّ حين سلّمتُ عليك؛ وجعل بشّار يضحك ويُصفِّق بيديه وتسنيم يشتُمه .

أخبرنا عيسى بن الُحسين قال حدّثنا عليّ بن محمد النَّوفليّ عن عمّه قال :

قالت أمرأة لبشّار : ما أدري لِمَ يَهابُك الناسُ مع قُبح وجهك! فقال لها بشّار : ليس من حُسنِه يُهاب الأسدُ .

الملاحاة بينه وبين بن رؤبة :

أخبرني حبيب بن نَصر المهلّبيّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا محمد ابن الحجّاج قال :

دخل بشار على عُقبة[٢] بن سَلم، فأنشده بعض مدائحه فيه وعنده عقبة بن رُؤبة ينشِده رَجزاً يمدحه به، فسمِعه بشّار وجعل يستحسن ما قاله الى أن فرغ؛ ثم أقبلَ على بشّار فقال : هذا طرازٌ لا تُحسِنه أنت يا أبا مُعاذ؛ فقال له بشار : أَلِي يُقال هذا ! أنا والله أرجزُ منك ومن أبيك وجدّك؛ فقال له عقبة : أنا والله وأبي فتحنا

(١) أيش : بمعنى أيّ شيء خفف منه كما يقال : ويلمه في معنى : ويل لأمه، على الحذف لكثرة الاستعمال . وقد قيل : إنه سمع من العرب كما قيل إنه مولد .

(٢) كان عقبة والياً على البصرة من قبل أبي جعفر المنصور وكان عاتياً جبّاراً .

للناس باب الغريب وباب الرّجز، ووالله إني لخليق أن أُسدّه عليهم؛ فقال بشّار: أرحمهم رحمك الله! فقال عقبة: أتستخفُّ بي يا أبا معـاذ وأنا شاعر ابن شاعر ابن شاعر! فقال له بشّار: فأنت إذاً من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرِّجس وطهّرهم تطهيراً؛ ثمّ خرج من عنده عقبةُ مُغضَباً. فلما كان من غدٍ غدا على عقبة ابن سلم وعنده عقبة بن رُؤْبة، فأنشده أرجوزتَه التي مدحه فيها:

يا طَلَلَ الحيِّ بذات الصَّمْدِ[١] ... بالله خَبِّرْ كيف كنتَ بعدي
أَوْحشتَ من دعدٍ وتِرْبِ دعدِ ... سَقياً لأسماءَ ابنةِ الأَشَدِّ
قامت تَراءى إذ رأَتْني وَحدِي ... كالشَّمس تحتَ الزِّبْرِجِ[٢] المُنقدِّ
صدّت بخدٍّ وجَلَتْ عن خدِّ ... ثم انثنَتْ كالنَّفَس المُرتدِّ
عَهدي بها سَقياً له من عَهدِ ... تُخلِفُ وعداً وتَفي بوعدِ
فنحن من جَهد الهوى في جَهدِ ... وزاهرٍ من سَبِطٍ وجَعدِ
أهدى له الدَّهرُ ولم يَستهدِ[٣] ... أفوافَ[٤] نَوْرِ الحِبَرِ المُجدِّ
يلقَى الضُّحى رَيحانُه بسَجدِ ... بُدِّلتُ من ذاك بكىً لا يُجدِي
وافقَ حظّاً من سَعى بجَدِّ ... ما ضرّ أهلَ النَّوكِ ضعفُ الجَدِّ
الحرّ يُلحى والعصا للعبدِ ... وليس للمُلحِف مثلُ الرَّدِّ
والنَّصفُ[٥] يَكفيك من التعدّي ... وصاحبٍ كالدُّمَّلِ المُمِدِّ[٦]
حملتُه في رُقعةٍ من جِلدي ... أرقُبُ منه مثلَ يوم الوِردِ[٧]

(١) في معجم ما استعجم للبكري: الصمد: موضع في ديار بني يربوع. وفي معجم ياقوت: الصمد: ماء للضباب.

(٢) الزبرج: السحاب، والمنقد: المتقطع.

(٣) استهدى فلان: طلب أن يهدى له.

(٤) الأفواف: جمع فوف وهو نوع من برود اليمن تشبه به الأزهار. والحبر: جمع حبرة كعنبة وقصبة وهي ضرب من برود اليمن منمر.

(٥) النصف: الإنصاف.

(٦) يقال: أمد الجرح: حدثت فيه المدة فهو ممد.

(٧) الورد: من أسماء الحمى.

حتى مضى غيرَ فقيد الفَقْدِ وما درى ما رَغبتي من زُهدي
إسلَمْ وحُيّيتَ أبا المَلْدِ مفتاحَ باب الحدَث المنسدّ
مُشترَكَ النَيْل وريَّ الزَّنْدِ أغرَّ لَبّاسَ ثياب الحمدِ
ما كان منّي لك غيرُ الوُدِّ ثم ثناءٌ مثلُ ريح الوَرْدِ
نَسَجْتُه في مُحكَمات النّدّ فالبَسْ طِرازي[١] غيرَ مُسترَدِّ
لله أيامُكَ في مَعَدِّ وفي بني قحطانَ غيرَ عَدِّ
يوماً بذي طِخْفَةَ[٢] عند الحدِّ ومثلَه أودَعْتَ أرضَ الهندِ
بالمرْهفات والحديد السَّردِ[٣] والمُقربات المُبعدات الجُرْدِ
اذا الحيا[٤] أكْدى بها لا تُكدي تُلحِمُ أمراً وأموراً تُسدي[٥]
وابنُ حكيم إن أتاك يَرْدي[٦] أصمَّ لا يسمَعُ صوتَ الرعدِ
حيّتَه[٧] بتُحفَة المُعدِّ فانهدَّ مثلَ الجبل المُنهدِّ
كُلّ امرئ رَهْنٌ بما يُؤدّي ورُبَّ ذي تاج كريم الجدِّ
كآل كِسرى وكآل بُردِ أنكَبَ[٨] جافٍ عن سبيل القصدِ
فَصلتَه عن ماله والوُلدِ

فطرب عُقبةُ بن سَلْم وأجزل صِلتَه، وقام عقبةُ بن رُؤبةَ فخرج عن المجلس بخِزْيٍ وهرَب من تحت ليلته فلم يَعُدْ اليه.

---

(١) الطراز: ما نسج للسلطان من الثياب.

(٢) طخفة: موضع بعد النباج وبعد إمرة في طريق البصرة الى مكة، وفيه يوم طخفة لبني يربوع على قابوس بن المنذر بن ماء السماء.

(٣) السرد: اسم جامع للدروع وسائر الحلق.

(٤) الحيا: المطر. وأكدى: بخل.

(٥) تلحم: تنسج اللحمة وهي ما نسج في الثوب عرضاً بخلاف السدى وهو ما مدّ من خيوطه طولا، وفي المثل: «ألحم ما أسديت» أي تمم ما بدأته.

(٦) يردي: يعدو.

(٧) في الأصول: «حبيته» بالباء الموحدة، وهو تحريف.

(٨) الأنكب: المائل، يقال: رجل أنكب عن الحق وناكب عنه أي مائل.

وذكر لي أبو دُلَفَ هاشمُ بن محمد الُخزاعيّ هذا الخبرَ عن الجاحظ، وزاد فيه الجاحظ قال : فانظر الى سُوء أدب عُقْبةَ بن رؤبة وقد أجلَّ بشّارٌ مَحضَرَه وعِشْرتَه، فقابله بهذه المقابلةِ القبيحة، وكان أبوه أعلَم خلقِ الله به، لأنه قال له وقد فاخره بشعره: أنت يا بُنيَّ ذَهبانُ الشِعر اذا مُتّ مات شِعرُكَ معك، فلم يوجد مَن يَرْوِيه بعدك؛ فكان كما قال له، ما يُعرفُ له بيتٌ واحدٌ ولا خبرٌ غيرُ هذا الخبر القبيح الإخبار عنه الدالِّ على سُخفه وسقوطه وسُوء أدبه .

مع معشوقة :

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا أبو غسّانَ دَماذ قال حدّثنا أبو عُبيدةَ قال : كان بشار يَهوى امرأةً من أهل البصرة يقال لها عُبيدَةُ، فخرجتْ عن البصرة الى عُمانَ[١] مع زوجها، فقال بشارٌ فيها :

صوت

هوى صاحبِي ريحُ الشَمال اذا جرتْ وأشفَى لقلبي أن تهُبَّ جَنُوبُ
وما ذاكَ إلا أنها حين تنتهِي تَناهى وفيها من عُبيدةَ طِيبُ
عَذيرِي من العُذّال إذ يَعذُلونني سَفاهاً وما في العاذِلين لَبيبُ

صوت

يقولونَ لو عَزّيتَ قلبكَ لارْعوى فقلتُ وهل للعاشقين قُلوبُ
اذا نطقَ القومُ الجلوسُ فإنني مُكِبٌّ[٢] كأني في الجميع غَريبُ

(١) اسم كورة عربية على ساحل بحر اليمن والهند .

(٢) مكب : مطرق .

بشار ابو الشمقمق :

أخبرني هاشم قال حدّثني دَماذ قال حدّثني رجل من الأنصار قال :

جاء أبو الشَّمَقْمَقِ الى بشار يشكو اليه الضِّيقَةَ[1] ويحلف له أنه ما عنده شيء؛ فقال له بشار : والله ما عندي شيء يُغنيكَ ولكن قُمْ معي الى عُقبةَ بن سَلْم، فقام معه فذكر له أبا الشمقمق وقال : هو شاعرٌ وله شكر وثناء، فأمر له بخمسمائة درهم ؛ فقال له بشار :

يا واحدَ العرب الذي   أمسى وليس له نَظِيرُ
لو كان مِثْلَكَ آخَرٌ   ما كان في الدنيا فَقيرُ

فأمر لبشار بألفَيْ درهم؛ فقال له أبو الشمقمق : نفعتَنا ونفعناكَ يا أبا مُعاذٍ؛ فجعل بشار يَضحك .

مع المنصور :

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمدُ بنُ القاسم بن مَهرُوَيهْ قال حدّثنا زكرياَ بن يحيي أبو السُّكَينِ الطائيّ قال حدّثني زَحْرُ بنُ حِصْنٍ قال :

حجّ المنصورُ فأستقبلناه بالرَّضم الذي بين زُبالَةَ[2] والشُّقُوقِ ، فلما رَحَل من الشُّقوق رَحلَ في وقت الهاجرة فلم يركب القُبَّةَ[3] وركب نَجيباً فسار بيننا، فجعلت الشمسُ تضحَكُ[4] بين عينيه، فقال : إني قائلٌ بيتاً فمن أجازه وَهبتُ له جُبَّتي هذه؛ فقلنا : يقول أمير المؤمنين، فقال :

---

(١) الضيقة بالكسر ويفتح : الفقر وسوء الحال .

(٢) زبالة : منزلة معروفة بطريق مكة من الكوفة وهي قرية عامرة بها أسواق . والشقوق : منزل بطريق مكة بعد واقصة من الكوفة .

(٣) القبة : الهودج .

(٤) تضحك : تتلألأ .

وهاجرةٍ نَصبْتُ لهـا جَبيني ... يُقطّعُ ظهرُها ظَهرَ العظايَه[١]

فبدر بشارٌ الاعمى فقال :

وَقفتُ بها القَلوصَ ففاضَ دمعي ... على خـدّي وأقصرَ واعظايَهْ

فنزع الجُبَّةَ وهو راكِب فدفعها إليه . فقلتُ لبشار بعد ذلك : ما فعلتَ بالجُبّة ؟ فقال بشارٌ : بعتُها واللهِ بأربعمائةِ دينار .

شعره الغث :

أخبرني أحمدُ بن العباس العسكريّ قال حدّثنا الحسنُ بنُ عُليلٍ العنزيّ قال حدّثني عليّ بن محمد النّوفليّ قال حدّثني عبد الرحمن بن العباس بن الفضل بن عبد الرحمن بن عيّاش بن أبي ربيعة عن أبيه قال :

كان بشار منقطعاً إليّ والى إخوتي فكان يَغشانا كثيراً، ثم خرج إبراهيمُ بنُ عبد الله فخرج معه عِدّةٌ منّا، فلما قُتِلَ إبراهيمُ تواريْنا، وحبَس المنصورُ منّا عِدّةً من إخوتي، فلما وَليَ المهديُّ أمّنَ الناسَ جميعاً وأطلقَ المحبوسين، فقدِمتُ بغدادَ أنا وإخوتي نَلتمِسُ أماناً من المهديّ، وكان الشعراء يجلِسون بالليـل في مسجد الرُّصافةِ[٢] يُنشِدونَ ويتحدثونَ، فلم أُطلِعْ بشاراً على نفسي إلا بعد أن أظهر لنا المهديُّ الأمانَ، وكتب أخي الى خليفته بالليل، فصِحتُ به : يا أبا مُعاذٍ مَنِ الذي يقول :

أُحِبُّ الخاتمَ الأحمـــر مِن حُبِّ مَواليهِ

(١) العظاية : دويبة ملساء تعدو وتتردّد تشبه سام أبرص .

(٢) الرصافة : اسم لمواضع كثيرة والمراد هنا هي «رصافة بغداد» بالجـانب الشرقيّ، ذكرها ياقوت فقال : لما بنى المنصور مدينته بالجانب الغربيّ واستتمّ بناءها أمر ابنه المهـديّ أن يعسكر في الجانب الشرقيّ وأن يبني له فيها دوراً، وجعلها معسكراً له، فالتحق بها الناس وعمروهـا ، فصارت مقدار مدينة المنصور وعمل المهديّ بها جامعاً أكبر من جامع المنصور وأحسن . وكان فراغ المهدي من بناء الرصافة والجامع بها في سنة ١٥٩ هـ وهي السنة الثانية من خلافته .

فأعرض عنّي وأخذ في بعض إنشاده شعرَه، ثم صِحتُ : يا أبا مُعاذٍ مَنِ الذي يقول:

إنّ سَلمى خُلِقَتْ من قَصَبٍ(١) قصبِ السكّر لا عظم الجمَلْ
وإذا أدنيتَ منها بصلاً غلَبَ المسكُ على ريح البصلْ

فغضِبَ وصاح : من الذي يُقرّعُنا بأشياء كنا نعبَثُ بها في الحداثةِ فهو يُعيّرنا بها ! فتركتُه ساعةً ثم صِحتُ به : يا أبا مُعاذٍ مَنِ الذي يقول :

أخشَابُ حقّاً أنّ دارك تُزعَجُ وأنّ الذي بيني وبينك يَنْهجُ(٢)

فقال : وَيحكَ! عن مثلِ هذا فسَلْ، ثم أنشدها حتى أتى على آخرها، وهي من جيّد شعره، وفيه غِناء :

صوت

فواكَبِدا قد أنضجَ الشوقُ نصفها ونصفٌ على نار الصَّبابة يَنضَجُ
وواحَزَنا منهنّ يحفُفْن هودجاً وفي الهودج المحفوفِ بدرٌ مُتوَّجُ
فإن جئتَها بين النساء فقل لها عليكِ سلامٌ مات مَن يتزوّجُ
بكيتُ وما في الدمع منك خليفةٌ ولكنّ أحزاني عليك توَهّجُ

الغناء لسُليمِ بن سَلاّم رملٌ بالوسطى . ووجدتُ هذا الخبرَ بخط ابن مَهرُويَه فذكر أنه قال هذه القصيدةَ في امرأة كانت تَغشى مجلسَه وكان إليها مائلاً يقال لها خشَّابَةُ، فارسيّةٌ ، فزُوّجتْ وأُخرِجتْ عن البصرة .

أخبرني عمي قال حدّثني الكُرانيّ قال حدّثني أبو حاتم :

قال أبو النَّضيرِ الشاعرُ : أنشدتُ بشاراً قصيدةً لي، فقال لي : أيُعجِبُكَ شعرُكَ

---

(١) كذا في الأصول وفي زهر الآداب ج ١ ص ٢٠٦ طبع المطبعة الرحمانية .
إنما عظم سليمى خلتي قصب ... ... الخ

(٢) ينهج : يبلى .

هذا كلّما شئتَ أم هذا شيء يجيئك في الفَيْنة[1] بعد الفينة اذا تَعمّلتَ[2] له ؟ فقلت: بل هذا شعرٌ يجيئني كلما أردتُه ؛ فقال لي : قل فإنك شاعر؛ فقلت له : لعلّك حابيتَني أبا مُعاذ وتحمّلتَ[3] لي؛ فقال : أنتَ أبقاك الله أهونُ عليّ من ذلك .

اعتذار عن قبلة :

أخبرني عمي قال حدّثنا الكرانيّ عن العُمَريّ عن عبّاس بن عبّاس الزّناديّ عن رجلٍ من باهلة، قال :

كنتُ عند بشّارٍ الأعمى فأتاه رجلٌ فسلّم عليه، فسأله عن خبر جاريةٍ عنده وقال كيف أبنتي ؟ قال : في عافيةٍ، تدعوكَ اليومَ؛ فقال بشار : يا باهليّ أنهضْ بنا، فجئنا الى منزلٍ نظيف وفَرشٍ سَريّ[4]، فأكلنا، ثم جيء بالنبيذ فشربنا مع الجارية، فلما أراد الانصرافَ قامت فأخذتْ بيد بشار، فلما صار في الصحن أومأ اليها ليقبّلها، فأرسلت يدَها من يده، فجعل يجول في العَرْصة[5]؛ وخرج المولى فقال: ما لك يا أبا مُعاذٍ ؟ فقال : أذنبتُ ذنباً ولا أبرحُ أو أقولَ شعراً، فقال :

أتوبُ اليكَ من السيئات وأستغفر اللهَ من فَعْلتِي
تناولتُ ما لم أُرِدْ نَيْلَه على جهلِ أمرِي وفي سَكرتي
ووالله واللهِ ما جئتُه لعمدٍ ولا كان من هِمّتِي
وإلا فَمِتُّ اذاً ضائعاً وعذّبني اللهُ في مِيتَتِي
فمنْ نال خيراً على قُبلةٍ فلا باركَ اللهُ في قُبلتِي

استنجاز وعد :

أخبرنا هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا الرّياشيّ عن الأصمعيّ قال :

---

(١) الفينة : الحين .
(٢) تعملت له : تكلفت وتعنيت واجتهدت .
(٣) كذا في الأصول . ولعله « وتجملت لي » بالجيم أي تكلفت الجميل وتظاهرت لي به .
(٤) سريّ : جيد .
(٥) العرصة : ساحة الدار .

لما أنشدَ بشّارٌ أرجوزتَه :

يا طلل الحيِّ بذات الصَّمْدِ

أبا المِلَدِّ عُقْبَةَ بن سَلْم أمر له بخمسين ألفَ درهم، فأخّرها عنه وَكِيلُه ثلاثةَ أيام، فأمرَ غلامَه بشّارٌ أن يكتبَ على باب عُقْبَةَ عن يمين الباب :

ما زالَ ما مَنَّيْتَنِي من هَمِّي والوعدُ غمٌّ فأرِحْ من غَمّي
إن لم تُرِدْ حَمْدي فَراقِبْ ذَمّي

فلما خرج عقبةُ رأى ذلك، فقال : هذه من فَعَلاتِ بشّارٍ، ثم دعا بالقَهْرَمانِ[١]، فقال : هل حملتَ الى بشّارٍ ما أمرْتُ له به ؟ فقال : أيها الأمير نحن مُضِيقُونَ[٢] وغداً أحمِلها ؛ فقال : زِدْ فيها عشرةَ آلاف درهم واحمِلها اليه الساعة ؛ فحملها من وقتِه .

نهيه عن التشبيب :

أخبرني هاشم قال حدّثنا أبو غسّانَ دَماذ قال :

سألتُ أبا عُبيدةَ عن السبب الذي من أجله نَهى المهديُّ بشّاراً عن ذكر النساء قال : كان أوّلُ ذلك أستهتارَ نساء البصرة وشُبّانِها بشعره، حتى قال سوّار ابن عبد الله الأكبر ومالكُ بن دينار : ما شَيءٌ أدعَى لأهل هذه المدينةِ الى الفسق من أشعار هذا الأعمى؛ وما زالا يَعِظانه؛ وكان واصلُ بنُ عطاء يقول : إن مِنْ أخدَع حبائِل الشيطان وأغواها لَكَلِماتِ هذا الأعمى الملحِد . فلما كثر ذلك وانتهى خبره من وجوه كثيرة الى المهديّ، وأنشد المهديَّ ما مدحه به، نهاه عن ذكر النساء وقولِ التشبيب، وكان المهديُّ من أشدّ الناس غَيْرةً؛ قال : فقلت له : ما أحسَبُ شِعرَ هذا أبلغَ في هذه المعاني من شعر كُثَيِّرٍ وجميل

(١) القهرمان : الوكيل أو أمين الدخل والخرج .

(٢) مضيقون : ضيقو الحال .

وعُروةَ بن حِزام وقيسِ بن ذَريح وتلك الطبقة؛ فقال: ليس كلُّ مَن يسمع تلك الأشعارَ يَعرِفُ المراد منها، وبشار يُقارِب النساءَ حتى لا يخفَى عليهنّ ما يقولُ وما يُريدُ، وأيّ حُرّةٍ حَصانٍ تسمع قولَ بشار فلا يؤثّر في قلبها، فكيف بالمرأة الغزِلةِ والفتاةِ التي لا همَّ لها إلا الرجالُ! ثم أنشد قولَه:

قد لامَني في خليلتي عُمَرُ ... واللومُ في غيرِ كُنهِه ضَجَرُ
قال أفِقْ قلت لا فقال بلى ... قد شاع في الناس منكما الخَبَرُ
قلتُ وإذ شاع ما اعتذارُكَ ممّا ... ليس لي فيه عندهم عُذُرُ
ما ذا عليهم وما لهم خَرِسُوا ... لو أنّهم في عيوبهم نَظَرُوا
أعشَقُ وحدي ويؤخَذُون به ... كالتُّركِ تَغزُو فتُؤخَذُ الخَزَرُ
يا عجبا للخلاف يا عجبا ... بِفِي الذي لام في الهوى الحَجَرُ
حَسْبي وحَسْبُ الذي كَلِفتُ به ... مِنّي ومنه الحديثُ والنظرُ
أو قُبلةٌ في خلال ذاك وما ... بأسٌ اذا لم تُحَلَّ لي الأُزُرُ
أو عَضّةٌ في ذراعها ولها ... فوق ذراعي من عَضِّها أثَرُ
أو لَمسةٌ دون مِرْطِها[1] بيدي ... والبابُ قد حال دونه السُّتُرُ
والساقُ برّاقةٌ مُخلخَلها ... أو مَصُّ ريقٍ وقد علا البُهُرُ[2]
واسترختِ الكفُّ للعِراك وقالـتْ ... إيهِ عنّي والدمعُ مُنحدِرُ
إنهَضْ فما أنتَ كالذي زعموا ... أنتَ وربّي مُغازِلٌ أشِرُ
قد غابَتِ اليومَ عنكَ حاضِنَتي ... واللهُ لي منكَ فيكَ يَنتصِرُ
يا ربِّ خُذْ لي فقد ترى ضَرَعي ... من فاسقٍ جاء ما به سَكَرُ
أهوَى الى مِعضَدي[3] فرَضَّضَهُ ... ذو قوّةٍ ما يُطاقُ مُقتدِرُ
ألصقَ بي لِحيةً له خَشُنتْ ... ذاتَ سوادٍ كأنها الإبَرُ

(١) المرط: كساء من خزّ أو كتان يؤتزر به.

(٢) البهر بسكون ثانية: تتابع النفس وانقطاعه من الإعياء وقد حرك للضرورة.

(٣) المعضد: الدملج، وهو حلي يلبس في المعصم.

حتى عَلاني وأُسرتي غَيَبٌ[١] وَيْلي عليهم لو أنّهم حضروا
أقسِم بالله لا نجوتَ بها فاذهبْ فأنت المساوِرُ الظَفِرُ
كيف بأمي إذ رأتْ شَفَتي أم كيف إن شاع منك ذا الخبرُ
قد كنتُ أخشى الذي ابتُلِيتُ به منك فماذا أقولُ يا عَبِرُ[٢]
قلتُ لها عند ذاك يا سَكَني لا بأسَ إني مُجرِّبٌ[٣] خَبِرُ
قُولِي لها بَقَّةٌ لها ظُفُرٌ إن كان في البقِّ ما له ظُفُرُ

ثم قال له: بمثل هذا الشعر تَميل القلوبُ ويَلين الصَّعبُ.

قال دَماذ قال لي أبو عبيدة: قال رجلٌ يوماً لبشّار في المسجد الجامع يُعابِثه: يا أبا مُعاذ، أيُعجبك الغلامُ الجادلُ[٤]؟ فقال غيرَ مُحتشِم ولا مُكترث: لا، ولكن تُعجِبُني أمّه.

عند خالد البرمكي:

أخبرني عمي قال حدّثنا العنزيّ قال حدّثني محمد بن سَهل عن محمد بن الحجّاج قال:

ورد بشّار على خالد بن بَرمَك وهو بفارس فامتدحه؛ فوعده ومَطَله؛ فوقف على طريقه وهو يريد المسجد، فأخذ بلجام بغلته وأنشده:

أظلَّتْ علينا منك يوماً سحابةٌ أضاءتْ لنا برقاً وأبطا رِشاشُها[٥]

(١) غَيَب: جمع غائب.

(٢) العبر (بتثليث العين وسكون الباء). الجريء القويّ الذي يشقّ ما مر به، فلعل هذا هو المراد هنا، وحركت الباء بحركة ما قبلها لضرورة الشعر.

(٣) المجرَّب بصيغة المفعول: من جرّبته الأمور أحكمته؛ والمجرِّب بصيغة الفاعل: من عرف الأمور وجرّبها، وكلاهما في هذا الموضع صحيح.

(٤) الغلام الجادل: اليافع الذي قوي واشتدّ.

(٥) الرشاش (بكسر الراء): جمع رش (بالفتح) وهو المطر الخفيف.

فلا غيمُها يُجلِي فييأسَ طامعٌ ولا غيثُها يأتي فيَرْوى عِطاشُها

فحَبس بغلته وأمر له بعشرة آلاف درهم، وقال: لن تنصرِف السحابةُ حتى تَبُلَّك إن شاء الله.

تظاهر بالحج:

أخبرني يحيي بن عليّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيل قال حدّثني عليّ بن حَرب الطائيّ قال حدّثني إسماعيلُ بن زِياد الطائيّ قال:

كان رجلٌ منا يقال له سعد بن القَعقاع يتندّم[١] بشاراً في المَجانة، فقال لبشار وهو يُنادمه: وَيحك يا أبا مُعاذ! قد نَسَبَنا الناسُ الى الزَّندقة، فهل لك أن تَحُجّ بنا حِجّةً تنفي ذلك عنا؟ قال: نِعْمَ ما رأيتَ! فاشتَرَيا بعيراً ومَحمِلاً وركِبا، فلما مَرّا بزُرارة[٢] قال له: ويحك يا أبا مُعاذ! ثلاثمائة فرسخ متى نقطعها! مِلْ بنا الى زُرارة نتنعّم فيها، فاذا قَفَل الحاجُّ عارضناهم بالقادسيّة[٣] وحَزَزنا رؤوسنا فلم يَشُكّ الناسُ أنّا جئنا من الحج؛ فقال له بشار: نِعْمَ ما رأيتَ لولا خبثُ لسانك، وإني أخاف أن تَفضَحنا. قال: لا تخفْ. فمالا الى زُرارة فما زالا يشربان الخمر ويَفسُقان، فلما نَزَل الحاجُّ بالقادسيّة راجعينَ، أخذا بعيراً ومَحمِلاً وحَزّا رأسيهما وأقبلا وتلقّاهما الناسُ يهنّئونهما؛ فقال سعد بن القَعقاع:

ألم تَرَني وبشّاراً حَجَجْنا وكان الحجُّ من خير التّجارَهْ
خرجْنا طالبَيْ سَفَرٍ بعيدٍ فمال بنا الطريقُ الى زُرارَهْ
فآب الناسُ قد حَجّوا وبَرّوا وأُبْنا مُوقَرين من الخسارَهْ

(١) كذا في أكثر الأصول، وفي بعضها: «يتندم» بتقديم النون على التاء، وليس في كتب اللغة صيغة من هاتين الصيغتين مستعملة في المعنى الذي يدل عليه سياق الكلام وهو كثرة المنادمة.

(٢) زرارة (بضم أوّله): محلة بالكوفة.

(٣) القادسية: بلدة بينها وبين الكوفة خمسة عشر ميلاً، وبينها وبين العذيب أربعة أميال، كانت بها وقعة سعد بن أبي وقاص المشهورة مع الفرس في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثني محمد بن القاسم الدِّينَوَريّ قال حدّثني محمد بن عِمران بن مطر الشاميّ قال حدّثني محمد بن الحسّان[١] الضَّبّيّ قال حدّثني محمود الورّاق قال حدّثني داود بن رَزِين قال :

أتينا بشّاراً فأذن لنا والمائدةُ موضوعةٌ بين يديه فلم يَدعُنا الى طعامه، فلما أكل دعا بطَسْت فكشف عن سَوْءَته فبال؛ ثم حضرتِ الظهرُ والعصرُ فلم يصلِّ، فدنَونا منه فقلنا: أنت أستاذُنا وقد رأينا منك أشياء أنكرناها ؛ قال : وما هي ؟ قلنا : دخلنا والطعامُ بين يديك فلم تدعُنا إليه؛ فقال : إنما أذِنتُ لكم أن تأكلوا ولو لم أرِد أن تأكلوا لما أذِنت لكم[٢]؛ قال : ثم ماذا ؟ قلنا : ودعوتَ بطست ونحن حضورٌ فبُلْتَ ونحن نراك؛ فقال : أنا مكفوف وأنتم بُصَراء وأنتم المأمورون بغَضّ الأبصار، ثم قال : ومَه[٣] ؟ قلنا : حضرتِ الظهرُ والعصرُ والمغربُ فلم تُصلِّ؛ فقال : إن الذي يقبَلُها تفاريقَ يقبلها جُملةً .

أخبرنا يحيى قال حدّثني أبو أيُّوبَ المدينيّ عن بعض أصحاب بشار قال :

كنا إذا حضرتِ الصلاةُ نقوم ويقعد بشار فنجعل حول ثِيابه تراباً لننظُرَ هل يصلِّي، فنعود والترابُ بحاله .

بشار والثقلاء :

أخبرنا يحيى قال أخبرنا أبو أيّوب عن الحِرمازِيّ قال :

قعد الى بشار رجلٌ فأستثقله فضَرِط عليه ضَرْطةً، فظنّ الرجل أنّها أفلتَتْ منه، ثم ضَرِط أخرى، فقال : أفلتت، ثم ضَرِط ثالثة، فقال: يا أبا مُعاذ، ما هذا ؟

(١) في تهذيب التهذيب : «حسان» بدون الألف واللام .

(٢) يريد «لما أذنت لكم بالدخول» .

(٣) ومه : أصله «وما» فأبدلت الألف هاء للوقف والسكت .

قال : مَهْ ! أرأيتَ أم سمِعتَ ؟ قال : بل سمعتُ صوتاً قبيحاً، فقال : فلا تُصدِّق حتى ترى .

قال : وأنشد أبو أيّوب لبشّارٍ في رجل استثقله :

رُبّما يثقُلُ الجليسُ وإن كا ... ن خفيفاً في كِفَّة المِيزانِ
كيفَ لا تحمِلُ الأمانةَ أرضٌ ... حَمَلتْ فوقها أبا سُفيانِ

وقال فيه أيضاً :

هل لكَ في مالي وعِرْضي معاً ... وكلِّ ما يملك جيرانِيَهْ
واذهبْ الى أبعدِ ما يُنتوى[1] ... لا ردّكَ الله ولا مالِيَهْ

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثني محمد بن إبراهيم الجيليّ قال حدّثني محمد بن عِمرانَ الضَّبّيّ قال أنشدَنا الوليدَ بن يزيدَ قولَ بشّار الأعمى :

أيّها الساقيانِ صُبّا شرابي ... وآسقِياني من ريقِ بيضاءَ رُودِ[2]
إنّ دائي الظّما وإنّ دوائي ... شَربةٌ من رُضابِ ثغرٍ بَرُودِ
ولها مَضحَكٌ كغُرِّ الأقاحي ... وحديثٌ كالوَشْيِ وشيِ البُرُودِ
نزلتْ في السّواد من حبّة القلـ ... ـبِ ونالتْ زيادةَ المُستزيدِ
ثم قالت نلقاكَ بعد لَيالٍ ... والليالي يُبلِينَ كلَّ جديدِ
عندها الصبرُ عن لقائي وعندي ... زَفَراتٌ يأكلنَ قلبَ الحديدِ

قال : فطرب الوليد وقال : مَن لي بمزاجِ كاسي هذه من ريقِ سَلمى فيَروى ظَمَئي وتَطفأ غُلّتي ! ثم بكى حتى مزَجَ كأسه بدمعه ، وقال : إن فاتنا ذاك فهذا .

(١) يُنتوى : يُقصَد .

(٢) الرود : الشابة الحسنة الشباب والأصل فيها الهمز وقد سهلت للضرورة .

هجاء جاره :

أخبرني عمي قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن محمد بن سُليان الطُّفاويّ قال حدّثني عبد الله بن أبي بكر – وكان جليساً لبشّار – قال : كان لنا جارٌ يُكنى أبا زيد وكان صديقاً لبشار، فبعث اليه يوماً يطلبُ منه ثياباً بِنَسيئةٍ[1] فلم يصادفْها عنده، فقال يهجوه :

ألا إنّ أبا زيدٍ زَنَى في ليلة القَدْرِ
ولم يَرْعَ، تعالى اللّـهُ ربّي، حرْمةَ الشّهرِ

وكتبها في رُقعة وبعَث بها اليه، ولم يكن أبو زيد ممن يقول الشعرَ، فقلبها وكتب في ظهرها :

ألا إن أبا زيدٍ له في ذلكم عُذْرُ
أتتـه أمُّ بشّارٍ وقد ضاق بها الأمرُ
فواثبَها فجامعَهـا وما ساعدَه الصّبرُ

قال : فلما قُرِئتْ على بشار غَضِب وندِم على تعرّضه لرجل لا نباهةَ له، فجعل ينطحُ الحائطَ برأسه غيظاً، ثم قال : لا تعرَّضتُ لهجاء سَفِلَةٍ[2] مثلِ هذا أبداً .

شعره في قينة :

أخبرني عمي قال حدّثنا ابن مَهرُويَهْ قال حدّثني بعضُ ولد أبي عُبيدِ الله وزيرِ المهديّ، قال :

دخل بشار على المهديّ وقد عُرِضَتْ عليه جاريةٌ مُغَنِّيةٌ فسمع غِناءها فأطربه وقال لبشار : قُلْ في صفتها شعراً؛ فقال :

(١) النسيئة : التأخير، يقال : باعه بنسيئة : اذا أخر له ثمن الشيء المبيع .

(٢) سَفِلةُ الناس وسِفْلتُهم : أسافلهم وغوغاؤهم .

ورائحةٍ[١] للعيـن فيها مَخيلةٌ[٢] إذا بَرَقَتْ لم تَسقِ بَطنَ صَعيدِ
من المستهلّاتِ السرور على الفتى خفا[٣] بَرقُها في عبقرٍ[٤] وعُقودِ
كأن لساناً ساحراً في كلامها أعِينَ بصوتٍ للقلوب صَيُودِ
تُميتُ به ألبابَنا وقلوبَنـا مراراً وتُحييهنَّ بعد هُمُودِ

شعره في عقبة بن سلم :

أخبرني عمي قال حدّثنا أبو أيوب المدينيّ قال قال أبو عَـدنانَ حدّثني يحيي ابن الجَوْنِ قال :

دخل بشار يوماً على عُقبةَ بن سَلمٍ فأنشده قولَه فيه :

صوت

إنّما لَذّةُ الجوادِ ابنِ سَلمٍ في عطاءٍ ومَركَبٍ للِقاء
ليس يُعطيكَ للرجاء ولا الخو فِ ولكن يَلَذُّ طَعمَ العَطاء
يَسقُطُ الطيرُ حيثُ يَنتثِرُ الحبُّ وتُغشى منازلُ الكُرَماء
لا أبالي صَفحَ اللئيم ولا تَجـري دُموعي على الخؤونِ الصَّفاء
فعلى عُقبـةَ السلامُ مقيماً وإذا سار تحت ظلّ اللواء

فوصّله بعشرة آلاف درهم . وفي هذه الابياتِ خفيفُ رملٍ مطلق في مجرى البنصر لِزَلْزَلٍ، وهو من مختار صنعته وصُدورِها وممّا تَشبَّهَ فيه بالقدماء ومذاهبهم .

---

(١) الرائحة : واحدة الروائح وهي السحب التي تجيء رواحاً، ويقابلها « الغادية » .

(٢) المخيلة (بفتح الميم) : الظنّ .

(٣) خفا البرق يخفو خَفواً وخُفُوّاً : لمع وظهر .

(٤) يريد ثيابها، وتنسب الى قرية باليمن تسمى عبقر تُوَشّى بها الثيابُ والبُسُطُ، وثيابها أجودُ الثياب .

رواية خلف الاحمر عنه :

أخبرني أحمدُ بنُ العباس العسكريّ قال حدّثنا الحسن بن عُليل العَنَزِيّ قال حدّثنا أحمد بن خَلّادٍ عن الأصمعيّ، وأخبرني به الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهرُويَه قال حدّثني أحمد خَلّاد عن الأصمعيّ قال:

كنتُ أشهَدُ خَلَفَ بنَ أبي عمرو بن العلاء، وخَلَفاً الأحمرَ يأتيانِ بشاراً ويُسلّمانِ عليه بغاية التعظيم ثم يقولان: يا أبا مُعاذٍ، ما أحدَثتَ؟ فيخبرُهما ويُنشِدُهما ويَسألانِه ويكتُبان عنه مُتواضِعَيْن له حتى يأتيَ وقتُ الظهر ثم يَنصرفان عنه، فأتياه يوماً فقالا له: ما هذه القصيدةُ التي أحدثتَها في سَلْمِ بنِ قتيبة؟ قال: هي التي بلغتكما؛ قالا: بلغنا أنكَ أكثرتَ فيها من الغريب؛ فقال: نعم، بلغني أنّ سَلْماً يتباصَرُ[1] بالغريب فأحببتُ أن أُورِدَ عليه ما لا يعرِفُه؛ قالا: فأنشِدناها، فأنشَدَهما:

بَكِّرا صاحِبَيَّ قبل الهَجيرِ   إنّ ذاكَ النجاحَ في التَّبكيرِ

حتى فرغ منها؛ فقال له خَلَف: لو قلت يا أبا مُعاذ مكان «إن ذاكَ النجاح»:

بَكِّرا فالنجاحُ في التبكيرِ

كان أحسنَ؛ فقال بشار: بَنَيتُها أعرابيّةً وحشيّةً، فقلتُ: «إنّ ذاكَ النجاحَ» كما يقول الأعرابُ البدويّون، ولو قلتُ: «بَكِّرا فالنجاحُ» كان هذا من كلام المولَّدِينَ ولا يُشبه ذلك الكلامَ ولا يدخلُ في معنى القصيدة؛ فقام خَلَفٌ فقبّلَ بينَ عينيهِ؛ وقال له خَلَفُ بنُ أبي عمرو يُمازِحه: لو كان عُلاثةُ[2] ولدكَ يا أبا مُعاذٍ لفعلتُ كما فعل أخي، ولكنّك مولًى، فمدّ بشارٌ يدَه فضرب بها فخذَ خَلَفٍ وقال:

---

(١) يتباصر بالغريب: يظهر أنه بصير به.

(٢) يريد أنه لو كان عربياً لقبله كما يدل على ذلك السياق. ويظهر أنه لا يريد بعلاثة اسماً بعينه ولكنه أتى بهذا الاسم لأنه خاص بالعرب.

أَرْفِقْ بعَمرٍو اذا حَرَّكتَ نِسبَتَه فإنه عربيٌّ من قواريرِ

فقال له : أَفعلتَها يا أبا مُعاذٍ! قال : وكان أبو عمرو يُغمَزُ في نسبه .

وأخبرني ببعض هذا الخبرِ حبيبُ بنُ نصر عن عُمرَ بنِ شَبَّةَ عن أبي عُبيدةَ، فذكر نحوَه وقال فيه : إنَّ سَلْماً يُعجِبُه الغريبُ .

هجاؤه :

أخبرني هاشمُ بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل تينَةُ قال قال حدّثنا محمد بن سَلّام قال قال لي خَلَفٌ :

كنت أسمعُ بِبشار قبل أن أراه، فذكروه لي يوماً وذكروا بيانَه وسُرعةَ جوابه وجَودة شعره، فأستنشدتُهم شيئاً من شعره، فأنشدوني شيئاً لم يكن بالمحمود عندي، فقلت : والله لآتينَّه ولَأُطأطِئَنَّ منه، فأتيتُه وهو جالسٌ على بابه، فرأيته أعمى قبيحَ المنظَر عظيمَ الجثّةِ، فقلتُ : لعنَ اللهُ مَن يُبالِي بهذا، فوقفتُ أتأمّله طويلاً، فبينما أنا كذلك إذ جاءه رجلٌ فقال : إنّ فلاناً سبَّكَ عند الأميرِ محمد بن سليمان ووَضع منكَ؛ فقال : أوَقد فعلَ ؟ قال : نعم؛ فأطرقَ، وجلس الرجل عنده وجلستُ، وجاء قومٌ فسلّموا عليه فلم يَردُدْ عليهم، فجعلوا ينظرون اليه وقد دَرَّت[1] أوداجُه، فلم يلبَثْ إلا ساعةً حتى أنشدَنا بأعلى صوتِه وأفخَمِه :

نُبِّئتُ نائِكَ أُمِّهِ يغتابُني عند الأميرِ وهل عليَّ أميرُ
ناري مُحرّقةٌ وبَيتي واسعٌ للمعتفينَ ومَجلسي معمُورُ
ولِيَ المهابةُ في الأحِبّةِ والعِدا وكأنني أسدٌ له تامُورُ[2]
غَرِثَت[3] حليلتُه وأخطأ صيدَه فله على لَقَمِ[4] الطريق زئيرُ

(١) درت : امتلأت دما؛ والأوداج : جمع ودَج وهو عرق في العنق يقطعه الذابح فلا تبقى معه حياة .

(٢) التامُورُ : عَرينُ الأسد .

(٣) غَرِثَتْ : جاعت .

(٤) لقمُ الطريق : مَتْنُه ووسَطُه .

قال: فارتعدَتْ والله فرائصي واقشعرّ جلدي وعظُمَ في عيني جدًّا، حتى قلت في نفسي: الحمد لله الذي أبعدَني من شرّكَ.

مدحه خالد بن برمك:

نسختُ من كتاب هارونَ بن عليّ بن يحيى قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثنا العباسُ بن خالد قال:

مدح بشارٌ خالدَ بنَ برمكٍ فقال فيه:

لعَمْري لقَد أجدى عليّ ابنُ برمَكٍ ... وما كلُّ مَن كان الغِنى عنده يُجدِي
حَلَبتُ بشِعري راحتَيْهِ فدرَّتا ... سَماحاً كما درَّ السّحابُ مع الرّعدِ
إذا جئتَه للحمد أشرقَ وجهُه ... إليكَ وأعطاكَ الكرامةَ بالحمدِ
له نِعمٌ في القوم لا يستثيبُها ... جزاءً وكَيْلَ التاجرِ المُدَّ بالمُدِّ
مُفيدٌ ومِتلافٌ، سَبيلُ تُراثِه[1] ... اذا ما غدا أو راحَ كالجزْرِ والمَدِّ
أخالدُ إنّ الحمدَ يبقى لأهلِه ... جمالًا ولا تبقى الكُنوزُ على الكَدِّ
فأطعِمْ وكُلْ من عارةٍ مُستردَّةٍ ... ولا تُبقِها، إن العَوارِيَ للرَّدِّ

فأعطاه خالدٌ ثلاثينَ ألفَ درهم، وكان قبل ذلك يُعطِيه في كلِّ وِفادةٍ خمسةَ آلاف درهم، وأمر خالدٌ أن يُكتبَ هذانِ البيتانِ[2] في صدر مجلسه الذي كان يجلس فيه. وقال ابنه يحيى بن خالد: آخِرُ ما أوصاني به أبي العملُ بهذين البيتينِ.

عمر بن العلاء ومدائح الشعراء فيه:

أخبرني عمي قال حدّثنا عبد الله بن عمر بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن عبد الله بن عثمان قال:

(١) التراث (بضم التاء): ما يخلفه الرجل لورثته وهو بهذا المعنى لا يتمشى مع كلمات البيت ولا المعنى الذي يريده الشاعر من أن الممدوح كسوب متلاف، فماله دائماً لذلك يعتوره النقص والزيادة والظاهر أن كلمة «تراثه» محرّفة عن «ثرائه».

(٢) يريد البيتين الأخيرين.

كان أبو الوزير مولى عبدِ القيس من عُمّال الخراج، وكان عفيفاً بخيلاً، فسأل عُمرَ بنَ العلاء، وكان جواداً شجاعاً، في رجل فوهب له مائةَ ألف درهم؛ فدخل أبو الوزير على المهديّ فقال له: يا أميرَ المؤمنين، إن عُمر بنَ العلاء خائنٌ؛ قال: ومن أين علمتَ ذلك؟ قال: كُلِّمَ في رجل كان أقصى أمله ألفَ درهم فوهب له مائةَ ألف درهم؛ فضحك المهديّ ثم قال: «قُلْ كُلٌّ يَعملُ على شاكِلَتِهِ»، أما سمعتَ قول بشار في عُمر:

إذا دهِمتْكَ عِظامُ الأمورِ   فَنَبِّهْ لها عُمراً ثم نَمْ
فتًى لا ينامُ على دِمنَةٍ[1]   ولا يَشربُ الماءَ إلا بدَمْ

أوَ ما سمِعتَ قولَ أبي العَتاهية فيه:

صوت

إنّ المطايا تَشتكيكَ لأنها   قَطعَتْ إليك سَباسباً ورِمالا
فإذا ورَدْنَ بنا ورَدْنَ مُخِفَّةً   وإذا رَجعْنَ بنا رَجعنَ ثِقالا

— الغناء لإبراهيمَ ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرِو بنِ بانةَ — أوَ ليس الذي يقول فيه أبو العتاهية:

يابنَ العَلاء ويابنَ القَرْمِ مِرْداسِ   إني لأُطريكَ في صَحبي وجُلّاسي
حتى إذا قيل ما أعطاكَ من نَشَبٍ   أُلفِيتُ من عُظْمِ ماأسديتَ كالناسي

ثم قال: مَنِ اجتمعَتْ ألسُنُ الناسِ على مدحه كان حَقيقاً أن يُصدِّقها بفعله.

شعره في جارية له سوداء:

أخبرني محمدُ بن خلف بن المَرْزُبانِ قال حدّثني أبو بكر الرَّبَعيّ قال:

---

(١) الدمنة: الحقد، وقيل لا يكون الحقد دمنة حتى يأتي عليه الدهر.

كانت لبشار جاريةٌ سوداء، وكان يَقعُ عليها، وفيها يقول :

وغادةٍ سَوداء بَرّاقةٍ كالماء في طيبٍ وفي لِينِ
كأنها صِيغَتْ لمن نالها من عَنبرٍ بالمسكِ مَعجُونِ

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابنُ مَهرُويَه قال حدّثني أبو الشِّبل البُرجميّ قال : قال رجلٌ لبشار : إنّ مدائحكَ عُقبةَ بنَ سَلمٍ فوق مدائحكَ كلَّ أحدٍ؛ فقال بشار : إنّ عطاياه إيايَ كانت فوق عطاء كلّ أحدٍ، دخلتُ إليه يوماً فأنشدتُه :

حرّم اللهُ أن تَرى كابنِ سَلمٍ عُقبةِ الخيرِ مُطعِمِ الفقراءِ
ليس يُعطيكَ للرّجاء ولا الخو فِ ولكن يَلذُّ طعمَ العَطاءِ
يَسقطُ الطيرُ حيثُ يَنتثِرُ الحَبُّ وتُغشى مَنازِلُ الكُرَماءِ

فأمرَ لي بثلاثة آلاف دينار، وها أنا قد مدحتُ المهديّ وأبا عُبيدِ الله وزيرَه – أو قال يعقوبَ بنَ داودَ – وأقمتُ بأبوابهما حولاً فلم يعطياني شيئاً، أفألام على مدحي هذا !.

مع ابي الشمقمق :

ونسختُ من كتاب هارونَ بنِ عليّ أيضاً حدّثني عليّ قال حدّثني عبيد الله ابن أبي الشِّيصِ عن دِعبلِ بن عليّ قال :

كان بشارٌ يُعطي أبا الشَّمقمقِ في كلّ سنة مائتَيْ درهمٍ، فأتاه أبو الشمقمق في بعض تلك السنين فقال له : هَلمّ الجزيةَ يا أبا مُعاذ؛ فقال وَيحكَ ! أجزيةٌ هي! قال : هو ما تَسمَعُ؛ فقال له بشارٌ يُمازحه : أنتَ أفصحُ مِنّي ؟ قال : لا؛ قال : فأعلمُ منّي بمثالبِ الناس ؟ قال : لا؛ قال : فأشعرُ منّي ؟ قال : لا؛ قال : فلِمَ أُعطيكَ ؟ قال : لئلّا أهجوكَ؛ فقال له : إنْ هجوتَني هجوتُكَ؛ فقال له أبو الشمقمقِ : هكذا هو ؟ قال : نعم، فقل ما بدا لكَ؛ فقال أبو الشمقمق :

إني إذا ما شاعرٌ هَجانِيَهْ ولجّ في القــول له لِسانِيَهْ
أدخلته في أستِ أمه عَلانِيَهْ بشّارُ يا بشّارُ ... ...

وأراد أن يقولَ : « يابنَ الزانِيَه » ؛ فوثب بشارٌ فأمسكَ فاه ، وقال : أراد والله أن يَشتُمني ، ثم دفع اليه مائتيْ درهم ثم قال له : لا يَسمَعَنّ هذا منكَ الصِّبيانُ يا أبا الشمقمقِ .

أخبرني أحمد بن العباس العسكريّ قال حدّثني الحسنُ بنُ عُلَيلٍ العَنزيّ قال حدّثني محمد بن بكر قال حدّثني الأصمعيّ قال :

أمرَ عقبةُ بنُ سَلم الهُنائيّ[1] لبشّارٍ بعشرة آلاف درهم ، فأخبرَ أبو الشمقمق بذلك فوافى بشاراً فقال له : يا أبا مُعاذٍ ، إني مررتُ بصبيانٍ فسمعتُهم يُنشِدونَ :

هَلّلِيَنــهْ هَلّلِيَنــهْ طَعْنَ قِثّـاةٍ لتِينَهْ
إنّ بشارَ بنَ بردٍ تيسٌ أعمَى في سَفينَهْ

فأخرج إليه بشّارٌ مائتيْ درهم فقال : خذ هذه ولا تكن راويةَ الصبيانِ يا أبا الشمقمق .

هجاؤه العباس :

أخبرني أحمد قال حدّثنا أبو محمد الصَّعْتريّ قال حدّثنا محمدُ بن عثمانَ البصريّ قال :

إستمنحَ بشّارُ بن برد العباسَ بنَ محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس فلم يَمنَحْه ، فقال يهجوه :

ظِلّ اليسارِ على العباسِ مَمدُودُ وقلبُهُ أبداً في البخل معقودُ
إنّ الكريمَ لَيُخفِي عنكَ عُسرَتَهُ حتى تَراه غَنِياً وهو مجهــودُ

(١) نسبة الى هُناءة بن مالك ، وبنو هناءة هم رهط عقبة بن سلم .

وللبخيلِ على أمواله عِلَلٌ زُرقُ العيونِ عليها أَوجُهٌ سُودُ
إذا تكرّهتَ أَن تُعطِي القليلَ ولم تقدِرْ على سَعةٍ لم يظهرِ الجودُ
أَورِقْ بخيرٍ تُرجّى للنّوال فما تُرجى الثمارُ إذا لم يُورقِ العودُ
بُثَّ النّوالَ ولا تَمنعْكَ قِلّتُهُ فكلُّ ما سدَّ فقراً فهو محمودُ

أخبرني أحمد قال حدّثنا العنزيُّ قال حدّثني المغيرةُ بن محمد المهلّبيّ قال حدّثني أبي عن عَبّادِ بن عَبّادٍ قال :

مررتُ ببشّار فقلت : السلامُ عليكَ يا أبا مُعاذ؛ فقال : وعليك السلام، أعبّاد؟ فقلت : نعم؛ قال : إني لحسَنُ الرأيِ فيك؛ فقلت : ما أحوجني إلى ذلك منك يا أبا معاذ!.

أخبرني يحيى بن عليّ قال أخبرني محمد بن عمر الجُرجانيّ عن أبي يعقوب الخُرَيميّ[1] الشاعر أنّ بشّاراً قال : لم أزل منذ سمعتُ قولَ امرئ القيس في تشبيهه شيئين بشيئين في بيتٍ واحدٍ حيث يقول :

كأنّ قلوبَ الطيرِ رَطباً ويابساً لدى وكرِها العُنّابُ والحشَفُ البالي

أُعمِلُ نفسي في تشبيه شيئين بشيئينِ في بيتٍ حتى قلتُ :

كأنّ مُثارَ النّقعِ فوقَ رؤوسنا وأسيافَنا ليلٌ تهاوى كواكبُهْ

قال يحيى : وقد أخذ هذا المعنى منصورٌ النّمَريُّ فقال وأحسنَ :

ليلٌ من النّقعِ لا شمسٌ ولا قمرٌ إلا جَبينُكَ والمذروبةُ الشُّرُعُ[2]

تقدير اسحاق الموصلي بشعره :

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي قال : كان إسحاقُ الموصليُّ يَطعَنُ على

---

(١) هكذا أورد شارح القاموس هذا الاسم في المستدرك في مادة « خرم » وقال: « هو أبو يعقوب إسحاق بن حسان بن قوهي الخريميّ بالضم من شعراء الدولة العباسية، قيل له ذلك لاتصاله بخريم بن عامر بن الحارث المرّيّ المعروف بالناعم، وقيل : لاتصاله بابنه عثمان بن خريم، وقيل : هو مولاهم »
(٢) المذروبة : المحدّدة، والشرع : المشروعة والمراد بها السيوف .

شعرِ بشّارٍ ويضعُ منه ويذكر أنّ كلامَه مُختلِفٌ لا يشبه بعضُه بعضاً؛ فقلنا: أتقولُ هذا القولَ لمن يقولُ:

صوت

إذا كنتَ في كلّ الأمور مُعاتباً صَديقَكَ لم تَلقَ الذي لا تُعاتِبُهْ
فَعِشْ واحداً أو صِلْ أخاكَ فإنهُ مُقارِفُ[1] ذنبٍ مَرّةً ومُجانِبُهْ
إذا أنتَ لم تشرَبْ مِراراً على القَذى ظَمِئتَ وأيُّ الناسِ تَصفُو مَشارِبُهْ

- لأبي العُبَيسِ بن حمدون في هذه الأبياتِ خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر -

قال عليّ بن يحيى: وهذا الكلامُ الذي ليس فوقه كلامٌ من الشعر ولا حَشوَ فيه؛ فقال لي إسحاقُ: أخبرني أبو عُبيدةَ مَعمرُ بنُ المثنّى أن شُبَيلَ بنَ عَزرةَ[2] الضُّبَعيّ أنشده هذه الأبيات للمتلمِّس، وكان عالماً بشعره لأنهما جميعاً من بني ضُبَيعةَ؛ فقلتُ له: أفليس قد ذكر أبو عبيدةَ أنه قال لبشّار: إن شُبيلاً أخبره أنها للمتلمّس؛ فقال: كذبَ والله شُبيلٌ، هذا شعري، ولقد مدحتُ به ابنَ هُبيرةَ فأعطاني عليه أربعين ألفاً. وقد صدقَ بشّارٌ، قد مدح في هذه القصيدة ابنَ هُبيرةَ، وقال فيها:

رُوَيدَ[3] تَصاهَلْ بالعراق جِيادُنا كأنكَ بالضّحاكِ قد قام نادِبُهْ
وسامٍ لمروانٍ ومِنْ دونِه الشّجا وهَوْلٌ كلُجّ البحرِ جاشَتْ غوارِبُهْ
أحلّتْ به أمُّ المنايا بناتِها بأسيافنا، إنّا رَدَى مَن نُحارِبُهْ

---

(١) مقارف ذنب: مخالطه ومرتكبه، من قارف الخطيئة اذا خالطها.

(٢) ورد هذا الاسم في القاموس مادة شبل «عروة» بالراء والواو وآستدرك عليه شارحه فقال: «شبيل بن عروة هكذا في النسخ والصواب أبن عزرة بالزاي» وكذلك ورد «عزرة» بالزاي في تاريخ الطبري (قسم ٢ ج ٦ ص ١٩١٣ طبع أوربا).

(٣) في اللسان (مادة رود): وقال الليث: اذا أردت «برويدا» الوعيد نصبتها بلا تنوين، وأنشد: رويدَ تَصاهل بالعراق جيادَنا الخ. وفي الأصول: «رويدا» بالتنوين.

وكنّا إذا دبَّ العدوُّ لِسُخْطِنا ... وراقَبَنا في ظاهرٍ لا نُراقِبُهْ
ركِبنا له جهراً بكلّ مُثقَّفٍ ... وأبيضَ تَستَسقي الدماءَ مضارِبُهْ

ثم قلتُ لإسحاق: أخبرني عن قول بشّار في هذه القصيدة:

فلمّا تولّى الحرُّ واعتصرَ الثّرى ... لَظى الصّيفِ من نجمٍ توقّدَ لاهبُهْ
وطارتْ عصافيرُ الشّقائقِ[1] واكتسى ... من الآلِ[2] أمثالَ المجرَّةِ[3] ناضِبُهْ
غدَتْ عانةٌ تشكو بأبصارها الصَّدى ... الى الجأبِ إلا أنها لا تُخاطِبُهْ

— العانةُ: القَطيعُ من الحمير، والجأب: ذكرها. ومعنى شكواها الصدى بأبصارها أنّ العطش قد تبيّنَ في أحداقها فغارَتْ — قال: وهذا من أحسن ما وُصف به الحمارُ والأُتُنُ، أفهذا للمتلمّس أيضاً! قال: لا؛ فقلت: أفما هو في غاية الجَوْدة وشبيهٌ بسائر الشعر؟ فكيف قصد بشّارٌ لسرقةِ تلك الأبياتِ خاصّةً! وكيف خصه بالسرقة منه وحدَه من بين الشعراء وهو قبله بعصرٍ طويلٍ! وقد روى الرُّواةُ شعرَه وعلم بشارٌ أنّ ذلك لا يخفى، ولم يُعثَرْ على بشارٍ أنه سرقَ شعراً قطّ جاهلياً ولا إسلامياً. وأخرى فإنّ شعر المتلمِّس يُعرفُ في بعض شعر بشار؛ فلم يَردُدْ ذلك بشيء.

وقد أخبرني بهذا الخبر هاشمُ بنُ محمد الخزاعيّ قال حدّثنا أبو غسّان دماذ عن أبي عُبيدةَ أنّ بشاراً أنشدَه:

إذا كنتَ في كلّ الأمور مُعاتِباً ... صديقَكَ لم تَلقَ الذي لا تُعاتِبُهْ

وذكر الأبيات. قال: وأنشدتُها شُبيلَ بنَ عَزرةَ الضُّبَعيّ، فقال: هذا للمتلمّس؛ فأخبرتُ بذلك بشاراً، قال: كذب والله شُبَيلٌ، لقد مدحتُ ابنَ هُبيرةَ بهذه القيصدةِ وأعطاني عليها أربعين ألفاً.

---

(١) الشقائق: جمع شقيقة وهي أرض صلبة بين رياض تنبت الشجر والعشب.
(٢) الآل: السراب.
(٣) المجرة: نجوم كثيرة لا تدرك بمجرّد البصر وإنما ينتشر ضوءها فيرى كأنه بقعة بيضاء.

قائد المأمون يتمثل بشعره :

أخبرنا يحيي بن عليّ قال حدّثنا عليّ بن مهديّ قال حدّثنا عليّ بن إبراهيم المَرْوَزِيّ، وكان أبوه من قوّاد طاهر، قال حدّثني أبي قال :

لما خلَعَ محمدٌ المأمونَ وندَب له عليَّ بنَ عيسى، ندَبَ المأمونُ للقاء عليّ بن عيسى طاهِرَ بنَ الحسين ذا اليمينَيْنِ[1] وجلس له لعَرْضِه وعَرْض أَصحابه، فمرّ به ذو اليمينَيْنِ مُعترِضاً وهو يُنشِدُ :

رُوَيدَ تَصاهَلْ بالعراق جيادُنا كأنك بالضحّاك قد قام نادِبُهْ

فتفاءل المأمونُ بذلك فاستدناه فاستعاده البيتَ فأعاد عليه؛ فقال ذو الرِّياسَتَيْنِ[2] : يا أمير المؤمنين هو حَجَرُ[3] العِراقِ؛ قال : أجلْ. فلما صار ذو اليمينين الى العراق سأل : هل بقي من ولد بشّار أحد؟ فقالوا : لا؛ فتوهّمتُ أنه قد كان همَّ لهم بخيرٍ.

غضبه لسرقة شعره :

أخبرني يحيي قال حدّثنا أبي قال أخبرني أحمد بن صالح — وكان أحدَ الأدباء — قال :

(١) ذكر ابن خلكان في وفيات الأعيان (ج ١ ص ٣٣٥) طاهراً هذا وقال في سياق ترجمته : واختلفوا في تلقيبه بذي اليمينين لأيّ معنى كان فقيل : لأنه ضرب شخصاً في وقعته مع عليّ بن ماهان فقدّه نصفين وكانت الضربة بيساره فقال فيه بعض الشعراء :

كلتا يديك يمين حين تضربه

وذكر أيضاً في ترجمة الفضل بن سهل (ج ١ ص ٥٨٩) أن الفضل كان أعلم الناس بعلم النجامة ، فلما عزم المأمون على إرسال طاهر بن الحسين الى محاربة أخيه الأمين، نظر الفضل في مسألته فوجد الدليل في وسط السماء وكان ذا يمينين، فأخبر المأمون بأن طاهراً يظفر بالأمين ويلقّب بذي اليمينين، فلقب المأمون طاهراً بذلك، وهو أشهر قوّاده .

(٢) هو الفضل بن سهل وزير المأمون، ولقب بذي الرياستين لأنه تقلد الوزارة والسيف .

(٣) يريد أنه الركن الذي يعوّل عليه .

غَضِبَ بشّارٌ على سَلْمٍ الخاسرِ وكان من تلامذته ورُواته، فاستشفع عليه بجماعةٍ من إخوانه فجاءوه في أمره؛ فقال لهم: كلُّ حاجةٍ لكم مَقْضِيَّةٌ إلا سَلْماً؛ قالوا: ما جئناكَ إلا في سَلْمٍ ولا بدّ مِن أن تَرضى عنه لنا؛ فقال: اينَ هو الخبيثُ؟ قالوا: ها هو هذا؛ فقام اليه سَلْمٌ فقبّل رأسه ومثَل بين يديه وقال: يا أبا مُعاذٍ، خِرّيجُكَ وأديبُكَ؛ فقال: يا سَلْمُ، مَنِ الذي يقول:

مَنْ راقبَ الناسَ لم يَظفَرْ بحاجته وفازَ بالطيّباتِ الفاتكُ اللَّهِجُ

قال: أنتَ يا أبا مُعاذٍ، جعلني اللهُ فِداءكَ! قال: فمَن الذي يقول:

مَن راقبَ الناسَ ماتَ غَمّاً وفاز باللّذّةِ الجَسُورُ (١)

قال: خِرّيجُكَ يقول ذلك (يعني نفسه)؛ قال: أفتأخُذُ معانيَّ التي قد عُنيتُ بها وتَعِبتُ في استنباطها، فتكسوها ألفاظاً أخفّ مِنْ ألفاظي حتى يُرْوى ما تقولُ ويَذهبَ شِعْري! لا أرضى عنك أبداً، قال: فما زال يتضرّعُ اليه، ويشفعُ له القومُ حتى رَضِيَ عنه. وفي هذه القصيدة يقول بشّارٌ:

لو كنتِ تَلقَينَ ما نَلقى قَسمتِ لنا يوماً نَعيشُ به منكم ونَبتهِجُ

صوت

لا خيرَ في العيشِ إن كنّا (٢) كذا أبداً لا نَلتقي وسبيلُ الملتقى نَهَجُ (٣)
قالوا حرامٌ تلاقِينا فقلت لهم ما في التّلاقي ولا في قُبْلَةٍ حَرَجُ
مَنْ راقبَ الناسَ لم يَظفَرْ بحاجتِه وفاز بالطيّباتِ الفاتكُ اللَّهِجُ
أشكو إلى الله همّاً ما يُفارقُني وشُرّعاً (٤) في فؤادي الدّهرَ تعتلِجُ

(١) هذا البيت وبيت بشار قبله يذكرهما علماء البلاغة شاهداً لحسن أخذ الشاعر الثاني من الاول، ويسمونه حسن الاتباع، لان بيت سلم أجود سبكاً وأخصر لفظاً (أنظر معاهد التنصيص صفحة ٥٠٦ طبع بولاق).

(٢) في معاهد التنصيص: «إن دمنا».

(٣) النهج: البين، الواضح.

(٤) الشّرّع: الرماح والمراد بها هنا الخواطر وما إليها مجازاً، وتعتلج: تتضارب وتتارس.

أخبرنا محمدُ بن عِمرانَ الصيرَفيُّ قال حدّثنا الحسنُ بنُ عُليلٍ العَنزِيّ قال حدّثنا أحمد بن خَلّادٍ قال : أنشدتُ الأصمعيّ قولَ بشّارٍ يهجو باهلة :

ودعاني مَعشَرٌ كلُّهمُ حُمُقٌ دام لهمْ ذاكَ الحُمُقْ
ليس من جُرمٍ ولكن غاظَهم شَرَفي العارضُ قد سَدّ الأُفُقْ

فاغتاظ الأصمعيُّ فقال : وَيْلي على هذا العبدِ القِنّ ابنِ[1] القِنّ !.

دفاعه عن الشيب :

نسختُ من كتاب هارونَ بن عليّ بن يحيى قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني عباسُ بن خالد قال سمعتُ غيرَ واحد من أهل البصرة يُحدِّثُ :

أنّ امرأةً قالتْ لبشّار : أيّ رجل أنتَ لو كنتَ أسودَ اللحيةِ والرأسِ ! قال بشّار : أما علمتِ أن بِيض البُزاة أثمن من سُود الغِربان؛ فقالت له : أمّا قولك فحَسَنٌ في السّمع، ومن لك بأن يَحسُنَ شَيبُكَ في العين كما حسُنَ قولك في السمع ! فكان بشّار يقول : ما أفحمني قطّ غيرُ هذه المرأة .

ونسخت من كتابه : حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني إسحاق بن كلبة قال قال لي أبو عثمان المازنيّ :

سئل بشار : أيُّ متاع الدنيا آثرُ عندكَ ؟ فقال : طعامٌ مُزٌّ[2]، وشرابٌ مُرٌّ، وبنتُ عشرين بِكرٌ .

مع امرأة :

أخبرني عمي قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد، وأخبرنا الحسن بن عليّ قال

(١) القن : عبدٌ مُلِكَ هو وأبوه .

(٢) المز : ما كان طعمه بين الحموضة والحلاوة .

حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني أبو تَوْبَةَ عن صالح بن عطيّة قال :

كان النساء المتظرّفات يدُخلنَ الى بشّار في كلّ جمعة يومين، فيجتمعن عنده ويسمَعْن من شعره، فسمع كلامَ امرأة منهنّ فعلِقها قلبُه وراسلها يسألها أن تُواصله؛ فقالت لرسوله : وأيُّ معنى فيك لي أوْ لـك فيّ ! وأنت أعمى لا تَراني فتعرف حسني ومقدارَه، وأنتَ قبيحُ الوجه فلا حظّ لي فيك ! فليت شِعري لأيّ شيء تطلُب وِصال مثلي ! وجعلَتْ تهزأُ به في المخاطبة؛ فأدّى الرّسولُ الرّسالةَ ، فقال له : عُد اليها فقل لها :

أيرِي له فضلٌ على آيارهم   وإذا أشظّ[1] سَجدْنَ غير أوابي

تلقاه بعد ثلاثَ عشرةَ قـائماً   فعلَ المؤذِّن شكّ يومَ سَحاب

وكأنّ هامـةَ رأسه بِطِيخةٌ   حُمِلتْ الى مَلِكٍ بدجلةَ جابي[2]

دقة حسه النقدي :

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم قال حدّثنا أبو هفّانَ قال أخبرني أحمد بن عبد الأعلى الشيبانيّ عن أبيه قال :

قال مروان لبشّار لما أنشده هذا البيتَ :

وإذا قلتُ لها جُودِي لنا   خرَجتْ بالصّمت مِن لا ونَعمْ

جعلني الله فِداءك يا أبا معاذ ! هلّا قلتَ : « خرِستْ بالصَّمْت»؛ قال : إذاً أنا في عقلك فضّ الله فاك ! أأتطيّر على مَنْ أُحِبّ بالخرس ! .

---

(١) أشظ : أنعظ، وأوابي : ممتنعات واحدتها « آبية » .

(٢) جاب : وصف من جبى الخراج يجبيه ويجباه أي جمعه .

مدحه خالداً :

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى : حدّثني بعضُ أصحابنا قال : وَفد بشّار الى خالد بن برمك وهو على فارسٍ فأنشده :

أخالدُ لم أَخبِطْ (١) اليك بذمّةٍ سوى أنني عافٍ وأنتَ جوادُ
أخالدُ بينَ الأجرِ والحمدِ حاجتي فأيّهما تأتي فأنتَ عِمادُ
فإن تُعطني أُفرغْ عليك مدائحي وإن تأبَ لم يُضرَبْ عليّ سِدادُ (٢)
رِكابي على حَرفٍ وقلبي مُشيَّعٌ (٣) ومالي بأرضِ الباخلينَ بِلادُ
إذا أنكرتْني بَلدةٌ أو نَكِرتُها خرجتُ مع البازِي عليّ سَوادُ

قال : فدعا خالد بأربعة آلاف دينار في أربعة أكياس فوَضع واحداً عن يمينه وواحداً عن شِماله وآخرَ بينَ يديه وآخر خلفَه، وقال : يا أبا معاذ، هل أستقلّ العماد ؟ فلمَس الأكياسَ ثم قال : أستقلّ والله أيّها الأميرُ .

أخبرني حبيبُ بنُ نصر المهلّبيّ قال حدّثنا عمرُ بنُ شبّة قال قال محمدُ بن الحجّاج حدّثني بشّار قال :

دخلت على الهيثم بن معاويةَ وهو أمير البصرة، فأنشدتُه :

إنّ السّلام أيّها الأميرُ عليكَ والرّحمةُ والسرورُ

فسمعتُه يقول : إنّ هذا الأعمى لا يدَعنا أو يأخذَ من دراهمنا شيئاً ؛ فطمِعتُ فيه فما برحتُ حتى انصرفتُ بجائزته .

---

(١) أي لم أسر اليك لطلب معروفك متوسلاً بعهد؛ ورواية الخزانة للبغدادي ج ١ ص ٥٤٠ طبع بولاق . «لم أهبط» .

(٢) السداد بالكسر : ما يسدّ به الثلمة ونحوها .

(٣) الحرف : الناقة القوية، والمشيّع : الشجاع .

مفاخرة :

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل عن محمد بن سلّام قال :

وَقَف رجلٌ من بني زيد شريفٌ ، لا أُحِبّ أن أُسمّيَه ، على بشّار ، فقال له : يا بشّار قد أفسدتَ علينا مَوالينا ، تَدعوهم الى الانتفاء منّا وتُرغّبهم في الرُّجوع الى أصولهم وترك الوَلاء ، وأنت غيرُ زاكي الفَرع ولا معروف الأصل ؛ فقال له بشّار : والله لأَصلِي أكرمُ من الذّهب ، ولَفَرعي أزكى من عمل الأبرار ، وما في الأرض كلبٌ يودّ أنّ نسبَكَ له بنسبه ، ولو شئتُ أن أجعل جوابَ كلامك كلاماً[1] لفعلتُ ، ولكنّ موعدك غداً بالمِربَد ؛ فرجع الرجلُ الى منزله وهو يتوهّم أن بشّارا يحضُر معه المربد ليفاخره ، فخرج من الغد يريد المِربَد فإذا رجل يُنشِدُ :

شهدتُ على الزّيديّ أنّ نِساءه ضِباعٌ[2] الى أير العُقيليّ تَزفِرُ

فسأل عمّن قال هذا البيت ؛ فقيل له : هذا لبشّار فيك ؛ فرجع الى منزله من فوره ولم يدخل المِربدَ حتى مات .

قال ابن سَلّام : وأنشدَ رجل يوماً يونسَ في هذه القصيدة وهي :

بَلوتُ بني زيدٍ فما في كِبارهم حُلومٌ ولا في الأصغَرينَ مُطهَّرُ
فأبلغ بني زيد وقل لسَراتهم وإن لم يكن فيهم سَراةٌ تُوَقَّرُ
لأمِكم الوَيلاتُ إنّ قصائدي صَواعقُ منها مُنجِدٌ ومغوِّرُ
أجدَّهمُ[3] لا يتّقون دَنيّةً ولا يُؤثِرون الخيرَ والخيرُ يؤثَرُ

---

(١) كذا في اكثر الأصول . وفي حـ : «أن أجعل جواب كلانا شعراً لفعلت» . ولعله «جواب كلامك شعراً» .

(٢) ضباع : جمع ضبعة وأصله الناقة تشتهي الفحل ، يقال : ضبعت الناقة تضبع ضبعاً وضبعة أي اشتهت الفحل ، وقد يستعمل في النساء كما وقع في هذا البيت (انظر اللسان والقاموس مادة ضبع) .

(٣) يقال : أجِدّك بكسر الجيم وأجَدّك بفتحها ونصبها على المصدر ، قال الليث : من قال : أجِدّك بكسر الجيم فانه يستحلفه بجدّه وحقيقته واذا فتح الجيم استحلفه بجدّه وهو بخته .

يَلْفُونَ[١] أولاد الزنى في عِدادهم فعِدَّتُهم من عِدّة الناس أكثَرُ
اذا ما رأوا مَن دأبُه مثل دأبهم أطافوا به، والغَيُّ للغيِّ أصوَرُ[٢]
ولو فارقوا من فيهمُ من دَعارَةٍ[٣] لما عرفتهم أُمّهم حين تَنظُرُ
لقد فخَروا بالمُلحَقينَ[٤] عشيّـةً فقلتُ افخَروا إن كان في اللؤم مفخَرُ
يريدون مَسعاتي[٥] ودون لقائها قناديلُ أبواب السَّمٰـواتِ تَزهَرُ[٦]
فقل في بني زيدٍ كما قال مُغربٌ قواريرُ حجّامٍ غـداً تتكسَّرُ

فقال يونسُ للذي أنشده : حَسبُكَ حسبك ! مَن هَيّج هـذا الشيطان عليهم ؟ قيل: فلانٌ ؛ فقال : رُبَّ سفيهِ قومٍ قد كسَبَ لقومه شرّاً عظيما .

أخبرني عمي قال حدّثنا ابن مَهْرُويه قال حدّثني عبد الله بنُ بشر بن هلال قال حدّثني محمد بن محمد البصريّ قال حدّثني النضر بن طاهر أبو الحجّاج قال :

قال بشار : دعاني عقبةُ بن سَلْم ودعا بحماد عجرَد وأعشى باهلة، فلما اجتمعنا عنده قال لنا : إنه خطر ببالي البارحةَ مَثلٌ يتمثله الناس : «ذهب الحمارُ يطلب قرنين فجاء بلا أذنين» فأخرجوه من الشعر، ومن أخرجه فله خمسة آلاف درهم ، وان لم تفعلوا جلدتُكم كلكم خمسمائة؛ فقال حمّاد : أجِّلنا أعزّ الله الأمير شهراً؛ وقال الاعشى : أجِّلنا أسبوعين؛ قال : وبشّار ساكتٌ لا يتكلمُ ؛ فقال له عُقبة : مالكَ يا أعمى لا تتكلم ! أعمى الله قلبك ! فقال : أصلح الله الاميرَ ، قد حضرني شيء فإن أمرت قلتُه ؛ فقال قل ؛ فقال :

(١) يلفون : يجمعون .

(٢) أصور : أميل ، يقال : صوِر يصور صوَراً أي مال .

(٣) أي لو فارقوا من انضم اليهم من طريق الدعارة .

(٤) يريد بالملحقين : الذين استلحقوهم وألصقوهم بهم من أولاد الزنى .

(٥) المسعاة : المكرمة والمعلاة في أنواع المجد والجود . وفي اللسان : «والعـرب تسمي مآثر أهل الشرف والفضل «مساعي» واحدتها مسعاة لسعيهم فيها كأنها مكاسبهم وأعمالهم التي أعنوا فيها أنفسهم» .

(٦) تزهر : تتلألأ .

شطَّ بسلمى عاجلُ البينِ وجاورتْ أسدَ بني القينِ
ورنَّت النفسُ لها رنَّةً كادتْ لها تنشقُّ نصفينِ
يابنة مَن لا أشتهي ذكره أخشى عليه عُلَقَ الشَّينِ
والله لو ألقاكِ لا أتَّقي عيناً لقبَّلتُك ألفينِ
طالبتُها دَيني فراغتْ به وعلَّقتْ قلبي مع الدَّينِ
فصرتُ كالعَيرِ غدا طالباً قرناً فلم يَرجعْ بأذنينِ

قال : فانصرف بشَّارٌ بالجائزة .

مع نزول بالبصرة :

نسخت من كتاب هارونَ بنِ علي بن يحيى : حدَّثنا عليّ بن مهديّ قال حدَّثني عبدُ الله بنُ عطيةَ الكوفيّ قال حدثني عثمان بنُ عمرو الثقفيّ قال قال أبانُ بنُ عبد الحميد اللاحقيّ :

نزل في ظاهر البصرة قومٌ من أعراب قيس عَيلان وكان فيهم بيانٌ وفصاحة، فكان بشَّار يأتيهم ويُنشدهم أشعاره التي يمدح بها قيساً فيُجلُّونه لذلك ويعظمونه، وكان نساؤهم يجلسن معه ويتحدَّثن اليه ويُنشدُهنَّ أشعاره في الغزل وكن يُعجَبن به ، وكنتُ كثيراً ما آتي ذلك الموضع فأسمعُ منه ومنهم، فأتيتُهم يوماً فإذا هم قد ارتحلوا، فجئت إلى بشَّار فقلت له : يا أبا مُعاذ ، أعلمت أن القوم قد ارتحلوا ؟ قال : لا ؛ فقلتُ : فاعلَمْ ؛ قال : قد علمتُ لا علمتَ ! ومضيتُ ، فلما كان بعد ذلك بأيام سمعتُ الناس يُنشدون :

دعا بفراق مَن تهوى أبانُ ففاضَ الدَّمعُ واحترقَ الجنانُ
كأن شرارةً وقعتْ بقلبي لها في مُقلتي ودمي استنانُ [١]
إذا أنشدتُ أو نسمتْ عليها رياحُ الصَّيف هاجَ لها دُخانُ

(١) الاستنان : الجريان بشدَّة .

فعلِمْتُ أنها لبشَّار، فأتيتُه فقلت: يا أبا مُعاذ، ما ذنبي اليك؟ قال: ذنب غراب البين؛ فقلت: هل ذكرتني بغير هذا؟ قال: لا؛ فقلتُ: أنشُدك اللهَ ألّا تَزيد؛ فقال: أمضِ لشأنك لقد تركتُك.

تساميه:

ونسختُ من كتابه: حدّثني علي بن مهديّ قال حدّثني يحيي بن سعيد الأيوزَرذي المعتزليّ قال حدّثني أحمدُ بنُ المعذّل عن أبيه قال:

أنشد بشَّارٌ جعفرَ بنَ سليمان:

أقِلّي فإنّا لاحقون وإنّما ... يُؤخّرنا أنّا يُعَدّ لنا عَدّا

وما كنتُ إلا كالأغرّ ابن جعفرٍ ... رأى المال لا يبقى فأبقى به حمدا

فقال له جعفرُ بنُ سليمان: مَنِ ابنُ جعفرٍ؟ قال: الطيّار[١] في الجنة؛ فقال: لقد ساميتَ غيرَ مُسامَى! فقال: والله ما يُقعِدُني عن شأوه بعدُ النسب، لكن قِلّةُ النشب، وإني لأجودُ بالقليل وإن لم يكن عندي الكثيرُ، وما على مَن جاد بما يملك ألّا يهبَ البدور[٢]؛ فقال له جعفرٌ: لقد هَزَزْتَ أبا مُعاذ، ثم دعا له بكيس فدفعه إليه.

سر ميله للهجاء:

ونسخت من كتابه: حدّثني علي بن مهديّ قال حدّثني أحمدُ بن سعيد الرازيّ عن سليمان بن سليمان العَلَويّ قال:

---

(١) الطيار لقب جعفر بن أبي طالب، وسبب هذا اللقب أنه أخذ الراية في غزوة «موتة» بعد زيد بن حارثة فقاتل حتى قطعت يداه ومات، فأخبر النبيّ صلى الله عليه وسلم بأنه يطير مع الملائكة في السماء، وكان ابن عمر اذا سلم على عبد الله بن جعفر قال: السلام عليك يابن ذي الجناحين. (انظر البخاري بشرح القسطلاني ج ٦ ص ١٤٣ طبع بولاق).

(٢) البدور: جمع بدرة وهي كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار.

قيل لبشّار : إنك لكثيرُ الهجاء ! فقال : إني وجدتُ الهجاء المؤلم آخذ بضَبْع[١] الشاعر من المديح الرائع ، ومَن أراد من الشعراء أن يُكرَم في دهر اللئام على المديح فَليستعدّ للفقرِ وإلا فليُبالغْ الهجاء ليُخافَ فيُعطى .

في صباه :

أخبرني هاشمُ بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا أبو غَسّانَ دَماذَ عن أبي عُبيدة قال : كان بُردٌ أبو بشّار طَيّاناً حاذقاً بالتّطيين ، ووُلدَ له بشّارٌ وهو أعمى ، فكان يقول : ما رأيتُ مولوداً أعظم بركةً منه ، ولقد وُلدَ لي وما عندي درهمٌ فما حال الحولُ حتى جمعتُ مائتَيْ درهم . ولم يمتْ بردٌ حتى قال بشّارٌ الشعرَ . وكان لبشّارٍ أخوان يقال لأحدهما : بشر ، وللآخر : بشير ، وكانا قصّابَين وكان بشّار بارّاً بهما على انه كان ضيّقَ الصدر مُتبرّماً بالناس ، فكان يقول : اللهم إني قد تبرّمتُ بنفسي وبالناس جميعاً ، اللهم فأَرِحْني منهم . وكان إخوتُه يَستعيرون ثيابه فيوسّخونها ويُنتنون ريحها ، فاتّخذ قميصاً له جَيبان وحلف ألّا يُعيرهم ثوباً من ثيابه ، فكانوا يأخذونها بغير إذنه؛ فإذا دعا بثوبه فلبسه فأنكر رائحته فيقول[٢] إذا وجد رائحةً كريهةً من ثوبه : « أينما أتوجّه ألقَ سعدا[٣] » . فإذا أعياه الأمر خرج إلى الناس في تلك الثياب على نتْنها ووسخها، فيقال له : ما هذا يا أبا مُعاذ ؟ فيقول : هذه ثمرةُ صلة الرّحم ، قال : وكان يقولُ الشِعرَ وهو صغيرٌ ، فإذا هجا قوماً جاءوا إلى أبيه فشكَوْه فيضربُه ضرباً شديداً ، فكانت أُمّه تقولُ : كم تضربُ هذا الصبيَّ الضريرَ، أَما ترحمه ! فيقول : بلى والله إني لأرحمه ولكنه

(١) الضبع : العضد .

(٢) كذا بالأصول واقتران جواب الشرط الصالح للشرطيّة بالفاء خلاف الأصل (انظر شرح الأشموني ج ٣ ص ٦٠ طبع بولاق) .

(٣) هذا مثل يضرب لمن يلقى سوء المعاشرة في كلّ مكان، وأصله أن الأضبط بن قريع كان سيّد قومه فرأى منهم جفوةً فرحل عنهم الى آخرين فرآهم يصنعون بساداتهم مثل ذلك فقال هذا القول .

يتعرّضُ للناس فيشكونه إليّ ؛ فسمعه بشّارٌ فطمِع فيه فقال له : يا أبتِ إنّ هذا الذي يشكونه منّي إليكَ هو قولُ الشعر ، وإني إن ألممتُ عليه أغنيتُكَ وسائرَ أهلي ، فإن شكوني إليك فقل لهم : أليس اللهُ يقولُ : (لَيسَ عَلَى ٱلأَعْمى حَرَجٌ) فلما عاودوه شكواهُ قال لهم بُردٌ ما قاله بشّارٌ ؛ فانصرفوا وهم يقولون : فِقهُ بُردٍ أغيظُ لنا من شعرِ بشّار .

حباء عاشق له :

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال حدّثني محمدُ بن القاسم بن مَهْرُوَيه قال حدّثني محمد بن عثمانَ الكُرَيزيّ قال حدّثني بعضُ الشعراء قال :

أتيتُ بشّارا الأعمى وبين يديه مائتا دينار، فقال لي : خذ منها ما شئتَ، أوَ تَدرِي ما سَببُها ؟ قلتُ : لا؛ قال : جاءني فتًى فقال لي : أنتَ بشّار ؟ فقلتُ : نعم؛ فقال : إني آليتُ أن أدفعَ إليك مائتَيْ دينارٍ وذلك أني عَشِقتُ امرأة فجئتُ اليها فكلّمتُها فلم تلتفِتْ إليّ، فهمَمْتُ أن أترُكَها فذكرتُ قولكَ :

لا يُؤْيِسَنّــكَ من مُخبَّأةٍ قولٌ تُغلِّظُهُ وإن جَرحَا
عُسْرُ النِساء الى مُياسَرةٍ والصَّعبُ يُمكِنُ بعد ما جَمحَا

فعدتُ إليها فلازمتُها حتى بلغتُ منها حاجتي .

مع النحويين :

أخبرني عمي قال حدّثني الكُرانيّ عن أبي حاتم قال :

كان الأخفشُ طعَن على بشّار في قوله :

فالآنَ أقصرَ عن سُميّةَ باطلي وأشار بالوَجَلى عليّ مشير

وفي قوله :

على الغَزَلى مِنّي السَّلامُ فربَّما لَهَوْتُ بها في ظِلِّ مَرْءُومَةٍ(١) زُهْرِ

وفي قوله في صفة سفينة :

تُلاعِبُ نِينانَ(٢) البُحورِ ورُبَّما رأيتَ نفوسَ القومِ من جَرْيِها تَجري

وقال : لم يُسمَعْ من الوَجِلِ والغَزَلِ فَعَلى، ولم أسمعْ بنُونٍ ونِينانٍ؛ فبلغ ذلك بشّارا فقال: وَيلي على القَصّارِين(٣)! متى كانتِ الفصاحةُ في بيوت القصّارين! دَعُوني وإيّاه؛ فبلغ ذلك الأخفشَ فبكى وجَزِعَ؛ فقيل له : ما يُبكيكَ؟ فقال: وما لي لا أبكي وقد وقعتُ في لسان بشّار الأعمى! فذهب أصحابه الى بشّار فكذّبوا عنه وآستوهَبوا منه عِرضَه وسألوه ألّا يهجوَه؛ فقال : قد وَهبتُه لِلؤمِ عِرضِه . فكان الأخفشُ بعد ذلك يحتجُّ بشعره في كُتُبه ليبلُغَه؛ فكفَّ عن ذكره بعد هذا .

قال: وقال غيرُ أبي حاتم : إنّما بلغه أنّ سِيبوَيه عابَ هذه الأحرفَ(٤) عليه لا الأخفش، فقال يهجوه :

أَسِبوَيهِ يابنَ الفارسيَّةِ ما الذي تحدّثتَ عن شتمي وما كنتَ تَنبِذُ
أظلتَ تُغنّي سادِراً(٥) في مَساءَتي وأُمُّكَ بالمِصرَينِ تُعطي وتأخذُ

قال : فتوقّاه سيبويه بعد ذلك، وكان إذا سُئِلَ عن شيء فأجاب عنه ووجدَ له شاهداً من شعرِ بشّار احتجّ به آستكفافاً لشرّه .

(١) مرءومة : محبوبة مألوفة .

(٢) ورد هذا الجمع في كتب اللغة، فقد جاء في لسان العرب والقاموس وغيرهما في مادة «نون» : النون : الحوت والجمع أنوان ونينان .

(٣) القصار : من يحوّر الثياب ويدقها .

(٤) الأحرف : الكلمات .

(٥) السادر : المتحير ، والذي يتكلم غير متثبت في كلامه، وقيل: هو اللاهي الذي لا يهتم لشيء ولا يبالي ما صنع .

ذم بني سدوس :

أخبرني محمد بن عِمرانَ الصَّيرفيّ قال حدّثني الحسنُ بنُ عُلَيلٍ العَنَزِيّ قال حدّثني أحمد بن عليّ بن سُوَيد بن مَنْجُوفٍ قال :

كان بشّار مُجاوِراً لبني عُقَيلٍ وبني سَدُوسٍ في منزل الحيَّين، فكانوا لا يزالون يتفاخرون، فأستعانَتْ عُقَيلٌ ببشّار وقالوا له: يا أبا مُعاذٍ، نحن أهلُكَ وأنتَ ابنُنا وربيتَ في حُجورنا فأعِنَّا؛ فخرج عليهم وهم يتفاخرون، فجلس ثم أنشد :

كأنّ بني سَدُوسٍ رَهطَ ثَورٍ خنافِسُ تحتَ مُنكَسِرِ الجِدارِ
تُحرّكُ للفَخارِ زُبانَيَيها(١) ونخرُ الخُنفساء من الصَّغارِ

فوثَب بنو سَدُوسٍ اليه فقالوا : ما لنا ولكَ يا هذا ! نعوذ باللهِ من شَرِّكَ ! فقال : هذا دأبكُم إن عاودتم مُفاخرةَ بني عُقَيلٍ ؛ فلم يُعاوِدُوها .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مَهرُوَيه قال حدّثني محمد بن إسماعيل عن محمد بن سَلّام قال : قال يونسُ النحويّ : العجبُ من الأزْدِ يَدعونَ هذا العبدَ يَنسُبُ بنسائهم ويَهجو رجالهم – يَعني بشّاراً – يقول :

ألا يا صَنَمَ الأزْدِ الذي يَدعُونه رَبّاً

ألا يَبعثونَ اليه من يفتِقُ بطنَه ! .

أخبرني الحسن قال حدّثني ابنُ مَهرُوَيه عن أحمدَ بن إسماعيلَ عن محمد بن سلّام قال :

مرّ ابن أخ لبشّار ببشّار ومعه قوم : فقال لرجل معه وسمع كلامه : من هذا؟ فقال : ابنُ أخيك ؛ قال : أشهدُ أنّ أصحابَه سَفلةٌ ؛ قال : وكيف علِمتَ ؟ قال : ليس عليهم نِعالٌ :

---

(١) تثنية زباني، وزبانيا العقرب : قرناها . وفي بعض النسخ : « زبانتيها » وهو تصحيف .

التغني بشعره :

أخبرني الحسنُ قال حدّثنا محمدُ بن القاسم قال حدّثني الفضلُ بن يعقوبَ قال :

كنّا عند جاريةٍ لبعض التّجار بالكَرْخِ تُغنّينا، وبشّارٌ عندنا، فغنّتْ في قوله :

إنّ الخليفةَ قد أبى وإذا أبى شيئاً أبيتُهْ
ومُخضّبٍ رَخصِ البَنا نِ بكى عليّ وما بكَيْتُهْ
يا مَنظراً حَسناً رأيتُ[1] بوجهِ جاريةٍ فَديْتُهْ
بعثَتْ إليّ تَسومُني ثوبَ الشّبابِ وقد طَويْتُهْ

فطربَ بشّار وقال : هذا واللهِ يا أبا عبدِ الله أحسنُ من سُورةِ الحشرِ ! . وقد روى هذه الكلمةَ عن بشّار غيرُ مَن ذكرتُه فقال عنه : إنه قال : هي والله أحسن من سورة الحشر . الغناء في هذه الأبيات . وتمامُ الشعر :

وأنا المطِلُّ على العِدا وإذ غَلا الحمدُ اشتريتُهْ
وأميلُ في أنسِ النّديم من الحياء وما اشتهيتُهْ
ويَشوقُني بيتُ الحبيب اذا غدوتُ وأينَ بيتُهْ
حالَ الخليفةُ دونه فصبرتُ عنه وما قَليتُهْ

وأنشدني أبو دُلَف هاشمُ بن محمد الخزاعيّ هذه الأبيات وأخبرني أنّ الجاحظ أخبره أنّ للمهديّ نهى بشّاراً عن الغزَل وأن يقول شيئاً من النسيب، فقال هذه الأبيات . قال : وكان الخليل بن أحمد يُنشِدها ويستحسنها ويُعجَبُ بها .

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا دَماذ أبو غَسّانَ عن محمد بن الحجّاج قال :

(١) سيرد هذا البيت مرة أخرى في ترجمة بشار مصرعاً هكذا :
يا منظراً حسناً رأيته من وجه جارية فديته والتصريع تقفية المصراع الاول .

قالت بنتُ بشَّار لبشَّار : يا أبتِ ، مالكَ يَعرِفكَ الناسُ ولا تعرِفُهم ؟ قال: كذلك الأميرُ يا بُنيَّة .

أخبرني عبد الله بن محمد الرازيّ قال حدّثنا أحمدُ بن الحارث الخرّاز عن المدائني قال :

قال عبدُ الله بن مِسْوَر الباهليّ يوماً لأبي النَّضير ، وقد تحاورا في شيء : يابن اللَّخناء ، أتكلِّمني ولو اشتريتُ عبداً بمائتيْ درهم وأعتقتُه لكان خيراً منك ! فقال له أبو النَّضير : والله لو كنتُ ولدَ زنى لكنتُ خيراً من باهلةَ كلِّها ؛ فغضب الباهليّ ؛ فقال له بشَّار : أنتَ منذ ساعةٍ تُزَنِّي[1] أمه ولا يغضبُ ، فلما كلّمك كلمةً واحدة لحقك هذا كلّه ! فقال له : وأُمّه مثل أُمّي يا أبا مُعاذٍ ! فضحك ، ثم قال : والله لو كانت أُمّك أمّ الكتاب ما كان بينكما من المُصارمة هذا كلّه !.

هجاؤه ابن مزيد :

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى : حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني سعيد بنُ عُبيدٍ الخُذاعيّ قال : ورد بشَّار بغدادَ فقصد يزيدَ بنَ مَزْيَدٍ ، وسأله أن يذكره للمهديّ ، فسوَّفه أشهراً ؛ ثم وَرَدَ رَوْحٌ[2] بن حاتم فبلغه خبرُ بشَّار ، فذكره للمهديّ من غير أن يلقاه ، وأمر بإحضاره فدخل الى المهديّ وأنشدَه شعراً مدحه به ، فوصله بعشرة آلاف درهم ووهب له عبداً وقَيْنَةً وكساه كُسًا كثيرةً ؛ وكان يحضرُ قيساً مرّة ، فقال بشَّار يهجو يزيدَ بن مَزْيد :

ولمّا التقينا بالجُنَيْنَةِ[3] غرّني ... بمعروفه حتى خرجتُ أُفوقُ[4]

(١) زناه تزنية : نسبه الى الزنى.

(٢) كل من سمي بروح فهو بفتح الراء إلا روح بن القلسم فإنه بالضم (انظر شرح القاموس في مادة روح في المستدرك) .

(٣) اسم موضع كما في ياقوت .

(٤) فاق الرجل فؤوقاً وفواقاً : الفواق – ويسمى عند العامة بالزغطة – : ما يأخذ الانسان من تشنج الحجاب الحاجز تشنجاً فجائياً ويصدر من امتلاء المعدة بالطعام ؛ وهو هنا كناية عما أثقله به من العطاء .

غرّني : أوجرني(١) كما يُغَرّ الصبيُ أي يُوجَر اللبنَ .

حَباني بعبدٍ قَعْسَرِيٍّ(٢) وقَيْنَةٍ ووَشْيٍ وآلافٍ لهنّ بَرِيقُ
فَقُل ليَزيدٍ يلعَصِ(٣) الشهدَ خالياً لنا دونه عند الخليفة سُوقُ
رَقَدتَ فنَمْ يابنَ الخبيثةِ إنها مكارمُ لا يَستَطيعُهُنّ لَصيقُ
أبَى لكَ عِرقٌ من فلانةَ أن تُرَى جواداً ورأسٌ حينَ شِبتَ حَليقُ

التبديل في قصيدة :

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا الرّياشيّ قال حدّثنا الأصمعيّ قال : كان بشّار كتب الى إبراهيمَ بن عبد الله بن الحسن بقصيدةٍ يمدحه بها ويُحرّضه ويُشيرُ عليه ، فلم تصل اليه حتى قُتل ، وخاف بشّارٌ أن تشتهر فقلبها وجعل التحريضَ فيها على أبي مُسلم والمدحَ والمشورةَ لأبي جعفرٍ المنصور ، فقال :

أبا مُسلمٍ ما طيبُ عَيشٍ بدائمٍ ولا سالمٌ عمّا قليلٍ بسالمِ

وإنما كان قال : « أبا جعفرٍ ما طِيبُ عيشٍ فغيّره وقال فيها :

إذا بلغَ الرأيُ النصيحةَ فاستَعِنْ بعزمِ نصيحٍ أو بتأييدِ حازمِ
ولا تجعَل الشورى عليك غضاضةً مكانُ الخوافي نافعٌ للقوادمِ
وخلّ الهُوَينَى للضعيف ولا تكن نَؤوماً فإنّ الحزمَ ليس بنائمِ
وما خيرُ كفٍّ أمسكَ الغُلُّ أُختَها وما خيرُ سيفٍ لم يُؤيَّدْ بقائمِ
وحاربْ اذا لم تُعطَ إلا ظُلامةً شَبا الحربِ خيرٌ من قَبول المظالمِ
وأدْنِ على القُربَى المقربَ نَفسه ولا تُشهد الشورى امرءاً غيرَ كاتمِ
فإنك لا تَستَطرِدُ الهمَّ بالمُنى ولا تَبلُغُ العليا بغير المكارمِ

---

(١) أوجره اللبن ونحوه : جعله في فيه .

(٢) القعسريّ : الصلب الشديد .

(٣) يلعص : يلعق .

إذا كنتَ فرداً هرَّكَ[١] القومُ مُقبِلاً وإن كنت أدنى لم تَفُزْ بالغَزائمِ
وما قرَعَ الأقوامَ مِثلُ مُشَيَّعٍ[٢] أريبٍ ولا جَلَّى العَمى مثلُ عالِمِ

قال الأصمعيّ : فقلت لبشّار : إني رأيتُ رجال الرأي يتعجبون من أبياتك في المَشورة ؛ فقال : أما عَلمتَ أن المشاوِرَ بين إحدى الحُسنَيَيْنِ : بين صوابٍ يفوز بثمرته أو خطأ يُشارِكُ في مكروهه ؛ فقلت : أنت والله أشعرُ في هذا الكلام منك في الشعر .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مَهْرُويه قال حدّثني عليّ بن الصبَّاح عن بعض الكوفيين قال :

مررتُ ببشّار وهو مُتَبَطِّحٌ[٣] في دِهْليز كأنه جاموس ، فقلتُ له : يا أبا مُعاذ ، مَنِ القائل :

في حُلَّتي جسمُ فتًى ناحلٍ لو هَبَّتِ الريحُ به طاحا

قال : أنا ؛ قلتُ : فما حَملك على هذا الكذب ؟ والله إني لأرى أن لو بعث اللهُ الرياحَ التي أهلك بها الأممَ الخاليةَ ما حرّكتك من موضعك ! فقال بشّار : مِن أين أنت ؟ قلت : من أهل الكوفة ؛ فقال : يأهل الكوفة لا تَدَعون ثِقَلكم ومَقتَكم على كلّ حال ! .

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ : قال حدّثني عافية بن شَبيب قال :

قدِم كُرْدِيّ بن عامر المِسْمَعيّ من مكة ، فلم يُهدِ لبشّار شيئاً وكان صديقَه ؛ فكتب اليه :

---

(١) يقال : فلان هرّه الناس اذا كرهوا ناحيته ، قال الأعشى :

أرى الناس هرّوني وشهّر مدخلي ففي كل ممشى أرصد الناس عقربا

(٢) المشيع : الشجاع ، كأنه قد شيع قلبه بما يركب من الأهوال ، أو بقوّة قلبه .

(٣) متبطح : ممتدّ على وجه الارض بوجهه .

ما أنت يا كُرديّ بالهَشِّ ولا أُبرِّيك من الغِشِّ
لم تُهدِنا[1] نعلاً ولا خاتماً من أين أقبلتَ؟ من الحشِّ[2]!

فأهدى اليه هديّةً حسنةً وجاءه فقال: عَجِلتَ يا أبا معاذ علينا، فأنشُدُكَ اللهَ ألا تزيدَ شيئاً على ما مضى.

ونسختُ من كتابه عن عافيةَ بن شَبيب أيضاً قال حدّثني صديقٌ لي قال: قلتُ لبشار: كنّا أمس في عُرْس فكان أول صوت غنى به المغنّي:

هَوى صاحبي ريحُ الشَّمالِ اذا جرتْ وأشفى لنفسي أن تَهُبَّ جَنوبُ
وما ذاك إلا أنها حين تنتهي تَناهى وفيها من عُبيدةَ طِيبُ

فطَرِب وقال: هذا والله أحسن من فُلْج[3] يوم القيامة.

مدحه المهدي:

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا أبي عن عافية بن شبيب عن أبي جعفر الأسديّ قال:

مدح بشّارٌ المهديّ فلم يُعطه شيئاً؛ فقيل له: لم يَستجِدْ شعرَكَ؛ فقال: والله لقد قلتُ شعراً لو قيل في الدهر لم يُخشَ صرفُه على أحد، ولكنّا نكذِب في القول فنُكذَبُ في الأمل.

أخبرني عمي قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني يحيى بن خليفة الداريّ عن نصر بن عبد الرحمن العِجْليّ قال:

(١) الوارد في كتب اللغة: أهدى له كذا وأهدى إليه، فا هاهنا قد حذف منه الجار ووصل الفعل بالمفعول.

(٢) الحش (بتثليث الحاء): البستان وموضع قضاء الحاجة لأنهم كانوا يقضون حاجاتهم في البساتين.

(٣) الفلج (بالضم): الفوز والظفر.

هجا بشّار رَوْحَ بن حاتم؛ فبلغه ذلك فتَدَفه وتهدّده ؛ فلما بلغ ذلك بشّارا قال فيه :

تهدّدني أبو خلفٍ وعن أوتاره ناما
بسيفٍ لأبي صُفْرَةَ لا يَقطع إبهاما
كأنّ الوَرْسَ يَعلوهُ اذا ما صدرُه قاما

– قال ابن أبي سعد : ومن الناس من يروي هذين البيتين لعمرو الظالمي – قال: فبلغ ذلك رَوْحاً فقال : كلّ مالي صدقةٌ إنْ وقعتْ عيني عليه لأضربنّه ضربةً بالسيف ولو أنه بين يَدَيِ الخليفة ! فبلغ ذلك بشّارا فقام من فوره حتى دخل على المهديّ؛ فقال له : ما جاء بك في هذا الوقت ؟ فأخبره بقصّة رَوْح وعاذ به منه، فقال : يا نُصَيْر، وجِّهْ الى رَوْح من يُحضره الساعةَ؛ فأرسل اليه في الهاجرة، وكان ينزل المُخرّم[1]، فظنّ هو وأهلُه أنه دُعي لولاية . قال : يا رَوْح، إني بعثت اليك في حاجة؛ فقال له : أنا عبدُك يا أمير المؤمنين فقل ما شئتَ سوى بشّار فإني حلفت في أمره بيمين غَمُوس[2]؛ قال : قد علمتُ وإيّاه أردتُ؛ قال له : فأحتلْ ليميني يا أمير المؤمنين؛ فأحضر القضاة والفقهاء فاتّفقوا على أن يضربه ضربةً على جسمه بعُرْض السيف، وكان بشّار وراء الخيش[3]، فأُخرِج وأُقعِد وٱستلّ رَوْحٌ سيفَه فضربه ضربةً بعُرْضه؛ فقال : أوّهْ باسم الله ! فضحِك المهديّ وقال له : ويلك ! هذا وإنما ضَرَبك بعُرْضه وكيف لو ضربك بحدّه !.

(١) المخرم (بضم الميم وفتح الخاء وكسر الراء المشدّدة) : محلة كانت ببغداد بين الرصافة ونهر المعلى وفيها كانت الدار التي يسكنها السلاطين البويهية والسلجوقية، خربها في سنة ٥٨٧ هـ الإمام الناصر لدين الله أبو العباس أحمد .

(٢) اليمين الغموس : التي لا آستثناء فيها .

(٣) الخيش : مراوح تعمل من نسج خشن من الكتان كشراع السفينة تعلق في سقف البيت ويعمل لها حبل تجرّ به وهي مبلولة بالماء فاذا اراد الرجل ان ينام جذب حبلها فيهب منها نسيم بارد يذهب أذى الحرّ، فلعل بشارا كان مختفياً وراء إحداها وهي مدلاّة .

مدح سليمان بن هشام :

أخبرني حبيب بن نصر قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثنا أبو عبيدة قال :

مَدَح بشّارٌ سليمانَ بن هشام بن عبد الملك وكان مقيماً بحَرّانَ وخرج اليه فأنشده قوله فيه :

نأتْكَ على طُول التجاوُرِ زينبُ ... وما شَعَرتْ أن النَّوى سوف تَشْعَبُ
يرى الناسُ ما تَلقى بزينبَ اذ نأتْ ... عجيباً وما تُخفِي بزينبَ أعجبُ
وقائلةٍ لي حين جَدَّ رحيلُنا ... وأجفانُ عينيها تجودُ وتسكُبُ
أغادٍ الى حَرّانَ في غيرِ شِيعة ... وذلك شأوٌ عن هَواها مُغَرِّبُ [١]
فقلتُ لها كلّفتِني طَلَبَ الغِنى ... وليس وراءَ ابنِ الخليفةِ مذهبُ
سيكفي فتًى من سعيه حدُّ سيفِه ... وكُورٌ عِلافيٌّ ووجناءُ ذِعلِبُ [٢]
اذا استوغرتْ [٣] دارٌ عليه رَمى بها ... بناتِ الصُّوى [٤] منها رَكوبٌ [٥] ومُصعَبُ
فعُدّي الى يوم ارتحلتُ وسائلي ... بزَوْرِك والرَّحّال من جاء يضرِبُ
لعلكِ أن تستيقني أن زَوْرتي ... سليمانَ من سيرِ الهواجرِ تُعقِبُ
أغرُّ هِشاميُّ القَناةِ اذا انتمى ... نَمَتْه بدورٌ ليس فيهنَّ كوكبُ
وما قصدت يوماً مخيلين خيلُه ... فتُصرَفُ إلا عن دِماء تَصبَّبُ

(١) مغرّب (بكسر الراء وفتحها) : بعيد .

(٢) الكور : الرحل . والعلافيّ : نسبة الى علاف (وزان كتاب) بن حُلوان لأنه أول من عملها . ووجناء : عظيمة الوجنتين أو صلبة قوية شبهت بالوجين وهو الصعب من الارض . وذعلب (وزان زبرج) : سريعة .

(٣) يقال : وغرت الهاجرة تغر وغراً من باب ضرب اذا رمضت واشتدّ حرّها، فمعنى استوغرت حميت واتقدت غيظاً، والمراد أنها ضاقت به . ولم ترد هذه الصيغة من هذه المادة في كتب اللغة التي بين أيدينا . وجاء في أقرب الموارد : « المستوغر : لقب عمرو بن ربيعة بن كعب ، قلت وهذا دليل على وجود (استوغر) وإن لم يذكروه » .

(٤) الصوى : جمع صوّة، وهي حجارة مجموعة تجعل علماً يهتدى بها في المفازة، وبناتها : صغارها.

(٥) الركوب : المذلّل بالركوب، والمصعب : ما لم يركب ولم يُمَسّ من الإبل .

استقل عطاء سليمان :

فوصله سليمان بخمسة آلاف درهم وكان يُبَخَّل، فلم يرضها وانصرف عنه مُغضَباً فقال :

إن أمسِ مُنقبِضَ اليدين عن النَّدى ... وعن العدوّ مُخيَّسَ[١] الشيطانِ
فلقد أروحُ عن اللئام مُسلَّطاً ... ثَلِجَ المَقيلِ[٢] مُنعَّمَ النَّدْمانِ
في ظِلِّ عيشِ عشيرةٍ محمودة ... تَندى يدي ويُخافُ فَرْطُ لساني
أزْمانَ جِنّي الشباب مُطاوِعٌ ... وإذ الأميرُ عليَّ من حَرّانِ
رِيمٌ بأحويةِ[٣] العراق اذا بَدا ... بَرَقَتْ عليه أكِلَّةُ[٤] المَرْجانِ
فاكحَلْ بعَبْدَةَ مُقْلَتَيْكَ من القَذَى ... وبِوَشْكِ رُؤيتها من الهَملانِ
فلَقُرْبُ مَن تهوى وانتَ متيّمٌ ... أشفى لدائكَ من بني مَروانِ

فلما رجع الى العراق بَرّه ابنُ هُبَيرة ووصله، وكان يعظِّم بشّاراً ويُقدِّمه، لمدحه قيساً وافتخاره بهم، فلما جاءت دولة أهل خُراسان عظُم شأنه.

مدحه المهدي :

أخبرني حبيب بن نصر قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني محمد بن الحجّاج قال :

قدِم بشّار الأعمى على المهديّ بالرُّصافة فدخل عليه في البستان فأنشده مديحاً فيه تشبيب حسنٌ، فنهاه عن التشبيب لغَيرةٍ شديدةٍ كانت فيه، فأنشده مديحاً فيه، يقول فيه :

---

(١) مخيس : مذلل .
(٢) ثلج المقيل : بارده .
(٣) أحوية : جمع حواء، والحواء (بالكسر) : جماعة البيوت المتدانية .
(٤) أكلّة : جمع إكليل، والإكليل : التاج وشبه عصابة تزيّن بالجواهر .

كأنما جئتُه أُبشِّرُهُ ولم أجِىء راغباً ومُحتلِبا
يُزيِّنُ المنبرَ الأشمَّ بعِطْفَيْهِ وأقواله إذا خطبا
تُشَمُّ نعلاه في النديِّ كما يُشَمُّ ماءُ الريحانِ مُنتهَبا[1]

فأعطاه خمسة آلاف درهم وكساه وحمله على بغل وجعل له وفادةً في كل سنةٍ ونهاه عن التشبيب ألبتّةَ ، فقدِم عليه في السنة الثالثة فدخل عليه فأنشده :

تَجالَلْتَ[2] عن فِهْرٍ وعن جارَتَيْ فِهرِ ووَدَّعتُ نُعْمَى بالسلام وبالبِشرِ
وقالتْ سُلَيمى فيكَ عنّا جَلادةٌ[3] مَحلُّكَ دانٍ والزيارةُ عن عُفْرِ[4]
أخي في الهوى مالي أراكَ جَفَوْتَنا وقد كنتَ تقفونا على العُسْرِ واليُسر
تثاقلتُ إلا عن يدٍ أستفيدُها وزَوْرَةِ أملاكٍ أَشُدُّ بها أزري
وأخرَجني من وِزْرِ خمسينَ حِجّةً فتًى هاشميٌّ يَقْشَعِرُ من الوِزْرِ
دفَنتُ الهوى حيّاً فلستُ بزائرٍ سُلَيْمى ولا صفراءَ ما قرقرَ[5] القُمْري
ومُضفَرَةٍ بالزعفرانِ جلودُها اذا اجتُلِيَتْ مثلَ المُفَرْطَحةِ الصُّفْرِ[6]
فربَّ ثقالِ الرِّدفِ هبّتْ تلومُني ولو شهِدَتْ قبري لصَلَّتْ على قبري
تركتُ لِمَهْديِّ الأنام وِصالَها وراعيتُ عهداً بيننا ليس بالخَتْرِ[7]
ولولا أميرُ المؤمنين محمدٌ لقبّلتُ فاها أو لكان بها فِطْري
لَعَمْري لقد أوفرتُ نفسي خطيئةً فما أنا بالمزدادِ وِقراً على وِقرِ

(١) منتهب : مأخوذ ومباح لمن شاء .

(٢) تجالت : ترفعت .

(٣) الجلادة : الصلابة والصبر .

(٤) العفر : الحين وطول العهد أو الشهر أو البعد أو قلة الزيارة، وبكل من هذه المعاني فسر قولهم فلان ما يأتينا إلا عن عفر (انظر القاموس وشرحه للمرتضي في مادة عفر) .

(٥) قرقر : صوّت وردّد صوته .

(٦) يريد بها الدنانير .

(٧) الختر : شبيه بالغدر والخديعة، وقيل : هو أسوأ الغدر وأقبحه .

في قصيدة طويلة امتدحه بها ، فأعطاه ما كان يُعطيه قبل ذلك ولم يزِد شيئاً .

وفاة ابنه :

أخبرني هاشمُ بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا عيسى بن إسماعيلَ العَتكيّ عن محمد بن سلّام عن بعض أصحابه قال :

حضرنا جنازة ابنٍ لبشّار تُوفّي ، فجزِع عليه جزعاً شديداً ، وجعلنا نُعزّيه ونسلّيه فما يُغني ذلك شيئاً ، ثم التفتَ الينا وقال : للهِ درُّ جريرٍ حيث يقولُ وقد عُزّي بسَوادة ابنه :

قالوا نَصيبَكَ من أجرٍ فقلتُ لهم   كيف العَزاء وقد فارقتُ أشبالي
ودّعتَني حينَ كفّ الدّهرُ من بصَري   وحينَ صِرتُ كعظمِ الرِّمةِ البالي
أودى سَوادَةُ يجلو مُقلَتَيْ لَحِمٍ[1]   بازٍ يُصَرصِرُ فوقَ المَرْبَإ[2] العالي
إلّا تَكن لكَ بالدَّيْرَينِ[3] نائحةٌ   فرُبَّ نائحةٍ بالرَّمل مِعْوالِ

أخبرني هاشمُ بن محمد قال حدّثنا عمرُ بنُ شبّة قال حدّثني خلّادٌ الأرقطُ قال : لمّا أنشِدَ المهديُّ قول بشّارٍ :

لا يُؤْيِسَنَّكَ من مُخبَّأةٍ   قولٌ تُغلِّظُهُ وإن جَرَحا
عُسْرُ النساء إلى مُياسَرةٍ   والصَّعبُ يُمكِنُ بعد ما جَمَحا

---

(١) لحِم : صفة لباز مقدّمة عليه، يقال : « باز لحم » اي يأكل اللحم او يشتهيه ، وكذلك « لاحم » .

(٢) المربأ : مكان البازي الذي يقف فيه، ويروى « المرقب » وهو بمعناه .

(٣) لم نقف على الموضع الذي يعنيه جرير بالديرين هنا، ولكن شراح قوله :

لمّا تذكرت بالديرين أرقني   صوت الدجاج وضرب بالنواقيس

يقولون : أراد دير الوليد بالشام، وقد ذكره ياقوت في معجمه وقال : لا أدري أين هو .

فنهاه[1] المهديّ عن قوله مثل هذا، ثم حضر مجلساً لصديقٍ له يقال له عمرو بن سَمّان، فقال له: أنشِدنا يا أبا مُعاذٍ شيئاً من غَزَلِكَ، فأنشأ يقول:

وقائلٍ هاتِ شَوِّقنا فقلتُ له أنائمٌ أنتَ يا عمرو بن سَمّانِ
أما سمعتَ بما قد شاع في مُضَرٍ وفي الحليفَينِ من نَجرٍ[2] وقحطانِ
قال الخليفةُ لا تنسُبْ بجاريةٍ إيّاكَ إيّاكَ أن تشقى بعصيانِ

صدق ظنه في تقدير جوائز الشعر:

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثنا سليمان بن أيوب المدائنيّ قال:

قال مروانُ بن أبي حَفصَة: قدِمتُ البصرةَ فأنشدتُ بشّاراً قصيدةً لي واستنصحتُه فيها؛ فقال لي: ما أجوَدها تَقْدَمُ بغداد فتُعطى عليها عشرة آلاف درهم؛ فجزِعتُ من ذلك وقلتُ: قتلتَني! فقال: هو ما اقول لكَ؛ وقَدِمتُ بغدادَ فأُعطيتُ عليها عشرةَ آلاف درهم، ثم قدِمتُ عليه قَدْمةً أخرى فأنشدتُه قصيدتي:

طَرَقَتكَ زائرةً فحيِّ خيالَها

فقال: تُعطى عليها مائةَ الف درهم؛ فقدمتُ فأُعطِيتُ مائةَ الف درهم، فعُدتُ الى البصرة فأخبرتُه بحالي في المرّتين، وقلتُ له: ما رأيتُ أعجبَ من حَدْسِكَ[3]! فقال: يا بُنيّ، أما علمتَ أنه لم يبقَ أحدٌ أعلمُ بالغيب من عمك!.

أخبرنا بهذا الخبر محمدُ بن يحيى الصُّوليّ قال: حدّثنا يزيدُ بن محمد المهلّبيّ عن محمد بن عبد الله بن أبي عُيينةَ عن مروانَ أنه قدِمَ على بشّار فأنشده قولَه:

طرقتكَ زائرةً فحيِّ خيالَها

(١) كذا في الأصول، والمعروف أن الفاء لا تقع في جواب «لما».

(٢) قال الجوهري: نجر، علم أرضي مكة والمدينة وقد ورد في كتاب مهذب الأغاني ج ٤ ص ٢٧٣ «من بكر وقحطان».

(٣) الحدس: الظن والتخمين.

فقال له : يُعطُونَكَ عليها عشرةَ آلاف درهم ، ثم قَدِم عليه فأنشده قوله :

أنى يكونُ وليس ذاكَ بكائنٍ   لِبَني البناتِ وِراثةُ الأَعمامِ

فقال : يُعطونَكَ عليها مائةَ ألفِ درهم ، وذكر باقيَ الخبر مثل الذي قبله .

أخبرني عيسى قال حدّثنا سليمانُ قال :

قال بعضُ أصحاب بشّار : كنا نكون عنده فإذا حضرَتِ الصلاةُ قمنا اليها ونجعلُ على ثيابه تراباً حتى ننظُرَ هل يقومُ يُصلّي ، فنعودُ والترابُ بحاله وما صلّى .

الحب يقضي :

أخبرني عيسى قال حدّثنا سليمانُ قال :

قال أبو عمرو : بعث المهديّ الى بشّار فقال له : قُلْ في الحبّ شِعراً ولا تُطِلْ واَجعَلِ الحبّ قاضياً بين المحبّين ولا تُسمِّ احداً ؛ فقال :

اجعل الحبّ بين حِبّي وبيني   قاضياً إنّني به اليومَ راضي
فاَجتمعنا فقلتُ يا حِبّ نفسي   إنّ عيني قليلةُ الإغماضِ
أنتَ عذّبتَني وأنحلتَ جسمي   فاَرحمِ اليومَ دائمَ الأمراضِ
قال لي لا يَحِلّ حُكمي عليها   انتَ أولى بالسُّقمِ والإحراضِ[1]
قلتُ لمّا أجابني بهواها   شَمِلَ الجورُ في الهوى كلّ قاضي

فبعث اليه المهديّ : حكمتَ علينا وواَفقتَنا ذلك ، فأمر له بألف دينار .

---

(١) كذا في ا، ي، م، والإحراض : إدناف الحب، ومنه قول العرجي :

إني امرؤ لجّ بي حب فأحرضني   حتى بليت وحتى شفني السقم

وفي سائر النسخ : « الأمراض » وهو تحريف .

أخبرني عيسى قال حدّثني سليمانُ المدنيّ قال حدّثني الفضلُ بن إسحاق الهاشميّ قال :

أنشدَ بشّارٌ قولَه :

يُرَوِّعُهُ السِّرارُ(١) بكلّ أرضٍ مخافةَ أن يكونَ به السِّرارُ

فقال له رجل : أظنك أخذتَ هذا من قول أشعبَ : ما رأيتُ اثنين يتسارّانِ إلا ظننتُ أنهما يأمران لي بشيء؛ فقال : إن كنتُ أخذتُ هذا من قول أشعبَ فإنكَ أخذتَ ثِقَلَ الرّوح والمقتَ من الناس جميعاً فانفردتَ به دونهم، ثم قام فدخل وتركنا . وأخذ أبو نواس هذا المعنى بعينه من بشّار فقال فيه :

تركتني الوُشاةُ نُصبَ المُسِرّيـــنَ وأُحدُوثةً بكلّ مَكانِ
ما أرى خالِيَيْنِ في السرّ إلّا قلتُ ما يخلوانِ إلا لِشاني

أخبرني عمي قال حدّثني سليمانُ قال قال لي أبو عدنانَ حدّثني سعيد - جليسٌ كان لأبي زيد - قال :

أتاني أعشى سُلَيم وأبو حَنَشٍ فقالا لي : انطلق معنا الى بشّار فتسألَه أن يُنشِدَكَ شيئاً من هِجائه في حمّاد عَجْرَدٍ أو في عمرٍو الظالميّ فإنه إن عرفَنا لم يُنشِدْنا، فمضيتُ معهما حتى دخلتُ على بشّار فاستنشدتُه فأنشد قصيدةً له على الدال فجعل يخرج من وادٍ في الهجاء الى وادٍ آخر وهما يستمعانِ وبشّار لا يعرفُهما؛ فلما خرجا قال أحدُهما للآخر : أما تعجبُ مما جاء به هذا الأعمى؟ فقال أبو حنش : أمّا أنا فلا أُعرّض - والله - والديَّ له أبداً؛ وكانا قد جاءا يَزُورانه، وأحسَبُهما أرادا ان يتعرّضا لمهاجاته .

مدح واصل بن عطاء :

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ عن الجاحظ قال :

(١) السرار : المسارّة وهي الكلام في خفية .

كان بشّار صديقاً لأبي حُذيفةَ واصلِ بنِ عطاء قبل أن يَدينَ بالرجعةِ ويُكفِّرَ الأُمّةَ ، وكان قد مدح واصلاً وذكر خطبته التي خطبها فنزع منها كلّها الراء، وكانت على البديهة ، وهي أطولُ من خُطبَتَيْ خالد بن صفوان وشبيب ابن شيبة[١] ، فقال:

تكلّفوا[٢] القولَ والأقوامُ قد حَفَلوا ... وحبَّروا خُطَباً ناهيكَ من خُطَبِ
فقـام مُرتَجلاً تَغلي بَداهَتُهُ ... كمِرجَلِ القَيْنِ لمّا حُفّ باللّهبِ
وجانَبَ الراءَ لم يَشعُرْ به أحدٌ ... قبل التَّصفُّحِ[٣] والإغراقِ في الطلبِ

قال : فلمّا دانَ بالرجعةِ زعم أن الناس كلّهم كفروا بعد رسول الله صلّى الله عليه وسلم ؛ فقيل له : وعليٌّ بن أبي طالب ؟ فقال :

وما شرُّ الثلاثةِ أمَّ عمرٍو ... بصاحبكِ الذي لا تَصْبَحينا[٤]

انكاره شاعرية الكميت :

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل تينةُ قال قال لي محمد ابن الحجّاج :

قال بشّار : ما كان الكُمَيْتُ شاعراً ؛ فقيل له : وكيف هو الذي يقول ! :

أَنصفُ امْرئٍ من نصف حيٍّ يسُبُّني ... لَعَمْري لقد لاقيتُ خَطْباً من الخَطْبِ
هنيئاً لكَلبٍ أنّ كلباً يسُبّني ... وأنّيَ لم أَرْدُدْ جواباً على كَلْبِ

(١) شبيب بن شيبة هو أبو معمر البصريّ أحد الفصحاء البلغاء والإخباريين .

(٢) كذا في البيان والتبيين للجاحظ، الذي يقتضيه المقام .

(٣) ويروى : « التفصح » بتقديم الفاء على الصاد .

(٤) تصبحينا : تسقينا الصبوح، وهو الشراب أول النهار . وهـــذا البيت لعمرو بن كلثوم من معلقته المشهورة التي يقول في مطلعها :

ألا هبّي بصحنك فاصبحينا ... ولا تبقي خمور الأندرينا

فقال بشّار: لا بَلّ[1] شانِئكَ، أترى رجلاً لو ضَرَطَ ثلاثين سنةً لم يُستَحَلَ من ضَرِطه ضَرْطةٌ واحدةٌ!

نسختُ من كتاب هارونَ بن عليّ بن يحيي: حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني حجّاج المعلِّمُ قال سمعتُ سفيانَ بن عُيَينة يقول:

عَهدي بأصحاب الحديثِ وهم أحسنُ الناس أدباً ثم صاروا الآن أسوأ الناس أدباً، وصبرنا عليهم حتى أشبَهْناهم، فصرنا كما قال الشاعر:

وما أنا إلا كالزمــان إذا صَحا صَحَوتُ وإن ماقَ[2] الزمانُ أموقُ

أخبرني حبيبُ بن نصر قال حدّثنا عمرُ بن شبَّة قــال حدّثني محمد بن الحجّاج قال:

كنّا مع بشّار فأتاه رجلٌ فسأله عن منزل رجل ذكره له، فجعل يُفَهِّمُه ولا يَفهمُ، فأخذَ بيده وقام يقوده الى منزل الرجل وهو يقولُ:

أعمى يقودُ بصيراً لا أبا لَـكُمُ قد ضَلَّ مَنْ كانتِ العُميانُ تَهديهِ

حتى صار به الى منزل الرجل، ثم قال له: هذا هو منزلُه يا أعمى.

محاكاته شعرا:

أخبرني عمي قال حدّثني أحمدُ بن أبي طاهر قال:

زعم أبو دِعامةَ أن عطاء الملط أخبره أنه أتى بشّارا فقال له: يا أبا مُعاذ، أُنشِدُكَ شِعراً حسناً؟ فقال: ما أسرّني بذلك، فأنشده:

أعاذِلَتيَّ اليومَ وَيلَكُما مَهـلَا فما جَزَعاً مِ ٱلآنَ أبكي ولا جَهلَا

(١) لا بل: لا برأ. ويجوز بُلّ بالبناء للمفعول أيضاً بمعنى لا سقي ولا مطر.

(٢) ماق يموق موقاً: حمق في غباوة.

فلما فَرَغَ منها قال له بشّار : أحسنتَ ، ثم أنشدَه على رَوِيّها ووزنِها :

لقد كادَ ما أخفي من الوَجْدِ والهوى   يكونَ جوًى بين الجوانِحِ أو خَبْلا

صوت

إذا قال مهلًا ذو القرابة زادَني   وَلُوعاً بذِكْراها ووَجْداً بها مَهْلَا
فلا يَحسَبِ البِيضُ الأوانسُ أنّ في   فؤادي سوى سُعْدَى لِغانيةٍ فَضْلَا
فأُقسِمُ إن كان الهوى غيرَ بالغ   بِيَ القتلَ من سُعْدى لقد جاوزَ القتلَا
فيا صاحِ خَبِّرني الذي أنت صانعٌ   بقاتِلَتي ظُلماً وما طَلَبَتْ ذَحْلَا[1]
سِوى أنّني في الحبِّ بيني وبينها   شَدَدْتُ على أكظامِ[2] سِرٍّ لها قُفْلَا

— وذكرَ أحمدُ بن المكيِّ أنّ لإسحاقَ في هذه الأبيات ثقيلًا أوّل بالوسطى — فاستحسنتُ القصيدةَ وقلتُ : يا أبا مُعاذٍ ، قد والله أجدتَ وبالغتَ ، فلو تفضّلتَ بأن تُعيدَها ! فأعادها على خلاف ما أنشدَنيها في المرّة الاولى ، فتوهمتُ أنه قالها في تلك الساعة .

ميله الى الالحاد :

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بنُ القاسم بن مَهْرُوَيه قال حدّثني أحمد بن خلّاد قال حدّثني أبي قال :

كنتُ أكلّم بشّاراً وأردّ عليه سُوءَ مذهبه بميله الى الإلحاد ، فكان يقول: لا أعرف إلا ما عاينتُه أو عاينتُ مثله؛ وكان الكلامُ يطول بيننا ، فقال لي : ما أظنّ الأمر يا أبا خالد إلا كما تقول ، وأن الذي نحن فيه خِذلانٌ ، ولذلك أقول:

(١) الذحل : الثأر .

(٢) أكظام بالظاء : جمع كظم (بالفتح) وهو مخرج النفس .

طُبِعْتُ على ما فيَّ غيرَ مُخيَّرٍ هَوايَ ولو خُيِّرتُ كنتُ المهذَّبا
أريدُ فلا أُعطى وأُعطى ولم أُرِدْ وقَصَّرَ عِلمي أن أنالَ المُغيَّبا
فأُصرَفُ عن قصدي وعلمي مُقصِّرٌ وأُمسي وما أُعقِبْتُ إلا التعجُّبا

عتاب صديق :

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني أبن مَهْرُويه قال حدّثني أحمدُ بن خلّاد ابن المبارك قال حدّثني أبي قال :

كان بالبصرة فتًى من بني مِنقَر أُمُّه عِجْليَّةٌ ، وكان يبعثُ إلى بشّار في كل أُضحيَّةٍ بأُضحيَّةٍ من الأضاحي التي كان أهــل البصرة يُسمِّنونها سنةً وأكثرَ للأضاحي ثم تُباعُ الأُضحيَّة بعشرة دنانـير ، ويبعثُ معها بألف درهم ؛ قال : فأمرَ وكيلَه في بعض السنينَ أن يُجريَه على رسمه ، فاشترى له نعجةً كبيرةً غيرَ سمينةٍ وسرق باقيَ الثمن ، وكانت نعجةً عَبدَليَّةً من نِعاج عبد الله بن دارم وهو نِتاجٌ مَرذُولٌ ، فلما أُدخِلَتْ عليه قالت له جاريته رَبابةُ : ليست هذه الشاةُ من الغنم التي كان يَبعثُ بها اليكَ ؛ فقال : أدنيها منّي فأدنتْها ولمسها بيده ثم قال : أكتب يا غُلامُ :

وهبتَ لنا يا فتى مِنقَرٍ وعِجْــلٍ وأكرَمَهم أوّلا
وأبسَطَهم راحةً في النّدى وأرفعَهم ذِروَةً في العُلا
عجوزاً قدَ اَوْرَدَها عمرُها وأسكنَها الدهرُ دارَ البِلى
سَلوحاً[1] توهّمتُ أن الرِّعاء سَقَوْهــا ليُسهلَها الحنظَلا
أضرَطَ من أمّ مُبتاعِهــا إنِ اقتحَمتْ بُكرةً حرمَلا[2]

(١) سَلوحٌ : وصفٌ من السَّلْح وهو للطير والبهائم كالتغوّط من الإنسان ، وقــد يُستعمل للانسان على وجه التشبيه .

(٢) الحرمل : نبات كالسمسم يعيي آكله .

فلو تأكلُ الزُّبدَ بالنِّرسيان[١] وتَدَّمِجُ[٢] المِسكَ والمَندلا
لَما طَيَّبَ الله أرواحَهـا ولا بلّ من عَظمها الأَحْلا[٣]
وضعتُ يميني على ظهرهـا نَخَلتُ حَراقِفَهـا[٤] جَندَلا
وأهوتْ شِمالي لعُرقوبها نخلتُ عراقِبَهـا مِغزَلا
وقَلّبتُ أَلْيَتَها بعـد ذا فشَبَّهتُ عُصْعُصَها[٥] مِنجَلا
فقلتُ أبيـع فـلا مشرَباً أُرَجّي لديها ولا مأكَلا
أَمَ اَشوي وأطبُخُ من لحمها وأطيبُ من ذاك مَضغُ السَّلى[٦]
إذا ما أُمِرّتْ على مجلسٍ من العُجْبِ سَبّحَ أو هَلّلا
رأوا آيةً خلفَهـا سائقٌ يَحُثّ وإن هَرْولتْ هَرْوَلا
وكنتَ أموتَ بها ضَخْمةً بلحمٍ وشحمٍ قد اَستُكمِلا
ولكنَّ رَوحاً عَدا طورَه وما كنتُ أحسَبُ أن يفعلا
فعَضَّ الذي خانَ في أمرها مِن اَستِ اَمّه بَظْرَها الأغرَلا[٧]
ولولا مكانُـك قَلّدته عِلاطاً[٨] وأنشقتُـه الخَرْدَلا
ولولا اَستِحائِيكَ خَضّبتُها وعَلّقت في جِيدها جُلجُلا
فجاءتكَ حتى ترى حالَها فتعلَمَ أنّي بهـا مُبتَلى
سأَلتُك لحماً لِصِبيانِنـا فقـد زِدتَني فيهم عَيّلا

---

(١) النرسيان : نوع من أجود التمر، وفي المثل «أطيب من الزّبـد بالنرسيان» يضرب مثلاً للأمر يستطاب ويُستعذب . والمندل : العود الرّطب .

(٢) كذا في الاصل، وادّمج في الشيء مثل اندمج : دخل فيه واستحكم . وليس في كتب اللغة التي بين أيدينا ادّمج متعدّياً بنفسه، فلعلّ ما هنا من قبيل ما جرى فيه النصب على نزع الخافض .

(٣) الأقحل : وصف من قحل الشيء اذا يبس .

(٤) الحراقف : جمع حرقفة، والحرقفة : رأس الورك .

(٥) العصعص : عَجْبُ الذنب .

(٦) السلى : الجلدة التي يكون فيها الولد في بطن أمه .

(٧) الأغرل : ذو الغرلة أي لم يختن .

(٨) العلاط (بالكسر) : حبل يجعل في عنق البعير وسمة تكون في عرض عنقه .

فخُذها وأنت بنـا مُحسِنٌ وما زلتَ بي مُحسِناً مُجمِلا

قال : وبعث بالرقعة الى الرجل ؛ فدعا بوكيله وقال له : ويلك ! تعلم أني أفتدي من بشّار بما أُعطيه وتُوقعني في لسانـه ! اذهبْ فاشترِ أُضحِيَةً ، وإن قَدَرتَ أن تكونَ مثلَ الفيل فافعل ، وابلُغْ بها ما بلغتْ وابعَثْ بها اليه .

شعره في رثاء بنية له :

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ قال حدّثني عمي قال أخبرنا أبو عمرو بن العلاء قال :

رأيتُ بشّارا المرعَّثَ يرثي بُنيَّةً له وهو يقول :

يا بنتَ من لم يكُ يَهوى بنتا مـا كنتِ إلا خمسةً أو ستّا
حتّى حللتِ في الحشى وحتّى فَتّتِ قلبي من جوًى فانفتّا
لأَنتِ خيرٌ من غلامٍ بتّا[1] يُصبحُ سكرانَ ويُمسي بَهتا[2]

أخبرني وكيع قال حدّثني أبو أيوب المدينيّ قال :

كان نافع بن عُقبة بن سَلْم جَواداً مُمدَّحا، وكان بشّار منقطعاً الى أبيه، فلما مات أبوه وَفَد اليه وقد وَلِيَ مكانَ أبيه، فمدحه بقوله :

ولنافعٍ فضلٌ على أكفائه إن الكريمَ أحقُّ بالتفضيلِ
يا نافعَ الشِّبُراتِ[3] حين تناوحتْ هُوجُ الرياحِ وأعقبتْ بُبُولِ
أشبهتَ عُقبةَ غيرَ ما مُتَشبِّهٍ ونشأتَ في حلمٍ وحسنِ قَبولِ

(١) بت : انقطع عن العمل، ومنه قولهم : سكران باتّ أي منقطع عن العمل بالسكر، ويقال أيضاً : بتّ الرجل يبتّ بتوتاً أي هزل فلم يقدر أن يقوم .

(٢) البهت : الدهش والبحير أو التعب، واستعمال المصدر هنا مكان اسم الفاعل للمبالغـة في الوصف .

(٣) الشبرات : جمع شبرة، والشبرة (بالكسر) : العطية .

وكلاء التوزيع والاشتراكات

لكتاب الاغاني في العالم العربي

الوكلاء العموميون : **دار الثقافة** – ميدان السور – بيروت

مصر والسودان	:	**شركة توزيع الاخبار**	– ميدان التحرير	القاهرة
مصر والسودان	:	**مكتبة الخانجي**	– شارع عبد العزيز	القاهرة
العراق	:	**مكتبة المثنى**	– قاسم الرجب	بغداد
افريقيا الشمالية	:	**دار الكتب**	– الدار البيضاء	مراكش
الكويت	:	**مكتبة الطلبة**	– عبدالرحمن الخرجي	الكويت
الخليج الفارسي	:	**المكتبة الوطنية**	– ابراهيم محمد	البحرين
المملكة السعودية العربية	:	**مكتبة الثقافة**	– مكة المكرمة	المملكة السعودية

ولنا وكلاء في الحجاز ونجد والطائف وفي عموم البلاد العربية – وفي اوربا – وفي الاميركتين .

بدل الاشتراك

٣٠ ليرة لبنانية او ما يعادلها بدل اشتراك ٢٤ جزءاً بما فيه الاعداد الممتازة (يضاف اليها اجور البريد للخارج)

يراجع بخصوص الاشتراكات

دار الثقافة ص . ب ٥٤٣ – تلفون ٣٠٥٦١ – بيروت

وعموم الوكلاء

يوجد لدى الدار نسخ محدودة من المجلد الاول مجلدة تجليداً ممتازاً

الثمن ٧ ليرات – اطلبه من الدار

ثمن النسخة ٢٥٠ غ . ل .

كتاب الأغاني

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني

المجلد الثالث ـ الجزء الثالث

القسم ١١ و ١٢

الناشر

دار الثقافة

بيروت

١٩٥٥

ووليتَ فينا أشهراً فكفيتَنا عَنَتَ المُريبِ وسَلَّة التَّضليلِ[١]
تُدعى هِلالًا في الزمان ونافعاً والسِّلْمُ نِعمَ أبوَّةُ المأمولِ

فأعطاه مثلَ ما كان أبوه يُعطيه في كلّ سنة اذا وَفد عليه .

اجازته شعراً :

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا الحسن بن عُليل العَنَزيّ قال حدّثني إبراهيم ابن عُقبة الرفاعيّ قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم التمّار البَصْريّ قال :

دخل المهديُّ الى بعض حُجَر الحُرَم فنظر الى جاريةٍ منهن تغتسل، فلما رأته حَصِرَتْ[٢] ووضعت يدَها على فَرْجها، فأنشأ يقول :

نظرتْ عيني لحَيْني

ثم أُرتِجَ عليه ، فقال : مَنْ بالباب من الشعراء ؟ قالوا : بشّار ، فأذن له فدخل ؛ فقال له : أجِزْ :

نظرتْ عيني لحيني

فقال بشّار :

نظرتْ عيني لِحَيْني نَظَراً وافقَ شَيْني
سَتَرَتْ لمّا رأتني دونَه بالراحتَينِ
فَضَلَتْ منه فُضُولٌ تحت طَيِّ العُكْنتَينِ

فقال له المهديّ : قبَّحك الله ويحك ! أكنت ثالثنا ! ثم ماذا ؟ فقال :

---

(١) كذا بالأصول، والسلة معان كثيرة، فلعل أقربها هنا : إخراج السيوف من أغمادها عند القتال، ويكون المراد بسلة التضليل : ظهور التضليل وانتشاره، ولعلها « سنة التضليل » .

(٢) حصرت : استحت، وفي حديث زواج فاطمة « فلما رأت عليا جالساً الى جنب النبي حصرت وبكت » أي استحت وانقطعت كأن الأمر ضاق بها .

فتمنَّيتُ وقلبي للهوى في زَفَرتين
أنني كنتُ عليه ساعةً أو ساعتَين

فضحكَ المهديّ وأمر له بجائزة ، فقال : يا أمير المؤمنين أقنِعتَ من هذه الصفة بساعة أو ساعتين ؟ فقال : أخرج عني قبّحك الله ! فخرج بالجائزة .

الحمار الشاعر :

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال حدّثنا أبو شبل عاصم بن وَهب البُرْجميّ قال حدّثني محمد بن الحجّاج قال :

جاءنا بَشّار يوماً فقلنا له : ما لك مغتمّاً ؟ فقال : مات حماري فرأيته في النوم فقلتُ له : لمَ مُتّ ؟ ألم أكن أُحسِن اليك ! فقال :

سَيِّدي خُذْ بي أتاناً عند باب الأَصبهاني
تَيَّمتني ببنانٍ وبدَلٍّ قد شَجاني
تَيَّمتني يوم رُحنا بثناياها الحسانِ
وبغُنْجٍ ودَلالٍ سَلَّ جسمي وبَراني
ولها خدٌّ أسيلٌ مثلُ خدّ الشيفران
فلذا متُّ ولو عِشتُ إذاً طال هواني

فقلتُ له : ما الشيفران ؟ قال : ما يدريني ! هذا من غريب الحمار ، فإذا لَقيتَه فاسأله .

أخبرني الحسن قال حدّثني محمد بن القاسم قال حدّثني علي بن إياس قال حدّثني السّريّ بن الصبّاح قال :

شَهد بشّار مجلساً فقال : لا تُصَيِّروا مجلسنا هذا شعراً كلّه ولا حديثاً كلّه

ولا غناء كلّه، فإن العيش فُرَصٌ، ولكن غنّوا وتحدّثوا وتناشدوا وتعالَوْا نتناهَب العيش تناهباً.

أخبرني عمي قال حدّثني الكُراني عن ابن عائشة قال:

جاء بشّار يوماً الى أبي وأنا على الباب، فقال لي: من أنت يا غلام؟ فقلتُ: مِن ساكني الدار؛ قال: فكلمني والله بلسانٍ ذَرِبٍ وشِدْقٍ هَريتٍ[1].

أخبرني عمي قال حدّثني الكُراني عن أبي حاتم قال:

كان سُهَيل بن عُمر القرشيّ يبعث الى بشّار في كل سنة بقواصر[2] تمر، ثم أبطأ عليه سنةً؛ فكتب اليه بشّار:

تمرُكُمْ يا سُهَيلُ دُرٌّ وهل يُطْمَعُ في الدرّ مِنْ يَدَيْ مُتَعَتّي[3]
فأحْبُني يا سُهيلُ من ذلك التمرِ نواةً تكون قُرطاً لبنتي

فبعث اليه بالتمر وأضعفه له، وكتب اليه يستعفيه من الزيادة في هذا الشعر.

معابثة:

ونسختُ من كتاب هارون بن عليّ: عن عافية بن شَبيب عن الحسن بن صَفوان قال:

جلس الى بشّارٍ أصدقاءُ من أهل الكوفة كانوا على مثل مذهبه، فسألوه أن يُنشدَهم شيئاً مما أحدثه، فأنشدَهم قولَه:

---

(١) شدق هريت: واسع.

(٢) القواصر: جمع قوصرة (بتخفيف الراء) وقوصرة (بتشديدها) وهي وعاء من قصب يرفع فيه التمر من البواريّ.

(٣) متعت: مستكبر متجاوز الحد.

أنّى دعاه الشّوقُ فارتاحا من بعد ما أصبح جحجاحاً[١]

حتى أتى على قوله :

في حُلّتي جسمُ فتًى ناحلٍ لو هبّت الرّيح به طاحا[٢]

فقالوا : يابن الزانية ، أتقول هذا وأنت كأنّك فيل عرضك أكثر من طولك ! فقال : قوموا عنّي يا بني الزّناء ؛ فإني مشغول القلب ، لستُ أنشط اليومَ لمشاتمتكم .

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه عن عافية بن شبيب قال :

كان لبشّار مجلس يجلس فيه بالعشيّ يقال له البَرْدان ، فدخل اليه نسوة في مجلسه هذا فسمعن شعره ، فعشق امرأة منهنّ ، وقال لغلامه : عرّفها محبّتي لها ، واتبعها إذا انصرفت الى منزلها ؛ ففعل الغلام وأخبرها بما أمره فلم تجبه الى ما أحبّ ، فتبعها الى منزلها حتى عرفه ، فكان يتردّد اليها حتى بَرِمت[٣] به ، فشكته الى زوجها ، فقال لها : أجيبيه وعديه الى أن يجيئك الى هاهنا ففعلت ، وجاء بشّار مع امرأةٍ وجّهتْ بها اليه ، فدخل وزوجها جالسٌ وهو لا يعلم ، فجعل يحدّثها ساعة ، وقال لها : ما اسمك بأبي أنتِ ؟ فقالت : أمامة ؛ فقال :

أمامةُ قد وُصفتِ لنا بحسن وإنّا لا نَراكِ فألمسينا

قال : فأخذتْ يده فوضعتها على أير زوجها وقد أنعظ ، ففزع ووثب قائماً وقال :

عليّ أليّةٌ ما دمتُ حيّاً أمسُّكِ طائعاً إلا بعُودِ
ولا أهدي لقومٍ أنتِ فيهم سلامَ الله إلّا من بعيدِ
طلبتُ غنيمةً فوضعت كفّي على أيرٍ أشدَّ من الحديدِ
فخيرٌ منكِ من لا خيرَ فيه وخيرٌ من زيارتكم قُعودي

---

(١) الجحجاح : السيد المسارع في المكارم .
(٢) طاح : ذهب وهلك .
(٣) برمت به : سئمته وضاقت به .

وقبض زوجها عليه وقال: هممتُ بأن أفضحك؛ فقال له: كفاني، فديتُك، ما فعلتَ بي، ولستُ والله عائداً اليها أبدا، فحسبُك ما مضى، وتركه وانصرف. وقد رُوي مثل هذه الحكاية عن الأصمعيّ في قصّة بشّار هذه. وهذا الخبر بعينه يُحكى بإسناد أقوى من هذا الإسناد وأوضحَ عن أبي العبّاس الأعمى السائب بن فَرُّوخ، وقد ذكرته في أخبار أبي العبّاس باسناده.

رثاؤه أصدقاءه:

نسخت من كتاب هارون بن عليّ: قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني حمدان الآبنوسيّ قال حدّثنا أبو نُواس قال:

كان لبشّار خمسة نُدماء، فمات منهم أربعة وبقيَ واحد يقال له البَراء، فركب في زورق يريد عُبور دجلة العوراء[1] فغرق، وكان المهديّ قد نهى بشّاراً عن ذكر النساء والعشق، فكان بشّار يقول: ما خيرٌ في الدنيا بعد الأصدقاء؛ ثم رثى أصدقاءه بقوله:

يابنَ موسى ماذا يقول الإمامُ ... في فتاة بالقلب منها أوامُ
بتُّ من حبّها أوَقّرُ بالكأ ... س ويهفو على فؤادي الهيامُ[2]
ونجيّها كاعباً تُدلّ بجَهْمٍ ... كعثَبٍ[3] كأنّه حَمّامُ
لم يكن بينها وبينيَ إلّا ... كُتُبُ العاشقين والأحلامُ
يابنَ موسى أسقني ودَع عنك سلمى ... إنّ سلمى حِمًى وفيّ احتشامُ
رُبّ كأسٍ كالسَّلسبيل تعلّلتُ بها والعيون عنّي نيامُ
حُبستْ للشُّراة في بيت رأس[4] ... عُتقتْ عانساً عليها الختامُ

(١) دجلة العوراء: دجلة البصرة.
(٢) الهيام: الجنون من العشق.
(٣) الكعثب: الرّكَبُ (الفرج) الضخم الناتىء، والجهم: الغليظ.
(٤) بيت رأس: اسم لقريتين، في كل واحدة منها كروم كثيرة تنسب اليها الخمر، إحداهما ببيت المقدس، والأخرى من نواحي حلب.

نَفحتْ نَفحةً فهزّتْ نديمي بنسيمٍ وأنشقَ عنها الزُّكامُ

وكأنّ المعلولَ منها إذا را ح شَجٍ في لسانه بِرْسامُ [1]

صدمَتْه الشَّمولُ حتى بعينيه انكسارٌ وفي المفاصل خامُ [2]

وهو باقي الأطراف حَيّتْ [3] به الكأ س وماتت أوصالُه والكلامُ

وفتًى يشرَبُ المدامةَ بالما ل ويمشي يروم ما لا يُرامُ

أنفدتْ كأسُه الدنانيرَ حتى ذهب العينُ واستمرّ السَّوامُ [4]

تركتْه الصَّهباء يرنو بعينٍ نام إنسانُها وليست تَنامُ

جُنّ من شَربة تُعلّ بأخرى وبكى حين سار فيه المُدامُ

كان لي صاحباً فأودَى به الدّهـ ـر وفارقتُه عليه السلامُ

بَقيَ النّاس بعدَ هُلك نَداماي وقوعاً لم يشعروا ما الكلامُ

كجَزورْ الأيسار [5] لا كَبِدٌ فيها لباغٍ ولا عليها سَنامُ

يابنَ موسى فَقدُ الحبيب على العيـ ـن قَذاةٌ وفي الفؤاد سَقامُ

كيف يصفو ليَ النّعيم وَحيداً والأخلاء في المقابر هامُ [6]

نَفِسَتْهم [7] عليّ أمّ المنايا فأنامَتْهم بعُنفٍ فناموا

لا يَغيض انسجامُ عيني عليهم إنّما غاية الحزين السِّجامُ [8]

---

(١) البرسام : علة يُهذى فيها، وهو ورم حاد يعرض للحجاب الحاجز ثم يتصل بالدماغ ، فارسيّ معرب مركب من «بر» وهو الصدر و «سام» وهو الموت، ويقال لهذه العلة الموم ، ولعله يريد بالبرسام هنا أثره وهو الهذيان .

(٢) كذا وردت هذه الكلمة في جميع الأصول ولها معان في كتب اللغة لا تتفق والسياق إلا أن يكون قد أراد الكناية عن ارتخاء المفاصل فجعل ما بها من العظام لتثنيها وتكسّرها كأنها خام أي طاقات زرع غضة رطبة .

(٣) حيت بالادغام لغة في حيي كرضي .

(٤) العين : الذهب . واستمر : ذهب . والسوام : الإبل الراعية، والمراد بها هنا المال الراعي كالسائمة .

(٥) جزور الأيسار : الناقة التي تنحر للمقامرة عليها .

(٦) هام : أموات، يقال : أصبح فلان هامة أي مات، وهذا هامة اليوم أو غد أي أنه مشف على الموت .

(٧) نفستهم : حسدتهم عليّ .

(٨) السجام (بالكسر) : سيلان الدمع .

مدحه ابن هبيرة :

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا الرياشيّ عن الأصمعيّ :

أن بشّاراً وفد إلى عمر بن هُبَيرة وقد مدحه بقوله :

يخاف المنايا أن ترحّلتُ صاحبي ... كأنّ المنايا في المُقام تُناسِبُهْ
فقلتُ له إنّ العراق مُقامُه ... وخيمٌ اذا هبّت عليك جنائبُهْ
لألقى بني عَيلان إنّ فَعالهم[1] ... تزيد على كلّ الفَعال مَراتبُهْ
أولاك الأُلى شقّوا العمى بسيوفهم ... عن العين حتى أبصر الحقّ طالبُهْ
وجيشٍ كجُنح الليل يزحف بالحصا ... وبالشوك والخطّيِّ حُمراً ثعالبُهْ[2]
غدَونا له والشمسُ في خِدر أمّها ... تُطالعنا والطّلُّ[3] لم يجرِ ذائبُهْ
بضربٍ يذوق الموتَ من ذاق طعمَه ... وتُدرِكُ من نجّى الفِرارُ مَثالبُهْ
كأنّ مُثارَ النّقع فوقَ رؤوسنا ... وأسيافنا ليل تهاوى[4] كواكبُهْ
بعثنا لهم موتَ الفُجاءة إنّنا ... بنو الموت خفّاق علينا سَبائبُهْ[5]
فراحوا فريقٌ في الإسار ومثلُه ... قتيلٌ ومثلٌ لاذ بالبحر هاربُهْ
إذا الملك الجبّار صعّر خدّه[6] ... مَشينا اليه بالسّيوف نعاتبُهْ

فوصله بعشرة آلاف درهم ، فكانت أوّل عطيّة سنيّة أعطيها بشّار ورفعتْ من ذكره ، وهذه القصيدة هي التي يقول فيها :

---

(١) الفعال (بالفتح) : الجود والكرم .

(٢) كذا في معاهد التنصيص (ص ١٩١ طبع بولاق). والثعالب :جمع ثعلب، وهو طرف الرمح الداخل في السنان .

(٣) كذا في معاهد التنصيص (طبع بولاق ص ١٩١) .

(٤) كذا في معاهد التنصيص وأصله تهاوى أي يتساقط بعضها في أثر بعض .

(٥) السبائب : جمع سبيبة وهي شقة رقيقة من الكتان، والمراد بها هنا الرايات .

(٦) صعر خده : أماله عن النظر الى الناس تهاونا بهم وكبرا .

صوت

إذا كنتَ في كلّ الأمور مُعاتبا صديقَك لم تلق الذي لا تعاتبُه
فعِشْ واحداً أوصِلْ أخاك فإنه مُقارِفُ[1] ذنبٍ مرّةً ومجانبُه
إذا أنتَ لم تشربْ مِراراً على القَذى ظَمِئتَ وأيّ النّاس تصفو مَشاربُه

الغناء في هذه الأبيات لأبي العُبَيس بن حَمدون خفيف ثقيل بالبنصر في مجراها .

شعره في العشق :

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال ذكر أبو أيّوب المدينيّ عن الأصمعيّ قال :

كان لبشّار مجلس يجلس فيه يقال له البَرْدانَ، وكان النساء يحضُرنه فيه ، فبينما هو ذات يوم في مجلسه إذ سمع كلام امرأة في المجلس فعشِقها ، فدعا غلامه فقال : إذا تكلّمتِ المرأة عرّفْتك فاعرِفها ، فاذا انصرفتْ من المجلس فأتبعها وكلِّمها وأعلمها أنّي لها مُحبّ ؛ وقال فيها :

يا قومُ أذني لبعض الحيّ عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحيانا
قالوا: بمن لا تَرى تَهذي! فقلتُ لهم الأذن كالعين تُوفي[2] القلبَ ما كانا
هل من دواء لمشغوف بجارية يلقى بلُقيانها رَوحا[3] ورَيحانا

وقال في مثل ذلك :

قالت عُقيل بن كعب إذ تعلّقها قلبي فأضحى به من حُبّها أثرُ
أنّى ولم ترها تَهذي ! فقلتُ لهم إنّ الفؤاد يَرى ما لا يَرى البصرُ

(١) مقارف : مخالط .

(٢) توفي : تبلغ .

(٣) الرّوح (بالفتح) : نسيم الريح والراحة والسرور .

أصبحتُ كالحائم الحيران مُجتنَبا ... لم يقضِ وِرداً ولا يُرجى له صَدَرُ

قال يحيى بن عليّ وأنشدني أصحاب أحمد بن إبراهيم عنه لبشّار في هذا المعنى وكان يستحسنه :

يُزهّدني في حبّ عَبدةَ مَعشرٌ ... قلوبُهمُ فيها مخالفةٌ قلبي
فقلت دَعوا قلبي وما اختار وارتضى ... فبالقلب لا بالعين يُبصِر ذو الحبِّ
فما تُبصر العينان في موضع الهوى ... ولا تسمع الأذنان إلّا من القلبِ
وما الحسنُ إلّا كلُّ حسنٍ دعا الصّبا ... وألّف بين العشق والعاشقِ الصّبِّ

قال أبو أحمد : وقال في مثل ذلك :

يا قلبُ مالي أراكَ لا تَقِرُ(١) ... إيّاك أعني وعندكَ الخبرُ
أذعتَ بعد الأُلى مضَوا حُرَقاً ... أم ضاع ما استودعوك إذ بكَروا

قال أبو أحمد : وقال في مثل ذلك :

إنّ سليمى واللهُ يكلؤها ... كالسُّكر تَزدادهُ على السُّكرِ
بُلِّغتُ عنها شَكلاً(٢) فأعجبني ... والسَّمعُ يكفيك غَيبةَ البصرِ

مدحه المهدي :

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال حدّثني أبي قال :

زعم أبو العالية أنّ بشّارا قدِم على المهديّ، فلمّا استأذن عليه قال له الربيع : قد أذِن لك وأمرك ألّا تنشد شيئاً من الغزل والتشبيب فادخل على ذلك، فأنشده قولَه :

يا مَنظَراً حَسناً رأيتُهْ ... من وجه جارية فديتُهْ

(١) لا تقر : لا ترزن ولا تستقر، من الوقار أي الرزانة .
(٢) الشكل : غنج المرأة ودلالها .

بعثتْ إليّ تَسومني بُردَ الشّباب وقد طويَتُه
واللهِ ربِ مُحمّـد ما إن غدرتُ ولا نَويتُه
أمسكتُ عنـك وربّما عَرض البلاء وما ٱبتغيتُه
إنّ الخليفة قـد أبى واذا أبى شيئاً أبيتُـه
ومُخضّبٍ رَخص البَنـا ن بَكى عليّ وما بكَيتُه
ويشوقني بيتُ الحبيـب اذا أذّكرتُ وأينَ بيتُه
قام الخليفـة دونَه فصبرتُ عنه ومـا قلَيتُه
ونَهانيَ المِلـك الهما م عن النّسيب وما عصَيتُه
لا بل وَفيتُ فلم أُضـع عهـداً ولا رأياً رأيتُه
وأنا ٱلمطلّ علـى العِدا واذا غـلا عِلقٌ[1] شريتُه
أصفِيْ[2] الخليـلَ اذا دنا واذا نأى عنّي نأيتُـه

ثم أنشده ما مدَحه به بلا تشبيب، فحرَمه ولم يُعطه شيئاً؛ فقيل له: إنه لم يستحسن شعرك؛ فقال: والله لقد مدحتُه بشعر لو مُدح به الدهر لم يُخش صرفُه على أحد، ولكنّه كذّب أملي لأنّي كذَبت في قولي. ثم قال في ذلك:

خليليّ إنّ العسرَ سوف يُفيقُ وإنّ يساراً في غـدٍ لخليقُ
وما كنتُ إلا كالزّمان اذا صحا صَحوتُ وإن ماقَ[3] الزّمان أموقُ
أأدْماء[4] لا أستطيع في قلّة الثرى خُزوزاً ووَشياً[5] والقليلُ مَحيقُ[6]

(١) العلق: النفيس من كل شيء.

(٢) أصفي الخليل: أي أصفيه الودّ، يقال: أصفيت فلاناً الود أي أخلصته له.

(٣) ماق: حمق.

(٤) الأدماء: — لغة — الظبية التي أشرب لونها بياضاً، ومن معانيها أيضاً السمراء مؤنث آدم، وهي هنا علم، كلمياء وعفراء.

(٥) الخزوز: جمع خز وهو نوعان: أحدهما ثياب تنسج من صوف وحرير، وثانيها ثياب تنسج من الحرير وحده، والوشي: نوع من الثياب الموشية أي المنقوشة التي خلط فيه لون بلون.

(٦) محيق: لا خير فيه وهو فعيل من «محقه الله» أي أذهب خيره وبركته.

خُذي من يدي ما قلّ إنّ زمانَنا شَموسٌ [1] ومعروفُ الرجال رقيقُ
لقد كنتُ لا أرضى بأدنى مَعيشة ولا يَشتكي بُخلًا عليّ رفيقُ
خليليّ إنّ المال ليس بنافع اذا لم ينَل منه أخٌ وصديقُ
وكنتُ اذا ضاقت عليّ محلّةٌ تيمّمتُ أخرى ما عليّ تَضيقُ
وما خاب بينَ الله والناس عاملٌ له في التقى أو في المحامد سُوقُ
ولا ضاق فضلُ الله عن مُتعفّفٍ ولكنّ أخلاقَ الرجال تَضيقُ

تهدد المهدي له :

أخبرني حبيب بن نصر قال حدّثني عمر بن شبّة قال :

بلغ المهديَّ قولُ بشّار :

قاسِ الهمومَ تنلْ بها نُجحا والليلَ إنّ وراءه صُبُحا
لا يُؤيِسنّك من مُخبّأة قولٌ تُغلّظه وإن جَرَحا
عُسر النِساء إلى مُياسَرةٍ والصّعبُ يُمكن بعد ما جَمَحا

فلمّا قدِم عليه أستنشده هذا الشعرَ فأنشده إياه ، وكان المهديّ غيوراً ، فغضِب وقال : تلك أمّك يا عاضّ كذا من أمّه [2] أتحضّ الناس على الفجور وتقذف المحصَنات المخبّآت . والله لئن قلتَ بعد هذا بيتاً واحداً في نسيبٍ لآتينّ على روحك ؛ فقال بشّار في ذلك :

والله لولا رِضا الخليفة ما أعطيتُ ضيما عليّ في شَجنِ
وربّما خِيرَ لابن آدمَ في الـكُره وشقّ الهوى على البدنِ

(١) شموس : متنكر، ومنه فرس شموس : لا يمكن أحداً من ظهره، ورجل شموس : عسر في عداوته شديد الخلاف على من عانده .

(٢) يريد « يا عاض بظر أمه » والبظر : هنة تقطعها الخافضة من فرج المرأة عند الختان، وفي حديث الحديبية « امصص بظر اللات » .

فاشرب على أُبنة الزّمان فما تلقى زمانا صفا من الأُبن[١]
الله يُعطيك من فواضله والمرء يُغضي عيناً على الكُمن[٢]
قد عشتُ بين الرّيحان والراح والمِزهر[٣] في ظلّ مجلسٍ حسنِ
وقد ملأتُ البلاد ما بين فغفور[٤] الى القيروان فاليمنِ

قال عمر بن شبّة : فغفور : ملك الصين .

شعرا تصلّي له العواتق[٥] والثيّب[٦] صلاةَ الغُواة للوثَنِ
ثم نهاني المهديّ فانصرفتْ نفسي صنيعَ الموفّق اللّقِنِ[٧]
فالحمد لله لا شريكَ له ليس بباق شيء على الزّمن

ثم أنشده قصيدته التي أوّلها :

تجاللتُ عن فِهرٍ وعن جارتَي فهرِ

ووصف بها تركه التشبيب ، ومدحه فقال :

---

(١) الأبن : جمع أبنة وهي العداوة والحقد، والمراد هنا الكدر .

(٢) الكمن : جمع كمنة وهي جرب وحمرة تبقى في العين من رمد يساء علاجه، وقيل : ورم في الأجفان، وقيل : قرح في المآقي .

(٣) في ح : « المزمر » ولم نجد في كتب اللغة التي بين أيدينا « مزمر » والوارد « مزمار » ، وفي باقي الأصول : « والراح والزهر » وهو غير مستقيم الوزن، والظاهر أن كلتا الكلمتين « المزمر »، « والزهر »، محرّفة عن « المزهر » وهو العود يضرب به أو الدف الكبير ينقر عليه .

(٤) « فغفور » (وزان عصفور) : لقب كل من ملك الصين، كالنجاشي للحبشة، وقيصر للروم، وخاقان للترك، وكسرى للفرس؛ وجاء في أقرب الموارد « والفغفوريّ » : الخزف الجيد يؤتى به من الصين نسبة الى فغفور وهي بلاد الصين »، ولعلها المرادة في هذا الشعر . وفي الأصول : « يغبور »

(٥) العواتق جمع عاتق وهي الجارية أول ما أدركت .

(٦) يريد بقوله « والثيب » الثيبات جمع ثيب وهي نقيض البكر ؛ وهذا الجمع غير موجود في كتب اللغة ولا يكون كذلك إلا على توهم أن مفرده ثيباء، ولعله مما يقع في الشعر ضرورة، قال ابن الرومي :

الآن حين طلعت كل ثنية ووطئت أبكار الكلام وثيبه

(٧) اللقن : سريع الفهم .

تَسلَّى عن الأحباب صَرْمُهُ خُلّةً ... ووصالُ أخرى ما يُقيم على أمرِ
وركّاض أفراس الصَّبابة والهوى ... جرت حِجَجاً ثم أستقرّت فما تجري
فأصبحن ما يُركبن إلّا الى الوغى ... وأصبحتُ لا يُزرى عليّ ولا أزري
فهذا وإنّي قد شَرَعتُ[١] مع التقى ... وماتت هموي الطارقاتُ فما تسري

ثم قال يصف السفينة :

وعذراء لا تجري بلا لحمٍ ولا دمٍ ... قليلة شكوى الأَيْن[٢] مُلجَمة الدُّبْرِ
إذا ظَعَنت[٣] فيها الفُلول[٤] تَشخَّصت ... بفُرسانها لا في وُعوث[٥] ولا وعرِ
وإن قصدت زلّت على مُتنصِّب ... ذليل القوى لا شيء يَفري كما تفري
تُلاعبُ تيّار البحور وربّما ... رأيت نفوس القوم من جريها تجري

قال : وكان قال : « نِينان البحور » فعابه بذلك سيبويه[٦] فجعله « تيّار البحور » .

الى ملك من هاشم في نبوّة ... ومن حِمْيرٍ في الملك في العدد الدَّثرِ[٧]
مِنَ المشترين الحمد تندَى من النَّدى ... يداه ويندَى عارضاه من العِطرِ
فألزمتُ حبلي حبلَ من لا تُغِبّه ... عُفاة الندى من حيثُ يَدري ولا يَدري
بَنى لك عبد الله بيتَ خلافة ... نزلتَ بها بين الفَراقد والنَّسرِ

---

(١) شرعتُ مع التقى : أظهرتُ الحق وقمعتُ الباطل باصطحابي التقى.

(٢) الأين : الإعياء .

(٣) كذا في مختارات البارودي (ج ٤ ص ١) وفي جميع الأصول : « طعنت » بالطاء المهملة .

(٤) الفلول : الجماعات .

(٥) وعوث : جمع وعث وهو المكان السهل اللين .

(٦) جمع نون على نينان أثبته صاحب القاموس وصاحب اللسان وآستشهد له بحديث عليّ رضي الله عنه : « يعلم اختلاف النينان في البحار الغامرات »، وحكى السيد المرتضي في شرح القاموس تخطئة سيبويه لبشار، ثم قال : واستعمله المتنبي وغلطوه أيضاً .

(٧) الدثر : الكثير من كل شيء .

وعنـدك عهدٌ من وَصاة[1] محمد فَرَعتَ[2] به الأملاكَ من ولد النَّضرِ

هجاؤه المهدي :

فلم يَحظَ منه أيضاً بشيء، فهجاه فقال في قصيدته :

خليفـةٌ يزني بعماته يلعب بالدَّبوق[3] والصَّولجانْ
أبدلنـا الله بـه غيرَه ودسَّ موسى في حِرِ الخيزُران[4]

وأنشدها في حَلْقة يونس النَّحويّ، فسُعي به الى يعقوب بن داود، وكان بشَّار قد هجاه فقال :

بني أميَّة هُبّوا طـال نومكُمُ إنَّ الخليفـة يعقوب بنُ داودِ
ضاعتْ خلافتكم يا قوم فألتمسوا خليفةَ الله بينَ الزِّقّ والعودِ

فدخل يعقوب على المهديّ فقال له : يا أمير المؤمنين، إنَّ هـذا الأعمى المُلحد الزنديق قد هجاك؛ فقال : بأيّ شيء ؟ فقال : بما لا ينطق به لساني ولا يتوهَّمه فكري؛ قال له : بحياتي إلّا أنشدتني ! فقال : والله لو خيَّرتَني بين إنشادي إياه وبين ضرب عنقي لأخترت ضرب عنقي؛ فحلف عليه المهديّ بالأيمان التي لا فُسحة فيها أن يخبره؛ فقال : أمّا لفظا فلا، ولكنّي أكتبُ ذلك، فكتبه ودفعه اليه؛ فكاد ينشقّ غيظاً، وعمد على الأنحدار الى البصرة للنَّظر في أمرها، وما وكْدُه[5]

(١) الوصاة : الوصية .

(٢) فرعت : علوت بالشرف، يقال : فرع فلان القوم أي علاهم بالشرف أو الجمال .

(٣) الدبوق : لعبة يلعب بها الصبيان ذكرها صاحب القاموس وصاحب اللسان في مادة «دبق» وقالا : هي لعبة معروفة، ولم يبيناها . قال صاحب السعادة أحمد تيمور باشا فيما كتبه في المجلة السلفية المجلد الثاني ص ٩٤ عن لعب العرب في الكلام على هذه اللعبة بعد أن استشهد بهـذا الشعر : «ولا ندري هل الصولجان من لوازمه ليكون شيئاً كالكرة ونحوها أم هما لعبتان قرن بينهما في شعره» .

(٤) الخيزران : جارية من جواري المهديّ وهي أم ولديه موسى وهارون .

(٥) وكده : قصده .

غيرِ بشّار، فانحدر، فلما بلغ الى البَطيحة[1] سمع أذاناً في وقت ضُحى النهار، فقال: أنظُروا ما هذا الأذان! فإذا بشّار يُؤذّن سكرانَ؛ فقال له: يا زنديقُ يا عاضّ بَظْر أمه، عجبتُ أن يكون هذا غيرَك، أتلهو بالأذان في غير وقت صلاة وأنت سكران! ثم دعا بآبن نَهيك فأمره بضربه بالسّوط فضربه بين يديه على صدر الحرّاقة[2] سبعين سوطاً أتلفه فيها، فكان اذا أوجعه السوط يقول: حَسِّ — وهي كلمة تقولها العرب للشيء اذا أوجع — فقال له بعضهم: انظر الى زندقته يا أمير المؤمنين، يقول: حَسِّ، ولا يقول: باسم الله؛ فقال: ويلك! أطعامٌ هو فأُسمّيَ الله عليه! فقال له الآخر: أفلا قلتَ: الحمد لله؛ قال: أوَنعمةٌ هي حتى أحمد الله عليها! فلما ضربه سبعين سوطاً بان الموت فيه، فأُلقيَ في سفينة حتى مات ثم رُميَ به في البَطيحة، فجاء بعض أهله فحملوه الى البصرة فدُفن بها.

وفاة بشار:

أخبرني عمي قال حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال حدّثني خالد بن يزيد بن وهب بن جرير عن أبيه قال:

لما ولِيَ صالح بن داود أخو يعقوب بن داود وزيرِ المهديّ البصرةَ، قال بشّار يهجوه:

هُمُ حَملوا فوقَ المنابرِ صالحاً أخاكَ فضجّت من أخيكَ المنابرُ

فبلغ ذلك يعقوب فدخل على المهديّ فقال: يا أمير المؤمنين، أبلَغ من قدر هذا الأعمى المشرك أن يهجوَ أمير المؤمنين! قال: ويحك! وما قال؟ قال: يُعفيني أمير المؤمنين من إنشاده، ثم ذكر باقيَ الخبر مثل الذي تقدّمه. فقال خالد بن يزيد بن وهب في خبره: وخاف يعقوب بن داود أن يَقدَم على المهديّ فيمدحه

(١) البطيحة: أرض واسعة بين واسط والبصرة.

(٢) الحراقة: واحدة الحراقات وهي سفن بالبصرة فيها مرامي نيران يرمى بها العدوّ.

ويعفو عنه، فوجّه اليه من أستقبله فضربه بالسِّياط حتى قتله ثم ألقاه في البَطيحة في الخَرّارة[١] .

هجاؤه يعقوب الوزير :

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنا عليّ بن محمد النَّوفليّ عن أبيه وعن جماعة من رُواة البصريين ، وأخبرنا يحيى بن عليّ عن أحمد بن أبي طاهر عن عليّ بن محمد ، وخبره أتم ، قالوا :

خرج بشّار الى المهديّ ، ويعقوب بن داود وزيرُه ، فمدحه ومدح يعقوب ، فلم يحفل به يعقوب ولم يُعطه شيئاً ، ومرّ يعقوب ببشّار يريد منزله ، فصاح به بشّار :

طال الثَّواء على رُسوم المنزلِ

فقال يعقوب :

فإذا تشاء أبا مُعاذٍ فأرْحلِ

فغضِب بشّار وقال يهجوه :

بني أميَّة هُبُّوا طال نومكم ... إنّ الخليفة يعقوبُ بن داودِ
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا ... خليفة الله بين الزِّقّ والعُودِ

قال النوفليّ : فلما طالت أيام بشّار على باب يعقوب دخل عليه ، وكان من عادة بشّار اذا أراد أن يُنشد أو يتكلّم أن يتفُل عن يمينه وشماله ويُصفِّق بإحدى يديه على الأخرى ، ففعل ذلك وأنشد :

يعقوبُ قد ورد العفاةُ عشيَّةً ... مُتعرّضين لسَيبك المُنتابِ[٢]

---

(١) الخرّارة : موضع بالبطيحة .

(٢) المنتاب : الذي يأتي مرة بعد أخرى .

فسقيتَهم وحسبتَني كمُّونــةً   نَبتت لزارعها بغير شرابِ
مَهلًا لديك فإنّني رَيحانــةٌ   فاْشمُمْ بأنفك وأسقِها بذِنابِ[١]
طال الثواء على تنظُّرِ حاجةٍ   شَمِطت[٢] لديك فمن لها بخضابِ
تُعطي الغزيرة[٣] درَّها فإذا أبت   كانت مَلامتُها على الحُلّابِ

يقول ليعقوب: أنت من المهديّ بمنزلة الحالب من الناقة الغزيرة التي اذا لم يُوصَل الى درّها فليس ذلك من قِبَلها، إنّما هو من منع الحالب منها، وكذلك الخليفة ليس[٤] من قِبَله لسَعَة معروف إنّما هو من قِبَل السبب اليـه. قال: فلم يعطِف ذلك يعقوبَ عليه وحرَمه، فانصرف الى البصرة مُغضباً. فلما قدِم المهديُّ البصرة أعطى عطايا كثيرةً ووَصل الشعراء، وذلك كلُّه على يدي يعقوب، فلم يُعطِ بشّاراً شيئاً من ذلك، فجاء بشّار الى حَلقة يونسَ النَّحْويّ فقال: هل ها هنا أحد يُحتَشم[٥]؟ قالوا له: لا؛ فأنشأ بيتاً يَهجُو فيه المهديّ، فسعى به أهلُ الحلقة الى يعقوب؛ فقال يونس للمهديّ: إنّ بشّاراً زِنديق وقامت عليه البيّنة عندي بذلك، وقد هجا أمير المؤمنين، فأمر ابنَ نَهيك بأخذه، وأزِف خروجُهم فخرجوا وأخرجه ابن نَهيك معه في زَورق. فلما كانوا بالبَطيحة ذكره المهديّ فأرسل الى ابن نَهيك يأمرُه أن يضرب بشّاراً ضربَ التلف ويُلقيَه بالبطيحة، فأمر به فأُقيم على صدر السفينة وأمر الجلّادين أن يضربوه ضرباً يُتلِفون فيه نفسَه ففعلوا ذلك، فجعل يَسترجع[٦]؛ فقال بعض من حضر: أما تراه لا يحمد الله! فقـال بشّار: أنعمةٌ

(١) ذناب: جمع ذنوب، والذنوب: الدلو الملأى.

(٢) شمطت: تأخر قضاؤها وطال عليها الأمد، وأصل الشمط أن يخالط سواد الرأس بيـاض الشيب.

(٣) الغزيرة: الكثيرة الدرّ.

(٤) مرجع ضمير «ليس» المنع.

(٥) يحتشم: يحذر ويهاب محضره، وقد أنكر صاحب اللسان مجيء «احتشم» متعدياً فقال: ولا يقال: احتشمته، ثم نقل عن الليث في قول القائل: «ولم يحتشم ذلك» أنه من قبيـل حذف من وإيصال الفعل الى المجرور. وجاء في أساس البلاغة: «أنا أحتشمك وأحتشم منك: أي أستحي».

(٦) يسترجع: يقول: إنا لله وإنا اليه راجعون.

هي فأحمدَ الله عليها! إنَّما هي بليَّة أسترجع عليها ، فضُرب سبعين سوطاً مات منها وأُلقي في البطيحة .

قال يحيى بن عليّ فحكى قَعْنب بن محرز الباهليّ قال حدّثني محمد بن الحجّاج قال :

لما ضُرب بشّار بالسِّياط وطُرح في السفينة قال : ليت عينَ أبي الشَّمقمق رأتني حين يقول :

إنَّ بشّارَ بنَ بردٍ تيسٌ أعمى في سفينه[١]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عَمّار وحبيب بن نصر المهلّبي قالا حدّثنا عمر بن شبَّة قال :

أمر المهديّ عبد الجبار صاحب الزنادقة فضرب بشّاراً، فما بقي بالبصرة شريفٌ إلا بعث اليه بالفَرْش والكُسْوة والهدايا ومات بالبطيحة . قال : وكانت وفاته وقد ناهز ستين سنة .

قال عمر بن شبَّة حدّثني سالم بن عليّ ، قال : كنّا عند يونس فنعى بشّاراً الينا ناعٍ، فأنكر يونسُ ذلك وقال : لم يمتْ؛ فقال الرجل : أنا رأيت قبرَه، فقال : أنت رأيته ؟ قال : نعم ، وإلا فعليّ وعليّ ، وحلَف له حتى رضيَ ، فقال يونسُ : « لِليدين ولِلفم[٢] » .

قال أبو زيد وحدّثني جماعة من أهل البصرة منهم محمد بن عَوْن بن بَشير ، وكان يُتَّهم بمذهب بشّار ، فقال :

---

(١) كان العرب اذا هجوا إنساناً بالغباوة أو بالنتن قالوا : انما هو تيس، فاذا أرادوا الغاية في الغباوة قالوا : ما هو إلا تيس في سفينة . انظر الحيوان للجاحظ .

(٢) استعمل يونس هاتين الكلمتين في الشماتة بهلاك بشار، وهما في الأصل مثل يقال عند الشماتة بسقوط إنسان، والمراد أسقطه الله على يديه ورجليه، وفي الحديث أن عمر رضي الله عنه أتى بسكران في رمضان فتعثر بذيله فقال عمر : لليدين وللفم، أولداننا صيام وأنت مفطر ! ثم أمر به فحدّ . انظر مجمع الأمثال للميداني ج ٢ ص ١٣٤ .

لمّا مات بشّار أُلقيتْ جُثته بالبطيحة في موضع يُعرف بالخرّارة، فحمله الماء فأخرجه الى دجلة البصرةِ فأُخِذَ فأُتِيَ بـه أهله فدفنوه، قال وكان كثيراً ما ينشدني :

ستَرى حـولَ سَريري حُسَّراً[1] يَلطِمن لَطْـما
يا قَتيـلا قتلتْه عبـدةُ الحوراء ظلما

قال وأُخرِجتْ جنازتُه فما تبِعها أحدٌ إلّا أَمَةٌ له سوداء سِنديّة عجماء ما تُفصح، رأيتُها خلفَ جنازته تَصيح : وا سيّداه ! وا سيّداه !.

شماتة الناس بموته :

قال أبو زيد وحدّثني سالم بن عليّ قال :

لمّا مات بشّار ونُعيَ الى أهـل البصرة تَباشر عامّتهم وهنّأ بعضُهم بعضاً وحمِدوا الله وتصدّقوا، لِما كانوا مُنُوا[2] به من لسانه.

وقال أبو هشام الباهليّ فيما أخبرنا به يحيى بن عليّ في قتل بَشّار :

يا بُؤسَ مَيْتٍ لم يَبكِهِ أحدُ أجلْ ولم يَفتقدْه مُفتقِـدُ
لا أمٌ أولاده بكتْـه ولم يَبكِ عليـه لفُرقةٍ وَلَدُ
ولا ابنُ أختٍ بكَى ولا ابنُ أخٍ ولا حَمـيمٌ رقّت له كَبِدُ
بل زعموا أنّ أهلَـه فَرحاً لمّا أتاهم نَعيُـه سَجَدوا

قال : وقال أيضاً في ذلك :

قد تبِع الأعمى قَفـا عَجْرَدٍ فأصبحا جـارَين في دارِ
قالت بِقـاعُ الأرض لا مَرحباً برُوح حمّـادٍ وبشّارِ

(١) حسر : جمع حاسر وهي المكشوفة الوجه أو الذراعين.

(٢) منوا : ابتلوا.

تَجاوِرا بعد تَنائيهما ما أبغضَ الجارَ الى الجارِ
صارا جميعاً في يَدي مالكٍ في النّار والكافرُ في النارِ

قال أبو أحمد يحيى بن عليّ وأخبرنا بعض إخواني عن عمر بن محمد عن أحمد بن خَلّاد عن أبيه قال:

مات بشّار سنة ثمان وستين ومائة وقد بلغ نَيِّفا وسبعين[1] سنة.

ندم المهدي على قتله:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال:

لمّا ضرب المهديّ بشّاراً بعث الى منزله من يُفتّشه، وكان يُتّهم بالزندقة فوُجد في منزله طُومار[2] فيه:

بسم الله الرّحمن الرّحيم

إني أردت هجاء آل سليمان بن عليّ لبخلهم فذكرتُ قرابتَهم من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأمسكت عنهم إجلالا له صلّى الله عليه وسلّم، على أنّي قد قلتُ فيهم:

دينارُ آلِ سليمانٍ ودرهمُهم كالبابليّين[3] حُفّا بالعفاريتِ
لا يُبصَران ولا يُرجى لقاؤهما كما سمعتَ بهارُوتٍ وماروتِ[4]

---

(١) كذا في أكثر الأصول، وفي بعضها: «وتسعين» ومثل هذا ورد في معاهد التنصيص ص ١٣٧.

(٢) الطومار كالطامور: الصحيفة، قال ابن سيده: قيل هو دخيل، وأراه عربياً محضاً لأن سيبويه قد اعتدّ به في الأبنية فقال: هو ملحق بفسطاط (انظر لسان العرب مادة «طمر»).

(٣) نسبة الى بابل وهي ناحية منها الكوفة والحِلّة ينسب اليها السحر والخمر.

(٤) هاروت وماروت: ملكان، وقد ورد ذكرهما في القرآن الكريم في قوله تعالى: (وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت).

فلمّا قرأه المهديّ بكى وندِم على قتله، وقال: لا جزَى الله يعقوب بن داود خيراً، فإنّه لمّا هجاه لفّق عندي شهوداً على أنه زنديق فقتلتُه ثمّ ندمت حين لا يُغني النّدم.

أخبرني محمد بن خلَف بن المَرزُبان قال حدّثنا عمر بن محمد بن عبد الملك قال حدّثني محمد بن هارون قال:

لمّا نزل المهديّ البصرةَ كان معه حَمْدُويَه صاحبُ الزّنادقة فدفع اليه بشّاراً وقال: اضرِبْه ضربَ التلف، فضربه ثلاثةَ عشرَ سوطاً، فكان كلّما ضربه سوطاً قال له: أوجعتَني ويلك! فقال: يا زنديق: أُتضرَب ولا تقول: باسم الله! قال: ويلك! أثَريدٌ هو فأسمّيَ الله عليه! قال: ومات من ذلك الضَّرب.

ولبشّار أخبار كثيرة قد ذُكِرَتْ في عدّة مواضع: منها أخباره مع عَبْدة فإنّها أُفردت في بعض شعره فيها الذي غنّى فيه المغنّون، وأخباره مع حمّاد عَجْرد في تَهاجيهما فإنّها أيضاً أفردتْ، وكذلك أخباره مع أبي هاشم الباهليّ فإنّا لم نجمع جميعها في هذا الموضع، إذ كان كلّ صِنفٍ منها مُستغنياً بنفسه حسبما شُرِط في تصدير الكتاب.

اخبار يزيد حوراء

يزيد حَوْراء رجل من أهل المدينة ثم من موالي بني لَيْث بن بَكْر بن عبد مَناة ابن كنانة، ويُكنى أبا خالد، مُغنٍّ محسنٌ كثيرُ الصَّناعة، من طبقة ابن جامع وإبراهيم الموصليّ، وكان ممن قدم على المهديّ في خلافتـه فغنّاه، وكان حسن الصوت حُلوَ الشمائل:

حسد الموصلي له:

وذكر ابن خُرْداذْبَهْ أنه بلغه أن إبراهيم الموصليّ حسده على شمائله وإشارته في الغناء، فاشترى عدّةَ جوارٍ وشاركه فيهنّ، وقال له: عَلِّمْهن فما رَزَق الله فيهن من ربْحٍ فهو بيننا، وأمرهن أن يجعلنَ وَكْدَهنّ[1] أَخْذَ إشارته ففعلن ذلك، وكان إبراهيم يأخذها عنهنَّ هو وابنه ويأمرهن بتعليم كلّ من يعرفنَه ذلك حتى شهرها في الناس، فأبطلَ عليه ما كان منفرداً به من ذلك.

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثني جماعةٌ من موالي الرشيد:

أن يزيد حوراء كان صديقاً لأبي العَتاهِيَة، فقال أبو العتاهية أبياتاً في أمر عُتْبَةَ يتنجّز فيها المهديَّ ما وعده إيّاه من تزويجها، فإذا وجد المهديَّ طيِّبَ النفسِ غنّاه بها، وهي:

ولقد تَنَسَّمتُ الرِّياحَ لحاجتي ... فإذا لها من راحتَيْكَ نسيمُ

(١) الوكد: القصد.

أشربتُ نفسي من رجائك ما له عَنَقٌ يَخُبُّ اليك بي ورَسيمُ[1]
ورَميتُ نحوَ سماءِ جودِكَ[2] ناظري أرعى مخايلَ بَرْقِهِ وأشيمُ
ولربّما أستيأستُ ثم أقولُ لا ، إنّ الذي ضَمِنَ النجاحَ كريمُ

فصَنَع فيها لحناً وتوخّى لها وقتاً وَجد المهديَّ فيه طيّبَ النفسِ فغنّاه بها ، فدعا بأبي العتاهِيَة وقال له : أمّا عُتبة فلا سبيل اليها لأنّ مولاتها مَنعت من ذلك ولكن هذه خمسون ألفَ درهمٍ فأشترِ ببعضها خيراً من عُتبة ، فحُمِلتْ اليه وأنصرف .

نظافته :

أخبرني عمي قال حدّثني أحمد بن المَرْزُبان قال حدّثنا شَيْبة بن هشام عن عبد الله بن العبّاس الرّبيعي[3] قال :

كان يزيد حوراء نظيفاً ظريفاً حسنَ الوجه شَكِلاً[4]، لم يَقْدَمْ علينا من الحجاز أنظفُ ولا أشكلُ منه ، وما كنتَ تشاء أن ترى خَصْلةً جميلةً فيه لا تراها في أحد منهم إلا رأيتَها فيه ، وكان يتعصَّب لإبراهيم الموصليّ على أبن جامع ، فكان إبراهيم يرفع منه ويُشيع ذكرَه بالجميل وينبّه على مواضع تقدُّمه وإحسانه ويَبْعث بأبنه إسحاقَ اليه يأخذُ عنه .

رثاه صديقه ابو مالك حين مات :

وكان صديقاً لأبي مالكٍ الأعرج التّميميّ لا يكادُ أن يُفارقه ، فمرض

---

(١) العنق والرسيم : ضربان من ضروب السير .

(٢) الجود (بفتح الجيم) : المطر الغزير ، ومن الجائز أن تكون بضم الجيم بمعنى الكرم . وفي زهر الآداب : «صوبك» .

(٣) في جميع الأصول : « الربعي » بدون ياء بعد الباء وهو عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع والنسبة اليه ربيعيّ بإثبات الياء وله ترجمة في الجزء السابع العشر من الأغاني طبع بولاق .

(٤) شكلا : ذا دل وغزل .

مرضاً شديداً واُحتُضِر، فاغتمّ عليه الرشيدُ وبعث بمسرورٍ الخادم يسأل عنه، ثم مات؛ فقال أبو مالك يَرثيه:

صوت

لم يُمتَّعْ من الشباب يزيدُ　　صار في التُّربِ وهو غضٌّ جديدُ
خانَه دهرُه وقابَلَه منه بنحسٍ ودابَرَتْه[1] السُّعودُ
حين زُفَّتْ دُنياه من كلّ وجهٍ　　وتدانى اليه منه البعيدُ
فكأنْ لم يكنْ يزيدُ ولم يَشجُ نَديماً يَهُزُّه التَّغريدُ

وفي هذه الأبيات لحسين بن محرز لحنٌ من الثقيل الثاني بالبنصر، من نسخة عمرو بن بانة.

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال حدّثني أحمد ابن أبي يوسف قال حدّثني الحسين بن جُمهور بن زياد بن طَرْخان[2] مولى المنصور قال حدّثني أبو محمد عبد الرحمن بن عُيَينة بن شارِيةَ الدُّؤليّ قال حدّثني محمد بن مَيمون أبو زيد قال حدّثني يزيد حوراء المغنّي قال:

كلّمني أبو العَتاهِيَة في أن أُكلِّم له المهديّ في عُتبةَ، فقلت له: إن الكلام لا يمكنني ولكن قل شعراً أُغنِّه به، فقال:

صوت

نفسي بشيءٍ من الدنيا مُعلَّقةٌ　　اللهُ والقائمُ المهديُّ يكفيها

(١) دابرته: ولته دبرها ولم تقبل عليه.

(٢) طرخان بفتح الطاء والمحدّثون يضمّونها ويكسرونها، وقد نبه على ذلك صاحب القاموس فقال: ولا تضمّ ولا تكسر وإن فعله المحدّثون؛ وهي كلمة خراسانية معناها «الرئيس الشريف» وجمعها «طراخنة».

إني لأيأسُ منها ثم يُطمِعُني　　فيها احتقارُكَ للدنيا وما فيها

قال: فعَمِلتُ فيه لحناً وغنَّيته به، فقال: ما هذا؟ فأخبرتُه خبرَ أبي العتاهية، فقال: ننظر فيما سأل، فأخبرتُ أبا العتاهية، ثم مضى شهرٌ فجاءني وقال: هل حدث خبر؟ فقلت: لا، قال: فأذكِرْني للمهديّ، قلت: إن أحببتَ ذلك فقل شعراً تُحرِّكه وتُذكِّره وعدَه حتى أغنِّيَهُ به، فقال:

صوت

ليتَ شعري ما عندكم ليتَ شعري　　فلقد أُخِّرَ الجوابُ لأمرِ
ما جوابٌ أولى بكلِّ جميلٍ　　من جوابٍ يُرَدُّ من بعد شهرِ

قال يزيد: فغنَّيت به المهديّ فقال: عليَّ بعُتْبة فأُحضِرَتْ، فقال: إنّ أبا العتاهية كلَّمني فيكِ، فما تقولين، ولك وله عندي ما تُحِبّان مما لا تبلغُه أمانيكما؟ فقالت له قد عَلِم أميرُ المؤمنين ما أوجب الله عليَّ من حقِّ مولاتي، وأريد أن أذكُرَ لها هذا، قال: فافعلي؛ قال: وأعلمتُ أبا العتاهية، ومضتْ أيامٌ فسألني معاودَةَ المهديّ، فقلت: قد عرفتَ الطريقَ فقل ما شئتَ حتى أغنّيَه به، فقال:

صوت

أشربتُ قلبي من رجائك ما له　　عَنَقٌ يَخُبُّ اليك بي ورسيمُ
وأمَلتُ نحوَ سماء جودِكِ ناظري　　أرعى مَخايِلَ بَرْقِها وأشيمُ
ولربَّما استيأستُ ثم أقول لا　　إنّ الذي وَعَدَ النجاحَ كريمُ

قال يزيد: فغنَّيته المهديّ، فقال: عليَّ بعُتْبة فجاءت، فقال: ما صنعتِ؟ فقالت: ذكرتُ ذلك لمولاتي فكرِهتْه وأبته، فليفعل أميرُ المؤمنين ما يُريد، فقال: ما كنتُ لأفعلَ شيئاً تكرَهه، فأعلمتُ أبا العتاهية بذلك، فقال:

قَطَعْتُ منكِ جائِلَ الآمالِ وأَرَحْتُ من حلٍّ ومن تَرْحالِ
ما كان أَشأمَ إذ رجاؤكِ قاتِلي[١] وبناتُ وَعْدِكِ يَعتلِجنَ[٢] ببالي
ولئن طَمِعتُ لَرُبَّ بَرْقةِ خُلَّبٍ مالتْ بذي طَمَعٍ ولمعةِ آلِ

مغازلته لجارية :

أخبرني محمد بن أبي الأزهر قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

قال يزيد حوراء : كنت أجلِس بالمدينة على أبواب قُرَيش، فكانت تمرّ بي جاريةٌ تختلف الى الزرقاء تتعلّم منها الغِناء، فقلت لها يوماً : افهَمي قولي وردّي جوابي وكوني عند ظنّي، فقالت : هاتِ ما عندك، فقلت : بالله ما اسمك ؟ فقالت : ممنّعة؛ فأطرقتُ طِيَرَةً[٣] من اسمها مع طَمَعي فيها، فقلت : بل باذلة أو مبذولة إن شاء الله، فاسمعي منّي، فقالت وهي تتبسّم : إن كان عندك شيءٌ فقل، فقلت :

لِيَهنكِ[٤] منّي أنني لستُ مُفشِياً هواكِ الى غيري ولو مُتُّ من كَرْبِ
ولا مانحاً خَلقاً سواكِ مودّتي ولا قائلاً ما عشتُ من حبّكم حَسْبي

قال : فنظرتْ اليّ طويلاً، ثم قالت : أَنْشُدُكَ اللهَ، أعن فَرْطِ محبّة أم اهتياج غُلمةٍ تكلّمتَ؟ فقلت : لا والله ولكن عن فَرْط محبّة، فقالت :

فوالله ربِّ الناس لا خُنتُكَ الهوى ولا زلتَ مخصوصَ المحبّة من قلبي
فثِقْ بي فإنّي قد وَثِقتُ ولا تكنْ على غيرِ ما أظهرتَ لي يا أخا الحُبِّ

---

(١) هكذا في جميع الأصول والديوان، وفي كتاب زهر الآداب : « قادني » .

(٢) يعتلجن ببالي : يقمن ويخطرن، على المجاز من قولهم : اعتلج الموج اذا التطم .

(٣) طيرة : تشؤما .

(٤) كذا في الأصول، وقد أنكر صاحب اللسان هذا الاستعمال فقال : والعرب تقول ليهنئك الفارس بجزم الهمزة وليهنيك الفارس بياء ساكنة ولا يجوز « ليهنك » كما تقول العامة ؛ ولكن السيد المرتضي ذكر أنه ورد في صحيح البخاري (انظره في مادة هنأ) .

قال: فوالله لكأنما أضرمتْ في قلبي ناراً، فكانت تلقاني في الطريق الذي كانت تسلُكُهُ فتحدّثني وأتفرّج[1] بها، ثم اشتراها بعض أولاد الخلفاء، فكانت تكاتبني وتُلاطفني دهراً طويلاً.

صوت

من المائة المختارة

يا ليلةً جمعتْ لنا الأحبابا لو شئتِ دام لنا النعيمُ وطابا
بتنا نُسقّاها شَمولا قَرْقَفاً[2] تدعُ الصحيحَ بعقله مُوتابا
حمراء مثل دمِ الغزال وتارة عند المِزاج تخالها زِريابا[3]
من كفِّ جاريةٍ كأنّ بنانَها من فِضّة قد قُمّعَت[4] عُنّابا
وكأنّ يُمناها اذا نقرتْ بها تُلقِي على الكفِّ الشِّمال حِسابا

عروضه من الكامل. الشعر لعُكّاشة العَمّيّ، والغناء لعبد الرحيم الدّفّاف، ولحنُه المختارُ هَزَجٌ بإطلاق الوتر في مَجرى الوُسطى.

---

(١) أتفرج بها: أصير بها ذا فرج نحو تأسف أي صار ذا أسف وتأهل أي صار ذا أهل، ولكنا لم نجد في كتب اللغة التي بأيدينا لتفرّج معنى سوى تفرج مطاوع فرج في نحو قولهم: فرّج الله الكرب فتفرّج وانفرج.

(٢) الشمول من أسماء الخمر، سميت بذلك لأنها تشمل الناس بريحها، والقرقف من أسمائها أيضاً لأنها تقرقف شاربها أي ترعده.

(٣) الزرياب: الذهب وقيل ماؤه، معرب «زر» أي ذهب و «آب» أي ماء.

(٤) قمعت عنابا: جعلت له أقماعٌ من عناب، والأقماع: جمع قمع، وهو الغلاف الذي يكون على رأس الثمرة أو البسرة، والعُنّاب: شجر له حب كحب الزيتون وأجوده الأحمر الحلو؛ ويقال: قمّعت المرأة بنانها بالحناء أي خضبت به أطرافها فصار لها كالأقماع، وأنشد ثعلب على هذا:

لطمت ورد خدها ببنان من لجين قمعن بالعقيانِ

أخبار عكاشة العمي ونسبه

هو عُكاشة بن عبد الصَّمد العَمِّي من أهل البصرة من بني العمّ. وأصلُ بني العمّ كالمدفوع، يقال: إنهم نزلوا ببني تميم بالبصرة في أيّام عمر بن الخطّاب فأسلموا وغَزَوْا مع المسلمين وحَسُنَ بلاؤهم، فقال الناسُ: أنتم، وإن لم تكونوا من العرب، إخوانُنا وأهلُنا وأنتم الأنصارُ والإخوانُ وبنو العمّ، فلُقِّبوا بذلك وصاروا في جملة العرب.

بنو العم:

وقال بعضُ الشعراء — وهو كعبُ بن مَعدان — يهجو بني ناجيةَ ويشبِّههم ببني العمِّ:

وجدنا آلَ سامةَ في قُريشٍ كمثل العمِّ بين بني تميمِ

ويروى: «في سَلَفَيْ تميم».

اعانوا الفرزدق:

أخبرني عيسى بن الحسين عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثني أبو عُبيدة قال:

لما تواقفَ[١] جريرٌ والفرزدقُ بالمِرْبَدِ للهجاء اقتتلتْ بنو يَربوع وبنو مُجاشع،

---

(١) تواقف: وقف أحدهما للآخر، قال في اللسان (مادة وقف): وواقفه موافقة ووقافا: وقف معه في حرب أو خصومة. وفي الأصول: «توافق».

فأمدّتْ بنو العمّ بني مُجاشِع وجاءوهم وفي أيديهم الخشبُ فطردوا بني يَربوع؛ فقال جرير: مَن هؤلاء؟ قالوا: بنو العمّ، فقال جرير يهجوهم:

ما للفرزدقِ مِنْ عزٍّ يلوذُ به إلّا بني العمِّ في أيديهمُ الخشَبُ
سِيروا بني العمِّ فالأهوازُ(١) داركُمُ ونهرُ تِيرَى(٢) ولم تعرفْكم العَرَبُ

وعُكّاشةُ شاعرٌ مُقِلٌّ من شعراء الدولة العباسيّة، ليس ممن شُهر وشاع شعرُه في أيدي الناس ولا ممن خدَم الخلفاء ومدَحهم.

حبه لنعيم:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني محمد بن القاسم بن مَهرُويَهْ قال حدّثني عليّ بن الحسن عن ابن الأعرابيّ قال حدّثني سَعيد بن حُميد الكاتب البصريّ قال قال أبي:

كان عُكّاشة بن عبد الصَّمد العمّيّ صديقاً لي وإلفاً، وكنّا نتعاشر ولا نكاد نفترق ولا يكتُم أحدُنا صاحبَه شيئاً، فرأيته في بعض أيامه متغيّرَ الهيئةِ عمّا عهدته مقسّمَ القلبِ والفكر غيرَ آخذٍ ما كنّا فيه من الفكاهة والمُزاح، فسألته عن حاله فكاتَمَنيها مَلِيّاً، ثم أخبرني أنه يهوى جاريةً لبعض الهاشميّين يقال لها نُعَيم، وأنّ مرامَها عليه مستصعِبٌ لا يراها إلّا من جَناحٍ لدارهم، تُشرِفُ عليه في الفَيْنة(٣) بعد الفَيْنة فتكلّمه كلاماً يسيراً ثم تذهب، فعاتبتُه على ذلك فلم يَزدجِرْ وتمادى في أمره، ثم جاءني يوماً، فقال: قد وعدَتْني الزيارةَ لأنّ شكواي إليها طالت، فقلت له: فهل حقّقَتْ لك الوعدَ على يومٍ بعينه؟ قال: لا، إنما سألتُها الزيارةَ

(١) الأهواز: سبع كور بين البصرة وفارس، لكل كورة منها اسم ويجمعها الأهواز.

(٢) نهر تيرى (بكسر التاء وياء ساكنة وراء مفتوحة مقصور): بلد من نواحي الأهواز حفره أردشير الأصغر بن بابك ووهبه «لتيرى» من ولد جودَرْز الوزير فسمي به، وله ذكر في أخبار الفتوح والخوارج، (انظر معجم ياقوت في الكلام على نهر تيرى).

(٣) الفينة: الحين، وفي بعض الأصول «العينة» ولعلها محرفة عن «الفينة» وهي بمعنى الفينة.

فقالت : نعم أفعلُ، فقلت له : هذا والله أعجبُ من سائرِ ما مضى ، وأيُّ شيء لك في هذا من الفائدة بلا تحصيلِ وعدٍ ! فقال لي : يا أخي، إنَّ لي في قولها : « نعم » فرجاً كبيراً، فقلتُ : أنتَ أقنعُ الناس؛ ثم جاءني بعدَ يومين وهو كاسفُ البال مهموم ، فقلتُ له : ما لك ؟ فقال : مضيتُ الى نُعيم فتنجَّزتُ وعدَها، فقالت لي : إنَّ لي صاحبةً أستنصِحُها وأعلمُ أنها تُشفقُ عليَّ شفَقةَ الأختِ على أختها والأمِّ على ولَدِها وقد نَهتْني عن ذلك، وقالت لي : إن في الرجال غَدراً ومكراً، ولا آمنُ أن تفتضحي ثم لا تَحصُلي منه على شيء ؛ وقد انقطعتْ عنّي ثم أنشدني لنفسه :

علامَ حبلُ الصفاء منصرمُ ... وفيمَ عنّي الصدودُ والصَّممُ
يا من كَنَينا عن اسمه زمناً ... نتبعُ مرضاتَهُ ونحترمُ
قد عِيلَ صبري وأنتِ لاهيةٌ ... عنّي وقلبي عليكِ يَضطرِمُ
مَن جذَّ حبلَ الوفاء سيّدتي ... منكِ ومن سامني له العدَمُ
فكم أتاني واشٍ يعيبكُمُ ... فقلتُ إخسأ لأنفك الرَّغمُ
أنتَ الفِدا والحِمى لمن عبثَ فأرْ ... جعْ صاغِراً راغماً لكَ الندَمُ

صوت

يا ربِّ خُذْ لي من الوُشاة إذا ... قاموا وقُمنا اليكَ نختصمُ
دبُّوا اليها يُوَسوسون لها ... كي يستزلُّوا حبيبتي زَعموا
هيهات مِن ذاكَ ضلَّ سعيهُمُ ... ما قلبها المستعارُ يُقتَسَمُ
يا حاسدينا موتوا بغيظِكُمُ ... حَبلي متينٌ بقولها نَعَمُ
بالله لا تُشمِتي العُداةَ بنا ... كوني كقلبي فلستُ أتّهمُ

زيارة نعيم :

— الغناء في هذه الأبيات لعَريبَ رَمَلٌ . وقيل : إنه لغيرها — قال : ثم طال

تَردادُه اليها واَستصلاحُه لها، فلم ألبَثْ أن جاءتني رُقعتُه في يومِ خميسٍ يُعلِمني أنها قد حصَلتْ عنده ويستدعيني لحَضرتُ، وتوارتْ عنّي ساعةً وهو يُخبِرُها أنه لا فرقَ بيني وبينه ولا يحتشمني في حالٍ البتّةَ الى أن خرجتْ، فاجتمعْنا وشربنا وغنّتْ غناءً حسَناً الى وقتِ العصر ثم انصرفتُ، وأخذَ دواةً ورقعةً فكتب فيها :

سَقْياً لمجلسنا الـذي كنّا به | يومَ الخميسِ جماعـةً أترابا
في غُرفةٍ مَطرَت سماوةُ[1] سقفِها | بحَيا النعيم من الكروم شَرابا
إذ نحنُ نُسقاها شَمولا قرقَفاً | تدعُ الصحيحَ بعقله مُرتابا
حمراء مثل دمِ الغزال وتارةً | بعد المِزاج تخالُهـا زِريابا
من كفِّ جاريةٍ كأنَّ بنانَها | من فِضّةٍ قد قُمّعتْ عُنّابا
تَردادُ حسناً كأسُها من كفِّها | ويطيب منها نشرُها أحقابا
واذا المِزاجُ علا فشَجَّ جبينَها | نفثَتْ بألسنةِ المِزاج حَبابا
وتخالُ ما جَمعتْ فأحدق بِسمطه | بالطَّوقِ رِيقَ حبائبٍ ورُضابا
كَفَتِ المناصِفَ[2] أن تذبَّ أكفُّها | عنها اذا جعلتْ تفوح ذُبابا
والعُودُ مُتّبعٌ غناءَ خريدةٍ | غَرِداً يقول كما تقول صوابا
وكأنَّ يُمناها اذا نَطقتْ بـه | تُلقي على يدها الشِّمالِ حِسابا
فهناك خَفَّ بنا النعيمُ وصار من | دون الثقيلِ لنا عليه حِجابا
آليتُ لا ألحى على طلب الهوى | مُتلذِّذاً حتى أكونَ تُرابا

اغتراب نعيم :

قال : ثم قَدِم قادم من أهل بغـداد فاشترى نُعَيمَ هذه من مولاتها ورَحل الى بغداد، فعَظُم أسفُ عكّاشة وحزنُه عليها واَستُهيم بها طـولَ عمره ، فاَستحالت

(١) السماوة : السماء وهي كل ما علاك فأظلك .

(٢) المناصف : جمع منصف (بكسر الميم وقد تفتح، والأنثى منصفة) وهو الخادم .

صورتُه وطبعُه وخُلقُه الى أن فرّق الدهر بيننا، فكان أكثر وَكْده[1] وشُغله أن يقول فيها الشعر وينوحَ به عليها ويبكيَ؛ قال حُميد بن سعيد فأنشدني أبي له في ذلك :

ألا ليتَ شِعري هل يعودنّ ما مَضى ... وهل راجعٌ ما مات من صِلة الحبلِ
وهل أجلسنْ في مثل مجلِسنا الذي ... نَعِمْنا به يومَ السعادة بالوصلِ
عشيّةَ صبّتْ لذّةُ الوصل طِيبَها ... علينا وأفنانُ الجنانِ جَنى البَذْلِ
وقد دار ساقِينا بكأسٍ رَوِيّةٍ ... تُرحّلُ أحزانَ الكئيبِ مع العقلِ
وشجَّ شَمُولاً بالمزاج فطيّرت ... كألسنة الحيّات خافتْ من القتلِ
فبِتْنا وعينُ الكأسِ سحٌّ دموعُها ... لِكلّ فتًى يهتزّ للمجد كالنَّصلِ
وقَينتُنا كالظبي تسمح بالهوى ... وبَثِّ تباريح الفؤادِ على رِسْلِ[2]
اذا ما حكتْ بالعُودِ رَجْعَ لسانها ... رأيتَ لسانَ العودِ من كفِّها يُملي
فلم أرَ كاللذّات أمطرتِ الهوى ... ولا مثلَ يومي ذاك صادفه مِثلي

ومما قاله فيها :

أنُعيمِ حبُّكِ سلَّني وبَلاني ... والى الأمَرّ من الأمور دعاني
أنُعيم لو تجدينَ وَجْدي والذي ... ألقى بكَيتِ من الذي أبكاني
أنعيم سيّدتي عليكِ تقطّعتْ ... نفسي من الحسرات والأحزانِ
أنعيم قد رَحِم الهوى قلبي وقد ... بكتِ الثيابُ أسى على جُثماني
أنعيم وانحدرتْ مدامعُ مقلتي ... حتى رَحمتْ لرحمتي إخواني
أنعيم مَثّلك الهيامُ لمقلتي ... فكأنني ألقاكِ كلَّ مكانِ
أنعيم نظرةُ سحرِ عينكِ بالهوى ... معروفةٌ بالقتلِ في إنسانِ
أنعيمُ[3] أشفي أو دَعي مَنْ داؤه ... ودواؤه بيديكِ مُقترنانِ

(١) الوكد : الهم والقصد .

(٢) الرسل (بالكسر) : التؤدة والرفق .

(٣) التنوين هنا لضرورة الشعر .

هذا وكم من مجلسٍ لي مُونقٍ | بين النعيم وبين عيشٍ داني
نازعتُه أردانَه فلبستُها | مع ظَبيةٍ في عيشنا القِنيانِ
تُنسي الحليمَ من الرجال مَعادَه | بين الغِناء وعُودِها الحنّانِ
حتى يعودَ كأنّ حبّةَ قلبه | مشدودةٌ بمثالثٍ[1] ومثاني
ظَلّت تُغنّيني وتعطِفُ كفَّها | بالعُود بين الرّاح والرَّيحانِ
فسمعتُ ما أبكى وأضحكَ سامعاً | وسكِرتُ من طَربٍ ومن أشجاني
ومَشيتُ في لُجَجِ الهوى مُتبختراً | ومشى إليّ اللهوُ في الألوانِ
فعلمتُ أنْ قد عاد قلبي عائدٌ | من بين عُودٍ مُطربٍ وبَنانِ

ومما قاله أيضاً فيها :

نُعَيمُ هل بكَيتِ كما بكَيتُ | وهل بعدي وَفيتِ كما وَفيتُ
ألا يا ليت شِعري كيف بَعدي اصطبارُكِ إذ نأيتِ وإذ نأيتُ
فكم من عَبرةٍ ذرَفتْ فلمّا | خشيتُ عيونَ أهلي واستحيتُ
نَهضتُ بها مُكاتمةً فلمّا | خلوتُ ذرَفتُها حتى اشتفيتُ
وقلتُ لصُحبتي لمّا رماني | هواكِ بدائه حتى انطويتُ
أراني من همومِ النفسِ ميتاً | ولم أرَ في نُعيمٍ ما نَويتُ
فليتَ الموتَ عجّل قبضَ رُوحي | جِهاراً فاسترحتُ وأين ليت

وقال أيضاً في فراقه إياها :

أنُعَيمُ في قلبي عليكِ شَرارُ | وعلى الفؤاد من الصَّبابة نارُ
وعلى الجفونِ غِشاوةٌ وعلى الهوى | داعٍ دعتْه لِحَيْنيَ الأقدارُ
بُعضِلَةٍ لُبَّ الحليم اذا رمتْ | بالمقلتين كأنها سَحّارُ
طالبتُها حَولَينِ لا لَيْلي بها | ليلٌ ولا هذا النهارُ نهارُ
حتى اذا ظَفِرَتْ يداي بكاعبٍ | كالشمس تَقصُر دونها الأبصارُ

(١) المثالث : جمع مِثلَث وهو ما كان على ثلاث قوى من الأوتار، وقيل هو الثالث منها، والمثاني: جمع مَثنى وهو ما بعد الاول من أوتار العود .

وثَلِجتْ صدراً بالفتاة وصارتَا كالنفسِ نفسانا وقرَّ قرارُ
بَلَغ الشقاء أشدَّ ما يَستطيعُهُ فينا وفرَّق بيننا المقدارُ

ومما يُغَنَّى فيه من شعر عُكَّاشة الذي قاله في هذه الجارية :

صوت

لَهفي على الزمن الذي وَلّى ببهجته القصيرِ
قد كان يُؤنقني الهوى ويُقِرّ عيني بالسرورِ
إذ نحن خُلّانُ الهوى رَيحانُنا عَبِقُ العبيرِ
وغناؤنا وصفُ الهوى نلتذّ بالحبّ اليسيرِ

الغناء في هذه الأبيات لابن صغير العين من كتاب إبراهيم ولم يذكر طريقته. وفيه لأبي العُبَيس بن حَمدون خفيفُ رمل . وتمام هذه الأبيات :

وجهُ التواصُل بيننا في الحسن كالقمر المنيرِ
إيماؤنا يحكي الكلا مَ وسِرُّنا فطِنُ المشيرِ
وحديثُنا بحواجبٍ نطقتْ بألسنة الضميرِ
بل رُسْلنا الكُتْبُ التي تجري بخافيةِ الصُّدورِ

مع المهدي :

حدّثني الحسن بن عُلَيل قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيه قال حدّثنا أبو مُسلِم عن المدائنيّ قال :

أنشد عُكّاشةُ بن عبدِ الصَّمدِ المهديَّ قولَه في الخمر :

حمراء مثل دم الغزال وتارةً عند المِزاج تخالها زِرْيابا

فقال له المهديّ : لقد أحسنتَ في وصفها إحسانَ مَن قد شربها ، ولقد أستحققتَ

بذلك الحدّ، فقال: أيؤمّنني أميرُ المؤمنين حتى أتكلّمَ بحجّتي؟ قال: قد أمّنتك، قال: وما يُدريك يا أميرَ المؤمنين أنّي أحسنت وأجدت صفتَها إن كنتَ لا تعرفها؟ فقال له المهديّ: أعزُبْ قبّحك الله.

مع الهادي:

قال الحسن وأخبرني بهذا الخبر أحمد بن سعيد الدّمشقي قال حدّثنا الزبير بن بكّار أنّ عكّاشة أنشد موسى الهاديَ هذا الشعرَ ثم أنشده قولَه:

كأنّ فُضولَ الكأسِ من زَبَداتها[١] خلاخِلُ شُدّت بالجُمان الى حَجْلِ[٢]

فقال له موسى: والله لأجلدنّك حدّ الخمر، قال: ولم يا أميرَ المؤمنين! إنّما نقول ولا نفعل، فقال: كذبتَ، قد وصفتَها صفة عالمٍ بها، قال: فاجعل لي الأمان حتى أتكلّم بحجّتي، قال: تكلّم وأنت آمِنٌ، قال: أجدتُ وصفَها أم لم أُجِد؟ قال: بلى قد أجدتَ، قال: وما يُدريك أنّي أجدتُ إن كنتَ لا تعرفها! إن كنتُ وصفتُها بطبعي دون امتحاني فقد شركتني في ذلك بطبعك، وإن كان وصفُها لا يُعلَم إلا بالتجربة فقد شركتني أيضاً فيها؛ فضحك موسى وقال له: قد نجوتَ بحيلتك منّي، قاتلك الله فما أدهاك!

ما غنى فيه من شعره:

ومما وَجدتُ فيه غناء من شعر عُكّاشة قولُه:

وجاؤوا اليه بالتّعاويذ[٣] والرُّقى وصَبّوا عليه الماء من شدّة النُّكسِ[٤]

(١) الزبدات: جمع زبدة وهي الطائفة من الزبد الذي هو طفاوة الماء والجرة واللعاب ونحوها.
(٢) الجمان: اللؤلؤ أو حب من فضة يعمل على شكل اللؤلؤ، والحجل (بالفتح والكسر): الخلخال.
(٣) التعاويذ: جمع تعويذة وهو ما يرقى به من فزع أو جنون ونحوه، ويقال على ما يكتب ويعلق على الانسان للحفظ من العين ونحوها من الآفات فيما يزعمون، وتسمى المعاذات، وقد ورد في الحديث النهي عن تعليقها.
(٤) النكس: العود في المرض، يقال: نكس المريض اذا عاودته العلة بعد النقه، ويقال: تعسا له ونكسا بضم النون، وقد تفتح ازدواجا.

وقالوا به من أعين الجنّ نظرةٌ   ولو صدَقوا قالوا به أعينُ الإنسِ

الغناء لعَريبَ . ومنها :

طَرفي يذوب وماء طَرفكِ جامدٌ   وعليَّ من سِيما هواكِ شواهدُ
هذا هواكِ قسمتِه بين الورى   ومنحْتِني أرَقًا وطَرفُكِ راقدُ
فعليَّ منه اليومَ تسعةُ أسهُمٍ   وعلى جميع النّاسِ سهمٌ واحدُ

الغناء لجَحْظة . ومنها :

غادِ[1] الهوى بالكأس بردا   وأطِعْ إمارةَ من تَبدّى[2]

ومنها :

كما اشتهتْ خُلقتْ حتى اذا اعتدلتْ   تمّت قواماً فلا طولٌ ولا قِصَرُ

ومنها :

وزَعفرانيّــة في اللّون تحسَبُها   اذا تأمّلتَها في جسم كافُورِ
تخال أنّ سَقيط الطّلّ بينهما   دمعٌ تحيّر في أجفان مَهْجُورِ

---

(١) هو فعل أمر من «غادى» بمعنى باكر .

(٢) كذا بالأصول، ولعلها «تندّى» بمعنى تفضّل وتسخّى، يقال : «هو يتندى على إخوانه» أي يتفضل ويجود عليهم .

اخبار عبد الرحيم الدفاف ونسبه

عبد الرّحيم بن الفَضْل الكوفيّ ، ويُكنى أبا القاسم ، وقيل : هو عبد الرحيم ابن سعد ، وقيل : عبد الرّحيم بن الهَيْثَم بن سعد ، مولى لآل الأشعث بن قَيس ، وقيل : بل هو مولى خُزاعة .

ذكر أبو أيّوب المدينيّ أنّ حمّاداً الراوية حدّثه قال : رأيتُ عبدَ الرَّحيم الدفَّاف أيّامَ هارون الرشيد[1] بالرَّقّة وقد ظَهَرْتُ[2] ، فحضرني وسمعتُه يغنّي يومئذ صوتاً سئل عنه فذكر أنه من صَنْعته ، وهو :

فَديتُكِ لو تَدْرِين كيف أُحِبُّكم وكيف اذا ما غِبتُ عنكِ أقولُ

وكان عبد الرحيم منقطعاً الى عليّ بن المهديّ المعروف بأمّه رَيطة بنت أبي العبّاس .

تعريضه بالرشيد :

فأخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيدَ المبرّد قال حدّثني عبد الصّمد بن المعذّل قال :

---

(١) كذا في جميع الأصول، والمعروف أن حمادا الراوية لم يبق الى أيام هارون الرشيد، فان حمادا توفي في خلافة المنصور سنة ١٥٥ هـ . وقيل توفي في خلافة المهدي التي تنتهي بسنة ١٦٩ هـ، وعلى كلتا الروايتين تكون وفاة حماد قبل خلافة الرشيد التي تبتدىء بسنة ١٧٠ هـ .

(٢) يشير حماد بقوله : « وقد ظهرت » الى أنه كان مطّرحاً مجفوّاً حتى اختفى في ايام العباسيين بسبب تقدمه وإيثاره عند ملوك بني أمية ومنادمته لهم كما جاء في ترجمته في الجزء الخامس من الأغاني طبعة بولاق .

غنّت جاريةٌ يوماً بحضرة الرشيد :

قُـل لعليّ أيا فتى العربِ وخيرَ نامٍ وخيرَ مُكتسِبِ
أعلاك جَـدّاك يا عليّ اذا قصّر جَدٌ عن ذروة الحسبِ

فأمر بضرب عنقها ، فقالت : يا سيّدي ما ذنبي ! هذا صوت عُلِّمْتُه ، والله ما أدري من قاله ولا فيمن قيل ؛ فعلم أنّها صدقت ، فقال لها : عمّن أخذته ؟ فقالت: عن عبد الرحيم الدفّاف ، فأمر بإحضاره فأُحضِر ، فقال له : يا عاضّ بَظرِ أمّه ، أتغنّي في شعرٍ تُفاخِر فيه بيني وبين أخي ! جرِّدوه ، فجُرّدوه ، ودعا له بالسّياط ، فضرب بين يديه خمسمائة سوطٍ .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مَهْرُويه قال حدّثنا عبد الله بن أبي سَعد عن القطِرانيّ عن محمد بن جَبْر قال :

قال لي عبد الرحيم بن القاسم الدفّاف : دخلتُ على عليّ بن رَيطة يوماً وسِتارتُه منصوبةٌ ، فغنّت جاريتُه :

أناسٌ أمِنّاهم فنمّوا حـديثنا فلما كتمنا السرّ عنهم تقوّلوا

فقلت : أرأيتَ إن غنّيتُك هذا الصوتَ وفي تمامه زيادةُ بيتٍ واحدٍ ، أيّ شيء لي عليك؟ قال : خِلعتي التي عليّ ، فغنّيته :

فلم يحفَظوا الوُدّ الذي كان بيننا ولا حـينَ همّوا بالقَطيعة أجملوا

قال : فنزع خِلعتَه فخلعها عليّ ، وأقمتُ عنده بقيّةَ يومي على عربدةٍ كانت فيه .

الشعر لعبّاس بن الأحنف ، والغناء لعبد الرحيم الدفّاف هَزَجٌ بالبنصر . وهذا أخذه العبّاس من قول أبي دَهْبَل :

صوت

أَمِنَّا أُناساً كنتِ تأتمنينهم فزادوا علينا في الحديث وأَوْهَمُوا
وقالوا لها ما لم نقل ثمّ أَكثروا عليّ وباحوا بالذي كنتُ أَكتُمُ

وفي هذين البيتين أغانٍ قديمة : منها لحنٌ لابن سُرَيج رَمَلٌ بالسبّابة في مجرى الوُسطى عن إسحاق . ولابن زرزور الطائفيّ خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو . وفيه خفيفُ رَمَلٍ بالبنصر والوُسطى لمتيَّمَ وَعريبَ .

صوت

من المائة المختارة

بَكَرتْ سُمَيَّةُ غُدْوَةً فتمتّعي وغدتْ غُدُوَّ مُفارقٍ لم يَربَعِ
وتعرّضتْ لكَ فاستبتكَ بواضح صَلْتٍ كمُنْتَصَبِ الغزال الأَتلعِ

عَروضُه من الكامل . والشعر للحادِرة الثَّعلبيّ ، والغناء في اللحن المختار لسعيد بن مِسجَحٍ ، وإيقاعُه من خفيف الثقيل الأوّل بإطلاق الوتَر في مجرى البنصر عن إسحاق ، وذكر عمرو بن بانةَ أنه لابن مُحرِز . وفيها للغريض ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن عمرو . وفيها خفيفُ رملٍ بالوُسطى لابن سُرَيج عن حبش.

وممّا يُغنَّى فيه من هذه القصيدة :

أَسُميَّ ما يُدريكِ كم عن فِتْيةٍ بادرتُ لذَّتهم بأَدكَنَ مُترَعِ
بكَروا عليّ بسُحْرة فصَبَحتُهم من عاتقٍ كدَمِ الذبيح مُشعْشَعِ

غنّاه مالك ، ولحنُه من الثقيل الأوّل بالبنصر عن عمرو . وفيه لمالكٍ خفيفُ ثقيل آخر أيضاً . وفيها لعَلُّويَه ثقيلٌ أوّلُ صحيحٌ من جيّد صَنعتـه . قوله :

فتمتَّعي يخاطب نفسه ، أي تمتَّعي منها قبل فِراقها ؛ ولم يربَع : لم يُقِم . والواضح الصَّلْت : يعني عُنُقها ، وأصل الصلت : الماضي ، ومنه الناقة الِمصلاتُ : الماضية ، وشُدَّ عليه بالسيف صَلْتاً أي خارجاً من غِمده . والصلت في هذا الشعر : الطويل الذي لا قِصَرَ فيه . والمنتصّ : المنتصب ، يقال : انتصّ فلان أي انتصب ، ومِنَصَّة العروس مأخوذةٌ من هذا ، ومنه نصّ الحديثَ : رَفَعه الى صاحبه . واستبتْك : غلبتْك على عقلك . والواضح : الخالص الأبيض . وأدكن مترع يعني الزِّقّ . والمشعشَع : المُرَقرَق بالماء .

أخبار الحادرة ونسبه

الحادرة لَقَبٌ غلَب عليه، والحُوَيْدِرة أيضاً؛ واسمه قُطْبة بن أوْس بن مِحصَن ابن جَرْول بن حَبيب بن عبد العُزّى بن خُزَيمة بن رِزام بن مازِن بن ثَعْلَبَة بن سعد[١] بن بَغيض بن رَيْث بن غَطَفان بن سعد بن قَيس بن عَيْلان بن مُضَر بن نِزار، شاعرٌ جاهليٌّ مُقِلٌّ. أخبرني بنسبه هذا محمد بن العبّاس اليَزِيديّ عن عبد الرحمن بن عبد الله بن قُرَيب بن أخي الأصمعيّ عن عمه. قال: وإنما سُمّي الحادرةَ بقول زَبّان[٢] بن سَيَّار الفَزاريّ له:

كأنّكَ حادرةُ المَنْكِبَيْـــنِ رَصْعاءُ تُنْقِضُ في حائِرِ[٣]
عجوزُ ضَفـادِعَ محجوبةٌ[٤] يَطيفُ بها وِلْدَةُ الحاضِرِ[٥]

قال: والحادرة: الضخم

وذكر أبو عمرو الشَّيبانيّ أن الحـادرةَ خرج هو وزَبّان الفزاريّ يصطادان فاصطادا جميعاً، فخرج زَبّان يشتوي ويأكلُ في الليل وحدَه؛ فقال الحادرة:

(١) يتصل في سعد هذا نسب الحادرة بنسب ابن ميادة.

(٢) ذكر صاحب شرح القاموس في مادة «زبب» أنه قد يكون مشتقاً من «زبن» فيصرف أو من «زبب» فيمنع من الصرف. وكذلك ذكر ابن دريـد في كتاب الاشتقاق (ص ١٢٦ طبع أوروبا).

(٣) حادرة المنكبين: ممتلئتها. والرصعاء: الرسحاء وهي خفيفـة لحم العجيزة والفخذين. وتنقض: تنق، يقال: أنقضت الضفـدع تنقض إنقاضاً اذا صوّتت، (انظر شرح ابن الأنباري للمفضليات ص ٥٠). والحائر: مجتمع الماء.

(٤) كذا في الأصول، وفي المفضليات ص ٤٩ طبع بيروت «قد حدرت».

(٥) الحاضر: المقيم على الماء، ويقال: حي حاضر اذا كانوا نازلين على ماء عدّ.

تركتَ رفيقَ رَحْلِكَ قد تراه … وأنت لِفيكَ في الظَّلْماء هادي

فَخَدَها عليه زبّان ، ثم أتَيا غديراً فتجرّد الحادرة ، وكان ضخم المنكبين أرسح ، فقال زبّان :

كأنك حادرةُ المنكِبَيْـــنِ … رصعاء تُنقِض في حائرِ

فقال له الحادرة :

لحا اللهُ زَبّانَ من شاعرٍ … أخي خَنَعَةٍ[١] فاجرٍ غادرِ
كأنك فُقّاحةٌ[٢] نَوّرتْ … مع الصبح في طَرَف الحائرِ

فغَلَب هذا اللقبُ على الحادرة .

حدّثني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ قال حدّثني عمي قال سمعت شيخاً من بني كِنانة من أهل المدينة يقول :

كان حسّان بن ثابت اذا قيل له : تُنوشِدَتِ الأشعارُ في موضع كذا وكذا يقول : فهل أنشِدتْ كلمةُ الحُوَيْدِرة :

بَكَرتْ سُمَيَّةُ غُدْوةً فَتَمتَّعي

قال أبو عُبَيْدة : وهي من مختار الشعر ، أَصمَعِيَّةٌ مُفَضَّلِيّةٌ .

سبب الهجاء بينه وبين زبان :

نسخت من كتاب ابن الأعرابيّ قال حدّثني المفضّل قال :

كان الحادرةُ جاراً لرجل من بني سُلَيم ، فأغار زبّان بن سيّار على إبله فأخذها

---

(١) الخنعة : الريبة والفَجْرة .

(٢) الفقاحة : واحدة الفقاح، وفقاح كل نبت زهره حين يتفتح على أيّ لون كان .

فدفعها الى رجل من أهل وادي القُرى يهوديّ ، وكان له عليه دَيْنٌ فأعطاه إيّاها بدينه ، وكان أهلُ وادي القرى حُلَفاء لبني ثَعْلَبة ؛ فلما سمع اليهوديّ بذلك قال : سيجعل الحادرةُ هذا سبباً لنقض العهد الذي بيننا وبينه ، ونحن نقرأ الكتاب ولا ينبغي لنا أن نَغْدُرَ ، فردّ الإبلَ على الحادرة فردّها على جاره ، ورجع الى زبّان فقال له : أعطِني مالي الذي عليك ، فأعطاه إياه زبّان ، ووقع الهجاء بينه وبين الحادرة ؛ فقال الحادرة فيه :

لِعَمْرةَ بين الأخْرَمَيْنِ[1] طلولُ تَقادَمَ منهـا مُشهرٌ[2] ومُحيلُ
وَقَفتُ بها حتى تعالى لِيَ الضُّحى لأُخْبَرَ عنهـا إنّني لَسؤولُ

يقول فيها :

فإن تَحسَبوهـا بالحجابِ ذليلةً فما أنا يوماً إن رَكِبتُ ذليلُ
سأمنَعُها في عُصْبـةٍ ثَعْلبيّةٍ لهم عَدَدٌ وافٍ وعِزٌ أصيلُ[3]
فإنْ شِئتمُ عُدْنا صديقاً وُعدتمُ وإمّا أبيتم فالمُقـامُ زَحولُ[4]

قال : ولَجّ الهجاء بينهما بعد ذلك فكان هذا سببَه .

ونسخت من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشّيبانيّ يذكر عن أبيه :

أن جيشاً لبني عامر بن صَعْصَعة أقبل وعليهم ثلاثـةُ رؤساء : ذُؤابُ بن غالب من عُقيل ثم من بني كَعْب بن رَبيعة ، وعبدُ الله بن عمرو من بني الصَّموت ، وعُقَيل بن مالك من بني نُمَيرٍ ، وهم يريدون غَزْوَ بني ثَعْلبة بن

(١) الأخرمان : مثنى أخرم وهو اسم لعدّة مواضع : منها جبل في ديار بني سليم وجبل قبل ثوز بأربعة أميال من أرض نجد وجبل في طرف الدهناء ، وهو يأتي في الشعر بالإفراد وبالتثنية ، قال المسيّب بن عَلَس :

ترعى بأرض الأخرمين له فيها موارد ماؤها غدق

(٢) أي مرت عليه شهور وأحوال فغيرته .

(٣) وقع في هذا البيت الاعتماد وهو عدم حذف الخامس من فعولن التي قبل القافية .

(٤) زحول : بعيد .

سعد رهط الحادرة ومن معهم من مُحارب ، وكانوا يومئذٍ معهم ، فنَذِرَتْ[١] بهم بنو ثعلبة ، فركب قيس بن مالك المُحارِبيُّ الخَصَفِيّ وجُؤَيَّة بن نَصر الجَرْمِيّ أحد بني ثَعْلَبة للنظر الى القوم ، فلما دَنَوا منهم عرَف عُقَيل بنُ مالك النميريّ جُؤَيَّةَ بن نَصر الجَرْميّ ، فناداه : إليَّ يا جُؤَيَّة بنَ نصر فإنَّ لي خَبَراً أُسِرُّه اليك ؛ فقال : اليكَ أقبلتُ ولكن لغير ما ظننتَ ، فقال له : ما فعلتْ قَلوصُ ؟ — يعني امرأته — ؛ فقال : هي في الظُّعُن أَسرُ ما كانت قطُّ وأجمله ؛ ثم حَملَ كلٌّ واحدٍ منهما على صاحبه واختلفا طَعْنتين[٢] فطعنه جُؤَيَّة طعنةً دَقّت صُلبَه ، وأنطلق قيس بن مالك المُحارِبيّ إلى بني ثعلبة فأنذرهم ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، فهُزِمتْ بنو نُمَير وسائرُ بني عامر ومات عُقَيل النميريّ وقُتِل ذؤاب بن غالب وعبدُ الله بن عمرو أحدُ بني الصَّمُوت ؛ فقال الحادرة في ذلك :

كأنَّ عُقَيْلًا في الضُّحى حَلَّقتْ به ... وطارتْ به في الجوّ عنقاءُ مُغرِبُ[٣]

ويروى : « وطارت به في اللَّوْح » وهو الهواء .

وذي كَرَمٍ يدعوكُمُ آلَ عامرٍ ... لدى مَعْرَكٍ سِرْبالُه يتصبّبُ
رأت عامرٌ وَقْعَ السيوف فأسلموا ... أخاهم ولم يعطِف من الخيل مرهبُ
وسلَّم لمَّا أن رأى الموتَ عامرٌ ... له مركبٌ فوق الأسنّة أحدبُ
إذا ما أظلَّتْه عَوالي رمـاحِنا ... تدلّى به نَهْدُ[٤] الجُزارة مِنْهَبُ[٥]

---

(١) نذر بالشيء (كفرح) : علمه .

(٢) أي اختلفت طعنتاهما فكانت إحدى الطعنتين في إثر الأخرى .

(٣) يقال : عنقاء مغرب على النعت وعنقاء مغرب على الإضافة . والعنقـاء : طائر معروف الاسم مجهول الجسم؛ والعرب اذا أخبرت عن هلاك شيء قالت : حلّقت به في الجوّ عنقاء مغرب .

(٤) نهد الجزارة : ضخمها، والجزارة في الأصل : أطراف الجزور وهي اليدان والرجـلان والرأس؛ والمراد هنا أطراف فرس، واذا قالوا : «فرس ضخم الجزارة» فإنما يراد غلظ اليـدين والرجلين وكثرة عصبها، ولا يدخل الرأس في هذا لأن عظم الرأس هجنة في الخيل .

(٥) المنهب : الفرس الفائق في العدو .

على صَلَوَيه[١] مُرهَفاتٌ كأنها قوادمُ نَسرٍ بُزَّ عنهنَّ مَنكِبُ

قال : وفي هذه الوقعة يقول خِداشُ بن زُهير :

أيا أخوَينا من أبينا وأُمنا اليكم إليكم لا سبيلَ الى جَسْرِ

جَسْر : قبيلة من مُحارِب . قال : وهذا اليومُ يُعرفُ بيوم شُواحِطٍ ، قبيلة من مُحاربٍ[٢] .

وقال أبو عمرو : خرج خارجةُ بن حِصْن في جمع من بني فَزارة ومن بني ثَعلَبة بن سعد وهو يريد غزو بني عَبس بن بَغيض ، فلقوا جيشاً لبني تَميم على ماء يقال له « الكُفافة » وتميم في جمع سعد والرِّباب وبني عمرو ، فقاتلوهم قتالا شديداً وهُزِمَتْ تميم وأُجفلت ، وهذا اليومُ يقال له : « يومُ كُفافة » ، فقال الحادرة في ذلك :

ونحن مَنعنا من تميم وقد طغتْ مَراعي المَلا حتى تضمَّنها نجدُ
كَمعْطِفِنا يومَ الكُفافةِ[٣] خَيلَنا لتتْبَعَ أُخرى الجيش إذ بلغ الجِدُّ
على حين شالت[٤] واستَخفَّتْ رجالَهم جلائبُ أحياء يسيلُ بها الشدُّ

---

(١) الصلا : وسط الظهر من الناس ومن كل ذي أربع وما انحدر من الوركين، وقيل : الفرجة بين الجاعرة والذنب، وقيل : ما عن يمين الذنب وشماله، وهما «صلوان» والجمع : صلوات وأصلاء .

(٢) هذه الكلمة (قبيلة من محارب) وردت هكذا في جميع الأصول، والظاهر أنها من زيادات النساخ لأن شواحطا جبل مشهور بين مكة والمدينة وهو الجبل الذي أغارت به سرية من بني عامر على إبل لبني محارب (انظر معجم ياقوت ومعجم ما استعجم للبكري في اسم « شواحط ») .

(٣) كفافة (بضم الكاف) : اسم ماء صارت به وقعة بين فزارة وبني عمرو بن تميم وقد استشهد عليه ياقوت بهذا البيت هكذا :

كمحبسنا يوم الكفافة خيلنا لتورد أخرى الخيل إذ كُره الوِردُ

(٤) شالت : رفعت ذنبها .

إذا هي شكَّ السَّمْهَريُّ نحورَها … وخامتْ[1] عن الأبطال أتعبها القِدُّ[2]
تَكرُّ سِراعا في المَضيق عليهمُ … وتُثنَى بِطاءً ما تخبُّ ولا تَعدو
فأثنُوا علينـا لا أبا لأبيكُمُ … بإحساننا إن الثناء هو الخُلْدُ

(١) خامت : نكصت وجبنت .

(٢) القدّ : سير يقدّ من جلد يقيّد به .

اخبار ابن مسجح ونسبه

سعيد بن مِسْجَح أبو عثمان مولى بني جُمَح ، وقيل : إنه مولى بني نَوْفل بن الحارث بن عبد المطّلب . مكيٌّ أسودُ، مُغنٍّ متقدّمٌ من فحول المغنّين وأكابرهم، وأوّلُ من صنع الغناء منهم ، ونقل غِناء الفُرس الى غِناء العرب ، ثم رحل الى الشام وأخذ ألحانَ الروم والبَرْبَطيَّة[1] والأُسطوخوسيَّة ، وانقلب الى فارس فأخذ بها غِناء كثيراً وتعلّم الضربَ ، ثم قَدِمَ الى الحجاز وقد أخذ محاسنَ تلك النَّغَم ، وألقى منها ما استقبحه من النَّبَرات والنغم التي هي موجودةٌ في نَغَم غِناء الفُرس والروم خارجةً عن غناء العرب ، وغنّى على هذا المذهب ، فكان أوّلَ من أثبت ذلك ولحّنه وتبِعه الناس بعدُ .

تلاميذه :

أخبرني محمد بن خلَف بن المَرْزُبان ، والحسين بن يحيى قالا : حدّثنــا حمّاد ابن إسحاق عن أبيه عن هِشام بن المُرّيّة : أنّ أوّل من غنّى هذا الغناء العربيّ

---

(١) كذا في الأصول . وقد رأى الأب أنستاس ماري الكرملي أن تكون هذه الكلمة محرفة عن « البزنطية » (بضم الباء الموحدة وفتح الزاي يليها نون ساكنة بعدها طاء مكسورة ثم ياء مثناة مشدّدة وفي الآخر هاء) : نسبة الى بزنطية وهي مدينة القسطنطينية قبل أن تبنى، ويراد بالبزنطية قوم من الروم الشرقيين عرفوا بهذا الاسم منذ عهــد قسطنطين الكبير الى سقوط القسطنطينية بيد الترك .

ثم قال : وأما الأسطوخوسية فــيراد بهم قوم آخرون من أسطوخوس أو أسطوخادس، وهي جزيرة في جنوبيّ فرنسا كان أهلها معروفين بالقصف والغناء والأنس، كما هم عليه الى هذا العهد، وكان سكانها خليطاً من الروم واليونانيين والقلطيّين وبقايا الفلسطينيين . (انظر المجلد الثاني من مجــلة الزهراء ص ٣٥٨ — ٣٦١) .

بمكّةَ ابن مِسجَح مولى بني مَخزُوم ، وذلك أنه مرّ بالفُرس وهم يَبنون المسجدَ الحرام ، فسمِع غناءَهم بالفارسيَّة فقلبه في شعرٍ عربيٍّ ؛ وهو الذي علَّم ابن سريج والغريضَ ، وكان ابن مِسجَح مولَّداً أسودَ يُكنى بأبي عيسى .

احتراق الكعبة في عهد ابن الزبير وبناؤه لها :

أخبرني محمد بن عُبيد الله بن محمد الرازيّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز[1] عن المدائنيّ ، وذكر إسحاق عن أبي بكر الهُذَليّ قال :

كان سببُ بناء ابن الزُّبير الكعبة لمّا احترقت ، أنّ أهل الشام لما حاصروه سمع أصواتاً بالليل فوق الجبل فخاف أن يكون أهلُ الشام قد وصلوا اليه ، وكانت ليلةً ظلماء ذاتَ ريحٍ شديدةٍ صعبةٍ ورعدٍ وبرقٍ ، فرفع ناراً على رأس رمح لينظر الى الناس فأطارتها الريح فوقعت على أستار الكعبة فأحرقتها واستطالت فيها ، وجهد الناس في إطفائها فلم يقدِروا ، وأصبحت الكعبة تتهافت[2] وماتت امرأة من قريش ، فخرج الناسُ كلُّهم في جنازتها خوفاً من أن ينزلَ العذابُ عليهم ، وأصبح ابن الزُّبير ساجداً يدعو ويقول : اللهم إني لم أتعمّد ما جرى فلا تُهلك عبادَك بذنبي وهذه ناصيتي بين يديك ؛ فلمّا تعالى النهارُ أمِنَ وتراجع الناسُ ، فقال لهم : اللهَ اللهَ أن ينهدمَ في بيت أحدكم حجرٌ فيزولَ عن موضعه فيبنيَه ويُصلحَه وأتركَ الكعبةَ خراباً ؛ ثم هدمها مبتدئاً بيده وتبعه الفَعَلةُ حتى بلغوا الى قواعدها ، ودعا ببنّائين من الفُرس والروم فبناها .

---

(١) تقدم فيما كتبناه عن هذا الاسم في (ص ١٧١ ج ٢ حاشية رقم ٢) أنه الخزاز بزايين معجمتين، اعتماداً على وروده كذلك في فهرست ابن النديم . وقد ذكره الذهبي في المشتبه في أسماء الرجال (ص ٩٨) الخرّاز بالراء المهملة وآخره زاي نسبة الى خرز الجلود، وكذلك ذكره السمعاني في الأنساب (ورقة ١٩١ في الوجه الثاني) وذكر كلاهما أنه راوية المدائني، وذكره شارح القاموس في مادّة خرز وسماه خطأ أحمد بن خلف .

(٢) أي تتساقط حجراً حجراً .

نقل غناء الفرس من بنائي الكعبة :

قال إسحاق : وأخبرني ابن الكلبيّ عن أبي مِسكين قال :

كان سَعيد بن مِسجَح أسودَ مولَّداً يُكنى أبا عيسى مولى لبني جُمَح ، فرأى الفُرسَ وهم يعملون الكعبةَ لابن الزُّبير ويتغنَّون بالفارسيَّة فاشتقَّ غناءه على ذلك .

قال إسحاق : وحدّثني محمد بن سلّام عن شُعَيب بن صَخر وجَرير قالا :

كان سعيد بن مِسجَح أسودَ وهو مولى بني جُمَح يُكنى أبا عيسى .

قال إسحاق : وحدّثني المدائنيّ عن صَخر بن جعفر عن أبي قَبيل بمثل ذلك ، وذكر أنه كان يُكنى أبا عثمان . قال : وهو مولى لبني نَوفل بن الحارث كان هو وابن سُرَيج لرجلٍ واحدٍ ، ولذلك قَبِل عنه ابن سُرَيج .

ابن مسجح في حداثته :

قال إسحاق : وحدّثني الهَيثم بن عديّ عن صالح بن حسّان فذكر مثل ما ذكر أبو قَبيل من كنيته وولائه ، وقال : كان ابن مسجح فَطِناً كيِّساً ذكيّاً ، وكان أصفر حسنَ اللون ، وكان مولاه مُعجَباً به ، وكان يقول في صِغره : ليكونَنَّ لهذا الغلام شأنٌ ، وما منعني من عتقه إلا حسنُ فِراستي فيه ، ولئن عشتُ لأتعرّفنَّ ذلك ، وإن مُتُّ فهو حرٌّ ؛ فسمعه مولاهُ يوماً وهو يتغنّى بشعر ابن الرِّقاع العامليّ ، وهو من الثقيلِ الأوّلِ بالسبّابة في مجرى الوسطى :

صوت

أَلِمْ على طَلَلٍ عفا متقادمِ بين الكُلَيكِ[١] وبين غَيْبِ الناعمِ[٢]
لولا الحياء وأنّ رأسي قد عثا[٣] فيه المشيبُ لزرتُ أمّ القاسمِ

فدعا به مولاه فقال له : يا بُنيّ أعِدْ ما سمعتُه منك عليّ ، فأعاده فإذا هو أحسنُ مما ابتدأ به ، فقال : إن هذا لمن بعض ما كنتُ أقول ، ثم قال : أنّى لك هذا ؟ قال : سمعتُ هذه الأعاجمَ تتغنّى بالفارسيّة فثقفتُها[٤] وقلبتُها في هذا الشعر ، قال له : فأنت حرٌّ لوجه الله ، فلزم مولاه وكثُر أدبُه واتسعَ في غنائه ومهر بمكّةَ وأعجبوا به لظَرْفِهِ وحُسنِ ما سمعوه منه ، فدفع اليه مولاه عُبيدَ بن سُرَيج ، وقال له : يا بُنيّ علِّمه واجتهد فيه ؛ وكان ابنُ سُريج أحسن الناس صوتاً ، فتعلّم منه ثم برَّزَ عليه حتى لم يُعرَف له نظيرٌ .

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزُّبيرُ بن بكّار قال حدّثنا أخي هارونُ عن ابن الماجشون عن شيخ من أهل المدينة ، وأخبرني محمدُ بنُ خلَف بن المَرْزُبان والحسين بن يحيي قالا أخبرنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال ذكر ابن الكلبيّ عن أبي مِسكينٍ عن شيخ من أهل المدينة قال :

---

(١) الكليك كأمير ويقال له الكلاك، رواه ابن جبلة « الكلاك » كغراب، وضبطه الصاغانيّ بالكسر ككتاب وقال : هو موضع في ديار بني عامر، وقال غيره : بحزن بني يربوع؛ انظر شرح القاموس، وقد ضبطه ياقوت في معجم البلدان بالكسر ككتاب ولم يذكر الكليك .

(٢) غيب الناعم : موضع قال عنه ياقوت : إنه ورد في قول عديّ بن الرقاع وذكر البيت هكذا :

ألم على طلل عفا متقادم بين الذؤيب وبين غيب الناعم

(٣) كذا في لسان العرب في مادة « عثا » وعثا : أفسد، يقال : عثا فيه المشيب أي أفسد، وفي جميع الأصول « عسا » بالسين المهملة، ولم يظهر له معنى إلا أن يكون بمعنى اشتدّ، من قولهم : عسا النبات عسوّاً أي غلظ واشتدّ .

(٤) ثقف الشيء : فهمه وأخذه .

دخلتُ على رجل من قريش بالمدينة وعنده رجل ساكنُ الطَّرف نبيلٌ تأخذه العينُ ، لا أعرفه ، فقال له القرشيّ : أقسمتُ عليك إلّا ما غنّيتَ صوتاً ، فحوّل خاتمه من خِنصره اليُسرى الى بنصره اليمنى ، ثم تناول قَدَحاً ، فغنّاه لحنَ ابن سُريج في شعر كعب بن جُعَيل :

اذا امتشطتْ عالَوْا لها بوسادةٍ ومدّتْ عسيبَ المتن أن يتعفّرا
ثوَتْ نصفَ شهرٍ تحسَبُ الشهرَ ليلةً تُناغي[1] غزالاً ساجيَ[2] الطرف أحورا
تزيّنُ حتى تَسلبَ المرءَ عقلَه وحتى يَحارَ الطرفُ فيها ويَسكرا[3]

ثم غنّى في شعر تَوْبَة بن الحُمَيّر :

وغيّرني إن كنتِ لمّا تغيّري هواجرُ تكتنّينها وأسيرُها
وأدْماءَ[4] من سِرِّ المهاري[5] كأنها مَهاةٌ[6] صُوارٍ[7] غيرَ ما مسّ كُورُها
قطعتُ بها أجوازَ[8] كلِّ تنوفةٍ مَخوفٍ رَداها كلّما استنّ[9] مورُها
ترى ضعفاءَ القوم فيها كأنهم دَعاميصُ[10] ماءٍ نَشَّ[11] عنها غديرُها

---

(١) المناغاة : المغازلة .

(٢) ساجي الطرف : فاتره ساكنه، والأحور : الأبيض الناعم .

(٣) يقال : سكرت عينه تسكر (من باب نصر) اذا تحيرت وسكنت عن النظر .

(٤) الأدماء : من الإبل التي أشرب لونها بياضاً مع سواد المقلتين .

(٥) السرّ : المحض، يقال : «هو في سر النسب» أي محضه وأفضله؛ والمهاري : جمع مَهريّة وهي إبل منسوبة الى مهرة ابن حَيدان، وقيل : هي منسوبة الى بلد ، وقال الأزهري : هي نجائب تسبق الخيل .

(٦) المهاة : البقرة الوحشية .

(٧) الصوار : قطيع البقر .

(٨) الأجواز : جمع جوز وهو وسط الشيء ومعظمه، يقال : قطعوا جوز الفلاة وأجواز الفلا، والتنوفة : الفلاة التي لا ماء بها .

(٩) استنّ : هاج وثار من استن الفرس في المضمار اذا جرى في نشاطه على سنن؛ والمور : الغبار تثيره الرياح .

(١٠) الدعاميص : دود أسود يكون في الغدران اذا نشّت، او هو دود له رأسان يرى في الماء اذا قل .

(١١) نش الغدير : يبس ماؤه ونضب .

قال: فقلت له إني لأَرْوِي هذا الشعرَ وما أعرِف هذه الأبيات فيه، فقال: هكذا رويتُها عن عبد الله بن جعفر، قال: واذا هو نافعُ الخيرِ مولى عبد الله ابن جعفر.

الغناء في هذين اللحنين لابن مِسجح ولم أجد لهما طريقةً في شيء من الكتب التي مرّت. وذكر حبشٌ أن في أبيات كعب بن جُعَيل لإبراهيمَ خفيفَ رملٍ بالوسطى.

دور معاوية بمكة:

حدّثني جعفرُ بن قُدامةَ بن زِياد الكاتبُ وعمّي وحبيبُ بن نصر المهلّبيّ قالوا حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني عبد الله بن محمد بن موسى الهاشميّ قال حدّثني أحمد بن موسى بن حمزة بن عِمارة بن صَفوانَ الجُمَحيّ عن أبيه قال:

أوّلُ مَنْ نقل الغناء الفارسيّ من الفارسيّ الى الغناء العربيّ سعيدُ بن مِسْجَح مولى بني مَخزوم. قال: وقد يُختلفُ في وَلائه إلا أن الأغلب عليه ولاء بني مخزوم، وذلك أنّ معاوية بن أبي سفيان لما بنى دورَه التي يقال لها: «الرُّقْط[1]» — وهي ما بين الدارَين الى الرَّدْم[2]: أوّلها الدارُ البيضاء وآخرها دارُ الحَمَّام، وهي على يسار المُصعِدِ من المسجد الى «رَدْمِ عُمَرَ» — حمل لها بَنَّائينَ فُرْساً من العراق فكانوا يبنونها بالجِصّ والآجرّ، وكان سعيدُ بن مِسجح يأتيهم فيسمع من غنائهم على بُنيانِهم، فما استحسنَ من ألحانهم أخذه ونقله الى الشعر

(١) كذا في جميع الأصول، وقد تعرّض الأزرقيّ في تاريخ مكة لدور معاوية وذكر أنّ من بينها داراً تسمّى «الرقطاء» وسميت بذلك لأنها بُنيت بالآجرّ الاحمر والجصّ الابيض، ومنها «الدار البيضاء» وسمّيت بذلك لانها بنيت بالجصّ ثم طليت بـه وكانت كلّها بيضاء، ثم ذكر بقيّة الدور بأسمائها ولم يذكر أنّ هناك دوراً تسمّى الرقط (انظره في صفحتي ٤٤٩ و ٤٥٠) طبع ليبسك.

(٢) يريد به ردم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد ذكر في تاريخ مكة (ص ٤٥٠) ولم يذكر ياقوت في معجمه إلا ردم بني جمح بن عمرو.

العربيّ، ثم صاغ على نحو ذلك؛ وهو الذي عَلَّمَ الغريضَ، فكان من قديم غنائه الذي صنعه على تلك الأغاني:

صوت

أَسلامُ إنكِ قد مَلَكْتِ فَأَسجِحي[1] قد يملِكُ الحرُّ الكريمُ فيُسْجِحُ
مُنّي على عـانٍ أطلتِ عَناءه في الغُلِّ عندكِ والعُناةُ تُسَرَّحُ
إني لأنصحكُمْ وأعلَمُ أنـه سِيَانِ عندكِ مَنْ يَغُشُّ ويَنصَحُ
وإذا شكوتُ إلى سَلامـةَ حُبَّها قالتْ أجِدٌّ منكَ ذا أم تمزَحُ

— الشعر للأحوَص. والغناء لابن مِسجَح ثقيلٌ أولُ بالبنصر. ولِدَحْمان فيه ثقيلٌ أولُ بالبنصر. ولمالكٍ فيه خفيفُ ثقيلٍ عن الهشاميّ — قال: وهو أوّل من غنّى الغناء العربيّ المنقولَ عن الفارسيّ. وعاش سعيدُ بنُ مِسجح حتى لقِيَهُ معبدٌ وأخذ عنه في أيّام الوليد بن عبد الملك.

عند عبد الملك:

حدّثني عمّي والحسينُ بن القاسم الكوفيّ قالا جميعاً حدّثنا محمدُ بن سعيد الكُرانيّ قال حدّثني النضرُ بن عمرو قال حدّثني أبو أميّـةَ القرشيّ قال حدّثنا دَحْمان الأشقرُ قال:

كنت عاملاً لعبد الملك بن مروان بمكة فنُمِيَ اليه أنّ رجلاً أسودَ يقال له: سعيدُ بنُ مِسجح أفسدَ فِتيان قريش وأنفق عليه أموالهم، فكتب اليّ: أن أقبض ماله وسَيِّره، ففعلتُ. فتوجّه ابنُ مِسجح الى الشام فصَحِبه رجـلٌ له

---

(١) الإسجاح: حسن العفو، ومنه المثل السائر في العفو عنـد المقدرة «ملكت فأسجح» وهو مرويّ عن عائشة قالته لعلي رضي الله عنها يوم الجمل حين ظهر على الناس فدنا من هودجها ثم كلمها بكلام، فأجابته: «ملكت فأسجح» أي ظفرت فأحسن وقدرت فسهل.

جوارٍ مُغَنّياتٌ في طريقه، فقال له: أين تُريدُ؟ فأخبره خبرَه، وقال له: أريد الشامَ، قال له: فتكونُ معي؟ قال: نعم، فصحبه حتى بلغا دِمَشقَ فدخلا مسجدها فسألا: مَنْ أخصُّ الناس بأمير المؤمنين؟ فقالوا: هؤلاء النفرُ من قريش وبنو عمه، فوقف ابن مِسجح عليهم وسلّم ثم قال: يا فِتيانُ، هل فيكم مَنْ يُضيفُ رجلاً غريباً من أهل الحجاز؟ فنظر بعضهم الى بعضٍ وكان عليهم مَوعدٌ أن يذهبوا الى قَينةٍ يُقال لها: «بَرقُ الأُفقِ» فتثاقلوا به إلا فتى منهم تذَمّم[1] فقال: أنا أُضيفُكَ، وقال لأصحابه: انطلقوا أنتم وأنا أذهبُ مع ضيفي، قالوا: لا، بل تجيء أنت وضيفكَ، فذهبوا جميعاً الى بيت القَينةِ، فلما أُتوا بالغداء قال لهم سعيدٌ: إني رجلٌ أسودُ ولعلّ فيكم من يَقذَرُني فأنا أجلسُ وآكلُ ناحيةً وقام، فاستحيَوا منه وبعثوا اليه بما أكل، فلما صاروا الى الشراب قال لهم مثلَ ذلك، ففعلوا به، وأخرجوا جاريتين فجلستا على سريرٍ قد وُضع لهما، فغنّتا الى العِشاء ثم دخلتا، وخرجت جاريةٌ حَسنةُ الوجهِ والهيئةِ وهما معها فجلستْ على السريرِ وجلستا أسفلَ منها عن يمين السريرِ وشماله قال ابن مِسجح: فتمثّلتُ[2] هذا البيتَ.

فقلتُ أشمسٌ أم مَصابيحُ بيعةٍ بَدَتَ لكَ خلفَ السَّجفِ أم أنت حالمُ

فغضبت الجارية وقالت: أيَضربُ هذا الأسودُ بي الأمثالَ! فنظروا إليّ نظراً مُنكراً ولم يزالوا يُسكّنونها، ثم غنّتْ صوتاً، فقال ابن مِسجح: أحسنْتِ والله، فغضب مولاها وقال: أمثلُ هذا الأسودِ يُقدِمُ على جاريتي! فقال لي الرجل الذي أنزلني عنده: قم فانصرف الى منزلي فقد ثَقُلتَ على القوم، فذهبتُ أقومُ فتذمّم القوم وقالوا لي: بل أقِمْ وأحسِنْ أدَبكَ فأقمتُ، وغنّتْ فقلتُ: أخطأتِ والله يا زانيةُ وأسأتِ، ثم اندفعتُ فغنّيتُ الصوتَ فوثبتِ الجاريةُ فقالت لمولاها: هذا والله أبو عثمان سعيدُ بنُ مِسجح، فقلت: إني والله أنا هو، والله لا أقيمُ

(١) تذمم أي خشي الذمّ واللوم.

(٢) يقال: تمثّلتُ هذا البيت وتمثّلتُ به اذا ضربته مثلاً.

عندكم ، فوثب القُرشيُّون فقال هذا : يكون عندي ، وقال هذا : يكون عندي ، وقال هذا : بل عندي ، فقلت : والله لا أقيمُ إلا عند سيّدكم – يعني الرجل الذي أنزله منهم – ثم سألوه عما أقدمه فأخبرهم الخبرَ ، فقال له صاحِبُه : إني أسمرُ الليلةَ مع أمير المؤمنين فهل تُحسِنُ أن تَحدُوَ ؟ قال : لا ، ولكني أستعمل حداء قال : فإن منزلي بِحذاء منزل أمير المؤمنين فإن وافقتُ منه طِيب نفسٍ أرسلتُ اليكَ ، ومضى الى عبد الملك فلما رآه طَيّبَ النفس أرسلَ الى ابن مسجح وأخرج رأسه من وراء شُرَف القصر ثم حدا :

إنّكَ يا مُعاذُ يابْنَ الفُضّلِ   إن زُلْزِلَ الأقدامُ لم تُزَلْزَلِ
عن دين موسى والكتابِ المُنزلِ   تُقيمُ أصداغَ[1] القرونِ المُيَّلِ
للحقّ حتى ينتحُوا للأعدل

فقال عبد الملك للقرشيّ : مَن هذا ؟ قال : رجلٌ حجازيّ قَدِمَ عليّ ، قال : أحضِرْه فاحضره له ، وقال له : أحدُ مُجِداً ، ثم قال له : هل تُغَنّي غِناء الركبان ؟ قال : نعم ، قال : غنِّه ، فتغنّى ، فقال له : فهل تغنّي الغناء المُتقَن ؟ قال : نعم ، قال : غنِّه ، فتغنّى فاهتزّ عبد الملك طرباً ، ثم قال له : أُقسم إن لـك في القوم لأسماء كثيرة ، مَنْ أنت ؟ ويلك ! قال له : أنا المظلوم المقبوض ماله المُسيَّر عن وطنه سعيدُ ابنُ مِسْجح ، قبض مالي عاملُ الحجاز ونفاني ، فتبسّم عبدُ الملك ثم قال له : قد وَضح عذرُ فتيان قريش في أن يُنفقوا عليك أموالَهم ، وأمّنــه ووَصله وكتب الى عامله بردّ ماله عليه وألا يَعرِض له بسوء .

صوت

من المائة المختارة

سلَا دارَ ليلى هــل تُبينَ فتَنْطِقُ   وأنّى تَرُدّ القولَ بيداء سَمْلَقُ[2]

(١) من صدغ يصدغ صدوغاً وصدغاً بمعنى مال ومنه «لأقيمن صدغك» أي ميلك .
(٢) السملق : القاع المستوي الأملس الذي لا شجر فيه .

وأنّى تردّ القولَ دارٌ كأنها ... لطُول بِلاها والتقادُمِ مُهْرَقُ (١)

عروضُه من الطويل، الشِعر لابن المولى. وذكر يحيي بن عليّ بن يحيي عن إسحاق أن الشعرَ للأعشى؛ وذلك غلط، وقد التمسناه في شعر كل أعشى ذُكِر في شعراء العرب فلم نجده، ولا رواه أحدٌ من الرُواة لأحد منهم، ووجدناه في شعر ابن المولى من قصيدة له طويلة جيّدة، وقد أثبتناها بعقِب أخباره ليُوقَفَ على صحّة ما ذكرناه، إذ كان الغلط إذا وقع من مثل هذه الجهة احتيج الى إيضاح الحجة على ما خالفه والدّلالة على الصواب فيه. والغناء في اللحن المختار لعطرّد ثقيلٌ أوّل بالسّبابة في مجرى البنصر عن إسحاق ويونس وعمرو، وفيه لأيّوبِ زهرة خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن الهشاميّ وأحمد بن المكيّ. وفي غناء أيّوب زهرة زيادة بيتين وهما:

وقال خليلي والبكا ليَ غالبٌ ... أقاضٍ عليك ذا الأسى والتشوّقُ
وقد طال توْقاني (٢) أكفكِف عَبْرةً ... تكاد إذا ردّتْ لها النفسُ تَزْهقُ

---

(١) المهرق: الصحيفة، ومن عادة العرب تشبيه الديار والمنازل اذا عفت وأقوت بالصحف والكتابة، قال امرؤ القيس:

أتت حجج بعدي عليها فأصبحت ... كخط زبور في مصاحف رهبان

وقال العجاج:

يا صاح ما هاج الدموع الذرفا ... من طلل أمسى تخال المصحفا

والمصحف: الصحيفة.

(٢) توقاني: اشتياقي وقد سكن لضرورة الشعر.

اخبار ابن المولى ونسبه

هو محمد بن عبد الله بن مُسلِم بن المَولى مولى الأنصار ثم من بني عمرو بن عَوف، شاعرٌ متقدّم مجيد من مُخضرَمي الدولتين ومَدّاحي أهلها، وقدِم على المهديّ وأمتدحه بعدّة قصائد فوَصله بصِلاتٍ سنِيّةٍ، وكان ظريفاً عفيفاً نظيفَ الثياب حسنَ الهيئة.

قدومه على المهدي :

أخبرني عمي قال حدّثنا محمد بن عبد الله الخزَنبل قال قال لي محمد بن صالح أبن النَّطّاح :

كان أبن المولى يسمّى محمداً مولى بني عمرو بن عوف من الأنصار، وكان مسكنه بقُباء، وكان يَقْدَم على المهديّ فيمدحه، فقدِم عليه فأنشده قولَه :

سَلا دارَ ليلى هل تُبِين فَتَنطِقُ ... وأنّى تردّ القولَ بيداءُ سَمْلَقُ
وأنّى تردّ القولَ دارٌ كأنها ... لطول بِلاهـا والتقادمِ مُهرَقُ
وقال خليـلي والبكا ليَ غالبٌ ... أقاضٍ عليك ذا الأسى والتشوّقُ
وإنسانُ عيني في دوائرِ لُجَّـةٍ ... من الدمع يبدو تارةً ثم يَغرَقُ

يقول فيها :

إلى القائم المهديّ أعملتُ ناقتي ... بكل فـلاةٍ آلُها[1] يترقرقُ

---

(١) الآل : السراب .

إذا غالَ[١] منها الركب صحراء برّحت بهم بعدها في السير صحراء دردقُ[٢]
رَميتُ قَراها[٣] بين يوم وليلة بفَتْلاءَ[٤] لم ينكُبْ لها الزَّوْرَ مِرْفَقُ
مُزَمَّرَة[٥] سَقْباً كأن زِمامَها بجرداء من عُمٍّ[٦] الصَّنَوْبَر مُعلَقُ
موكَّلةٌ بالقادحات كأنها وقد جَعلت منها الثَّميلة[٧] تَخْلُقُ
بِقِيّ[٨] الملا هَيْق[٩] أمام رِئاله[١٠] أصمُّ هِجَفٌّ[١١] أقرعُ الرأس نِقْنِقُ[١٢]
تراها إذا استعجلتَها وكأنها على الأَيْن يَغْرُوها من الرَّوْع أَوْلَقُ[١٣]
مورِّكة[١٤] أرضَ العُذَيب[١٥] وقد بدا فسُرَّ به للآئبين الخَوَرْنَقُ[١٦]

---

(١) يقال : غالت الأرض السابلة أي قذفت بهم وأبعدتهم .

(٢) كذا في الأصول . والدردق : الطريق، والصف من النخل، والصغير من كل شيء، وكل هذه المعاني لا تتفق والمعنى المراد، ولعلها مما لم يرد تفسيره في المعاجم، أو لعلّ المراد بها «فيهق» يقال : أرض فيهق، ومفازة فيهق أي واسعة .

(٣) القراء : الظهر .

(٤) يقال : ناقة فتلاء إذا كان في ذراعيها فتل وهو تباعدها عن الجنبين كأنها فتلتا عنها .

(٥) كذا في جميع النسخ بالزاي المعجمة ولعله مضعف من زمر الظليم بمعنى صوّت، وقد أصلحه الأستاذ الشنقيطي بهامش نسخته بالذال المعجمة، وربما أراد أن تكون من ذمر بمعنى حث فهو يصفه بأنها سريعة السير لأنها محثوثة عليه . والسقب : الطويل من كل شيء .

(٦) العمّ : النخل الطوال، واستعير هنا لطول شجر الصنوبر .

(٧) الثميلة : ما يبقى في بطن الدابة من العلف والماء وما يدخره الانسان من طعام وغيره، وكل بقية ثميلة .

(٨) القيّ : القفر .

(٩) الهيق : الظليم .

(١٠) الرئال : أفراخ النعام واحدها رأل .

(١١) الهجف : الظليم المسن، وقيل : الجافي الثقيل من النعام .

(١٢) النقنق : الظليم .

(١٣) الأولق : الجنون .

(١٤) موركة : مجاوزة .

(١٥) العذيب : ماء بين القادسية والمغيثة بينه وبين القادسية أربعة أميال .

(١٦) الخورنق : قصر بالحيرة .

فاستحسنها المهديّ وأجزل صِلته، وأمر فغُنِّيَ في نسيب القصيدة. فأمّا ما شَرَطتُ ذكره من تمام القصيدة فهو بعقِب البيت الثاني منها:

عفَتْها الرياحُ الرامِساتُ[1] مع البِلى ... بأذيالها والرائحُ المُتَبَعِّقُ[2]
بكلّ شآبيبٍ من الماء خلفَها ... شآبيبُ ماءٍ مُزْنُها متألِّقُ
إذا رَيِّقٌ[3] منها هُرِيقَتْ سِجالُه ... أُعِيد لها كِرْفىءٌ[4] ماءٍ وريِّقُ
فأصبح يرمي بالرَّبابِ[5] كأنما ... بأرجله منه نَعامٌ مُعلَّقُ
فلا تبكِ أطلالَ الديّار فإنها ... خبالٌ لمن لا يدفع الشوقَ عَوْلَقُ[6]
وإنّ سَفاهاً أن تُرَى متفجِّعاً ... بأطلال دارٍ أو يقودكَ مَعلَقُ
فلا تَجْزَعَنْ للبين كلُّ جماعةٍ ... وجَدِّكَ مكتوبٌ عليها التفرُّقُ
وخذ بالتعزّي كلُّ ما أنتَ لابسٌ ... جديداً على الأيام بالٍ ومُخْلِقُ
فصبرُ الفتى عما تولّى فإنه ... من الأمر أولى بالسَّداد وأوفقُ

ويروى: «أدنى للذي هو أوفق».

وإنك بالإشفاق لا تدفع الرّدى ... ولا الحَيْنُ محاوبٌ فما لك تُشفِقُ
كأن لم يَرُعْك الدهرُ أو أنتَ آمنٌ ... لأحداثه فيما يُغادي ويَطرُقُ
فقال خليلي والبكا ليَ غالبٌ ... أفاضٍ عليك ذا الأسى والتَّشوُّقُ
وقد طال تَوقاني أُكفكِفُ عَبرةً ... على دِمنةٍ كادت لها النفسُ تَزهَقُ
وإنسانُ عيني في دوائرِ لجّةٍ ... من الماء يبدو تارةً ثم يَغرَقُ

---

(١) عفتها: محتها ودرستها، والرامسات: الدوافن للآثار.

(٢) الرائح المتبعق: المطر المندفع، قال رؤبة: جود كجود الغيث إذ تبعّقا

(٣) الريق: المطر اليسير يصيبك منه شيء.

(٤) الكرفىء: السحاب المرتفع وقد دخل على هذا الشطر «الكف» وهو حذف السابع الساكن من «مفاعيلن» الاول وهو قبيح.

(٥) الرباب: السحاب الابيض.

(٦) العولق: الغول، وهو صفة لخبال.

وللدّمع من عيني شَرِيجا[١] صبابةٍ   مُرِش[٢] الرّجا[٣] والجائلُ المترقرقُ
وكنتُ أخا عِشق ولم يك صاحبي   فيعــذِرَني ممّا يَصبُ ويعشَقُ
وقد يعذِر الصبُّ السقيمُ ذوي الهوى   ويَلحى المحبّين الصديقُ فيَخرَقُ
وعاب رجالٌ أن عَلِقتُ وقد بدا   لهم بعضُ ما أهوى وذو الحلم يعلَقُ

والقصيدة طويلة . وفي بعض ما ذكرته منها دلالةٌ على صحّة ما قلته .

ليلاه :

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني عبد الملك بن عبد العزيز قال :

خرجتُ أنا وأبو السائب المخزوميّ وعُبَيد الله بن مُسلِم بن جُندب وأبن المولى وأَصبغ بن عبــد العزيز بن مروان الى قُباء ، وأبن المولى مُتنكِب[٤] قوساً عربية ، فأنشد أبن المولى لنفسه :

وأبكي فلا ليلى بكت من صَبابةٍ   إليّ ولا ليلى لذي الودّ تَبذُلُ
وأخنَعُ[٥] بالعُتبى إذا كنتُ مُذنباً   وإن أذنَبَتْ كنتُ الذي أتنصّلُ

فقال له أبو السائب وعبيد الله بن مسلم بن جُندَب : مَن ليلى هذه حتى نقودَها اليك ؟ فقال لهما أبن المولى : ما هي والله إلّا قَوسي هذه سمّيتها ليلى .

في هذين البيتين ثقيلٌ أوّلُ مطلق في مجرى الوسطى لخَزْرَجٍ ، ويقال : إنه لهاشم أبن سليمان .

(١) الشريجان : لونان مختلفان .

(٢) المرش : الذي يقطر ماؤه .

(٣) الرجا : ناحية البئر .

(٤) يقال : تنكّب القوس إذا ألقاها على منكبه .

٥ خنع : أخضع .

مدحه ابن حاتم :

أخبرني عمي قال حدّثنا أبو هفّان قال أخبرني أبو محلِّم عن المفضَّل الضَّبيّ قال : وفد ابن المولى على يزيد بن حاتم وقد مدحه بقصيدته التي يقول فيها :

يا واحدَ العرب الذي أضحى وليس له نظيرُ
لو كان مثلَك آخرٌ ما كان في الدّنيا فقيرُ

قال : فدعا بخازنه وقال: كم في بيت مالي ؟ فقال له : من الورق[1] والعين بقيّةُ عشرون ألفَ دينار، فقال : ادفعها اليه، ثم قال : يا أخي، المعذرة الى الله واليك، والله لو انّ في ملكي أكثرَ لما احتجبتُها[2] عنك .

أخبرني الحسن بن عليّ ومحمد بن خلف بن المرزُبان قالا حدّثنا أحمد بن زُهير بن حَرْب قال حدّثنا مُصعَب الزُّبيريّ عن عبد الملك بن الماجشون قال :

كان ابن المولى مَدّاحاً لجعفر بن سليمان وقُثَم بن العبّاس الهاشميَّين ويزيد بن حاتم بن قَبيصة بن المهلّب ، واستفرغ مدحَه في يزيد وقال فيه قصيدته التي يقول فيها :

يا واحدَ العرب الذي دانت له قحطانُ قاطبةً وساد نِزارا
إنّي لأرجو إن لقيتُك سالماً ألّا أعالجَ بعدَك الأسفارا
رِشتَ[3] النّدى ولقد تكسّر ريشه فعلا النّدى فوقَ البلاد وطارا

ثم قَصَده بها الى مصر وأنشده إيّاها ؛ فأعطاه حتى رضيَ . ومرض ابن المولى عنده مَرضا طويلاً وثقُل حتى أشفى[4] ، فلمّا أفاق من علّته ونهض ، دخل عليه يزيد بن

(١) الورق : الفضة، والعين : الذهب .

(٢) كذا في الاصول، وليس في كتب اللغة التي بين الايدي « احتجب » متعدياً بنفسه ولعلها « حجبتها » .

(٣) رشت الندى : جعلت له ريشاً .

(٤) أشفى : أشرف على الموت .

حاتم متعرِّفاً خبرَه ، فقال : لوددْتُ والله يا أبا عبد الله ألّا تُعالج بعدي الأسفار حقًّا، ثم أضعفَ صلته .

أخبرني الحسن قال حدّثنا أحمد بن زُهير قال حدّثني الزُّبير بن بَكّار عن عبد الملك بن عبد العزيز قال أخبرني ابن المولى قال :

كنت أمدَح يزيد بن حاتم من غير أن أعرِفه ولا ألقاه ، فلما ولّاه المنصور مصرَ أخذ على طريق المدينة فلقِيتُه فأنشدْتُه ، وقد خرج من مسجد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الى أن صار الى مسجد الشّجرة ، فأعطاني رِزْمَتَيْ[1] ثياب وعشرةَ آلاف دينار فاشتريتُ بها ضِياعاً تُغِـلّ[2] ألفَ دينار ، أقومُ في أدناها وأصيح بقَيِّمي ولا[3] يَسمعني وهو في أقصاها .

أخبرني عمي قال حدّثنا الخَزْنَبَلُ عن عمرو بن أبي عمرو قال : بلغني أنّ الحسن ابن زيد دعا بابن المولى فأغلظ له وقال : أتُشبِّب بحُرَم المسلمين وتُنشِدُ ذلك في مسجد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وفي الأسواق والمحافـل ظاهراً ! فحلف له بالطّلاق أنه ما تعرّض لمحرَّم قطّ ولا شبّب بامرأة مُسلم ولا مُعاهدٍ قطّ ، قال : فمن ليلى هذه التي تَذكُر في شعرك ؟ فقال له : امرأتي طالق إن كانت إلّا قَوسي هذه، سمّيتُها ليلى لأذكُرَها في شعري، فإن الشعر لا يحسن إلّا بالتشبيب، فضحك الحسن ثم قال : إذا كانت القصة هذه فقل ما شئت .

تشوقه الى المدينة :

فقال[4] الخزنبل : وحُدّثت عن ابن عائشة محمد بن يحيي قال : قدِم ابن المولى

---

(١) الرزمة من الثياب : ما شُدّ في ثوب واحد .

(٢) تغلّ : تعطي من الغلة .

(٣) كذا في جميع النسخ، والمقام هنا للفاء .

(٤) كذا في جميع النسخ والظاهر أن الفاء هنا من زيادات النساخ .

الى العراق في بعض سِنيه[1] فأخفقَ وطال مُقامه وغرِض[2] به وتشوّق الى المدينة فقال في ذلك :

صوت

ذهبَ الرجالُ فلا أحِسّ رِجالا وأرى الإقامةَ بالعراق ضَلالا
وطرِبتُ إذ ذكَر المدينةَ ذاكرٌ يومَ الخميس فهاج لي بَلْبالا[3]
فظللتُ أنظرُ في السماء كأنّني أبغي بناحية السماء هلالا
طربا الى أهل الحجاز وتارة أبكي بدمع مُسبِل[4] إسبالا

غنّى في هذه الأربعة الأبيات ابن عائشة . ولحنه ثاني ثقيل عن الهشاميّ . وذكره حمّاد عن أبيه في أخباره ولم يذكر طريقته .

فيقال قد أضحى يُحدّثُ نفسه والعينُ تَذرِف في الرّداء سِجالا[5]
إنّ الغريب إذا تذكّر أوشكت منه المدامع أن تَفيض عِلالا[6]
ولقد أقول لصاحبي وكأنّه ممّا يعالج ضُمِّن[7] الأغلالا
خَفِّضْ عليك فما يُرَدّ بك تَلفةٌ لا تُكثِرنّ وإن جزِعتَ مَقالا
قد كنتَ إذ تَدَعُ المدينةَ كالذي ترك البحارَ ويَمّم الأوشالا[8]
فأجابني خاطرٌ بنفسك لا تكن أبداً تُعَدّ مع العِيال عِيالا

(١) ويروى « سنينه » وكلتا الروايتين صحيحة .

(٢) غرض : ضجر وقلق .

(٣) البلبال : شدّة الهم .

(٤) أسبل يستعمل متعدياً ولازماً .

(٥) السجال : جمع سجل وهو الدلو العظيمة اذا كان فيها ماء .

(٦) علالا : مرة بعد أخرى .

(٧) ضمن الاغلالا أي قيّد بها .

(٨) الاوشال : جمع وشل وهو الماء القليل .

واْعلم بأنك لن تنال جسيمةً حتى تُجشّم نفسك الأهوالا
إنّي وجدك يومَ أترك زاخراً بحراً يُنفل سيبُه الأنفالا [1]
لأضلّ مَن جلبِ القوافي صعبةً حتى أذلّ مُتونها إذلالا

مدح المهدي :

قال الحَزنبل : وحدّثني عمرو بن أبي عمرو عن أبيه قال حدّثني مولى للحسن ابن زيد قال :

قدم ابنُ المولى على المهديّ وقد مدحه بقصيدته التي يقول فيها :

وما قارع الأعداء مثلُ محمد اذا الحرب أبدت عن حجول الكواعبِ [2]
فتىً ماجدُ الأعراقِ من آل هاشمٍ تَبحبح [3] منها في الذُّرى والذوائبِ
أشمُّ من الرّهط الذين كأنّهم لدى حِندسِ [4] الظلماء زُهرُ الكواكبِ
إذا ذُكِرت يوماً مناقبُ هاشمٍ فإنكمُ منها بخيرِ المناصبِ
ومَن عِيبَ في أخلاقه ونصابه [5] فما في بني العبّاس عيبٌ لعائبِ
وإنّ أميرَ المؤمنين ورَهطهُ لأهلُ المعالي من لؤيّ بن غالبِ
أولئك أوتادُ البلادِ ووارثو النـبيِّ بأمرِ الحقّ غير التكاذبِ

ثم ذكر فيها آل أبي طالبٍ فقال :

وما نَقِموا إلا المودّةَ منهمُ وان غادرُوا فيهم جزيلَ المواهبِ
وأنهمُ نالوا لهم بدمائهم شفاءَ نفوسٍ من قتيلٍ وهاربِ

(١) السيب : الجود والعطاء، والانفال: جمع نفل وهو الهبة والعطية. ونفّل النفل : أعطاه .
(٢) حجول : جمع حجل وهو الخلخال .
(٣) تبحبح : تمكن .
(٤) الحندس : الليل الشديد الظلمة، ويقال ايضاً : ليلة ظلماء حندس على الصفة .
(٥) النصاب: الاصل .

وقاموا لهم دون العدا وكَفَوْهُمُ ... بِسُمر القنا والمُرْهَفاتِ القواضبِ [١]
وحامَوْا على [٢] أحسابهم وكرائمٍ ... حسانِ الوجوهِ واضحاتِ التّرائبِ
وإن أميرَ المؤمنين لعائدٌ ... بإنعامه فيهم على كلّ تائبِ
إذا ما دَنَوْا أدناهُمُ وإذا هفَوْا ... تَجاوز عنهم ناظراً في العواقبِ
شفيقٌ على الأقْصَيْن أن يركبوا الرّدى ... فكيف به في واشجات [٣] الأقارب

قال: فوصله المهديّ بصلة سنيّة، وقدم المدينةَ فأنفق وبنى دارَه ولبس ثياباً فاخرةً، ولم يزل كذلك مدى حياته بعد ما حباه. ثم قدم على الحسن بن زيد وكانت له عليه وظيفةٌ في كلّ سنة فدخل عليه فأنشده قولَه يمدحه:

هاج شوقي تفرّقُ الجيرانِ ... واعترتني طوارقُ الأحزانِ
وتذكّرتُ ما مضى من زماني ... حين صار الزمانُ شرَّ زمانِ

يقول فيها يمدح الحسن بن زيد:

ولو أن امرأً ينال خلوداً ... بمحلٍّ ومَنصِبٍ ومكانِ
أو ببيتٍ ذُراه تَلصَق بالنجـ ... ـم قِراناً في غير بُرجِ قِرانِ
أو بمجد الحياة أو بسماحٍ ... أو بحلم أوفَى على ثَهْلان [٤]
أو بفضلٍ لناله حسَنُ الخيـ ... ـر بفضلِ الرسول ذي البرهانِ
فضلُه واضحٌ برهط أبي القا ... سم رهطِ اليقين والايمانِ
همْ ذَوُو النور والهُدى ومَدى الأمـ ... ـر وأهلُ البرهان والعِرفانِ
مَعْدِنُ الحق والنبوّة والعد ... ل إذا ما تنازع الخَصمانِ
وابنُ زيد إذا الرجال تَجارَوْا ... يوم حَفلٍ وغايةٍ ورِهانِ

(١) القواضب: القواطع.

(٢) ضمن هنا «على» معنى «عن».

(٣) الواشجات: جمع واشجة وهي الرحم المشتبكة المتصلة.

(٤) ثهلان: جبل ضخم بالعالية.

سابقٌ مُغلِقٌ مُجيزُ رِهانٍ وَرِثَ السَّبقَ من أبيه الهجانِ[1]

قال: فلما أنشده إياها دعا به خالياً ثم قال له: يا عاضٌ كذا من أمه، أمّا إذا جئت الى الحجاز فتقول لي هذا، وأما إذا مضيت الى العراق فتقول:

وإن أميرَ المؤمنين ورهطَه لَرَهطُ المعالي من لُؤَيِّ بن غالبِ
أولئك أوتادُ البلاد ووارِثو النـبيِّ بأمرِ الحقِّ غيرِ التكاذُبِ

فقال له: أتُنصِفني يابن الرسول أم لا؟ فقال: نعم، فقال: ألم أقل:

وإن أميرَ المؤمنين ورهطه

ألستم رهطه؟ فقال: دَعْ هذا، ألم تقدِر أن يَنفُق شعرُك ومديحك إلا بتهجين أهلي والطعنِ عليهم والاغراء بهم حيث تقول:

وما نقَموا إلا المودّةَ منهُمُ وأن غادروا فيهم جزيلَ المواهِبِ
وأنهمُ نالوا لهم بدمائهم شفاءَ نُفوسٍ من قتيلٍ وهاربِ

فوجَم ابنُ المولى وأطرق ثم قال: يابن الرسول إن الشاعر يقول ويتقرّب بجهده، ثم قام فخرج من عنده منكسراً، فأمر الحسنُ وكيلَه أن يحملَ اليه وظيفته ويزيدَه فيها ففعل، فقال ابن المولى: والله لا أقبلها وهو عليَّ ساخطٌ، فأما إن قرنها بالرضا فقبلتُها، وأما إن أقام وهو عليَّ ساخط البتّةَ فلا؛ فعاد الرسول إلى الحسن فأخبره؛ فقال له: قل له: قد رضيتُ فاقبلْها. ودخل الى الحسن فأنشده قولَه فيه:

سألتُ فأعطاني وأعطى ولم أسلْ وجاد كما جادت غوادٍ[2] رَواعِدُ
فأقسِم لا أنفكُّ أنشِدُ مَدحَه إذا جمعتْني في الحجيج المَشاهدُ
إذا قلتُ يوماً في ثنائي قصيدةً ثَنَيتُ بأخرى حيث تُجزَى القصائدُ

(١) الهجان: الكريم الحسيب.

(٢) الغوادي: جمع غادية وهي السحابة تنشأ غدوة.

مدح يزيد بن حاتم :

قال الخزنبل : وحدّثني مالك بن وهب مولى يزيد بن حاتم المهلّبي قال :

لما انصرف يزيد بن حاتم من حرب الأزارقة[١] وقد ظفر ، خلع عليه وعقد له لواء على كُوَر الأهواز وسائر ما افتتحه ، فدخل عليه ابن المولى وقد مدحه فاستأذن في الإنشاد فأذن له فأنشده :

صوت

ألا يا لقومي هل لما فات مَطلبُ وهل يُعذَرَنْ ذو صَبْوة وهو أشيَبُ
يحِنّ إلى ليلى وقد شَطَّت النوى بليلى كما حَنّ اليَرَاعُ المثقّبُ[٢]

غنّى في هذين البيتين عطرّد ، ولحنه رَمَلٌ بالوسطى عن عمرو بن بانة ؛ وفيه ليونس لحن ذكرَه لنفسه في كتابه ولم يذكر طريقته .

تقرّبتُ[٣] ليلى كي تُثيب فرادني بِعاداً على بعدٍ اليها التقرّبُ
فداويتُ وجدي باجتنابٍ فلم يكن دواء لِما ألقاه منها التجنُّبُ
فلا أنا عند النّأي سالٍ لحبها ولا أنا منها مُشتَفٍ حين تَصْقَبُ[٤]
وما كنت بالراضي بما غيرُه الرِّضا ولكنني أنوي العزاء فأُغلَبُ

---

(١) الأزارقة : فرقة من الخوارج وهم أصحاب نافع بن الأزرق .

(٢) اليراع المثقب : المزمار .

(٣) كذا في الأصول ولم نجد في كتب اللغة التي بأيدينا تقرّب متعدياً بنفسه وإنما يقال : تقرّبت إليه، فلعله نصب على حذف الجار .

(٤) تصقب : تقرب .

وليلٍ خُداريٍّ(١) الرِّواق تَجشَّمتُه إذا هابه السارون لا أتهيَّبُ
لأظفرَ يوماً من يزيد بن حاتم بجبل جوارٍ ذاك ما كنتُ أطلبُ
بلوتُ وقلّبتُ الرجال كما بَلا بكفَّيه أوساطَ القِداح مُقلِّبُ
وصَعَّدني همّي(٢) وصَوَّب مرةً وذو الهمّ يوماً مُصْعَدٌ ومُصوَّبُ
لأعرف ما آتى فلم أرَ مثله من الناس فيما حاز شرقٌ ومغربُ
أكرَّ على جيش وأعظمَ هيبةً وأوهبَ في جود لما ليس يوهبُ
تصدّى رجالٌ(٣) في المعالي ليلحقوا مَداك وما أدركته فتذبذبوا
ورُمتَ الذي راموا فأذللتَ صعبه وراموا الذي أذللتَ منه فأصعبُ(٤)
ومهما تَناولْ من مَنال سنيّة يساعدْك فيها المُنتمَى(٥) والمُركَّبُ(٦)
ومَنصِبٌ(٧) آباء كرامٍ نَماهمُ الى المجد آباءٌ كرامٌ ومنصِبُ

صوت

كواكبُ دُجنٍ كلّما انقضَّ كوكبٌ بدا منهمُ بدرٌ مُنيرٌ وكوكبُ
أنارَ به آل المهلّب بعدما هوى منكِبٌ منهم بليلٍ ومَنكِبُ

---

(١) الخداري: المظلم.

(٢) الهمّ: ما يهم به الرجل في نفسه وهو هنا كناية عن العزم.

(٣) كذا في جميع النسخ والذي في كتب اللغة أن «تصدّى» يتعدّى باللام.

(٤) يقال: أصعب الرجل الشيء إذا وجده صعباً.

(٥) في جميع الأصول: «المنتهى» وهو محرف عن المنتمى أي المنتمى اليه، يقال: انتمى فلان الى حسب أي ارتفع اليه، وانتمى الى فلان أي ارتفع في نسبه اليه، قال الفرزدق:

فصارت لذهل دون شيبان إنهم ذوو العز عند المنتمى والتكرم

(٦) المركّب: المنبت، يقال فلان كريم المركب أي كريم الأصل.

(٧) المنصب: الأصل والمنبت.

وما زال إلحاحُ الزمان عليهمُ بنائبةٍ كادت لها الأرض تَخْرَبُ[١]
فلو أبقتِ الأيامُ حياً نفاسةً لأبقاهمُ للجود نابٌ ومِخلبُ
وكنتَ ليومي نِعمةٍ ونِكايةٍ كما فيهما للناس كان المهلَّبُ
ألا حبَّذا الأحياءُ منكم وحبَّذا قبورٌ بها موتاكمُ حين غُيِّبوا

فأمر له يزيد بن حاتم بعشرة آلاف درهم وفرسٍ بسرجه ولجامه وخِلعةٍ، وأقسم على من كان بحضرته أن يُجيزوه كلٌّ واحدٍ منهم بما يمكنه، فانصرف بملءِ يده.

استحسان شعره:

قال الحَزَنْبَل: أنشدني عمرو بن أبي عمرو لابن المولى وكان يستحسنها:

صوت

حيِّ المنازلَ قد بَلينا أقوَينَ[٢] عن مَرِّ السِّنينا
وسلِ الديّار لعلّها تُخبِرْك[٣] عن أمِّ البَنينا
بانت وكلُّ قرينةٍ يوماً مفارِقةٌ قرينا
وأخو الحياةِ من الحيا ةِ مُعالجٌ غِلَظاً ولينا

غنى في هذه الأبيات نبيه[٤] خفيفَ ثقيل بالبنصر:

وترى المُوكَّل بالغوا ني راكباً أبداً فُنونا

(١) في بعض الاصول: «تجرب» بالجيم المعجمة، والأرض الجرباء: المحلة المقحوطة، ولم نجد في كتب اللغة التي بين أيدينا ورود فعل من هذه المادة بهذا المعنى، ومن المحتمل أن تكون «تجدب» وهي بمعناها.

(٢) أقوين: أقفرن.

(٣) سكّن «تخبرك» لضرورة الوزن.

(٤) العرب يسمون بنبيه كزبير وبنبيه كأمير، ولم نستطع ترجيح أحد الضبطين في هذا الاسم.

ومن البليَّـة أن تُدا نَ بما كَرِهتَ ولن تَدينا
والمرء تُحرَمِ نفسُـه ما لا يزال بـه حَزينا
وتَراه يَجمـع مالَه جمعَ الحريص لوارثينا
يسعى بأفضلِ سعيه فيصيرُ ذاك لقاعـدينا
لم يُعطِ ذا النَّسب القريـب ولم يَجُدْ للابعدينا
قد حـلَّ منزلَه الذميـمَ وفارق المتنصِّحينا [1]

مدح المهدي :

قال الخزنبل : وذكر أحمد بن صالح بن النَّطَّاح عن المدائنيّ : أن المهديّ لمّا وليَ الخلافة وحجَّ فرّق في قريشٍ والأنصارِ وسائرِ الناس أموالًا عظيمةً ووَصَلهم صِلاتٍ سنيَّة ، فحَسُنتْ أحوالُهم بعد جُهد أصاب الناس في أيّام أبيه ، لتسرّعهم [2] مع محمد بن عبد الله بن حسن ، وكانت سنة ولايته سنة خِصب ورُخص ، فأحبَّه الناس وتَبرَّكوا به ، وقالوا : هذا هو المهديّ ، وهذا ابن عمّ رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم وسميُّه ، فلقوه فدعوا له وأثنَوْا عليه ، ومدحته الشعراء ، فمدّ عينه في الناس فرأى ابن المولى فأمر بتقريبه فقُرِّب منـه ؛ فقال له : هاتِ يا مولى الأنصار ما عندك ، فأنشده قوله فيه :

يا ليلَ لا تبخَلي يا ليلَ بالزادِ وأشفي بذلك داء الحائم الصادي
وأنجزي عِدَةً كانت لنا أملًا قد جاء مِيعادُها من بعد مِيعادِ
ما ضرَّه غيرِ أن أبدي مودّته إنّ المُحبَّ هواه ظـاهرٌ بادي

ثم قال فيها يصف ناقته :

تَطوي البلادَ الى جمٍّ منافعُه فعّالِ خـيرٍ لفعل الخير عوّادِ

(١) التنصح : كثرة النصح ومنه قول أكثم بن صيفي : « إياكم والتنصح فإنه يورث التهمة » .
(٢) كذا في حـ، وفي باقي الأصول : « لتسرحهم » بالحاء، والتسرّح الذهاب .

للمهتدين اليه من منافعه خيرٌ يروح وخير باكرٌ غادي
أغنى قُريشاً وأنصارَ النبيِّ ومَنْ بالمسجدَين بإسعاد وإحفادِ [1]
كانت منافعُه في الأرض شائعةً تَترَى [2] وسيرتُه كالماء للصّادِ
خليفةُ الله عبدُ الله والدُه وأُمه حُرةٌ تُنمى لأمجادِ
من خير ذي يَمنٍ في خير رابيةٍ من القبول اليها مَعقِلُ [3] النادي

حتى أتى على آخرها؛ فأمر له بعشرة آلاف درهم وكسوة، وأمر صاحب الجاري [4] بأن يُجريَ له ولعياله في كلّ سنة ما يكفيهم، وألحقهم في شرف العطاء.

قال: وذكر ابن النطّاح عن عبد الله بن مصعَب الزبيريّ قال:

وفدنا الى المهديّ ونحن جماعة من قريش والأنصار، فلما دخلنا عليه سلّمنا ودَعونا وأثنينا، فلما فرَغنا من كلامنا أقبلَ على ابن المولى فقال: هاتِ يا محمد ما قلتَ، فأنشده:

صوت

نادى الأحبّة باحتمالِ إنّ المُقيم الى زَوالِ
ردّ القِيانُ [5] عليهمُ ذُلُلَ المطيّ من الجِمالِ

(١) إحفاد: إسراع في مرضاتهم وقضاء حاجاتهم.

(٢) تترى: متواترة.

(٣) معقل: ملجأ، يقال: عقل اليه عقلاً وعقولا أي لجأ، والنادي: مجتمع القوم، ويراد به القوم المجتمعون.

(٤) الجاري: الجراية وهي ما يقدر من الرزق فيجرى على صاحبه باتصال، قال صاحب اللسان في مادة جرى: «والجراية الجاري من الوظائف».

(٥) القيان: جمع قين وهو العبد أو القينة وهي الجارية. وقد قيل في قول زهير:

ردّ القيان جمال الحيّ فاحتملوا

إنه أراد بالقيان الإماء أي أنهنّ رددن الجمال الى الحيّ لشد أقتابها عليها، وقيل: أراد العبيد الإماء (انظر اللسان مادّة قين).

فتحمّلوا بعقيلةٍ زهراء آنسةِ الدّلالِ
كالشمس راق جَمالُها بين النِّساء على الجَمالِ
لمّا رأيت جمالهم في الآل[1] تغرق باللآلي
يا ليت ذلك بعدَ أنْ أظهرتَ أنك لا تُبالي
ولمثل ما جرَّبتَ من إخلافهنّ لذي الوصالِ
أسلاكَ عن طلب الصِّبا وأخو الصِّبا لا بدّ سالي
يابن الأطـايب للأطا يب ذا المَكارم والمعالي
وابنَ الهُداة بَني الهدا ةِ وكاشفي ظُلَم الضّلالِ
أصبحتَ أكرمَ غالبٍ عند التّفاخر والتّضالِ
وإذا تُحصَّل[2] هاشمٌ يعلو بمجدك كلُّ عالي
ويكون بيتُك منهمُ في الشاهقات من القِلالِ[3]
هذا وأنت ثِمالُها[4] وابنُ الثِّمال أخو[5] الثِّمالِ
ومآلُها بأمورها إنّ الأمورَ الى مآلي

قال : فأمر له خاصّةً بعشرة آلاف درهم معجّلة ، ثم ساواه بسائر الوفد بعد ذلك في الجائزة وأعطاه مثلَ ما أعطاهم ، وقال : ذلك بحق المديح ، وهذا بحق الوفادة .

سؤال عبد الملك عنه :

أخبرني محمد بن عِمران الصَّيرَفيّ أبو أحمد وعمي قالا حدّثنا الحسن بن عُلَيْل،

---

(١) الآل : السراب، وقيل الآل من الضحى الى زوال الشمس، والسراب بعد الزوال الى صلاة العصر .

(٢) تحصل : تخلص وتماز بين بيوتها، وفي الحديث : « يذهب لم تحصل من ترابها » أي لم تخلص (والذهب يذكر ويؤنث) . ويقال للمرأة التي تميز الذهب من الفضة : محصلة .

(٣) القلال : جمع قلة وهي أعلى الجبل، وقلة كل شيء رأسه وأعلاه .

(٤) الثمال : الغياث .

(٥) كذا في ي، وفي باقي الأصول « أخي » .

العنزي قال حدثنا إبراهيم بن إسحاق بن عبد الرحمن بن طلحة بن عمر بن عبيد الله قال حدثني عبد الله بن إبراهيم الجمحي قال :

قدم عبد الملك بن مروان المدينة ، وكان ابن المولى يكثر مدحه ، وكان يسأل عنه من غير أن يكونا التقيا – قال : وابن المولى مولى الأنصار – فلما قدم عبدُ الملك المدينة قدم ابن المولى، لما بلغه من مسألة عبد الملك عنه، فوردها وقد رحل عبد الملك عنها ، فأتبعه[1] فأدركه بإضم بذي خُشُب بين عين مروان وعين الحديد ، وهما جميعاً لمروان ، فالتفت عبدُ الملك اليه وابن المولى على نجيب متنكباً قوساً عربيَّة ، فقال له عبد الملك : ابن المولى ؟ قال : لبَّيك يا أمير المؤمنين؛ قال : مرحباً بمن نالنا شكرُه ولم ينَلْه منا فعلٌ[2] ، ثم قال له : أخبرني عن ليلى التي تقول فيها :

وأبكي فلا ليلى بكتْ من صَبابةٍ إليَّ ولا ليلى لذي الوُدِّ تَبذُلُ

والله لئن كانت ليلى حرةً لأزوِّجنَّكها، ولئن كانت أمةً لأبتاعنَّها لك بما بلغت، فقال : كلا يا أمير المؤمنين ، والله ما كنتُ لأذكرَ حُرمة حرٍّ أبداً ولا أمته ، والله ما ليلى إلّا قوسي هذه، سميتها ليلى لأشبِّب بها، وإن الشاعر لا يُستطاب إذا لم يَتشبَّب ؛ فقال له عبد الملك : ذلك والله أظرف لك ، فأقام عنده يومه وليلته يُنشده ويُسايره ، ثم أمر له بمال وكسوة ، وانصرف الى المدينة .

وقف لجعفر بن سليمان على طريقه وأنشده شعرا :

أخبرني حبيب المهلّبي عن الزُّبير وغيره عن محمد بن فَضالة النحوي قال :

---

(١) فأتبعه : تبعه وذلك اذا كان سبقه فلحقه ، وفي القرآن الكريم «فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ» .

(٢) في بعض النسخ : «لم ينسب» بالسين وهي بمعناها .

قدِم ابنُ المولى البصرةَ ، فأتى جعفر بن سليمان فوقَفَ على طريقه وقد ركب فناداه :

كم صارخٍ يدعو وذي فاقةٍ   يا جعفرَ الخيراتِ يا جعفرُ
أنت الذي أحييتَ بذلَ الندى   وكان قد مات فلا يُذكرُ
سليلُ عباسٍ وليِّ الهدى   ومن به في المَحْل يُستَمْطرُ
هذا امتداحيكَ عقيدَ[1] الندى   أشهد بالمجد لك الأشهرُ

(١) العقيد : المعاهد والحليف .

اخبار عطرّد ونسبه

عَطرّد مولى الأنصار، ثم مولى بني عمرو بن عوف، وقيل: إنه مولى مُزَيْنَة، مدَنيٌّ، يكنى أبا هارون، وكان ينزل قُباء. وزعم إسحاق أنه كان جميلَ الوجه، حسنَ الغناء، طيِّبَ الصوت، جيِّدَ الصَّنعة، حسنَ الرأي والمروءة، فقيهاً، قارئاً للقرآن، وكان يغنّي مرتجلاً، وأدركَ دولةَ بني أميَّة، وبقي الى ايام الرشيد، وذكر ابن خُرْداذْبه فيما حدّثني به عليّ بن عبد العزيز عنه: أنه كان مُعدَّل الشهادة بالمدينة؛ أخبره بذلك يحيى بن عليّ المنجم عن أبي أيّوب المدينيّ عن إسحاق.

وأخبرنا محمد بن خَلَف وَكيع عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه:

أن سَلَمة بن عبَّاد وَلِيَ القضاء بالبصرة، فقصد ابنُه عَبَّادُ بن سلَمة عطرّدا وهو بها مقيم قد قصد آلَ سليمان بن عليّ وأقام معهم؛ فأتى بابَه ليلاً فدقّ عليه ومعه جماعةٌ من أصحابه أصحابِ القَلانس، فخرج عطرّد اليه، فلما رآه ومن معه فزع؛ فقال: لا تُرَعْ.

إني قصدتُ إليكَ من أهلي ... في حاجةٍ يأتي لها مثلي

فقال: وما هي أصلحك الله؟ قال:

لا طالباً شيئاً إليكَ سوى ... «حيِّ الحُمُولَ بجانبِ العَزْلِ [1]»

فقال: انزلوا على بركة الله، فلم يزل يغنّيهم هذا وغيرَه حتى أصبحوا.

---

(١) العزل: موضع في ديار قيس، ذكره البكري في معجم ما استعجم (ج ٢ ص ٦٥٩) واستشهد له بهذا الشطر من شعر امرىء القيس.

نسبة هذا الصوت

صوت

حيِّ الحُمُولَ بجانب العَزْلِ إذ لا يوافق شكلُها شكلي
اللهُ أنجحُ ما طلبتَ به والبِرُّ خيرُ حقيبة الرَّحْلِ
إني بحبلك واصلٌ حبلي وبريش نَبْلك رائشٌ نَبْلي
وشمائلي ما قد علمت وما نبحتْ كلابُك طارقاً مثلي

الشعر لأمرئ القيس بن عابِس الكِندي، هكذا روى أبو عمرو الشيباني، وقال: إن من يرويه لأمرئ القيس بن حُجْر يغلَط. والغِناء لعطرّد ثقيلٌ أوّل بالبنصر عن عمرو بن بانة، وفيه لعمرو بن بانة ثقيلٌ بالوسطى من روايته أيضاً، وفيه لابن عائشةَ خفيفُ رملٍ بالبِنْصر، وفيه عنه وعن دنانيرَ لمالكٍ خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى، وفيه عنه أيضاً لإبراهيم ثاني ثقيل بالبنصر.

غناء ابراهيم بن خالد المعيطي:

وأخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثنا أبو أيّوب المدينيّ وأخبرني به الحسن بن عليّ قال:

كتب إليّ أبو أيّوب المدينيّ، وخبرُه أتمّ، قال: حدّثني عليّ بن محمد النَّوْفليّ عن أبيه عن إبراهيم بن خالد المُعَيْطيّ قال:

دخلت على المهديّ، وقد كان وُصِف له غِنائي، فسألني عن الغناء وعن علمي به، فجاذبتُه من ذلك طَرَفا؛ فقال لي: أتُغنّي النواقيس؟ قلت: نعم، وأُغنّي الصُّلْبان يا أمير المؤمنين، فتبسّم. والنواقيسُ لحن مَعبد، كان معبد وأهلُ الحجاز يسمونه النواقيس، وهو:

سَلاَ دارَ ليلى هل تُبين فتَنطِقُ وأنّى تَرُدُّ القولَ بيداء سَمْلَقُ

قال: ثم قال لي المهديّ وهو يضحك: غنِّه، فغنَّيته فأمر لي بمالٍ جزيلٍ وخلع عليّ وصرفني، ثم بلغني أنه قال: هذا مُعَيطيّ[1] وأنا لا آنَسُ به، ولا حاجةَ لي الى أن أُدنيَه من خَلوتي وأنا لا آنسُ به. هكذا ذكِرَ في هذا الخبر أن اللّحنَ لمعبد، وما ذكره أحدٌ من رُواة الغناء له، ولا وُجِد في ديوانٍ من دواوينهم منسوباً اليه على انفراد به ولا بِشركة فيه، ولعلّه غلط.

وقد أخبرني هذا الخبر الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال:

كان إبراهيم بن خالد المُعَيطيّ يغني، فدخل يوماً الحمّام وابنُ جامع فيه، وكان له شيء يجاوز ركبتيه، فقال له ابنُ جامع: يا إبراهيم أتبيع هذا البغلَ؟ قال: لا بل أحملك عليه يا أبا القاسم؛ فلما خرج ابنُ جامع من الحمّام رأى ثيابَ المُعَيطي رثّةً فأمر له بخلعةٍ من ثيابه، فقال له المعيطيّ: لو قبلتَ حُملاني[2] قبلتُ خِلعتَك، فضَحِك ابن جامع وقال له: مالك أخزاك الله! ويلك! أما تدَع ولَعك وبطالتك وشرّك! ودخل الى الرشيد فحدّثه حديثَه؛ فضحك وأمر بإحضاره، فأُحضِر، فقال له: أتغني النواقيس؟ قال: نعم، وأغني الصلبان أيضاً. ثم ذكر باقيَ الخبر مثلَ الذي تقدّمه.

كان عطرد منقطعا الى آل سليمان بن علي:

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني أبو أيّوب المدينيّ عن إسحاق قال:

---

(١) ذكر صاحب القاموس أبا معيط والد عقبة بن أبي معيط وذكر أن معيطاً أبو حيّ من قريش ولم يذكر السمعاني في الأنساب عند اسم «المعيطي» إلا المنسوبين الى أبي معيط إمـا بالولادة وإما بالولاء، ولعل إبراهيم هذا منسوب الى أبي معيط، ويكون المهديّ قد أنكره لما كان من عقبة بن أبي معيط من شدّة إيذائه للنبيّ صلى الله عليه وسلم حتى إنه قذف على ظهره سلى جزور وهو ساجد عند الكعبة، وبنو أبي معيط يسمّون صبية النار، لأن عقبة حين أخذ يوم بدر وأراد النبيّ صلى الله عليه وسلم قتله، قال: من للصبية بعدي؟ قال: النار.

(٢) الحملان: ما يحمل عليه من الدواب في الهبة خاصة.

كان عطرّد منقطعاً في دولة بني هاشم الى آل سليان بن عليّ لم يَخدُم غيرَهم، وتُوفّي في خلافة المهديّ . قال : وكان يوماً يغني بين يَدَيْ سليان بن عليّ، فغنّاه :

صوت

أَلَهُ فكم من ماجدٍ قد لَها ومن كَريمٍ عِرضُه وافِرُ

— الغِناء لعَطَرّد ثاني ثقيل عن الهشاميّ — فقيل له : سَرقتَ هذا من لحن الغريض :

يا ربعَ سلّامةَ بالمُنحَنى فَخَيفِ(١) سَلْعٍ جادكَ الوبل

فقال : لم أسرِقه ولكنّ العقولَ تتوافق ، وحلَف أنه لم يسمعه قطّ .

نسبة هذا الصوت

صوت

يا ربعَ سلّامةَ بالمُنحَنى فَخَيفِ سَلْعٍ جادكَ الوابلُ
إن تُمسِ وَحْشاً طالما قد تُرى وأنتَ معمورٌ بهم آهِلُ
أيامَ سلّامةُ رُعْبُوبةٌ(٢) خَوْدٌ لَعُوبٌ حبُّها قاتلُ
محطوطةُ(٣) المَتْن هَضيمُ الحشى لا يطَبيها(٤) الوَرَعُ(٥) الواغلُ(٦)

(١) الخيف : الناحية أو ما ٱنحدر عن غلظ الجبل وٱرتفع عن مسيل الماء . وسلع : ٱسم لمواضع كثيرة : منها جبال ومنها أودية .

(٢) الرعبوبة : الناعمة .

(٣) محطوطة المتن : ممدودته في حسن وٱستواء .

(٤) لا يطبيها : لا يستميلها .

(٥) الورع : الجبان الضعيف .

(٦) الواغل : الداخل على القوم في طعامهم وشرابهم من غير دعوة .

الغِناء للغريض ثاني ثقيل بالوُسطى عن عمرو بن يحيي المكيّ ، قال : ومن الناس من ينسبه إلى ابن سريج .

حبسه مع المغنين :

أخبرني أحمد بن عليّ بن يحيي قال سمعت جَدّي عليّ بن يحيي قال حدّثني أحمد ابن إبراهيم الكاتب قال حدّثني خالد بن كلثوم قال :

كنت مع زبراء بالمدينة وهو والٍ عليها ، وهو من بني هاشم أحد بني ربيعة ابن الحارث بن عبد المطّلب ، فأمر بأصحاب الملاهي فحبسوا وحُبس عطرّد فيهم ، فجلس ليعرَضهم ، وحضر رجالٌ من أهل المدينة شفَعوا لعطرّد ، وأخبروه أنه من أهل الهيئة والمُروءة والنِّعمة والدّين ، فدعا به فخلّى سبيله ، وأمره برفع حوائجه اليه فدعا له ، وخرج فإذا هو بالمغنين أُحضروا ليُعرَضوا ، فعاد اليه عطرّد ، فقال : أصلح اللهُ الأميرَ ، أعلى الغِناء حبستَ هؤلاء ؟ قال : نعم ؛ قال : فلا تَظلمهم ، فوالله ما أحسنوا منه شيئاً قط ! فضحِك وخلّى سبيلهم .

غناؤه الوليد :

أخبرني محمد بن مَزْيد وجَحْظةُ قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال قرأت على أبي عن محمد بن عبد الحميد بن إسماعيل بن عبد الحميد بن يحيي عن عمه أيوبَ بن إسماعيل قال :

لما اَستُخلِف الوليدُ بن يزيدَ كتب الى عامله بالمدينة يأمره بالشخوص اليه بعطرّد المغنّي ؛ قال عطرّدٌ : فأقرأني العامل الكتاب وزوّدني نفقةً وأشخصني اليه ، فأُدخِلتُ عليه وهو جالسٌ في قصره على شَفير بِركةٍ مرصّصةٍ مملوءةٍ خمراً ليست بالكبيرة ولكنها يدور الرجل فيها بِسباحةٍ ، فوالله ما تركني أُسلِّم عليه حتى قال : أعطرّد ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين ؛ قال : لقد كنتُ اليك مشتاقاً يا أبا هارون ، غنّني :

حيِّ الحمولَ بجانب العَزْلِ إذ لا يُلائم شكلُها شكلي
إني بحبلك واصلٌ حبلي وبريش نَبلك رائشٌ نبلي
وشمائلي ما قد علمتِ وما نبحت كلابُك طارقاً مثلي

قال: فغنّيتُه إيّاه، فوالله ما أتممتُه حتى شقّ حُلّةَ وَشْيٍ كانت عليه لا أدري كم قيمتها، فتجرّد منها كما ولدته أمّه وألقاها نِصفَين، ورمى بنفسه في البركة فنَهِل منها حتى تبيَّنتُ — عَلِم اللهُ — فيها أنها قد نقصت نُقصانا بيّناً، وأخرجَ منها وهو كالميّت سُكراً، فأضجعَ وغُطّيَ، فأخذتُ الحُلّةَ وقمتُ، فوالله ما قال لي أحدٌ: دَعها ولا خُذها، فانصرفتُ الى منزلي متعجّباً مما رأيتُ من ظَرْفه وفعله وطَرَبه، فلما كان من غدٍ جاءني رسوله في مثل الوقت فأحضرني، فلما دخلتُ عليه قال لي: يا عطرّد، قلت: لبّيك يا أمير المؤمنين؛ قال غنِّني:

أَيَذْهَبُ عمري هكذا لم أنَلْ بها مَجالسَ تَشفي قَرْحَ قلبي من الوجدِ
وقالوا تَداوَ إنّ في الطبِّ راحةً فعلّلتُ نفسي بالدواء فلم يُجْدِ

فغنّيته إيّاه، فشقّ حلّةَ وَشْيٍ كانت تَلتمع عليه بالذهب التماعاً احتقرتُ والله الأولى عندها، ثم ألقى نفسَه في البركة فنهِل فيها حتى تبيَّنتُ — علم الله — نقصانَها، وأخرجَ منها كالميّت سكراً، وأُلقيَ وغُطِّيَ فنام، وأخذتُ الحلّة فوالله ما قال لي أحد: دعها ولا خذها، وانصرفتُ؛ فلما كان اليوم الثالث جاءني رسوله فدخلت اليه وهو في بهوٍ قد أُلقيت سُتورُه، فكلّمني من وراء الستور وقال: يا عطرّد، قلت: لبيك يا أمير المؤمنين؛ قال: كأني بك الآن قد أتيتَ المدينة فقمتَ بي في مجلسها ومَحفِلها وقعدتَ وقلتَ: دعاني أمير المؤمنين فدخلتُ اليه فاقترح عليّ فغنّيتُه وأطربتُه فشقّ ثيابَه وأخذتُ سَلَبَه وفعلَ وفعل، والله يابن الزانية، لئن تحرّكت شَفَتاك بشيء مما جرى فبلغني لأضربَنّ عنقك، يا غلام أعطِه ألفَ دينار، خُذها وانصرف الى المدينة؛ فقلت: إن رأى أمير المؤمنين أن يأذَن لي في تقبيل يده، ويزوّدَني نظرةً منه وأُغنّيَه صوتاً! فقال: لا حاجة بي ولا بك الى ذلك،

فأنصرفْ . قال عطرّد : فخرجتُ من عنده وما علم الله أني ذكرتُ شيئاً مما جرى حتى مضت من دولة بني هاشم مدّة .

نسبة هذين الصوتين

الصوت الاول مما غنّاه عطرّد الوليدَ قد نُسب في أوّل أخبـاره ، والثاني الذي أوّله :

أيذهبُ عمري هكذا لم أَنلْ بها

الغِناء فيه لعطرّد ثاني ثقيل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق ، وفيه ليونس من كتابه لحنٌ لم يذكر طريقته ؛ وذكر عمرو بن بانة أنّ فيه لإبراهيم ثاني ثقيلٍ بالوسطى .

صوت

من المائة المختارة

إن أمرأ تَعتـاده ذِكَرٌ منها ثَلاثُ مِنًى لَذو صَبرِ
ومواقفٌ بالمَشعَرَيْنِ[1] لهـا ومناظرُ الجمرات[2] والنحرِ
وإفاضةُ الرُّكبان خَلفَهمُ مثـل الغمام أرَذّ[3] بالقَطْرِ
حتى أستلمنَ الركن في أُنُفٍ[4] من ليلهنّ يَطأن في الأُزْرِ[5]
يَقْعُدن في التّطْواف آونـةً ويَطُفن أحياناً عـلى فَتْرِ[6]

---

(١) المشعر : موضع مناسك الحج .
(٢) الجمرات : الحصى الذي يرمي به الحاجّ .
(٣) أرذ : أمطر الرذاذ وهو المطر الضعيف .
(٤) الأنف : أوّل زمان مستقبل .
(٥) الأزر : جمع إزار .
(٦) الفتر : الضعف .

ففرَغن من سَبع وقد جُهِدَت[١] أحشاؤهن موائــلَ الخُمرِ[٢]

الشعر للحارث بن خالد المخزومي ، والغناء في اللحن المختار للابجر ، وإيقاعُه من الثقيل الاول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر في الاول والثاني والسادس من الأبيات عن إسحاق . وفيه للغريض خفيفُ ثقيل أول بالوسطى عن عمرو . ولا بن سريج في الثالث والرابع رَمَلٌ بالسبَّابة في مجرى البنصر عن إسحاق .

---

(١) جهد (بضم الجيم على البناء للمفعول) : صار مجهوداً .

(٢) الخمر : جمع خمار وهو ما تغطي به المرأة رأسها .

اخبار الحارث بن خالد المخزومىّ ونسبه

الحارث بن خالد بن العاصي بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مَخزوم ابن يَقَظَة بن مُرّة بن كعب بن لُؤيّ بن غالب. وأمّه فاطمةُ بنتُ أبي سعيد بن الحارث بن هشام، وأمّها بنت أبي جهل بن هشام. وكان العاص بن هشام جدّ الحارث بن خالد خرج مع المشركين يوم بَدْر فقتله أميرُ المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

استرقاق في مقامرة:

حدّثني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنا سليمان بن أبي شَيخ قال حدّثني مُصعَب بن عبد الله قال:

قامر أبو لَهب العاصَ بن هشام في عَشرٍ من الإبل فقَمَره[1] أبو لهب، ثم في عشرٍ فقَمَره، ثم في عشرٍ فقمره، ثم في عشرٍ فقمره، ثم في عشرٍ فقمره، الى أن خلعه من ماله فلم يَبْق له شيء، فقال له: إني أرى القِداحَ قد حالفتك يابن عبد المطّلب فهلمّ أقامِرك، فأيُّنا قُمِرَ كان عبداً لصاحبه، قال: أفعل، ففعل، فقمره أبو لهب فكرِه أن يسترّقه فتَغضَبَ بنو مخزوم، فمشى اليهم وقال: أفتَدُوه منّي بعشرٍ من الإبل؛ فقالوا: لا والله ولا بوَبَرة، فاسترّقه فكان يرعى له إبلاً إلى أن خرج المشركون إلى بدر. وقال غيرُ مُصعَب: فاسترّقه وأجلسه قَيناً[2] يعمل الحديدَ. فلما خرج المشركون الى بدر كان مَنْ لم يَخرُج أخرَج

---

(١) قمره: غلبه في المقامرة.

(٢) القين: الحدّاد.

بديلًا ، وكان أبو لهب عليلًا فأخرجه وقعد ، على أنه إن عاد إليه أعتقه ، فقتله عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يومئذٍ .

والحارث بن خالد أحدُ شعراء قريش المعدودين الغَزِلِيِّين ، وكان يذهب مَذْهب عمر بن أبي ربيعة لا يتجاوز الغزل الى المديح ولا الهجاء ، وكان يهوى عائشةَ بنت طلحةَ بن عبيد الله ويشبب بها ؛ وولّاه عبدُ الملك بن مروان مكّةَ ، وكان ذا قدرٍ وخطرٍ ومنظرٍ في قريش ؛ وأخوه عِكرمةُ بن خالد المخزوميّ محدّثٌ جليلٌ من وجوه التابعين ، قد روى عن جماعة من الصحابة ؛ وله أيضاً أخٌ يقال له عبد الرحمن بن خالد ، شاعرٌ ، وهو الذي يقول :

رَحل الشبابُ وليته لم يَرْحلِ ... وغدا لِطِيَّةِ[1] ذاهبٍ مُتحمِّلِ[2]
ولّى بلا ذمٍّ وغادر بعدَه ... شيباً أقام مكانَه في المَنزِلِ
ليت الشبابَ ثوى لدينا حِقْبَةً ... قبل المشيب وليته لم يَعْجَلِ
فنُصيبَ من لذّاته ونعيمه ... كالعهد إذ هو في الزمان الأوّلِ

وفيه غناء .

بضائع ابي عمرو :

حدّثني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا الرياشيّ قال حدّثنا الأصمعي قال :

قال مُعاذ بن العلاء أخو أبي عمرو بن العلاء : كان أبو عمرو اذا لم يحجّ أَستَبْضَعَني[3] الحروفَ[4] أسأل عنها الحارثَ بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة الشاعر وآتيه

(١) الطية : المنتأى ، والقصد ، والنية التي تنتوى .

(٢) المتحمل : الراحل .

(٣) كذا في الأصول ، ولم نجد في كتب اللغة التي بأيدينا كاللسان والقاموس « استبضع » متعدياً لمفعولين ، والموجود « استبضع الشيء » أي جعله بضاعته . والموجود متعدياً من هذه المادة «أبضعني» فإنه يقال : أبضعني البضاعة أي أعطاني إياها .

(٤) الحروف : الكلمات واحدها حرف .

بجوابها؛ قال: فقدِمتُ عليه سنةً من السنين وقد ولّاه عبدُ الملك بن مروان مكةَ، فلما رآني قال: يا مُعاذ، هاتِ ما معك من بضائع أبي عمرو، فجعلتُ أعجب من اهتمامه بذلك وهو أمير.

من شعراء قريش الخمسة:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء، قال حدّثنا الزبير بن بكّار، وأخبرني به الحسن ابن عليّ عن أحمد بن سعيد عن الزبير، ولفظه أتمّ، قال حدّثني محمد بن الضحّاك الحزاميّ قال:

كانت العرب تُفضّل قريشاً في كل شيء إلّا الشعر، فلما نَجم في قريش عمر ابن أبي ربيعة والحارث بن خالد المخزوميّ والعَرْجيّ وأبو دَهْبَل وعبيد[1] الله بن قيس الرُّقَيَّات[2]، أقرّت لها العربُ بالشعر أيضاً.

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم وإسماعيل بن يونس وحَبيب بن نصر وأحمد بن عبد العزيز قالوا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني محمد بن يحيي أبو غسّان قال:

تفاخر مَولى لعمر بن أبي ربيعة ومولى للحارث بن خالد بشِعرَيهما، فقال

---

(١) كذا ورد هذا الاسم في الأغاني في ترجمته ج ٤ ص ١٥٥ طبع بولاق وشرح القاموس مادة «رق» وولاة مصر للكندي ص ٥٢ والموشح للمرزباني ص ١٥٠، ١٨٦، ٢٢١ وقد ورد في جميع الأصول: «عبد الله» وورد كذلك في نقائض جرير والفرزدق ص ٥٩٨ وقد ورد في الطبري قسم ٢ ص ٧٩٠، ٨١٢، ٨٢٨، ١١٧٣ باسم ابن قيس الرقيات فقط، وذكر البغدادي في الخزانة: أن لقيس ابنين عبيد الله وعبد الله واختلفوا في الشاعر منهما، فقال ابن قتيبة والمبرد في الكامل: هو عبد الله المكبر، وقال المرزباني في معجمه: هو عبيد الله بالتصغير، قال: ومن الرواة من يقول الشاعر عبد الله وهو خطأ.

(٢) ذكر البغدادي في الخزانة في ترجمته ج ٣ ص ٢٦٧ أنه يقال: الرقيات بالرفع على أنه صفة لعبد الله وبالجر على الإضافة لأنه قيل: إن في جدّاته ثلاث نسوة يسمين بهذا الاسم أو أنهن زوجاته أو محبوباته.

مولى الحارث لمولى عمر : دعني منك فإنّ مولاك والله لا يعرِف المنازلَ إذا قُلِبت ، يعني قول الحارث :

إني وما نَحروا غـداةَ مِنًى عند الجِمار تَؤُودها[1] العُقُلُ
لو بُدِلتْ أعلى مَساكِنِها سُفلًا وأصبح سُفلُهـا يَعلو
فيكاد يعرِفها الخَبيرُ بها فيرُدُّه الإقواءُ[2] والمَحْلُ
لعرفتُ مَغناها بما احتَملتْ مني الضلوعُ لأهلهـا قَبْلُ

– قال عمرو بن شبَّة : وحدّثني محمد بن سلّام بهذا الخبر على نحوٍ ممّا ذكره أبو غسَّان ، وزاد فيه : – فقال مولى ابنِ أبي ربيعة لمولى الحارث : والله ما يُحسِنُ مولاك في شعرٍ إلا نُسب الى مولاي .

قال ابن سلّام : وأنشد الحارثُ بن خالد عبدَ الله بن عمرَ هـذه الأبيات كلَّها حتى انتهى الى قوله :

لعرفتُ مغناها بمـا احتملتْ مني الضلوعُ لأهلها قبـلُ

فقال له ابنُ عمر : قُلْ : إن شاء الله ؛ قال : إذاً يَفسُد بها الشعرُ يا عَمّ ، فقال له : يابن أخي ، إنه لا خيرَ في شيء يُفسِدُه « إن شاء الله » . قال عمر : وحدّثني هذه الحكايةَ إسحاق بن إبراهيم في مخاطبته لابن عمر ولم يُسنِدْهـا إلى أحدٍ ، وأظنّه لم يَروِها إلا عن محمد بن سلّام . وأخبرني محمد بن خلف بن المرزُبان عن أبي الفضل المَرْوَرُّوذيّ عن إسحاق عن أبي عُبيدة ، فذكر قصّةَ الحارث مع ابن عمر مثلَ الذي تقدّمه .

اعتراف له بالتقدم :

أخبرني عمي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا الرِّياشيّ قال حدّثني أبو سَلَمةَ الغِفاريّ عن يحيى بن عُرْوة بن أُذَيْنَة عن أبيه قال :

(١) معناه تثقلها . وفي سائر الأصول «تؤدّها» من أدّه الأمر يؤدّه ويئدّه اذا دهاه . والعقل : جمع عقال ويجوز في عين هذا الجمع التسكين كما هنا .

(٢) أقوت الدار إقواء : أقفرت ، والمحل : الجدب .

كان كُثَيِّر جالساً في فتية من قريش إذ مرّ بهم سعيدُ الراس(١)، وكان مُغنّياً، فقالوا لكثيّر: يا أبا صخر، هل لك أن نُسمِعك غناء هذا، فإنه مُجيد؟ قال: أفعلوا؛ فدَعَوْا به فسألوه أن يغنّيهم:

صوت

هَلّا سألتَ معالمَ الأطلالِ ... بالجِزع من حُرُضٍ(٢) وهنّ بَوالي

سَقْياً لعَزّةَ خُلّتي سَقْياً لها ... إذ نحن بالهَضَبات من أملالِ(٣)

إذ لا تكلّمنا وكان كلامُها ... نَفَلاً(٤) نؤمّله من الأنفالِ

فغنّاه، فطرِب كثيّر وأرتاح، وطرِب القومُ جميعاً، وأستحسنوا قولَ كثيّر، وقالوا له: يا أبا صخر ما يستطيعُ أحدٌ أن يقول مثل هذا(٥)؛ فقال: بلى، الحارث ابن خالد حيث يقول:

صوت

إني وما نَحروا غداةَ مِنًى ... عند الجِمار تَؤودُها العُقُلُ

لو بُدّلتْ أعلى مساكنها ... سُفلاً وأصبح سُفلُها يعلو

لعرَفتُ مَغناها بما أحتملتْ ... منّي الضلوع لأهلها قَبلُ

---

(١) لعله «الرأس» وزان شداد وهو بائع الرؤوس.

(٢) حرض: وادٍ عند أحد.

(٣) أملال ويقال له ملل: موضع على طريق المدينة الى مكة على ثمانية وعشرين ميلاً من المدينة، هكذا ذكره ياقوت في معجمه واستشهد بهذا البيت من شعر كثيّر.

(٤) النفل: الغنيمة والعطية.

(٥) كذا في جميع الأصول «ما يستطيع» بدون همزة الاستفهام، ولكن الجواب بكلمة «بلى» يدل على أن القصد من الجملة الاستفهام، وهمزة الاستفهام مما يجوز حذفه (انظر المغنى لابن هشام في بحث الألف من الباب الاول). ويحتمل أن يكون «ما يستطيع» نفيا محضاً وأن التحريف في «بلى» وأن أصلها «بل» الإضرابية.

نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني في أبيات كُثيِّر الأُول

التي أوّلها هلّا سألتَ مَعالِمَ الأطلالِ

لابن سُرَيج منها في الثاني والثالث رَمَلٌ مطلقٌ في مجرى البنصر عن إسحاق. وللغريض في الأوّل والثاني ثقيلٌ أوّلُ مطلق في مجرى البنصر عنه. وفيها لعَلُّوَيه رَمَل بالوسطى عن عمرو. وفي أبيات الحارث بن خالد لإبراهيم الموصليّ رَمَل بالسبّابة في مَجرى الوُسطى عن إسحاق أيضاً.

أخبرني عمي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا الخليل بن أسد عن العُمَريّ عن الهَيثم بن عَديّ قال:

دخل أشعَبُ مسجدَ النبي صلى الله عليه وسلّم فجعل يطوف الحِلَق[1]، فقيل له: ما تريد؟ فقال: أستفتي في مسألة؛ فبينا هو كذلك إذ مرّ برجل من ولد الزبير وهو مُسنَدٌ الى سارية[2] وبين يديه رجلٌ عَلَويّ، فخرج أشعب مبادراً؛ فقال له الذي سأله عن دخوله وتَطوافه: أوَجدتَ من أفتاك في مسألتك؟ قال: لا، ولكني علِمتُ ما هو خيرٌ لي منها؛ قال: وما ذاك؟ قال: وجدتُ المدينةَ قد صارت كما قال الحارث بن خالد:

قد بُدّلتْ أعلى مساكنها سُفلًا وأصبح سُفلها يعلو

رأيتُ رجلًا من ولد الزبير جالساً في الصدر، ورجلًا من ولد عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه جالساً بين يديه، فكفى هذا عَجباً، فانصرفتُ.

كان مروانيا:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجَوهريّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة، وأخبرني هذا

(١) الحلق: جمع حلقة وهي دائرة القوم وحلقتهم؛ وهذا الجمع على النادر كهضبة وهضب.
(٢) السارية: العمود.

الخبر إسماعيلُ بن يونس الشِيعيّ قال حدّثنا محمد عمر بن شبَّة قال حدّثنا محمد بن يحيى أبو غسّان، وأخبرني به محمد بن خلف بن المَرْزُبان قال حدّثنا عمر بن شبَّة قال حدّثنا أبو[1] عبد الله بن محمد بن حَفص عن أبيه قال قال محمد بن خلف أخبرني به أبو أيوب سليمان بن أيوب المدنيّ قال حدّثنا مُصْعَب الزُبيري، وأخبرني به أيضاً الَحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عمي، وقد جمعتُ رواياتهم في هذا الخبر.

أنّ بني مَخزوم كلّهم كانوا زُبَيْرِيّة سوى الحارث بن خالد فإنه كان مَرْوانيّاً.

توليه مكة :

فلما ولي عبد الملك الخلافةَ عامَ الجماعة وفَد عليه في دَين كان عليه وذلك في سنة خمس وسبعين ؛ وقال مَصْعَب في خبره : بل حجّ عبدُ الملك في تلك السنة فلما انصرف رَحل معه الحارثُ إلى دمشق، فظهرت له منه جَفوة، وأقام ببابه شهراً لا يَصِل اليه، فانصرف عنه وقال فيه :

صَحِبتُك إذ عَيني عليها غِشاوةٌ ... فلما انجلَتْ قطَّعتُ نفسي ألومُها
وما بي وإن أقصيْتَني من ضَراعةٍ ... ولا افتقرتْ نفسي إلى من يَضيمُها

هذا البيت في رواية ابن المَرْزُبان وحده :

عَطفتُ عليك النفسَ حتى كأنما ... بكفّيْكَ بؤسي أو عليك نعيمُها

وبلغ عبدَ الملك خبرُه وأنشِد الشعرَ، فأرسل اليه مَنْ ردّه من طريقه ؛ فلما دخل عليه قال له : حارِ[2]، أخبِرْني عنك : هل رأيتَ عليك في المُقام ببابي غَضاضةً أو في قصدي دناءةً ؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين ؛ قال : فما حملك على ما قلتَ

(١) كلمة « أبو » ساقطة في ح .

(٢) حار : ترخيم حارث .

وفعلتَ؟ قال: جفوةٌ ظهرتْ لي، كنتُ حقيقاً بغير هذا؛ قال: فاْختَرْ، فإن شئتَ أعطيتُك مائة ألف درهم، أو قضيتُ دَيْنَك، أو ولَّيتُك مكةَ سنة، فولَّاه إياها؛ فحجّ بالناس وحجّت عائشةُ بنت طَلْحة عامئذٍ، وكان يهواها؛ فأرسلتْ إليه: أَخِرِ الصلاةَ حتى أفرُغَ من طَوافي، فأمر المؤذِّنين فأخّروا الصلاةَ حتى فرَغتْ من طَوافها، ثم أقيمت الصلاةُ فصلّى بالناس، وأنكر أهلُ الموسم ذلك من فعله وأعظَموه، فعزَله وكتب اليه يؤنّبه فيما فعل؛ فقال: ما أهونَ واللهِ غضبَه إذا رَضِيَتْ! والله لو لم تفرغ من طوافها إلى الليل لأخرتُ الصلاةَ إلى الليل. فلما قضتْ حَجّها أرسَل اليها: يأبنة عمي ألِمِّي بنا أو عدينا مجلِساً نتحدّث فيه؛ فقالت: في غدٍ أفعلُ ذلك، ثم رحلت من ليلتها؛ فقال الحارث فيها:

صوت

ما ضرّكم لو قلتمُ سَدَداً إنّ المطايا عاجِلٌ غَدُها
ولها علينا نِعمةٌ سَلَفتْ لسنا على الأيام نجحدُها
لو تمّمتْ أسبابَ نعمتها تمت بذلك عندنا يدُها

لِمَعْبَد في هذه الأبيات ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن عمرو بن بانة ويونس ودَنانير، وقد ذكره إسحاق فنسبه إلى ابن محرز ثقيلاً أوّل في أصوات قليلة الأشباه؛ وقال عمرو بن بانة: من الناس من نسبه إلى الغريض.

نسبة ما في الأخبار من الغناء

صوت

وما بي وإن أقصيتني من ضَراعة ولا أفتقرتْ نفسي الى من يُهينُها
بَلى بأبي إني اليك لضارعٌ فقيرٌ ونفسي ذاك منها يَزينُها

البيتُ الأوّل للحارث بن خالد، والثاني ألحق به. والغناء للغريض ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن ابن المكيّ. وذكر الهشاميّ أن لحن الغريض خفيفُ ثقيله في البيت الأوّل فقط، وحكى أن قافيته على ما كان الحارث قاله:

ولا افتقرت نفسي إلى من يَضيمها

وأن الثقيل الأوّل لعُلَيَّة بنت المهديّ، ومن غنائها البيتُ المضاف. وأَخلِقْ بأن يكون الأمرُ على ما ذكره، لأن البيت الثانيَ ضعيفٌ يُشبه شِعرَها.

مع عائشة بنت طلحة:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر وإسماعيل بن يونس قالوا حدّثنا عمر بن شبَّة قال حدّثني أبو غسّان محمد بن يحيي قال:

لما تزوّج مُصعَب بن الزبير عائشةَ بنت طلحة ورحّل بها الى العراق، قال الحارث بن خالد في ذلك:

صوت

ظعَن الأميرُ بأحسن الخلقِ وغدا بلُبِّك مَطلَعَ الشَّرقِ
في البيت ذي الحسبِ الرفيع ومِن أهلِ التُّقى والبرِّ والصِّدقِ
فظَلِلتُ كالمقهور مهجته هذا الجنونُ وليس بالعِشقِ
أتْرُجّةٌ عَبِقَ العبيرُ بها عَبَقَ الدِّهان بجانب الحُقِّ
ما صبَّحتْ أحداً برؤيتها إلا غدا بكواكب الطَّلْقِ[1]

وهي أبيات، غنَّى ابن مُحرز في البيتين الأوّلين خفيف رَمَلٍ بالسبابة في

(١) يقال: يوم طلق أي مشرق لا برد فيه ولا حرّ ولا شيء يؤذي، ويقال أيضاً: ليلة طلق وليلة طلقة. يريد: أن من تصبحه برؤيتها، يرى الزمان صافياً طيباً سعيداً، تفاؤلا بطلعتها واستبشاراً.

مجرى الوسطى عن إسحاق ، وذكر عمرو بن بانة أن فيها لمالك ثقيلًا بالوسطى ، وذكر حَبَش أن فيها لمالك رملًا بالوسطى ، وذكر حبش أيضاً أن فيها للدلال ثانيَ ثقيل بالبنصر ، ولابن سُرَيج ومالك رَمَلين ، ولسعيد بن جابر هَزَجاً بالوسطى .

أخبرني محمد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر والحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سلّام عن ابن جُعْدُبَة قال :

لما أن قدِمتْ عائشةُ بنتُ طلحة أرسل اليها الحارث بن خالد وهو أميرٌ على مكة : إني أريد السلامَ عليكِ ، فإذا خفّ عليكِ أذِنتِ ، وكان الرسولُ الغريضَ ، فقالت له : إنّا حُرُم ، فإذا أحللنا أذِنّاك ، فلما أحلّت سرَتْ على بَغَلاتها ، ولَحِقها الغريضُ بعُسْفان[1] أو قريبٍ منه ، ومعه كتابُ الحارث اليها :

ما ضرّكم لو قلتمُ سَدَدا

— الأبيات المذكورة — ، فلما قرأتِ الكتابَ قالت : ما يَدَعُ الحارث باطله ! ثم قالت للغريض : هل أحدثْتَ شيئاً ؟ قال : نعم ، فاسمعي ، ثم اندفع يغنّي في هذا الشعر ؛ فقالت عائشة : والله ما قلنا إلا سَدداً ، ولا أردنا إلا أن نشتريَ لسانَهُ ؛ وأتى على الشعر كلِه ، فاستحسنته عائشة ، وأمرت له بخمسة آلاف درهم وأثواب ، وقالت : زدْني ، فغنّاها في قول الحارث بن خالد أيضاً :

زَعموا بأن البَيْن بعد غدٍ ... فالقلبُ مما أحدَثوا يَجِفُ
والعَيْنُ منذ أُجِدّ بينهمُ ... مثلَ الجُمانِ دموعُها تَكِفُ
ومقالها ودُموعُها سُجُمٌ ... أَقلِلْ حنينَك حين تنصرِفُ

(١) ذكر ياقوت في معجمه عسفان فقال : قال أبو منصور : عسفان منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة ، وقال غيره : عسفان بين المسجدين وهي من مكة على مرحلتين ، وقيل : عسفان قرية جامعة بها منبر ونخيل ومزارع على ستة وثلاثين ميلا من مكة وهي حدّ تهامة .

تشكو ونشكو ما أشتّ بنا[1]   كلٌّ بوَشْــك البيْن مُعترِفُ

— إيقاع هــذا الصوت ثقيلٌ أوّلُ مطلقٌ في مجرى الوسطى عن الهشاميّ ، ولم يذكر له حمّادٌ طريقاً — قال : فقالت له عائشة : يا غريض ، بحقّي عليك أهو أمرك أن تغنّيَني في هذا الشعر ؟ فقال : لا ، وحيــاتِك يا سيدتي ! فأمرت له بخمسة آلاف درهم ، ثم قالت له : غنّني في شعرِ غيرِه ؛ فغناها قولَ عمر فيها :

صوت

أجْمعتْ خُلّتي مع الفجر بَينا[2]   جَلَّلَ[3] اللهُ ذلك الوجهَ زَينا

أجمعتْ بينَها ولم نَكُ منها   لذّةَ العيشِ والشبابِ قضَيْنا

فتولّتْ حُمُولُهــا واستقلّت   لم نَنَلْ طائلًا ولم نَقْضِ دَيْنا

ولقــد قلتُ يومَ مكة لمّا   أرسلتْ تَقرأ السلامَ علينا

أنعم اللهُ بالرسول الذي أر   سلَ والمُرسِلِ الرسالةِ عَينا[4]

— الشعرُ لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء للغريض خفيفُ ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق ، وغيرُه ينسبُه الى ابن سريج . وفيه لمعبدٍ خفيفُ ثقيل بالوسطى عن عمرو ، وأظنه هذا اللحن — قال : فضحِكتْ ثم قالت : وأنت يا غريض فأنعم اللهُ بك عينا ، وبآبن أبي ربيعة عينا ، لقد تلطّفتَ حتى أدّيتَ الينا رسالته ، وإن وفاءَك له لممّا يَزيدنا رغبةً فيك وثقةً بك . وقد كان عمر سأل

---

(١) أشت بنا : فرّق أمرنا .

(٢) البين : الفراق . وأجمعت بينا : اعتزمته وصممت عليه .

(٣) جلل : عمّ ، ومنه المجلل : للسحاب الذي يجلل الأرض بالمطر أي يعمها .

(٤) ورد هذا البيت في اللسان ج ١٦ ص ٦٠ هكذا :

أنعم الله بالرسول وبالمر   سل والحامل الرسالة عينا

والرسول في هذه الرواية : اسم بمعنى الرسالة ، وأصله مصدر وفعله ممات .

الغريض أن يغنّيها هذا الصوتَ لأنه قد كان ترك ذِكرها لمّا غضِبت بنو تَيم من ذلك، فلم يحبّ التصريحَ بها وكَرِه إغفالَ ذكرها؛ وقال له عمر: إن أبلغتها هذه الأبيات في غناء فلكَ خمسةُ آلاف درهم، فوفى له بذلك، وأمرت له عائشة بخمسة آلاف درهم أخرى؛ ثم انصرف الغريضُ من عندها فلقِيَ عاتكةَ بنت يزيد بن معاوية امرأةَ عبد الملك بن مروان، وكانت قد حجّت في تلك السنة. فقال لها جواريها: هذا الغريضُ؛ فقالت لهن: عليَّ به، فَجِيء به اليها. قال الغريض: فلما دخلتُ سلّمتُ فردّت عليّ وسألتني عن الخبر، فقصصتُه عليها؛ فقالت: غنّني بما غنّيتَها به، ففعلتُ فلم أرها تَهشّ لذلك، فغنّيتُها مُعرِّضاً لها ومذكِّراً بنفسي في شعر مرّة بن مَحكان السّعْديّ يُخاطب امرأته وقد نزَل به أضيافٌ:

أقولُ والضَّيفُ مَخْشِيٌّ ذِمامَتُه[1] على الكريم وحقُّ الضيفِ قد وَجبا

صوت

يا ربّةَ البيتِ قُومي غيرَ صاغرةٍ ضُمّي اليكِ رِحالَ القوم والقِرَبا

في ليلةٍ من جُمادَى ذاتِ أنديَةٍ[2] لا يُبصر الكلبُ من ظَلمائها الطُّنُبا

لا ينبَحُ الكلبُ فيها غيرَ واحدةٍ حتى يَلُفَّ على خَيشومه الذَّنَبا

— الشعر لمُرّة بن مَحكان السّعْديّ، والغِناء لابن سريج. ذكر يونس أن فيه ثلاثةَ ألحان، فوجدتُ منها واحداً في كتاب عمرو بن بانة رَمَلاً بالوسطى، والآخرَ في كتاب الهشاميّ خفيف ثقيل بالوسطى، والآخر ثانيَ ثقيلٍ في كتاب أحمد بن المكيّ — قال: فقالت وهي متبسّمة: قد وَجب حقّك يا غريض، فغنّني؛ فغنّيتها:

---

(١) الذمامة (بالفتح وتكسر): الذمة والعهد.

(٢) أندية: جمع ندى (وزان فتى)، وهو ما يسقط بالليل، وهذا الجمع شاذ، لأن أفعلة إنما يكون جمعاً لما كان ممدوداً مثل كساء وأكسية.

صوت

يا دهرُ قد أكثرتَ فَجعتنا ... بسَراتنا ووَقَرْتَ(١) في العَظْمِ
وسَلَبتنا ما لستَ مُخلِفَه ... يا دهرُ ما أنصفتَ في الحُكمِ
لو كان لي قِرنٌ أُناضِله ... ما طاش عند حَفِيظةٍ سَهمي
لو كان يُعطي النِّصْفَ(٢) قلتُ له ... أحرزتَ سهمك فَالْهُ عن سَهْمي(٣)

فقالت: نُعطيك النِّصف ولا نُضيع سهمك عندنا، ونُجزِل لك قِسمك، وأمرت لي بخمسة آلاف درهم وثيابٍ عَدَنيّة وغير ذلك من الألطاف، وأتيتُ الحارثَ ابن خالد فأخبرته الخبرَ وقصصتُ عليه القصّة؛ فأمر لي بمثل ما أمرتا لي به جميعاً، فأتيتُ ابنَ أبي ربيعة وأعلمتُه بما جرى، فأمر لي بمثل ذلك، فما انصرف واحد من ذلك المَوْسم بمثل ما انصرفتُ به، بنظرة من عائشة ونظرةٍ من عاتكة وهما من أجمل نساء عالَمِهما، وبما أمرتا لي به، وبالمنزلة عند الحارث وهو أمير مكة، وابن أبي ربيعة، وما أجازاني به جميعاً من المال.

أخبرني محمد بن خلف بن المَرْزُبان قال حدّثنا أبو الحسن المَرْوَزيّ قال حدّثنا محمد بن سلّام عن يونس قال:

لمّا حجّتْ عائشةُ بنتُ طَلْحة أرسل اليها الحارثُ بن خالد وهو أمير مكة: أنعم الله بكِ عينا وحيّاكِ، وقد أردتُ زيارتَكِ فكرهتُ ذلك إلا عن أمرك، فإن أذِنتِ فيها فعلتُ؛ فقالت لمولاة لها جَزْلة(٤): وما أرُدّ على هذا السفيه، فقالت لها: أنا أكفيكِ، فخرجتْ الى الرسول وقالت له: أقرأ عليه السلامَ، وقل

---

(١) وقر العظم: صدعه.
(٢) النصف مثلثة: اسم بمعنى الانتصاف.
(٣) السهم: النصيب والحظ، والسهم في البيت الذي قبله: ما يرمى به وهو واحد النبل.
(٤) الجزلة: العاقلة الأصيلة الرأي.

له : وأنت أنعم الله بكَ عينا وحيَّاك ، نَقضي نُسُكَنا ثم يأتيك رسولُنا إن شاء الله ، ثم قالت لها : قُومي فطوفي وأسعَيْ واقضي عُمرَتكِ واخرجي في الليل ، ففعلتْ ؛ وأَصبح الحارثُ فسأل عنها فأُخبِر خبرَها ، فوجّه اليها رسولا بهذه الأبيات ، فوجَدها قد خرجتْ عن عمل مكة ، فأوصل الكتابَ اليها ، فقالت لمولاتها : خُذِيه فإني أظنه بعض سَفاهاته ، فأخذَته وقرأته وقالت له : ما قلنا إلا سَدَداً[1] وأنت فارغ للبَطالة[2] ، ونحن عن فراغك في شغل .

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار وأحمد بن عبد العزيز الجَوْهريّ وحبيب ابن نصر المهلّبيّ وإسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قالوا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال : زعم كُلْثوم بن أبي بكر بن عمر بن الضَّحّاك ابن قيس الفِهْريّ قال :

قدِم المدينةَ قادمٌ من مكة فدخل على عائشة بنت طلحة ، فقالتْ له : من أين أقبل الرجل؟ قال : من مكة ، فقالت : فما فعل الأعرابيّ؟ فلم يَفهم ما أرادت ، فلما عاد الى مكة دخل على الحارث ، فقال له : من أين؟ قال : من المدينة، قال : فهل دخلتَ على عائشة بنت طلحة ؟ قال : نعم، قال : فعماذا سألتك ، قال : قالت لي : ما فعل الأعرابيّ ، قال له الحارث : عُدْ اليها ولك هذه الراحلةُ والحُلّة ونفقتُك لطريقك وادفع اليها هذه الرقعة ، كتب اليها فيها :

صوت

من كان يَسأل عنا أين منزِلُنا ... فالأُقحُوانَة[3] منا منزِلٌ قَمَنُ[4]

(١) ويروى : « سداداً » . والسدد والسداد في القول : أن يكون صوابا .

(٢) البطالة (بفتح الباء) : اتباع اللهو .

(٣) الأقحوانة : موضع قرب مكة . قال الأصمعي : هي بين بئر ميمون الى بئر ابن هشام .

(٤) القمن (بالتحريك) : الخليق والجدير كالقمن (بكسر الميم) إلا أن الأول لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث، لأنه مصدر وصف به بخلاف الثاني فإنه نعت، ويعدّى بالباء ومن، يقال : هو قمن به ومنه، وهذا المنزل لك موطن قمن أي جدير أن تسكنه . ويحتمل أن يكون «قمن» في البيت بمعنى قريب .

إذ نلبَس العيشَ صفواً ما يكدّره   طعنُ الوُشاة ولا ينبو بنا الزمنُ

قال إسحاق: وزادني غيرُ كلثوم فيها:

ليت الهوى لم يقرّبني إليكِ ولم   أعرفكِ إذ كان حظّي منكمُ الحزَن

غنّى في هذه الأبيات ابن مُحرز خفيفَ ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق، وذكر يونس أن فيها لحناً ولم يُجنّسه، وذكر عمرو أن فيه لابُويَه ثانيَ ثقيل بالبنصر.

غضب على الغريض:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن محمد بن سلّام، قال:

لما ولّى عبدُ الملك بن مروان الحارثَ بن خالد المخزوميّ مكةَ بعث الى الغريض فقال له: لا أرينّكَ في عملي[1]، وكان قبل ذلك يطلبه ويَستدعيه فلا يُجيبه، فخرج الغريضُ الى ناحية الطائف، وبلغ ذلك الحارثَ فرقّ له فردّه وقال له: لِمَ كنتَ تُبغِضنا وتهجر شِعرنا ولا تقرَبُنا؟ قال له الغريض: كانت هفوةً من هفوات النفس، وخطرةً من خطَرات الشيطان، ومثلُك وَهب الذنبَ، وصفَح عن الجرْم، وأقال العثرةَ، وغفر الزلّة، ولستُ بعائدٍ الى ذلك أبداً؛ قال: وهل غنّيتَ في شيء من شعري؟ قال: نعم، قد غنّيتُ في ثلاثة أصوات من شعرك، قال: هاتِ ما غنّيتَ، فغنّيتُ:

صوت

بان الخليطُ فما عاجوا ولا عدَلوا   إذ ودّعوك وحنّت بالنوى الإبِلُ

(١) في عملي أي في البلد الذي تحت حكمي.

كأن فهم غداةَ البَيْنِ إذ رَحَلوا أدْماءُ[1] طاعَ[2] لها الحَوْذانُ[3] والنَّفَلُ[4]

– الغِناء للغريض ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن الهشاميّ وحَبَش؛ قال حبَش: وفيه لابن سُرَيج خفيفُ رمَل بالبنصر، ولإسحاق ثاني ثقيل بالبنصر – فقال له: أحسنتَ والله يا غريض، هات ما غنّيت فيه أيضاً من شعري، فغنّاه في قوله:

صوت

يا ليت شعري وكم من مُنية قُدِرتْ وَفْقاً وأخرى أتى من دونها القَدَرُ
ومُضمَرِ الكَشْحِ يَطويه الضجيعُ له طيَّ الحِمالة[5] لا جافٍ ولا فَقِرُ[6]
له شَبيهان لا نَقْصٌ يَعيبهما بحيث كانا ولا طُولٌ ولا قِصَرُ

– لم أعرِف لهذا الشعر لحناً في شيء من الكتب ولا سمعتُه – فقال له الحارث: أحسنتَ والله يا غريض، إيه، وماذا أيضاً؟ فغنّاه قولَه:

عَفَتِ الديارُ فما بها أهلُ حُزّانُها[7] ودِماثُها[8] السهلُ
إني وما نَحَروا غداةَ مِنًى عند الجِمار تؤودها العُقْلُ

---

(١) الأدماء: الظبية البيضاء يعلوها جُدَد فيها غبرة، وقيل هي البيضاء الخالصة البياض، وقيل: هي التي لونها كلون الجبال.

(٢) يقال: طاع له المرتع: أي اتسع وأمكنه رعيه متى شاء.

(٣) الحوذان: نبت سهليّ حلو طيّب الطعم.

(٤) النفل: نبت من أحرار البقول نوره أصفر طيّب الرائحة.

(٥) الحمالة: علاقة السيف.

(٦) الفقر: الكسير الفقار، والفقار: ما انتضد من عظام الصلب من لدن الكاهل الى العَجْب.

(٧) حزّان – بضم الحاء وكسرها وتشديد الزاي –: جمع «حزيز» وهو موضع من الارض كثرت حجارته وغلظت كأنها السكاكين، أو هو ما غلظ وصلب من جَلَد الارض مع إشراف قليل؛ وفي قصيدة كعب بن زهير:

ترمي الغُيوبَ بعينيْ مفردٍ لَهَقٍ اذا توقدت الحُزّانُ والمِيلُ

(٨) الدماث: السهول من الارض.

— الأبياتَ المذكورة وقد مضت نِسبتُها معها — فقال له الحارث : يا غريضُ لا لومَ في حبّك، ولا عذرَ في هجرك، ولا لذّة لمن لا يروّح قلبَه بك، يا غريض لو لم يكن لي في ولايتي مكّةَ حظٌّ إلا أنتَ لكان حظّاً كافياً وافياً، يا غريض إنما الدنيا زينة، فأزيَنُ الزينة ما فرّح النفسَ، ولقد فَهِم قَدْرَ الدنيا على حقيقته من فَهِم قَدْرَ الغناء .

أخبرني الحسن بن عليّ عن أحمد بن زُهير عن مُصعَب الزُّبيريّ قال :

أُنشِدتْ سُكَيْنةُ بنت الحسين قولَ الحارث بن خالد :

ففرَغن من سَبْع وقد جُهِدت أحشاؤهن موائلَ الخُمُرِ

فقالت : أَحسَنٌ عندكم ما قال ؟ قالوا : نعم، فقالت : وما حُسنُه ! فوالله لو طافت الإبل سَبْعاً لجُهِدت أحشاؤها .

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه عن كلثوم بن أبي بكر قال :

لما مات عمر بن عبد الله التَّيْميّ عن عائشة بنت طلحة وكانت قبله عند مُصْعَب بن الزبير قيل للحارث بن خالد : ما يمنعك الآن منها ؟ قال : لا يتحدّث والله رجالٌ من قريش أنّ نَسيبي بها كان لشيء من الباطل .

أخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثني عمي عبيد الله عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ قال :

لما خرج ابنُ الأشعث على عبد الملك بن مروان شُغِل عن أن يولّيَ على الحجّ رجلاً، وكان الحارثُ بن خالد عامِلَه على مكة، فخرج أبانُ بن عثمان من المدينة وهو عامله عليها، فغدا على الحارث بمكة ليَحُجّ بالناس؛ فنازَعه الحارثُ وقال له : لم يأتِني كتابُ أمير المؤمنين بتوليتك على المَوْسم، وتغالبا فغلبه أبانُ بن عثمان بنسبه، ومال اليه الناسُ فحجّ بهم؛ فقال الحارث بن خالد في ذلك :

فإن تنجُ منها يا أبانُ مسلَّماً فقد أفلت الحجّاجَ خيلُ شَبيبِ
وكاد غداةَ الدّيرِ[١] يُنفِذُ حِضنَه غلامٌ بطعن القِرْنِ جِدُّ طبيبِ
وأنسوْه وصفَ الدّيرِ لما رآهمُ وحسَّنَ خوفُ الموت كلَّ مَعيبِ

فلقيَهُ الحجّاجُ بعد ذلك، فقال: مالي ولك يا حارث! أينازِعك أبانُ عملًا فتذكرني! فقال له: ما أعتمدتُ مَساءتك ولكن بلغني أنك أنت كاتبته، قال: والله ما فعلتُ، فقال له الحارث: المَعْذِرة الى الله وإليك أبا محمد.

هذا كلام معاين:

نسختُ من كتاب هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات: حدّثني عمرو بن سلم قال حدّثني هارون بن موسى القَرْوِيّ قال حدّثني موسى بن جعفر أن يحيى قال حدّثني مؤدِّب لبني هشام بن عبد الملك قال:

بَينا أنا أُلقِي على ولد هشامٍ شعرَ قريشٍ إذ أنشدتُهم شعرَ الحارث بن خالد:

إن أمرأ تعتادُه ذِكَرٌ منها ثلاثُ مِنًى لذو صَبرِ

وهشامٌ مُصْغٍ إليّ حتى ألقيتُ عليهم قولَه:

ففرَغْن من سَبْعٍ وقد جُهِدتْ أحشاؤهن موائلَ الخُمُرِ

فأنصرف وهو يقول: هذا كلامُ مُعايِنٍ.

عائشة في العمرة:

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثني أبو عبد الله السَّدُوسِيّ قال وحدّثنا أبو حاتم السجستانيّ قال أخبرنا أبو عُبيدة قال:

---

(١) هو دير الجماجم، وفيه كانت الوقعة بين الحجاج بن يوسف وعبد الرحمن بن الأشعث.

قدمت عائشة بنت طلحة مكة تريد العمرة، فلم يزل الحارث يدور حولها وينظر اليها ولا يمكنه كلامها حتى خرجت، فأنشأ يقول – وذكر في هذه الأبيات بُسرة حاضنتها وكنى عنها – :

صوت

يا دار أقفر رسمها ... بين المحصّب(١) والحجون(٢)
أقوت وغيّر آيها ... مرّ الحوادث والسنين
واستبدلوا ظلف(٣) الحجا ... ز وسرّة(٤) البلد الأمين
يا بسر إني فاعلمي ... بالله مجتهداً يميني
ما إن صرمت حبالكم ... فصلي حبالي أو ذريني

في هذه الأبيات ثاني ثقيل لمالك بالبنصر عن الهشامي وحبش، قال : وفيها لابن مسجح ثقيل أول، وذكر أحمد بن المكي أن فيها لابن سريج رملاً بالبنصر؛ وفيها لمعبد ثقيل أول بالوسطى عن حبش .

شبب بزوجته :

أخبرني الطوسي والحرمي بن أبي العلاء قالا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني مصعب بن عثمان بن مصعب بن عروة بن الزبير، وأخبرني به محمد بن خلف بن المرزبان عن أحمد بن زهير عن مصعب الزبيري قال :

---

(١) المحصب : موضع فيما بين مكة ومنى وهو الى منى أقرب .

(٢) الحجون : جبل بأعلى مكة، وقال السكري : مكان من البيت على ميل ونصف ميل (انظر معجم البلدان لياقوت في اسم الحجون) .

(٣) الظلف : ما لان من الارض، وقيل : ما صلب وغلظ منها، وفي ذلك أقوال كثيرة .

(٤) سرة البلد : وسطه .

كانت أمُّ عبد الملك بنت عبد الله بن خالد بن أَسِيد عند الحارث بن خالد، فولدتْ منه فاطمةَ بنت الحارث، وكانت قَبْلَه عند عبد الله بن مُطيع، فولدت منه عِمرانَ ومحمداً، فقال فيها الحارث وكنّاها بأبنها عمران :

يا أمَّ عِمرانَ ما زالت وما بَرِحت بِيَ الصبابةُ حتى شفَّني الشَّفَقُ [1]
القلبُ تاقَ اليكم كي يُلاقيَكم كما يتوقُ إلى مَنجاته الغَرِقُ
تُنيل نَزْراً قليلاً وهي مُشفِقةٌ كما يخاف مَسيسَ الحيَّة الفَرِقُ [2]

قال مصعب بن عثمان : فأنشد رجل يوماً بحضرة أبنها عمران بن عبد الله بن مُطيع هذا الشعرَ، ثم فَطِن فأمسك؛ فقال له : لا عليك، فإنها كانت زوجتَه . وقال ابنُ المرزُبان في خبره : فقال له : امضِ رحمك الله وما بأس بذلك، رجلٌ تزوّج بنت عمّه وكان لها كفئاً كريماً فقال فيها شعراً بلغ ما بلغ، فكان ماذا ! .

شبب بام بكر :

أَخبرني محمد بن خلف بن المرزُبان قال حدّثني أحمد بن عبد الرحمن التَّميمي عن أبي شُعَيب الأَسديّ عن القَحْذَميّ قال :

بينا الحارث بن خالد واقف على جَمرة العَقَبة إذ رأى أمَّ بكر وهي ترمي الجَمرةَ فرأى أحسنَ الناس وجهاً ، وكان في خدّها خالٌ ظاهر ، فسأل عنها فأُخبر بأسمها حتى عرَف رَحْلَها ، ثم أرسل اليها يسألها أن تأذَن له في الحديث ، فأذِنت له ، فكان يأتيها يتحدّث اليهـا حتى انقضت أيام الحجّ ، فأرادت الخروجَ إلى بلدها ، فقال فيها :

أَلا قُل لذاتِ الخال يا صاحِ في الخدّ تدوم إذا بانت على أحسن العهدِ

(١) الشفق : رقة من حب تؤدّي الى خوف .

(٢) الفرق : بكسر الراء ككتف وبضمها كرجل : الشديد الفزع، وقيل يقال : رجل فرق (بكسر الراء) اذا فزع من الشيء وليس من جبلته، ورجل فرق (بضمها) اذا فزع وكان منه الفزع جبلة .

ومنها علامات بمجرى وشاحها | وأخرى تزين الجيد من موضع العقد
وترعى من الود الذي كان بيننا | فما يستوي راعي الأمانة والمبدي
وقل قد وعدت اليوم وعداً فأنجزي | ولا تخلني، لا خير في خلف الوعد
وجودي علي اليوم منك بنائل | ولا تبخلي، قدمت قبلك في اللحد
فمن ذا الذي يبدي السرور إذا دنت | بك الدار أو يعنى بنأيكم بعدي
دنوكم منا رخاء ننالُه | ونأيكم والبعد جهد على جهد
كثير إذا تدنو أغتباطي بك النوى | ووجدي اذا ما بنتم ليس كالوجد
أقول ودمعي فوق خدي مخضل[1] | له وشل[2] قد بل تهتانه خدي
لقد منح الله البخيلة ودنا | وما منحت ودي بدعوى ولا قصد

شبب بليلى :

أخبرني محمد بن خلف قال وحدثت عن المدائني ولست أحفظ من حدثني به قال :

طافت ليلى بنت أبي مرة بن عروة بن مسعود وأمها ميمونة بنت أبي سفيان ابن حرب بالكعبة، فرآها الحارث بن خالد فقال فيها :

أطافت بنا شمس النهار ومن رأى | من الناس شمساً بالعشاء تطوف
أبو أمها أوفى قريش بذمة | وأعمامها إما سألت ثقيف

وفيها يقول :

(١) مخضل : مندى .
(٢) الوشل : الماء الكثير أو القليل فهو من أسماء الأضداد، والمراد به هنا الكثير .

أَمِنْ طَلَلٍ بالجِزْعِ من مكّةَ[1] السِّدْرِ عفا بين أكناف المُشَقَّرِ[2] فالحَضْرِ[3]
ظَلِلتَ وظلَّ القوم من غير حاجةٍ لَدُنْ غُدوةٍ[4] حتى دنَتْ حَزّةُ[5] العَصْرِ
يُبَكُّون من ليلى عهوداً قديمةً وماذا يُبكّي القومَ من منزلٍ قَفْرِ

الغناء في هذه الأبيات لابن سُرَيج ثاني ثقيل بالخنصر والبنصر عن يحيى المكيّ، وذكر غيرُه أنه للغريض. وفي ليلى هذه يقول — أنشدَناه وكيعٌ عن عبد الله بن شَبيب عن إبراهيم بن المُنذِر الحِزاميّ للحارث بن خالد، وفي بعض الأبيات غناء — :

صوت

لقد أرسلتْ في السرّ ليلى تلومني وتزْعُمني ذا مَلَّةٍ طَرِفاً[6] جَلْدا
وقد أخلفتْنا كلَّ ما وَعدتْ بـه وواللهِ ما أخلفتُها عامـداً وَعْدا

---

(١) كذا في جميع النسخ، ولم يظهر لنا وجه لإضافة مكة الى السدر اللهم إلا أن يراد أنها تنبته، على أنه ذكر في ياقوت في الكلام على مكة: «ان ليس بها شجر مثمر إلا شجر البادية فاذا جزت الحرم فهناك عيون وآبار وحوائط وأودية ذات خضر ومزارع ونخيل، وأما الحرم فليس بـه شجر مثمر إلا نخيل يسيرة متفرقة». ويجوز أن تكون محرّفة عن كلمة «أيكة».

(٢) المشقر، كما في معجم ما استعجم للبكري: سوق الطائف، وذكر أن الأخفش روى بيت أبي ذؤيب الهذليّ:

حتى كأني للحوادث مروة بصفا المشرق كل يوم تقرع

«بصفا المشقر»: وقد روى بيت أبي ذؤيب هذا بهذه الرواية (في كتاب المنتقى في أخبار أم القرى طبع أوربا ص ٣).

(٣) الحضر: المراد به في هذا البيت: موضع بين مكة والمدينة وهو المذكور في شعر بعض الهذليين: أيا ليت شعري هل تغير بعدنا أروم وآرام وشابة والحضر

(٤) لدن من الظروف التي تجر ما بعدها، وقد سمع نصب غدوة بعدها وهو نادر.

(٥) الحزة: الساعة والحين، قال ساعدة بن العجلان:

ورميت فوق مُلاءةٍ محبوكة وأبنت للأشهاد حزّة أدعي

(٦) الطرف: من لا يثبت على صاحب.

فقلتُ مُجيباً للرسول الذي أتى تُراه، لكَ الوَيلاتُ، من قولها جِدّا؟
إذا جئتَها فاقْرَ السلامَ وقُلْ لها دَعي الجَوْرَ ليلى واسلكي مَنهجاً قصْدا
أفي مُكثِنا عنكم ليالٍ مَرِضتُها تَزيدينني ليلى على مَرضي جهدا
تَعُدّين ذنباً واحداً ما جنيتُه عليّ وما أُحصي ذنوبَكمُ عدّا
فإن شئتِ حرّمتُ النساءَ سِواكمُ وإن شئتِ لم أَطعمْ نُقاخاً ولا بَرْدا
وإن شئتِ غُرْنا بعدكم ثم لم نزَل بمكةَ حتى تَجلِسي قابِلاً نَجدا

الغناء للغريض ثاني ثقيلٍ بالسبّابة في مجرى الوسطى. وذكر ابنُ المكيّ أن فيه لدَحمانَ ثانيَ ثقيل بالوسطى لا أدري أهذا أم غيرُه. وفيه ثقيلٌ أولُ للأبجر عن يونس والهشاميّ. وفيه لابن سُرَيج رَمَل بالبنصر. ولعَرار خفيفُ ثقيلٍ عن الهشاميّ وحَبَش.

أخبرني محمد بن خلف قال أخبرني محمد بن الحارث الخرّاز قال حدّثنا أبو الحسن المدائنيّ قال:

كان الحارث بن خالد والياً على مكة، وكان أبان بن عثمان ربما جاءه كتاب الخليفة أن يُصلّيَ بالناس ويُقيمَ لهم حجَّهم، فتأخر عنه في سنة الحرب كتابُه ولم يأتِ الحارثَ كتابٌ، فلما حضر المَوسمُ شخَص أبان من المدينة، فصلى بالناس وعاونَته بنو أميّة ومَواليهم فغلب الحارثَ على الصلاة، فقال:

فإن تَنجُ منها يا أبانُ مسلَّماً فقد أفلتَ الحجّاجَ خيلُ شَبيبِ

فبلغ ذلك الحجّاجَ فقال: ما لي وللحارث! أيغلِبُه أبان بنُ عثمان على الصلاة ويهتف

(١) النقاخ: الماء البارد العذب الصافي الخالص الذي يكاد ينقخ – أي يكسر – الفؤاد ببرده، هكذا ذكره صاحب اللسان واستشهد له بهذا البيت ونسبه الى العرجيّ، وفسر البرد في قوله: «ولا بردا» بالريق.

(٢) غار الرجل: أتى الغور.

(٣) جلس الرجل: أتى نجداً، ومنه قول القائل:

قل للفرزدق والسفاهة كاسمها إن كنت تاركَ ما أمرتكَ فاجلس

بي أنا! ما ذِكْرُه إيّاي! فقال له عُبيد بن مَوهَب: أتأذَن أيها الأمير في إجابته وهِجائه؟ قال: نعم؛ فقال عبيد:

أباوابِص ٍ ارْكَبْ عَلاتَك[1] والتمِس مَكاسِبَها إن اللئيم كَسوبُ
ولا تَذكُرِ الحجّاج إلا بصالح فقد عِشتَ من معروفه بذَنوب[2]
ولستَ بوالٍ ما حييتَ إمارةً لِمُستخلَفٍ إلا عليك رقيبُ

قال المدائنيّ: وبلغني أن عبد الملك قال للحارث: أيّ البلاد أحبّ اليك؟ قال: ما حسُنَتْ فيه حالي وعرُض وجهي، ثم قال:

لا كوفةٌ أمي ولا بَصْرةٌ أبي ولستُ كمن يَثنيه عن وجههِ الكَسَل[3]

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

منها في تشبيب الحارث بامرأته أمّ عِمران:

صوت

بانَ الخليطُ الذي كنّا به نَثِقُ بانوا وقلبُك مجنونٌ بهم عِلِقُ
تُنيل نَزْراً قليلاً وهي مُشفقةٌ كما يخاف مَسيسَ الحيّة الفَرِقُ
يا أمّ عِمرانَ زالتْ وما بَرِحت بيَ الصَّبابةُ حتى شفَّني الشَّفَقُ
لا أعتَق اللهُ رِقّي من صبابتكم ما ضرّني أنني صَبٌّ بكم قَلِقُ

(١) العلاة في الأصل: الزبرة التي يضرب عليها الحداد الحديد، وتطلق أيضاً على الناقة تشبيهاً لها بالزبرة في صلابتها.

(٢) الذنوب: الحظ والنصيب، وفي هذا البيت إقواء وهو اختلاف حركة الرويّ.

(٣) دخل على هذا البيت الخرم وهو سقوط حركة من أوّله.

ضَحِكَتْ عن مُرْهَفِ الأنيابِ ذي أُشُرٍ[١] لا قَضَمٌ[٢] في ثنـايـاه ولا رَوَقُ[٣]
يتوقُ قلبي اليكم كي يـلاقيَـكم كما يتوق الى مَنْجاتـه الغَرِقُ

غنّى ابنُ محرز في الثالث ثم السادس ثم الخامس ثم الثاني، ولحنه من القَدْر الأوسط من الثقيل الأوّل بالسبابة في مجرى الوُسطى عن إسحاق، وللغريض في الرابع والثاني والثالث والسادس خفيفُ ثقيل بالبنصر عن عمرو، ولِسَلْسَل في الأوّل والثاني ثقيلٌ أوّل مطلق عن الهشاميّ، ولابن سُرَيج في الثاني والأول والرابع والخامس رَمَل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق، وللهذليّ في الثاني ثم الأوّل هَزَج عن الهشاميّ. وذكر حَبش أن فيها لابن سريج ثانيَ ثقيـل بالوسطى، ولابن مُحرِز ثانيَ ثقيل آخر بالبنصر. وذكر الهشاميّ أن لابن سُريج في الأبيات خفيفَ رمل.

وممّا يغنّى فيه من شعر الحارث بن خالد في عائشة بنت طلحة تصريحاً وتعريضاً ببُشْرةَ جاريتِها:

صوت

يا رَبْعَ بُسرةَ بالجناب تَـكَلَّمِ وأَبِنْ لنـا خبراً ولا تَستَعْجِمِ
مالي رأيتُكَ بعد أهلـك مُوحِشاً خَلَقاً كحَوض البـاقر[٤] المتهدِّمِ
تَسبي الضجيعَ إذا النجومُ تغوّرت طوعُ الضجيع أنيقـةُ المتوسَّمِ

(١) الأشر : حدّة ورقة تكون في الاسنان .

(٢) القضم (بفتحتين) : انصداع في السن وقيل : تثلم وتكسر في أطراف الاسنان، وفي رواية: «لا قصم» بالصاد المهملة والقصم (بفتحتين) : انشقاق السن عرضاً، يقـال : قصمت سنه قصماً أي انشقت عرضاً، ورجل أقصم الثنايا اذا كان متكسرها من النصف، وفي رواية : «مقضم» وهو مصدر ميميّ من قضمت الاسنان أي تكسرت وتفللت . وفي هذا الشطر «الطيّ» وهو هنا ذهاب الرابع الساكن من «مستفعلن» الأولى .

(٣) الروق : أن تطول الثنايا العليا على السفلى، وهو عيب في الاسنان .

(٤) الباقر : جماعة البقر .

قُبُ[١] البطون أوانسٌ مثلُ الدُّمى يَخلِطن ذاك بعِفّةٍ وتكرُّمِ

الغِناء لمعبدٍ خفيفُ رَمَلٍ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى . والأبياتُ اكثر من هذه إلا أني أعتمدتُ على ما غُنّيَ فيه .

ومنها صوتٌ قد جُمِعتْ فيه عدّةُ طرائقَ وأصوات في أبياتٍ من القصيدة :

أعرفتَ أطلالَ الرُّسوم تنكّرتْ بعدي وبُدِّلَ آيُهُنَّ دُثورا[٢]
وتبدّلتْ بعد الأنيس بأهلها عُفراً[٣] بَواغِمَ[٤] يَرتَعِنَ وعُورا
من كلّ مُصبية الحديثِ ترى لها كَفَلاً كرابية الكَثيب وثيرا
دَعْ ذا ولكن هل رأيتَ ظعائنا قَرَّبن أجمالاً لهنَّ بُكورا
قَرّبنَ كلَّ مُخيَّسٍ[٥] متحمِّلٍ بُزُلاً[٦] تُشبِّه هامَهنَّ قبورا
يَفتِنَّ لا يألون كلَّ مُغفَّلٍ يملأنه بحديثهنّ سرورا
يا دارُ حسَّرها[٧] البِلى تحسِيرا وسَفتْ عليها الريحُ بعدك بُورا
دَقَّ الترابُ نَخيلُه فخبَتِم بعِراصها ومُسيِّر تَسييرا
يا رَبعَ بُسرة إن أضرَّ بك البِلى فلقد عهِدتُكَ آهلاً معمورا

---

(١) القبّ : جمع قبّاء وهي الدقيقة الخصر الضامرة البطن .

(٢) دثر الرسم دثوراً : درس وبلي .

(٣) العفر جمع عفراء وهي من الظباء التي يعلو بياضها حمرة .

(٤) يقال : بغمت الظبية بغوماً وبغمت بغاما : صاحت الى ولدها بأرخم ما يكون من صوتها فهي باغمة وبغوم .

(٥) المخيس : المذلل .

(٦) البزل : جمع بازل وهو البعير الذي فطر نابه بدخوله في السنة التاسعة .

(٧) حسرها : أضرّ بها وأذهب بهجتها .

عَقَبَ الرَّذاذُ خِلافَهم[1] فكأنَّما بسَط الشَّواطِبُ[2] بينهنَّ حصيرا
إنْ يُمسِ حبلُكِ بعد طولِ تواصُلٍ خَلَقًا ويُصبحْ بَيْنُكم[3] مهجورا
فلقد أراني، والجديدُ الى بِلًى، زمنًا بوصلكِ قانعًا مسرورا
جَذِلًا بمالي عندكمْ لا أبتغي للنفس غيرَكِ خُلَّةً وعشيرا
كنتِ المُنى وأعزَّ مَنْ وطئَ الحصا عندي وكنتُ بذاكِ منكِ جديرا

غنّى في الاول والثاني من هذه الأبيات معبد، ولحنُه ثقيلٌ اوّلُ بالبنصر عن عمرو، مطلقٌ في مجرى الوسطى عن إسحاق، وللغريض فيه[4] ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن عمرو، ولإسحاق فيها ثاني ثقيل، ولإبراهيم فيها وفي الثالث خفيفُ ثقيل بالسبابة والوسطى عن ابنِ المكّيّ، وغنّى الغريضُ في الثالث والسادس والرابع والخامس ثاني ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق، وغنّى معبدٌ في السابع والثامن والعاشر خفيفَ ثقيلٍ بالسبّابة والوسطى عن يحيى المكيّ؛ وفيها ثاني ثقيل يُنسبُ الى طُوَيس وابنِ مِسجح وابن سُرَيج، ولمالك في التاسع والعاشر والحادي عشرَ والثاني عشرَ خفيفُ ثقيلٍ بالسبابة والوسطى عن يحيى المكيّ، وفيها بأعيانها لابن سُرَيج رملٌ بالسبّابة والوسطى عن يحيى أيضاً، وليحيى المكيّ في الحادي عشر وما بعده الى آخر الأبيات ثاني ثقيل، ولإبراهيم فيها بعينها ثقيلٌ أول عن الهشاميّ، وفيها لإسحاق رَمَلٌ، وفي الثالث والرابع لحنٌ لخُلَيْدةَ المكيّة خفيفُ رملٍ عن الهشاميّ أيضاً.

---

(١) كذا ورد في اللسان في مادّة «عقب» ومادّة «خلف» غير أنه ورد في مادّة «خلف» هكذا: «عقب الربيع» فذكر «الربيع» بدل «الرذاذ». وفي الأصول: «عفت الرذاذ خلافه»، فالظاهر أن كلمة «عفت» محرّفة عن «عقب» و«خلافه» محرّفة عن «خلافهم». وخلافهم: بعدهم. وفي اللسان أيضاً «نشط» بدل «بسط».

(٢) الشواطب: جمع شاطبة، والشاطبة من النساء: التي تشق الجريد لتعمل منه الحصير، قال مالك بن خالد:

اذا أدركوهم يلحفون سراتهم بضرب كما جدّ الحصيرَ الشواطب

(٣) كذا في الأصول والبين: الصلة والقرابة، ويحتمل أيضاً أن يكون «بيتكم» بالتاء.

(٤) كذا في جميع النسخ، والمناسب للسياق «فيها» بالتثنية كما هو ظاهر.

ومنها من أبيات قالها بالشام عند عبد الملك أوّلها :

هل تعرفُ الدارَ أضحت آيُها عُجُما كالرَّقِّ(١) أجرى عليها حاذقٌ قلما
بالخَيفِ هاجت شؤوناً(٢) غيرَ جامدةٍ فأنهلّتِ العينُ تذري واكفاً سجما
دارٌ لبُسرةَ أمست ما تُكلّمنا وقد أبنتُ لها لو تعرفُ الكَلِما
واهاً لبُسرةَ لو يدنو الأميرُ بها يا ليت بُسرةَ قد أمست لنا أَمَما(٣)

صوت

حلّتْ بمكة لا دارٌ مُصاقِبةٌ(٤) هيهاتَ جَيْرونُ(٥) ممّن يسكنُ الحَرَما
يا بُسرُ إنكُمُ شطّ البِعادُ بكم فما تُنيلوننا وصلاً ولا نِعَما

غنّى في هذين البيتين الهذليّ ثانيَ ثقيلٍ بالوسطى، وفيهما ليحيى المكيّ ثقيل أوّلُ بالبنصر، جميعاً من روايته :

قد قُلتُ بالخَيفِ إذ قالت لجارتها أدامَ وصلُ الذي أهدى لنا الكَلِما

صوت

لا يُرغمُ اللهُ أنفاً أنتَ حامِلُه بل أنفُ شانيك فيما سرّكم رَغِما

(١) الرق : الصحيفة البيضاء، وهو أيضاً جلد رقيق يكتب فيه .

(٢) الشؤون : الدموع .

(٣) أمما : قريبة .

(٤) مصاقبة : مقاربة .

(٥) جيرون : بناء عند باب دمشق يقال : إن الجن بنته في عهد سليمان بن داود، وهو سقيفة مستطيلة على عمد وسقائف وحوله مدينة تطيف به، وذكروا أن اسم الشيطان الذي بناه « جيرون » فسمي به . وقيل : إن اول من بنى دمشق جيرون بن سعد بن عاد بن إرم بن سام بن نوح وبه سمي « باب جيرون » وسميت المدينة « إرم ذات العماد » وفي ذلك أقوال كثيرة غير هذه . (راجع معجم البلدان لياقوت في اسم « جيرون ») .

إن كان رابكِ شيء لستُ أعلمه منّي فهذي يميني بالرضا سَلَما[1]
أو كنتُ أحببتُ شيئاً مثلَ حبّكمُ فلا أرحتُ إذاً أهلاً ولا نَعَما
لا تكليني[2] إلى من ليس يرحمُني وقاكِ مَنْ تُبغِضين الحتفَ والسَّقما
إن الوُشاةَ كثيرٌ إن أطعتِهمُ لا يرقُبون بنا إلّاً[3] ولا ذِمما

غنّى ابن مُحرز في :

لا يُرغِمُ اللهُ أنفاً أنت حامله

خفيفَ ثقيل بالبنصر، ولابن مِسجح فيه ثاني ثقيلٍ عن حَبَش؛ وفي :

لا تكليني الى من ليس يرحمني

لابن محرز ثقيل أوّل بالبنصر عن حبَشٍ والهشاميّ .

أخبرني محمد بن مَزْيَد والحسين بن يحيي قالا أخبرنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الزُّبيريّ قال :

أذّن المؤذِّنُ يوماً وخرج الحارثُ بن خالد الى الصلاة، فأرسلتْ اليه عائشةُ ابنةُ طلحةَ : إنه بقيَ عليّ شيء من طوافي لم أُتِمّهُ، فقعد وأمرَ المؤذِّنين فكفّوا عن الإقامة وجعل الناسُ يصيحون حتى فرغتْ من طوافها، فبلغ ذلك عبدَ الملك ابن مروان، فعزله وولّى مكةَ عبدَ الرحمن بن عبدِ الله بن خالد بن أَسِيد، وكتب الى الحارث : ويلَكَ، أتركتَ الصلاةَ لعائشةَ بنتِ طلحة! فقال الحارث : والله لو لم تَقضِ طوافَها الى الفجرِ لما كبّرتُ؛ وقال في ذلك :

لم أُرَحِّبْ بأن سَخِطتِ ولكن مرحباً أن رضيتِ عنّا وأهلا
إنّ وجهاً رأيتُه ليلةَ البدر عليه انثنى الجمالُ وحَلّا

(١) السلم : الاسم من التسليم .
(٢) في هذا البيت « الطيّ » وهو هنا حذف الرابع الساكن من « مستفعلن » الأولى .
(٣) الإلّ : العهد .

وجهُها الوجهُ لو يُسال[1] بـه المُز نُ من الحسنِ والجمالِ أستهلّا
إن عندَ الطَّوافِ حين أتتـه لجمالاً فَعْماً وخُلقاً رِفَلّا[2]
وكُسِين الجمالَ إن غِبنَ عنها فإذا ما بَدتْ لهنّ أضمحلّا

الغناء في شعره :

في شعر الحارث هذا غناء قد جمع كلّ ما في شعره منه على اختلاف طرائقه ، وهو :

صوت

أثلَ جودي على المتيّم أثلا لا تزيدي فؤادَه بكِ خَبْلا
أثلَ إني والراقصاتِ[3] بجَمْـع يتبارين في الأزمّة فُتْـلا[4]
سانحاتٍ يقطعن من عرفـاتٍ بين أيدي المطيّ حَزْناً وسهلا
والأكفّ المضمّرات على الركـن بشُعْثٍ سعَوْا الى البيت رَجْلى[5]
لا أخونُ الصديق في السرّ حتى يُنقَلَ البحرُ بالغرابيـل نقلا
أو تمرّ الجبـالُ مرّ سحابٍ مُوقَرٍ قد وعى من الماء ثِقلا
أنعم اللهُ لي بذا الوجهِ عيناً وبه مرحباً وأهـلاً وسهلا
حـين قالت لا تُفشِيَنّ حديثي يأبن عمي أقسمت قلت أجلْ لا[6]

---

(١) يسال : يسأل سهلت همزته .

(٢) الفعم : الممتلىء المستوي؛ والرفل : الواسع .

(٣) الراقصات : النوق المسرعات في سيرها، وجمع : المزدلفة وهو المشعر الحـرام، سمي جمعاً لاجتماع الناس فيه .

(٤) فتلا : جمع فتلاء، وهي الناقة الثقيلة المتأطرة الرجلين، او هي الناقة التي في ذراعيها «فتل» وهو تباعدهما عن الجنبين كأنهما فتلا .

(٥) رجلى : ماشين على أرجلهم، جمع رجلان كعجلان وعجلى .

(٦) المعنى : «نعم لا أفشي» .

إتقي اللهَ واقبلي العذرَ مني وتجافَيْ عن بعض ما كان زَلّا
لا تصُدّي فتقتُليني ظُلما ليس قتلُ المحبِّ للحبِّ حِلّا
ما أكن سؤتُكم به فلك العُتبى لدينا وحقّ ذاك وقلّا
لم أرحِّبْ بأن سَخِطتِ ولكن مرحباً أن رضيت عنّا وأهلا
إنّ شخصاً رأيتُه ليلةَ البدر عليه أنثى الجمالُ وحلّا
جعلَ اللهُ كلّ أنثى فداءً لك بل خدُّها لرجلك نعلا
وجهكِ البدرُ لو سألتُ به المزنَ من الحسنِ والجمالِ استهلّا

غنّى معبدٌ في الأبيات الأربعة الأولى خفيفَ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو، ولابن تيزن في الأوّل والثاني ثقيلٌ أوّلُ عن إسحاق، ولابن سريج في الأوّل والثاني والخامس ثقيلٌ أوّلُ عن الهشامي، وللغريض في الخامس الى الثامن خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو، ولدحمان في التاسع والعاشر والثالثَ عشرَ والرابعَ عشرَ خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر عن عمرو، ولمالك في التاسع الى آخر الثاني عشر لحنٌ ذكره يونس ولم يجنّسه، ولابن سُرَيج في هذه الأبيات بعينها رَمَل بالوسطى عن عمرو، وللغريض فيها أيضاً خفيفُ رَمَل بالبنصر عن ابن المكيّ، ولابن عائشة في الخامس الى آخر الثامن لحن ذكره حمّاد عن أبيه ولم يذكر طريقته.

ومنها:

صوت

أحقّاً أن جيرتنا استحبّوا حُزُونَ الأرض بالبلد السَّخاخِ[1]
إلى عُقْر الأباطح من ثَبيرٍ[2] إلى ثورٍ[3] فمَدْفَعِ[4] ذي مُراخِ[5]

(١) السخاخ: الارض اللينة الحرّة.
(٢) ثبير: جبل بمكة.
(٣) ثور: جبل بمكة.
(٤) المدفع: أحد مدافع المياه التي تجري فيها.
(٥) ذو مراخ: موضع قريب من المزدلفة، وقيل: هو من بطن كساب جبل بمكة.

فتلك ديارُهم لم يَبْقَ فيها سوى طللِ المُعَرّسِ والمُناخِ
وقد تَغنى(١) بها في الدار حُورٌ نَواعمُ في المَجاسد(٢) كالإراخِ(٣)

غنّى في هذه الأبيات الغريضُ، ولحنُه من الثقيل الأوّل بالوسطى عن الهشامي.

وأخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنا عبد الله بن محمد قال أخبرني محمد بن سلّام قال:

كانت سوداء المدينة مشغوفةً بشعر عمر بن أبي ربيعة، وكانت من مولّدات مكة، فلما ورد على أهل المدينة نَعيُ عمر بن أبي ربيعة أكبروا ذلك واشتدّ عليهم، وكانت السوداء أشدَّهم حزناً وتَسَلُّباً(٤) وجعلت لا تمرّ بسكة من سكك المدينة إلا نَدَبَتْه، فلقيها بعضُ فتيان مكة، فقال لها: خَفِضي عليك، فقد نشأ ابنُ عمّ له يشبه شعرُه شِعرَه، فقالت: أنشِدني بعضه فأنشدها قولَه:

إني وما نحروا غَداةَ مِنًى عند الجِمار تؤودُها العُقُلُ

الأبيات كلّها، قال: فجعلت تمسح عينيها من الدموع وتقول: الحمد لله الذي لم يُضيِّع حَرَمه.

أخبرني اليَزيديّ قال حدّثني عمي (عُبيد الله) عن ابن حبيب عن ابن الأعرابيّ قال:

مناضلة:

ناضلَ(٥) سليمانُ بن عبد الملك بين الحارث وبين رجل من أخواله من بني عَبْس فرمى الحارث بن خالد فأخطأ ورمى العَبْسيّ فأصاب، فقال:

---

(١) تغنى: تقيم، من غنى الرجل بالمكان اذا أقام.
(٢) المجاسد: جمع مجسد وهو القميص الذي يلي البدن.
(٣) الإراخ: بقر الوحش.
(٤) التسلب: حداد المرأة على زوجها، وقد يكون على غير الزوج، وهو أيضاً لبس المُحِدّ ثياب الحداد السود.
(٥) يقال: ناضله مناضلة ونضالا ونيضالا فنضله: باراه في رمي السهام فغلبه، والمعنى المراد هنا أنه جعلهما يتباريان في الرمي بالسهام.

أنا نَضَلت الحارث بن خالدِ

ثم رمى العبسيّ فأخطأ ورمى الحارثُ فأصاب ، فقال الحارث :

حَسِبتَ نَضْلَ الحارث بن خالدِ

ورَمَيا فأخطأ العبسيّ وأصاب الحارثُ ، فقال الحارثُ :

مَشيكَ بين الزَّرْبِ[1] والمَرابدِ[2]

ورَمَيا فأخطأ العبسيّ وأصاب الحارثُ ، فقال الحارثُ :

وإنك الناقصُ غيرُ الزائدِ

فقال سليمانُ : أقسمتُ عليك يا حــارثُ إلّا كففتَ عن القولِ والرّمي فـكفّ .

(١) الزرب (بفتح الزاي وكسرها) : موضع الغنم .

(٢) المرابد : محابس الإبل، واحدها « مربد » (بكسر الميم) .

أخبار الابجر ونسبه

الأبجَر لَقَبٌ غلب عليه، واسمه عُبَيد الله بن القاسم بن ضبية[١] ويُكنى أبا طالب، هكذا روى محمد بن عبد الله بن مالك عن إسحاق، وروى هارون بن الزّيات عن حمّاد عن أبيه: أن اسمه محمد بن القاسم بن ضبية، وهو مولى لكنانة ثم لبني بَكر، ويقال: إنه مولى لبني لَيث.

نشأته:

أخبرني عمي قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثنا محمد بن عبد الله بن مالك وأخبرني الحسنُ بن عليّ قال حدّثنا ابن مَهرويه وهارون بن الزّيات قالا حدّثنا عبد الله بن أبي سعد عن محمد بن عبد الله بن مالك قال:

كنا يوماً جلوساً عند إسحاق، فغنّتنا جارية يقال لها «سَمِحَةُ»:

إنّ العيونَ التي في طَرْفها مَرَضٌ[٢] قتَلْنَنا ثم لم يُحْيِينَ قتلانا

فهبتُ إسحاق أن أسأله لِمن الغِناء، فقلت لبعضِ من كان معنا: سَلْه، فسأله فقال له إسحاقُ: ما كان عهدي بك في شبيبتك لتسألنا عن هذا، فقال: أحبَبْتُه لمّا أسنَنتُ، فقال: لا ولكنّ هذا النَّقْبَ عملُ هذا اللص، وضرَب بيده إلى تلابيبي، فقال له الرجل: صدقتَ يا أبا محمد، فأقبل عليّ فقال لي: ألم أقلْ لك

(١) كذا ورد هذا الاسم في هذا الموضع وفي نهاية الأرب ج ٤ ص ٣١٤ طبع دار الكتب المصرية «مُنبّه».

(٢) وفي رواية: «حور».

إذا اشتهيتَ شيئاً فسَلْ عنه، أمَا لأُعطينَّك فيه ما تُعايِي[1] به مَنْ شئتَ منهم، أتدري لمن الشعرُ؟ فقلتُ: لجرير، فقال لي: والغناء للأبجر، وكان مَدنياً مَنشؤه بمكة، أو مكياً منشؤه بالمدينة، أتدري ما اسمُه؟ قلت: لا، قال: اسمه عبيد الله بن القاسم بن ضبية، أتدري ما كنيته؟ قلت: لا، قال: أبو طالب، ثم قال: اذهب فعايِ بهذا من شئتَ منهم فإنك تظفَر به.

وقال هارون: حدّثني حمّاد عن أبيه قال: الأبجر اسمه محمد بن القاسم بن ضبية وقال مرّة أخرى: عبيد الله بن القاسم، مولى لبني بكر بن كِنانة، وقيل: إنه مولى لبني لَيْث، يُلقّبُ بالحسحاس.

ظرفه وحسن لباسه:

قال هارون: وحدّثني حمّاد عن أبيه قال حدّثني عَوْرَك اللهبيّ قال:

لم يكن بمكة أحدٌ أظرفَ ولا أسرى ولا أحسنَ هيئةً من الأبجر، كانت حُلّتُه بمائة دينار وفرسه بمائة دينار ومركَبُه بمائة دينار، وكان يقف بين المأزِمَيْن[2] فيرفع صوته فيقف الناسُ له يركبُ بعضهم بعضاً.

أخبرني عليّ بن عبد العزيز الكاتب عن [عبيد[3] الله بن] عبد الله بن خرداذبه عن إسحاق، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه، قالا:

جلَس الأبجرُ في ليلة اليوم السابع من أيام الحجّ على قريبٍ من التَّنعيم[5] فإذا

---

(١) عايا صاحبه معاياة: ألقى عليه كلاماً لا يهتدي لوجهه.

(٢) المأزمان كما في ياقوت: جبلا مكة؛ وقال أهل اللغة: هما مضيقا جبلين؛ وقيل: هو اسم موضع بمكة بين المشعر الحرام وعرفة، وفي ذلك أقوال غير هذه.

(٣) الزيادة عن كتابه المسالك والممالك.

(٥) التنعيم: موضع بمكة في الحل، وهو بين مكة وسَرِف على فرسخين من مكة وقيل على أربعة، وسمي بذلك لان جبلاً عن يمينه يقال له نعيم وآخر عن شماله يقال له ناعم.

عَسكرٌ جَرّار قد أقبل في آخر الليل، وفيه دوابُّ تُجنَبُ وفيها فرسٌ أدهمُ عليه سَرجٌ حِليتُه ذهب فاندفع، فغنّى :

عَرفتُ ديارَ الحيّ خاليةً قفرا كأن بها لمّا توهمتُها سَطرا

فلما سمِعَه مَن في القِباب والمحامل أمسكوا، وصاح صائحٌ : ويحك! أعِدِ الصوتَ، فقال : لا والله! إلا بالفرس الأدهم بسرجه ولجامه وأربعمائة دينار، فإذا الوليدُ ابن يزيد صاحبُ الإبل، فنُودِيَ : أين منزلك ومَن أنتَ؟ فقال : أنا الأبجر ومنزلي على باب زُقاق الخرّازين، فغدا عليه رسولُ الوليد بذلك الفرس وأربعمائة دينار وتختٍ من ثياب وَشْي وغيرِ ذلك، ثم أتى به الوليدَ فأقام عنده، وراح مع أصحابه عشيّةَ التَّروِية[1] وهو أحسنهم هيئة، وخرج معه أو بعده الى الشأم .

قال إسحاق : وحدّثني عَوْرَك اللهبيّ أن خروجه كان معه، وذلك في ولاية محمد بن هشام بن إسماعيل مكةَ، وفي تلك السنة حجّ الوليد، لأن هشاما أمره بذلك ليَهتِكه عند أهل الحَرَم، فيجدَ السبيلَ الى خَلعه، فظهر منه أكثرُ مما أراد به من التشاغُل بالمغنّين واللهو، وأقبل الأبجرُ معه حتى قُتل الوليدُ، ثم خرج الى مصر فمات بها .

نسبة الصوت المذكور في هذا الخبر

صوت

عَرفتُ ديارَ الحيِّ خاليـةً قفرا كأنّ بها لمّا توهّمتُهـا سَطرا
وقفتُ بهـا كيما تَرُدَّ جوابَها فما بيّنتْ لي الدارُ عن أهلها خُبْرا

الغناء لأبي عبّاد ثقيلٌ أوّل بالبنصر عن عمرو، وفيه لسِياط خفيفُ رَمَـل بالبنصر .

(١) عشية التروية : عشية اليوم الثامن من ذي الحجة .

اخذه من الغريض :

قال إسحاق : وحُدِّثتُ أنّ الأبجرَ أخذ صوتاً من الغريض ليلا ثم دخل في الطواف حين أصبح، فرأى عطاء بن أبي رَباح يطوف بالبيت، فقال : يا أبا محمد، إسمع صوتاً أخذتُه في هذه الليلة من الغريض؛ قال له : ويحك ! أفي هذا الموضع ! فقال : كفرتُ بربِّ هذا البيتِ لئن لم تسمَعه مني سِراً لأجهرَنّ به؛ فقال : هاته، فغنّاه :

صوت

عُوجي علينا ربّةَ الهودَج إنّكِ إلّا تفعلِي تَحرَجي[1]
إنّي أُتيحتْ لي يمانِيةٌ إحدى بني الحارثِ من مَذْحِجِ
نلبَثُ حولًا كاملًا كلّه لا نلتقي إلا على مَنهَجِ
في الحجِّ إن حجّتْ وماذا مِنًى وأهلُه إنْ هي لم تَحجُجِ

فقال له عطاء : الخيرُ الكثيرُ والله في مِنًى وأهلِهِ حجّت أو لم تحجّ ، فاذهب الآن . وقد مرّت نسبة هذا الصوت وخبرُه في أخبار العرجيّ والغريض .

قال إسحاق : وذكر عمرو بن الحارث عن عبد الله بن عُبيد بن عُمير قال : ختَن عطاء بن أبي رَباح بنيه أو بني أخيه، فكان الأبجرُ يختلف اليهم ثلاثةَ أيام يغنّي لهم .

منازعة في الغناء :

قال هارون بن محمد حدّثني حماد بن إسحاق قال نسخت من كتاب ابن أبي

(١) تحرجي : تأثمي .

نجيح[١] بخطِّه : حدّثني غُرَير بن طَلحة الأرقيّ عن يحيى بن عِمران عن عمر بن حفص بن أبي كِلاب قال :

كان الأبجرُ مولانا وكان مَكّيًّا، فكان إذا قَدِم المدينةَ نَزَل علينا، فقال لنا يوماً : أسمِعوني غناء ابن عائشتِكم هذا، فأرسلنا فيه فجَمَعْنا بينهما في بيت ابن هَبَّار فتغنّى ابن عائشة، فقال الأبجر : كلّ مملوكٍ لي حُرٌّ إن تغنّيتُ معك إلا بنصف صوتي، ثم أدخل إصبعه في شِدْقه فتغنّى، فسمِع صوتَه مَن في السُّوق فحُشِر الناسُ علينا، فلم يفترقا حتى تشاتما؛ قال : وكان ابن عائشة حديداً[٢] جاهلاً.

عرف سر الوليد :

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مَهرُوَيه قال وحدّثني ابن أبي سعد قال حدّثني القطرانيّ المغنّي عن محمد بن جَبْر عن إبراهيم بن المهديّ قال حدّثني ابن أشعب عن أبيه قال :

دُعِيَ ذات يوم المغنّون للوليد بن يزيد، وكنت نازلاً معهم، فقلت للرسول : خُذني فيهم؛ قال : لم أُومَرْ بذلك وإنما أُمِرتُ بإحضار المغنّين وأنت بَطّال[٣] لا تدخل في جملتهم؛ فقلت : أنا والله أحسنُ غناءً منهم، ثم اندفعتُ فغنّيته؛ فقال : لقد سمعتُ حَسَناً ولكنّي أخاف؛ فقلت : لا خوفَ عليك، ولك مع هذا شرطٌ، قال : وما هو ؟ قلت : كلّ ما أصبتُه فلك شَطْرُه؛ فقال للجماعة : اشهدوا عليه، فشهدوا، ومضينا فدخلنا على الوليد وهو لَقِسُ[٤] النفس، فغنّاه المغنّون في كل فنّ من خفيفٍ وثقيلٍ، فلم يتحرّك ولا نَشِط، فقام الأبجر الى الخلاء، وكان خبيثاً داهياً، فسأل الخادمَ عن خبره، وبأيِّ سببٍ هو خاثِر[٥] ؟ فقال : بينه وبين امرأته

(١) سموا « نجيحا » (كأمير وزبير) ونجاحا .
(٢) الحديد : الحادّ في الغضب، والجاهل : ضد الحليم .
(٣) البطال : الذي يَهزِل في حديثه .
(٤) لقس النفس : وصف من لقست نفسه اذا غثت وخبثت .
(٥) الخاثر : الذي غثت نفسه .

شرٌّ، لأنه عَشِق أختها فغَضِبتْ عليه فهو الى أختها أميل، وقد عزم على طلاقها وحلف لها ألّا يذكرها أبداً بمراسلة ولا مخاطبة، وخرج على هذا الحال من عندها؛ فعاد الأبجر إلينا وما جلس حتى اندفع فغنّى :

صوت

فبيني فإنّي لا أبالي وأيقني   أَصعَّدَ باقي حبّكم أم تَصوَّبا
ألم تعلَمي أنّي عَزُوفٌ عن الهوى   اذا صاحبي من غير شيء تَغضّبا

فطَرِب الوليد وارتاح وقال : أصبتَ يا عُبيدُ والله ما في نفسي، وأمر له بعشرة آلاف درهم وشَرِب حتى سكِر، ولم يحظَ بشيء أحدٌ سوى الأبجر ، فلما أيقنتُ بانقضاء المجلس وثَبتُ فقلت : إن رأيتَ يا أميرَ المؤمنين أن تأمرَ مَن يضربني مائةً الساعةَ بحضرتك ! فضحك وقال : قَبّحك الله ! وما السببُ في ذلك ؟ فأخبرتُه بقصتي مع الرسول وقلت : إنه بَدأني من المكروه في اول يومه بما اتصل عليَّ الى آخره، فأريد أن أُضرَبَ مائةً ويُضرَبَ بعدي مثلَها، فقال له : لقد لَطُفتَ، أعطوه مائةَ دينار وأعطُوا الرسولَ خمسين ديناراً من مالنا عوضاً عن الخمسين التي أراد أن يأخذَها؛ فقبضتُها وما حَظِيَ أحدٌ بشيء غيري وغيرَ الرسول. والشعر الذي غنّى فيه الأبجر الوليدَ بنَ يزيدَ لعبد الرحمن بن الحكم أخي مَروان ابن الحكم ، والغناء للأبجر ثقيلٌ أوّل بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لغيره عدّة ألحان نُسبتْ.

صوت

من المائة المختارة من رواية جَحظة

حمزةُ المبتاعُ بالمال الثّنا   ويَرى في بَيعه أن قد غَبَنْ
فهو إن أعطى عطاء فاضلاً   ذا إخاء لم يُكدِّرْهُ بمَنّ

وإذا ما سَنَةٌ مُجدِبَةٌ بَرَتِ الناسَ كبَرْيِ بالسَّفَنْ (١)
كان للناسِ ربيعاً مُغدِقاً ساقطَ الأكنافِ إن راحَ ارجَحَنّْ (٢)
نُورُ شَرقٍ بَيِّنٌ في وجهه لم يُصِبْ أثوابَه لونُ الدَّرَنْ

عروضه من الرمل . الشعر لموسى شَهَوات . والغناء لمعبد خفيفُ ثقيلٍ أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق .

(١) السفن (بالتحريك) : كل ما يبرى وينحت به، قال زهير :
ضرباً كنحت جذوع الأثل بالسفن
(٢) ارجحنّ : مال واهتزّ .

اخبار موسى شهوات ونسبه

وخبرُه في هذا الشعر

هو موسى بن يَسار مولى قريش، ويُختلَفُ في وَلائه فيقال: إنه مولى بني سَهْم، ويقال: مولى بني تَيم بن مُرَّة، ويقال: مولى بني عَديّ بن كعب؛ ويُكنى أبا محمد، وشَهوات لقبٌ غَلَب عليه.

وحدّثني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبَّة قال:

إنما لُقِب موسى شهوات لأنه كان سَؤولًا مُلحِفاً، فكان كلّما رأى مع أحد شيئاً يُعجبه من مالٍ أو مَتاع أو ثوب أو فرس، تَباكى، فإذا قيل: مالك؟ قال: أشتهي هذا؛ فسمِّيَ موسى شهوات. قال: وذكر آخرون أنه كان من أهل أذْرَبيجانَ وأنه نشأ بالمدينة وكان يُجلَب اليه القَنْد(١) والسكَّرُ. فقالت له أمرأة من أهله: ما يزال موسى يجيئنا بالشهوات؛ فغَلَبتْ عليه.

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال:

كان محمد بن يحيي يقول: موسى شهوات مولى بني عَديّ بن كَعْب، وليس ذاك بصحيح، هو مولى تَيم بن مُرَّة. وذكر عبد الله بن شَبيب عن الحِزاميّ: أنه مولى بني سهم.

وأخبرني وَكيع عن أحمد بن أبي خَيْثَمةَ عن مُصعَب ومحمد بن سلّام قال: موسى شهوات مولى بني سهم.

(١) القند: عسل قصب السكر اذا جد.

عشقه :

وأخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال حدّثنا أبو حاتم عن أبي عُبَيدة قال :

هَويَ موسى شهوات جاريةً بالمدينة فأستُهيم بها وساوَم مولاها فيها فأستام[1] بها عشرةَ آلاف درهم ، فجمع كلّ ما يَملكه وأستماح إخوانه فبلغ أربعة آلاف درهم ، فأتى الى سعيد بن خالد العثماني فأخبره بحاله وأستعان بـه ، وكان صديقَه وأوثقَ الناس عنده ، فدافَعه[2] وأعتلّ عليه فخرج من عنده ؛ فلما ولّى تمثّل سعيدٌ قولَ الشاعر :

كتبتَ إليَّ تَستهدي الجواري   لقد أنعظتَ من بَلَدٍ بَعيدِ

فأتى سعيدَ بن خالد بن عبد الله بن خالد بن أَسِيد فأخبره بقصّته فأمر له بستة آلاف درهم ، فلما قبَضَها ونهض قال له : أجلِس ، إذا أبتعتَها بهذا المال وقد أنفدتَ كلّ ما تَملِك فبأيّ حـالٍ تَعيشان ! ثم دفع اليه ألفيْ درهم وكُسوةً وطيباً ، وقال : أصلِحْ بهذا شأنكما ؛ فقال فيه :

أبا خالدٍ أعني سعيدَ بن خـالدٍ   أخا العُرْف لا أعني أبنَ بنتِ سعيدِ
ولكنّني أعني أبنَ عائشةَ الذي   أبو أبوَيه خالـدُ بن أَسِيدِ
عَقِيدُ[3] الندى ما عاش يَرضى به الندى   فإن مات لم يَرضَ النّدى بعَقِيدِ
دَعُوهُ دعوه إنكم قد رَقَدتُم   وما هو عن أحسابكم برُقودِ
قتلتَ أناساً هكذا في جلودهم   من الغيظ لم تقتُلهمُ بحديـدِ

قال : فشكاه العثمانيّ إلى سليمان بن عبد الملك ، فأحضر موسى وقال له : يا

---

(١) الاستيام بالشيء : ذكر ثمنه، تقول : استمت عليه بسلعتي اذا كنت أنت تذكر ثمنها، وتقول: استام مني بسلعتي اذا كان هو العارض عليك الثمن .

(٢) دافعه : ماطله .

(٣) عقيد الندى : الكريم بطبعه .

عاضّ كذا وكذا ، أتهجو سعيدَ بن خالد ! فقال : واللهِ يا أمير المؤمنين ما هجوتُه ولكني مدحتُ ابنَ عمه فغضب هو ، ثم أخبره بالقصّة ؛ فقال للعثمانيّ : قد صدَق ، إنما نَسبَ مَنْ مدَحه الى أبيه ليُعرَف . قال : وكان سليمانُ إذا نظر إلى سعيد بن خالد بن عبد الله يقول : لَعَمْري والله ما أنت عن أحسابنا برَقود .

وأخبرني محمد بن عبد الله اليزيديّ قال حدّثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدّثنا مُصْعَب بن عبد الله بهذا الحديث فذكر نحو ما ذكره أبو عُبيدة وقال فيه :

وكان سعيد بن خالد هذا تأخذه المُوتة(١) في كلّ سنة ، فأرادوا عِلاجه ، فتكلّمتْ صاحبتُه على لسانه وقالت : أنا كَريمة بنت مِلحان سيّدِ الجنّ ، وإن عالجتموه قتلتموه ، فوالله لو وجدتُ أكرم منه لَهوِيتُه .

أخبرني وكيع عن أبي حَمْزة أنس بن خالد الأنصاريّ عن قَبيصة بن عمر بن حَفْص المهلّبيّ عن أبي عُبيدة قال حدّثني الحارث بن سليمان الهُجَيْميّ ، — وهو أبو خالد بن الحارث المحدّث — قال : وكان عنده رُؤْبة بن العجّاج ، قال :

شهِدت مجلسَ أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك وأتاه سعيدُ بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفّان ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أتيتُك مُستَعْدِياً ، قال : وَمَنْ بك ؟ قال : موسى شَهوات ، قال : وماله ؟ قال : سَمَّعَ(٢) بي واستطالَ في عرضي ، فقال : يا غلام ، عليّ بموسى فأتني به فأُتِيَ به ، فقال : ويلك ! أسمّعت به واستطلت في عِرْضه ؟ قال : ما فعلتُ يا أمير المؤمنين ولكنّي مدحتُ ابنَ عمه فغضب هو ، قال : وكيف ذلك ؟ قال : عَلِقتُ جاريةً لم يبلغ ثمنَها جِدَتي(٣) ، فأتيتُه وهو صديقي فشكوتُ اليه ذلك ، فلم أُصِبْ عنده شيئاً ، فأتيتُ ابنَ عمه سعيدَ بن خالد بن

(١) الموتة : ضرب من الجنون والصرع يعتري الانسان فاذا أفاق عــاد اليه كمال عقله كالنائم والسكران .

(٢) سمع به في الناس : شهّره وفضحه .

(٣) الجدة : اليسار والسعة .

عبد الله بن خالد بن أسيد فشكوتُ اليه ما شكوتُه الى هذا، فقال: تعودُ اليّ، فتركتُه ثلاثاً ثم أتيته فسهّل مِن إذني، فلمّا استقرّ بي المجلسُ قال: يا غلام، قل لقيّمتي: هاتي ودِيعتي، ففتح باباً بين بيتين واذا بجارية، فقال لي: أهذه بُغيتُك[١]؟ قلتُ: نعم فِداك أبي وأمّي! قال: اجلِس ثم قال: يا غلام، قل لقيّمتي: هاتي ظَبية[٢] نفقتي، فأُتيَ بظبيةٍ فنُثرت بين يديه فإذا فيها مائةُ دينار ليس فيها غيرها فرُدّت في الظّبية، ثم قال: عَتيدة[٣] طيبي، فأُتيَ بها، فقال: مِلحَفَة[٤] فِراشي، فأُتيَ بها، فصيّر ما في الظبية وما في العتيدة في حواشي الملحفة، ثم قال: شأنَك بهواك واستعِنْ بهذا عليه؛ فقال له سليمانُ بن عبد الملك: فذلك حين تقول ماذا؟ قال: قلت:

أبا خالد أعني سعيدَ بن خالدٍ أخا العُرف لا أعني ابنَ بنتِ سعيدِ
ولكنني أعني ابنَ عائشة الذي أبو أبويه خالدُ بن أسيدِ
عقيدُ الندى ما عاش يرضى به الندى فإن مات لم يرضَ الندى بعقيدِ
دَعُوهُ دعوه إنكم قد رقدتُم وما هو عن أحسابكم برقودِ

فقال سليمان: عليّ يا غلام بسعيد بن خالد، فأُتيَ به، فقال: أحقٌّ ما وَصفك به موسى؟ قال: وما ذاك يا أميرَ المؤمنين؟ فأعاد عليه، فقال: قد كان ذلك يا أميرَ المؤمنين، قال: فما طوّقتك هذه الأفعال؟ قال: دَينَ ثلاثين ألفَ دينار؛ فقال له: قد أمرتُ لك بمثلها وبمثلها وبثُلُث مثلها، فحملت اليه مائةَ ألف دينار؛ قال: فلقيتُ سعيدَ بن خالد بعد ذلك فقلت له: مافعل المالُ الذي وَصلك به سليمانُ؟ قال: ما أصبحتُ والله أملك منه إلا خمسين ديناراً؛ قلتُ: ما اغتاله؟ قال: خَلَّةٌ[٥] من صديق أو فاقةٌ من ذي رَحِم.

(١) البغية (بكسر الباء وضمها): ما ابتغي، يقال: فلان بغيتي وعند فلان بغيتي أي طلبتي.
(٢) الظبية: جراب صغير من جلد ظبي.
(٣) العتيدة: الحقة يكون فيها طيب الرجل أو العروس.
(٤) الملحفة: الملاءة.
(٥) الخلة: الحاجة والفقر.

أخبرني وكيع قال حدّثنا أحمد بن أبي خَيْثَمة عن مُصْعَب الزبيريّ ومحمد بن سلّام قال :

عشِق موسى شهوات جاريةً بالمدينة فأعطى بها عشرةَ آلاف درهم ؛ ثم ذكر باقيَ الحديث مثل حديث سليمان بن أبي شَيخ ؛ وقال فيه : أما والله لئن مدحتُه وهو سَمِيُّك وأبوه سَمِيُّ أبيك ولم أفرّق بينكما ليقولنّ الناسُ : أهذا أم هذا ، ولكن والله لأقولنّ قولا لا يُشَكُّ فيه . وتمامُ هذه الأبيات التي مدح بها سعيداً بعد الأربعة المذكورة منها :

فِدًى للكريم العَبْشَميّ ابنِ خالد ... بنيّ ومالي طارفي وتَليدي
على وجهه تلقى الأيامنَ واسمِهِ ... وكلُّ جَواري طيره بسُعودِ
أبان وما استغنى عن الثَّدْيِ خيرُه ... أبان به في المهد قبلَ قُعودِ
دعوه دعوه إنكم قد رقدتُم ... وما هو عن أحسابكم برَقودِ
ترى الجُند والأُجنابَ[1] يَغشَوْن بابَه ... بحاجاتهم من سيّد ومَسودِ
فيُعطي ولا يُعطى ويُغشى ويُجتدَى ... وما بابُه للمجتدي بسديدِ
قتلتَ أناساً هكذا في جلودهم ... من الغيظ لم تقتلهمُ بحديدِ
يعيشون ما عاشوا بغيظٍ وإن تَحِنْ ... مَنَاياهُمُ يوماً تَحِنْ بحُقودِ
فقل لبُغاة العُرْف قد مات خالدٌ ... ومات الندى إلا فُضولَ سعيدِ

قال وكيعٌ في خبره : أمّا قوله : « لا أعني ابنَ بنتَ سعيد » فإنّ أمّ سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان آمِنةُ بنتُ سعيد بن العاصي ، وعائشةَ عَقيد الندى بنت عبد الله بن خلف الخُزاعيّة أختُ طَلْحة الطَّلَحاتِ ، وأمّها صَفية بنت الحارث بن طَلْحة بن أبي طَلحة من بني عبد الدار بن قُصيّ ، وأمّ أبي[2] عقيد الندى رَمْلة بنت معاوية بن أبي سفيان .

---

(١) الجناب : جمع جانب وهو الغريب .

(٢) كذا صححه الأستاذ الشنقيطي بهامش نسخته، وفي الأصول : « وأم ابن عقيد الندى » .

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلبيّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال :

لما أنشد موسى شهوات سليمان بن عبد الملك شعرَه في سعيد بن خالد قال له : أتفق أسماُهما وأسما أبويهما ، فتخوّفتُ أن يذهب شعري باطلاً ففرّقتُ بينهما بأمّها ، ولكني لا أجد اليك سبيلاً ، فأطلقه .

شاعر ومغن :

أخبرني وكيع قال حدّثني أحمد بن زُهير قال حدّثنا محمد بن سلّام قال حدّثنا محمد بن مَسلمة الثقفيّ قال :

قال موسى شهوات لِمعبَد : أأمدحُ حمزةَ بن عبد الله بن الزبير بأبياتٍ وتُغني فيها ويكون ما يُعطينا بيني وبينك ؟ قال : نعم ؛ فقال موسى :

حمزةُ المبتاعُ بالمال الثّنا ... ويَرى في بَيعه أن قد غَبَنْ
فهو إن أعطى عَطاء فاضلاً ... ذا إخاء لم يُكدِّرْه بمَنّْ
وإذا ما سَنَةٌ مُجحِفَةٌ ... برَتِ الناسَ كَبَرْيِ بالسَّفَنْ
حَسَرَتْ(١) عنه نقيّاً عرضُه ... ذا بلاء عند مُخناها(٢) حَسَنْ
نُور صدقٍ بَيِّنٌ في وجهه ... لم يُدنِّسْ ثوبَه لونُ الدَّرَنْ
كنتَ للناس رَبيعاً مُغدِقاً ... ساقطَ الأكناف إن راح أرجَحَنّْ

قال أحمد بن زهير : وأوّلُ هذه القصيدة عن غير ابن سلّام :

شاقَني اليومَ حبيبٌ قد ظَعَنْ ... ففؤادي مُستهامٌ مُرتَهَن
إنّ هنداً تَيَّمتني حِقبةً ... ثم بانت وهي للنفس شَجَنْ

---

(١) حسرت : كشفت .

(٢) مخناها : مصدر ميميّ من أخنى أي أهلك .

فتنــةُ ألحقَها اللهُ بنـا عائــذُ باللهِ من شرِّ الفِتَنْ

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبي قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قـال أخبرني الطَّلحي قال أخبرني عبد الرحمن بن حمّاد عن عِمران بن موسى بن طَلحة قال:

في زفاف:

لما زُفَّت فاطمةُ بنت الحسين رضوان الله عليه إلى عبد الله بن عمرو بن عثمان ابن عفّان، عارَضها[1] موسى شهوات:

طَلحةُ الخيرِ جدّكم ولخيرِ الفَواطمِ
أنتِ للطّاهراتِ مِن فَرْعِ تَيمٍ وهاشمِ
أرتجيكُمْ لنفعِكم ولدَفعِ المَظالِمِ

فأمر له بكُسوةٍ ودنانيرَ وطيب.

قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا العَنَزيّ عن العُتبيّ قال:

كانت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان تحت عمرَ بن عبد العزيز، فلمـا مات عنها تزوّجها داودُ بن سليمان بن مروان وكان قبيحَ الوجه، فقال في ذلك موسى شهوات:

أبعد الأغرّ ابن عبد العزيز قَريعِ[2] قريشٍ إذا يُذكَرُ
تزوّجتِ داودَ مُختـارةً ألا ذلك الخَلَفُ الأعورُ[3]

فكانت إذا سَخِطَتْ عليه تقول: صدق واللهِ موسى، إنك لأنتَ الخلَف الأعور، فيشتُمه داود.

---

(١) كذا في الأصول، والمراد أنه اعترضها في سيرها ومدحها بهذا الشعر.

(٢) القريع: السيد والرئيس، يقال: فلان قريع الكتيبة أي رئيسها.

(٣) الأعور: الرديء من كل شيء، ويقال على الضعيف الجبان البليد الذي لا خير فيه.

أخبرني عمي قال حدّثنا الكُراني قال حدّثنا العُمري عن لَقيط قال :

أقام موسى شهوات ليزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية على بابه بدمَشق، وكان فتًى جواداً سَمحاً، فلما ركِب وثَب اليه فأخذ بعِنان دابّته، ثم قال :

قم فصوِّتْ إذا أتيت دِمَشقاً : يا يزيدُ بنَ خالدِ بن يزيد
يا يزيدُ بن خالدٍ إن تُجبني يَلقَني طائري بنجم السُّعودِ

فأمر له بخمسة آلاف درهم وكسوة، وقال له : كلما شئتَ فنادِنا نُجبك .

زواجه :

أخبرنا وكيع قال حدّثني أحمد بن زُهير قال حدّثنا مُصعَب الزُّبيري قال :

زُوّج موسى شهوات بنتَ مولًى لمَعن بن عبد الرحمن بن عَوف يقال له : داود بن أبي حُميدة، فلما جُليت[1] عليه قال داود : ما للجَلوة ؟ فأنشأ يقول :

تقول ليَ النساء غداةَ تُجلى حميدةُ يا فتى ما للجِلاءِ
فقلتُ لهم سَمرقَندٌ[2] وبَلخٌ[3] وما بالصين من نَعَمٍ[4] وشاء[5]
أبوها حاتمٌ إن سِيلَ خيراً وليثُ كريهةٍ عند اللقاء

هجاء قاضٍ :

أخبرني وكيع قال حدّثنا أحمد بن زُهير قال حدّثنا مصعَب قال :

---

(١) يقال : جليت العروس على زوجها جلوة (بتثليث الجيم) وجلاء (بكسر الجيم) إذا عرضت عليه مجلوّة، والجلوة (بالكسر) : ما تعطاه العروس عند جلائها .

(٢) سمرقند : مدينة عظيمة وهي عاصمة الصغد مبنية جنوبي وادي الصغد، قيل : هي من أبنية ذي القرنين .

(٣) بلخ : مدينة مشهورة بخراسان .

(٤) النعم : الإبل .

(٥) الشاه : الغنم .

قضى أبو بكر بن عبد الرحمن بن أبي سفيان بن حُوَيطِب على موسى شهوات بقضيَّة، وكان خالدُ بن عبد الملك[1] استقضاه في أيام هشام بن عبد الملك، فقال موسى يهجوه :

وجدتُك فَهّاً[2] في القضاء مُخلِّطاً[3] فقدتك من قاضٍ ومن متأمِّرِ
فدَعْ عنك ما شيدته ذات رخة[4] أذى الناس لا تحشُرْهم كلَّ محشَرِ

ثم وَلِيَ القضاءَ سعيدُ بن سليمان بن زيد بن ثابت الأنصاريّ، فقال يمدحه :

مَن سرّه الحُكمُ صِرْفاً لا مِزاجَ له من القُضاة وعدلٌ غيرُ مغمُوزِ
فليأتِ دارَ سعيد الخَيْر إنَّ بها أمضى على الحقّ من سيف ابن جُرمُوزِ[5]

قال : وكان سعدُ بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عَوف، قد وليَ المدينةَ واشتدَّ على السفهاء والشعراء والمغنين، ولحِقَ موسى شهوات بعضُ ذلك منه، وكان قبيحَ الوجه، فقال موسى يهجوه :

قل لسَعْدٍ وجهِ العجوز لقد كنتَ لِما قد أُوتيتَ سعداً مخيلا
إن تكن ظالماً جهولاً فقد كان أبوك الأدنى ظلوماً جهولا

وقال يهجوه :

لعن اللهُ والعبادُ ثُطيطَ[6] الوجه لا يُرتجى قبيح[7] الجوارِ

(١) هو خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم ولي المدينة لهشام بن عبد الملك .

(٢) الفه : العييّ .

(٣) يقال : خلط في كلامه اذا هذى .

(٤) كذا في الأصول .

(٥) هو عمرو بن جرموز قاتل الزبير بن العوّام رضي الله عنه .

(٦) ثطيط تصغير ثط، والثط والأثط : الكوسج وهو الذي عري وجهه من الشعر إلا طاقات في أسفل حنكه .

(٧) ويروى «شطيط» ولا يحفظ فعيل وصفاً من هذه المادة .

يَتَّقي النـاسُ فُحشه وأذاه مثل ما يتَّقون بولَ الحمارِ
لا تَغُرَّنك سَجدةٌ بين عينيْـــه حَذارِ[١] منها ومنه حَذارِ
إنها سَجْدةٌ بها يَخدَع النا سَ، عليها من سَجدة بالدَّبارِ[٢]

أخبرني عمي قال أخبرني ثعلب عن عبد الله بن شَبيب قال:

ذكر الحزاميّ أنّ موسى شهوات سأل بعض آلِ الزبير حاجةً فدفعه عنها، وبلغ ذلك عبدَ الله بن عمرو بن عثمان، فبعث اليه بما كان التمسه من الزُّبيريّ من غير مسألة؛ فوقف عليه موسى وهو جالس في المسجد، ثم أنشأ يقول:

ليس فيما بَدا لنا منك عيبٌ عابَه الناسُ غيرَ أنك فاني
أنت نِعمَ المَتاعُ لو كنتَ تَبقى غيرَ أنْ لا بقاء للإنسانِ

والشعر المذكور فيه الغنــاء، يقوله موسى شَهَوات في حَمزة بن عبد الله بن الزبير، وكان فتى كريماً جواداً على هَوَجٍ كان فيه، وولّاه أبوه العِراقَين وعَزَل مُصعَباً لمّا تزوّج سُكَينة بنت الحسين رضي الله عنه وعائشةَ بنت طلحة وأمهر كل واحدةٍ منهما ألفَ ألفِ درهم.

عزل مصعب:

أخبرني أحمد بن عُبَيد الله بن عمّار قال حدّثنا سليمان بن أبي شيخ عن مصعب الزبيريّ، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنـا عمر بن شبَّة، وأخبرني عبيد الله بن محمد الرازيّ والحسينُ بن عليّ قال عُبيد الله حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ، وقال الحسين حدّثنا الحارث بن أبي أسامة عن المدائنيّ عن أبي مِخنَف:

(١) دخل على هذا الشطر «الكف» وهو حذف الساكن السابع من «فاعلاتن الأولى».
(٢) الدبار: الهلاك والعفاء، والظاهر أن الباء زائدة.

أنَّ أنَسَ بن زُنَيم اللَّيثيّ كتب الى عبد الله بن الزُّبير:

أبلغْ أميرَ المؤمنـــين رسالةً مِن ناصح لك لا يُريك خِداعا
بضَع[1] الفتاةَ بألفِ ألفٍ كاملٍ وتَبيتُ قاداتُ الجيوش جِياعا
لو لأبي[2] حَفصٍ أقولُ مَقالتي وأبِثُّ ما أبثُّكُم لأرتاعا

فلما وصلت الأبياتُ اليه جَزع ثم قال: صَدَق والله، لو لأبي حفصٍ يقول: إنَّ مُصعباً تزوّج امرأتين بألفي ألفِ درهم لأرتاع، إنّا بعثنا مصعباً الى العِراق فأغمد سيفه وسَلَّ أيره وسنَعزِله، فدعا بابنه حمزةَ، وأمّه بنت منظور بن زَبّان الفَزاريّ وكان لها منه محلٌّ لطيف، فولّاه البصرة وعَزَل مصعباً. فبلغ قولَه عبدَ الملك في أخيه مصعب، فقال: لكنّ أبا خُبَيب أغمد سيفه وأيرَه وخيرَه.

وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قـال حدّثنا عمر بن شبّة قال: هذه الأبيات لعبد الله بن همّام السَّلوليّ.

عزل ابن الزبير ابنه حمزة لهوجه وحمقه:

قالوا جميعاً: فلما وليَ ابنه حمزة البصرة أساء السِّيرة وخَلَّط تخليطاً شديداً، وكان جواداً شجاعاً أهوجَ، فوفدتْ الى أبيـه الوفود في أمره، وكتب اليه الأحنف بأمره وما يُنكره الناسُ منه وأنه يخشى أن تفسُد عليه طاعتُهم؛ فعزله عن البصرة.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا المدائنيّ قال:

لما قدِم حمزةُ بن عبد الله البصرةَ والياً عليها، وكان جواداً شجاعاً مُخلِّطاً:

---

(١) بضع: نكح.

(٢) دخل على هذا الشطر «الوقص» وهو ما سكن ثانيه المتحرك وذهب رابعه الساكن من «متفاعلن».

يجود أحياناً حتى لا يَدَعَ شيئاً يملكه إلا وَهبه ويمنع أحياناً ما لا يُمنع من مثله، فظهرت منه بالبصرة خِفَّة وضَعف. وركب يوماً الى فَيْض[1] البصرة، فلما رآه قال: إنّ هذا الغدير إن رَفقوا به لَيكفينّهم صَيفتهم هذه، فلما كان بعد ذلك ركب اليه فوافقه جازِراً[2] فقال: قد رأيته ذات يوم فظننتُ أن لن يكفيَهم، فقال له الأحنف: إنّ هذا ماء يأتينا ثم يَغيض عنا ثم يعود. وشَخَص الى الأهواز فرأى جبلها، فقال: هذا قُعَيْقِعان — وقعيقعان: جبلٌ بمكة — فلُقِّب ذلك الجبلُ بقُعَيقعان.

قال أبو زيد: وحدّثني غيرُ المدائنيّ أنه سمع بذكر الجبل بالبصرة، فدعا بعامله فقال له: ابعث فأتنا بخراج الجبل؛ فقال له: إن الجبل ليس ببلد فآتيك بخراجه. وبعث الى مَرْدانْشاه فاستحثَّه بالخراج فأبطأ به، فقام اليه بسيفه فقتله؛ فقال له الأحنف: ما أَحدَّ سيفك أيها الأمير! وهَمّ بعبد العزيز بن شَبيب[3] بن خيَّاط أن يضربه بالسياط؛ فكتب[4] الى ابن الزبير بذلك وقال له: اذا كانت لك بالبصرة حاجةٌ فاصرف ابنك عنها وأَعِدْ اليها مُصعباً؛ ففعل ذلك. وقال بعض الشعراء يهجو حمزة ويَعيبه بقوله في أمر الماء الذي رآه قد جَزَر:

يابنَ الزُّبير بَعثتَ حمزةَ عاملاً ... يا ليتَ حمزةَ كان خلفَ عُمانِ
أزرى بدجلةَ حين عَبَّ عُبابُها ... وتقاذفتْ بزواخر الطُّوفانِ

نوار والفرزدق:

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا أبو غسّان دَماذ عن أبي عُبيدة قال:

---

(١) فيض البصرة: نهرها.

(٢) جازراً: من الجزر وهو نقصان مائه، وضدّه «المد» وهو زيادته.

(٣) في تاريخ الطبري (طبع مدينة ليدن — القسم الثاني ص ٧٥٢). وفي ابن الأثير ص ٢٥٥ ج ٤ «بعبد العزيز بن بشر». وقد ورد في الطبري في قسم ٢ ص ٨٠٢ هذا الاسم هكذا «عبد العزيز بن بشر بن خياط».

(٤) في تاريخ الطبري قسم ٢ ص ٧٥٢ «كتب الأحنف».

خطبَ النَّوارَ ابنةَ أعيَنَ المُجاشِعيَّةَ رجلٌ من قومها ، فجعلت أمرها الى الفرزدق ، وكان ابنَ عمها دِنيةً[1] ، ليزوّجها منه ، فأشهد عليها بذلك وبأنّ أمرها اليه شُهوداً عُدولاً ؛ فلما أشهدتْهم على نفسها قال لهم الفرزدق : فإني أُشهدكم أني قد تزوّجتها ، فمنعته النّوار نفسها وخرجت الى الحجاز الى عبد الله بن الزُّبير ، فاستجارت بامرأته بنت منظور بن زبّان ، وخرج الفرزدق فعاذ بابنه حمزةَ ، وقال يمدحه :

يا حمزَ هل لك في ذي حاجةٍ غَرِضتْ[2] ... أنضاؤه بمكان غير ممطورِ
فأنتَ أولى قُرَيشٍ أن تكونَ لها ... وأنت بين أبي بكرٍ ومنظورِ

فجعل أمرُ النّوار يقوى وأمر الفرزدق يضعُف ؛ فقال الفرزدق في ذلك :

أمّا بَنُوه فلم تَنفَعْ شَفاعتهم ... وشُفِّعت بنتُ منظور بن زبّانا
ليس الشفيعُ الذي يأتيكَ مُؤْتَزِراً[3] ... مثل الشفيع الذي يأتيك عُريانا

فبلغ ابنَ الزُّبيرِ شعرُه ، ولقيَه على باب المسجد وهو خارجٌ منه فضغط حَلقه حتى كاد يقتله ، ثم خلّاه وقال :

لقد أصبحتْ عِرسُ الفرزدق ناشزاً[4] ... ولو رضِيتْ رُمحَ[5] آستِهِ لآستقرّتِ

ثم دخل الى النّوار فقال لها : إن شئتِ فرّقتُ بينك وبينه ثم ضربتُ عنقه فلا يهجونا أبداً ، وإن شئتِ أمضيتِ نكاحه فهو ابن عمك وأقربُ الناس إليك ، وكانت امرأةً صالحةً ، فقالت : أوَ ما غيرُ هذا ؟ قال : لا ؛ قالت : ما أُحبّ

---

(١) يقال : هو ابن عم دنية أي لاصق النسب .

(٢) في الأصول « عرضت » وقد صححها الأستاذ الشنقيطي « غرضت » : ملّت وضجرت .

(٣) كذا في ديوان الفرزدق، وفي الأصول : « متزراً » بالإدغام . وإدغام الهمزة في تاء الافتعال بعضهم يجيزه والأكثر على منعه .

(٤) في رواية أخرى : ألا تلكم عرس الفرزدق جامحا

(٥) يريد بقوله « رمح آسته » : طعنه في دبره ورفسه بالأرجل، وهذا كناية عن امتهانه واحتقاره، والرمح : الضرب بالرجل .

أن يُقتَل ولكني أُمضي أمرَه فلعلّ الله أن يجعل في كرهي إيّاه خيراً ؛ فمضتْ اليه وخرجتْ معه الى البصرة .

أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن مَزيد بن أبي الأزهر قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الزُّبيريّ :

أن حمزة بن عبد الله كان جواداً ، فدخل اليه مَعبد يوماً وقد أرسله أبن قَطَن مولاه يقترض له من حمزة ألفَ دينار فأعطاه ألف الدينار ، فلما خرج من عنده قِيل له : هذا عبد أبن قَطَن وهو يروي فيك شعر موسى شَهوات فيُحسن روايتَه ، فأمر بردّه فرُدّ ، وقال له ما حكاه القوم عنه ، فغنّاه مَعبد الصوتَ فأعطاه أربعين ديناراً ؛ ولما كان بعد ذلك ردّ أبنُ قَطَن عليه المالَ فلم يقبله ، وقال له : إنه اذا خرج عنّي مالٌ لم يَعُد الى ملكي . وقد رُوِيَ أنّ الداخلَ على حمزة والمخاطَبَ في أمره بهذه المخاطبة أبنُ سُريج ؛ وليس ذلك بثَبَت ، هذا هو الصحيح ، والغناء لمعبد .

أخبرني إسماعيل بن يونس الشِيعيّ قال حدّثنا عمر بن شبّة عن محمد بن يحيى الغسّانيّ :

أن موسى شهوات أملق ، فقال لمعبد : قد قلتُ في حمزة بن عبد الله شعراً فغنِّ فيه حتى يكون أجزلَ لصلتنا ؛ ففعل ذلك معبد وغنّى في هذه الأبيات ، ثم دخلا على حمزة فأنشده إيّاها موسى ثم غنّاه فيها مَعبد ، فأمر لكل واحد منهما بمائتي دينار .

احد شعراء الحجاز :

أخبرني محمد بن خلف بن المَرزبان قال حدّثنا أحمد بن الهيثم بن فِراس قال حدّثنا العمريّ عن الهيثم بن عبد الله عن عبد الله بن عيّاش قال :

كان موسى شهوات مولًى لسليمان بن أبي خَيثمة بن حُذَيفة العدويّ ، وكان

شاعراً من شعراء أهل الحجاز ، وكان الخلفاء من بني أُميَّة يُحسنون اليه ويُدرِّون عطاءه وتَجيئه صِلاتُهم إلى الحجاز . وكانت فاطمةُ بنت عبد الملك بن مروان تحت عمر بن عبد العزيز ، فلما مات عنها تزوّجها داودُ بن سليمانَ بن مروان وكان دميماً قبيحاً ، فقال موسى شهوات في ذلك :

أبعد الأغرِّ ابن عبد العزيز قريعِ قريشٍ إذا يُذكَرُ
تزوّجتِ داودَ مختارةً ألا ذلك الخلفُ الأعورُ

فغلبَ عليه ذلك في بني مروان ، فكان يقال له : الخلفُ الأعور .

صوت

من المائة المختارة

عُوجاً خليليّ على المحضَرِ[1] والربعِ من سلّامة المُقفرِ
عُوجا به فاستنطِقاه فقد ذكّرني ما كنتُ لم أذكُرِ
ذكّرني سلمى وأيّامَها إذ جاورَتنا باوى عسجَرِ[2]
بالنبع من ودّان مبدا[3] لنا ومِحوَراً ناهيكَ من محورِ
في محضَر كنّا به نلتقي يا حبّذا ذلك من محضر
إذ نحن والحيّ به أجيرة فيا مضى من سالف الأعصر

(١) المحضر : المنهل الذي يجتمع القوم فيه ويحفرون عليه .

(٢) عسجر : موضع قرب مكة . قال ياقوت في الكلام عليه بعد أن تكلم عن عسجد : « ولعله الذي قبله غير في قافية شعر » يريد « عسجداً » بالدال المهملة . وقد قال في الكلام على عسجد إنه آسم موضع بعينه، واستشهد له بقول رزاح بن ربيعة العذري :

فلمّا مررن على عسجدٍ وأسهَلنَ من مُستناخٍ صبيلا

ثم قال : ويروى « عسجر » .

(٣) المبدا هنا : المبدأ سهلت همزته، أي المبتدأ، الذي كنا نبتدىء منه في الذهاب، ومحوراً أي مرجعاً نرجع اليه .

الشعر للوليد بن يزيد، وقيل: إنه لعمرَ بن أبي ربيعة، وقيل: إنه للعرجيّ، وهو للوليد صحيح، والغناء واللحن المختار لابن سريج خفيفُ رمل بالبنصر في مجراها، وفيه لشاريةَ خفيفُ رملٍ آخر عن ابن المعتزّ، وذكر الهشاميّ أنّ فيه لحكمٍ الواديّ خفيفَ رملٍ أيضاً.

أخبرني الحسينُ بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن المدائنيّ قال:

كان زيد بن عمرو بن عثمان قد تزوّج سُكينة بنتَ الحسين رضي الله تعالى عنه، فعَتَبَ عليها يوماً، فخرج الى مال له، فذكر أشعب أن سكينة دعته فقالت له: إن ابن عثمان خرج عاتباً عليّ فأعلمْ لي حاله، قلت: لا أستطيع أن أذهب اليه الساعة، فقالت: أنا أعطيك ثلاثين ديناراً، فأعطتني إياها فأتيته ليلاً فدخلتُ الدارَ، فقال: انظروا مَن في الدار، فأتوه فقالوا: أشعبُ، فنزل عن عرشه وصار الى الأرض فقال: أُشَعيب[1]؟ قلت: نعم، قال: ما جاء بك؟ قلت: أرسلتني سُكينةُ لأعلمَ خبركَ، أتذكّرتَ منها ما تذكّرتْ منك؟ وأنا أعلمُ أنك قد فعلتَ حين نزلتَ عن عرشك وصرتَ الى الأرض، قال: دعني من هذا وغنّني:

عُوجا به فاستنطِقاه فقد ... ذكّرني ما كنتُ لم أذكرِ

فغنّيتُه فلم يَطرَبْ، ثم قال: غنّني ويحك غير هذا، فإن أصبتَ ما في نفسي فلك حلّتي هذه وقد اشتريتها آنفاً بثلاثمائة دينار، فغنّيته:

صوت

عَلِقَ القلبَ بعضُ ما قد شجاه ... من حبيبٍ أمسى هوانا هواهُ

(١) شعيب: تصغير «أشعب» كما يقال في تصغير «أسود» «سويد»، ويسمى هذا «تصغير الترخيم».

ما ضِراري نفسي بهجرانِ[١] مَن ليـــس مُسيئاً ولا بعيـداً نواه
واجتنابي بيتَ الحبيب ومـا الخُلـــدُ بأشهى إليّ من أن أراه

فقال : ما عَدَوتَ ما في نفسي ، خُذِ الحلّةَ ، فأخذتُهـا ورجعتُ الى سكينةَ فقصصتُ عليها القصةَ ، فقالت : وأين الحلّةُ ؟ قلتُ : معي ، فقالت : وأنت الآن تريد أن تلبسَ حلّة ابن عثمان ! لا والله ولا كرامةَ ! فقلتُ : قد أعطانيها ، فأي شيء تُريدينَ مني ! فقالت : أنا أشتريها منكَ ، فبعتُها إيّاها بثلثمائة دينار .

الشعر المذكور في هـذا الخبر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء للدارميّ خفيف ثقيلٍ بالخنصر في مجرى الوسطى ، وذكر عمرو بن بانة أنه للهذليّ ، وفيه لابن جامع ثاني ثقيل بالوسطى .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه أن رجلاً كانت له جارية يهواهـا وتهواه فغاضبها يوماً وتمادى ذلك بينهما ، واتّفق أنّ مغنيةً دخلت فغنتهما :

ما ضِراري نفسي بهجران مَن ليـــس مُسيئاً ولا بعيـداً نواهُ

فقالت الجاريةُ : لا شيء والله إلا الحقُ ، ثم قامت الى مولاها فقبّلتْ رأسـه وأصطلحا .

صوت

من المائة المختارة

يا ويحَ نفسي لو أنـه أقصَرْ[٢] ما كان عيشي كما أرى أكدَرْ

---

(١) في حـ « بهجرة من » (انظر الحاشية رقم ٣ ص ١٢٨ ج ١ أغاني من هذه الطبعة) .
(٢) أقصر فلان عن الشيء : كف عنه وانتهى .

يا من عذيري ممن كَلِفتُ بـه يشهد قلبي بأنـه يسخر
يا رُبَّ يومٍ رأيتَـني مَرِحاً آخذُ في اللهو مُسبِلَ المئزر
بـين ندامى تحثّ كأسهمُ عليهمُ كفُّ شادنٍ(١) أحورْ

الشعر لأبي العتاهيه والغناء لفريدةَ خفيفُ رمل بالبنصر .

---

(١) الشادن من أولاد الظباء : الذي قد قوي وطلع قرناه واستغنى عن أمه . والأحور : أن يكون البياض في العين محدقاً بالسواد كله، وإنما يكون هذا في البقر والظباء ثم يستعار للناس .

فهرس

المجلد الثالث من كتاب الاغاني